الميزان في تفسير القرآن

للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

المجلد التاسع عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

المیزان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمد حسین طباطبایی

نشرت فی الطباعة:

علامه طباطبایی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

تفسیر المیزان المجلد ۱۹

اشاره

سرشناسه : طباطبائی، سیدمحمدحسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدیدآور : تفسیر المیزان/ محمدحسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی ؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجا: امیرکبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ریال(دوره کامل)

یادداشت : جلد۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمدباقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج.۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج.۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵م ۱۳۶۳ ۹۰۴۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص :۱

اشاره

(۵۲) (سوره الطور مکیه، و هی تسع و أربعون آیه)(۴۹)

[سوره الطور (۵۲): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلطُّورِ (۱) وَ کِتٰابٍ مَسْطُورٍ (۲) فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ (۳) وَ اَلْبَیْتِ اَلْمَعْمُورِ (۴) وَ اَلسَّقْفِ اَلْمَرْفُوعِ (۵) وَ اَلْبَحْرِ اَلْمَسْجُورِ (۶) إِنَّ عَذٰابَ رَبِّکَ لَوٰاقِعٌ (۷) مٰا لَهُ مِنْ دٰافِعٍ (۸) یَوْمَ تَمُورُ اَلسَّمٰاءُ مَوْراً (۹) وَ تَسِیرُ اَلْجِبٰالُ سَیْراً (۱۰)

(بیان)

غرض السوره إنـذار أهل التکـذیب و العناد من الکفار بالعـذاب الـذی أعـد لهم یوم القیامه فتبدأ بالإنباء عن وقوع العذاب الذی أنذروا به و تحققه یوم القیامه بأقسام مؤکده و أیمان مغلظه،و أنه غیر تارکهم یومئذ حتی یقع بهم و لا مناص.

ثم تـذکر نبـذه من صـفه هـذا العـذاب و الویل الـذی یعمهم و لا یفارقهم ثم تقابل ذلک بشـمه من نعیم أهل النعیم یومئذ و هم المتقون الذین کانوا فی الدنیا مشفقین فی أهلهم یدعون الله مؤمنین به موحدین له.

ثم تأخذ فی توبیخ المکذبین علی ما کانوا یرمون النبی ص و ما أنزل علیه من القرآن و ما أتی به من الدین الحق.

ص: ۵

و تختم الكلام بتكرار التهديد و الوعيد و أمر النبى ص بتسبيح ربه.و السوره مكيه كما يشهد بذلك سياق آياتها.

قوله تعالى:« وَ الطُّورِ »قيل:الطور مطلق الجبل و قد غلب استعماله فى الجبل الذى كلم الله عليه موسى(ع)،و الأنسب أن يكون المراد به فى الآيه جبل موسى(ع) أقسم الله تعالى به لما قدسه و بارک فيه كما أقسم به فى قوله: «وَ طُورِ سِينِينَ» :التين:۲، و قال: «وَ نٰادَيْنٰاهُ مِنْ جٰانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» :مريم:۵۲،و قال فى خطابه لموسى(ع):

«فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» :طه:۱۲،و قال: «نُودِيَ مِنْ شٰاطِئِ الْوٰادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبٰارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ» :القصص:۳۰.

و قيل:المراد مطلق الجبل أقسم الله تعالى به لما أودع فيه من أنواع نعمه قال تعالى: «وَ جَعَلَ فِيهٰا رَوٰاسِيَ مِنْ فَوْقِهٰا وَ بٰارَكَ فِيهٰا» :حم السجده:۱۰.

قوله تعالى:« وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ »قيل: الرق مطلق ما يكتب فيه و قيل:هو الورق،و قيل:الورق المأخوذ من الجلد،و النشر هو البسط،و التفريق.

و المراد بهذا الكتاب قيل:هو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن تقرؤه ملائكه السماء،و قيل:المراد به صحائف الأعمال تقرؤه حفظه الأعمال من الملائكه،و قيل:هو القرآن كتبه الله فى اللوح المحفوظ،و قيل:هو التوراه و كانت تكتب فى الرق و تنشر للقراءه.

و الأنسب بالنظر إلى الآيه السابقه هو القول الأخير.

قوله تعالى:« وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ »قيل:المراد به الكعبه المشرفه فإنها أول بيت وضع للناس و لم يزل معمورا منذ وضع إلى يومنا هذا قال تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبٰارَكاً وَ هُدىً لِلْعٰالَمِينَ» :آل عمران:۹۶.

و فى الروايات المأثوره أن البيت المعمور بيت فى السماء بحذاء الكعبه تزوره الملائكه.

و تنكير« كِتٰابٍ »للإيماء إلى استغنائه عن التعريف فهو تنكير يفيد التعريف و يستلزمه.

قوله تعالى:« وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ »هو السماء.

قوله تعالی:« وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ »قال الراغب: السجر تهييج النار،و فی المجمع،:

المسجور المملوء يقال:سجرت التنور أی ملأتها نارا،و قد فسرت الآيه بكل من المعنيين و يؤيد المعنی الأول قوله: «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» :التكوير:۶،أی سعرت و قد ورد فی الحديث أن البحار تسعر نارا يوم القيامه،و قيل:المراد أنها تغيض مياهها بتسجير النار فيها.

قوله تعالی:« إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ »جواب القسم السابق و المراد بالعذاب المخبر بوقوعه عذاب يوم القيامه الذی أوعد الله به الكفار المكذبين كما تشير إليه الآيه التاليه،و فی قوله:« مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ »دلاله علی أنه من القضاء المحتوم الذی لا محيص عن وقوعه قال تعالی: وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِی الْقُبُورِ» :الحج:۷.

و فی قوله:« عَذَابَ رَبِّكَ »بنسبه العذاب إلی الرب المضاف إلی ضمير الخطاب دون أن يقال:عذاب الله تأييد للنبی ص علی مكذبی دعوته و تطييب لنفسه أن ربه لا يخزيه يومئذ كما قال: «يَوْمَ لاَ يُخْزِی اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» :التحريم:۸.

قوله تعالی:« يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً »ظرف لقوله:« إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ».

و المور -علی ما فی المجمع،-تردد الشیء بالذهاب و المجیء كما يتردد الدخان ثم يضمحل،و يقرب منه قول الراغب:إنه الجريان السريع.

و علی أی حال فيه إشاره إلی انطواء العالم السماوی كما يذكره تعالی فی مواضع من كلامه كقوله: «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ» :الانفطار:۲،و قوله:

«يَوْمَ نَطْوِی السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ» :الأنبياء:۱۰۴،و قوله: «وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» :الزمر:۶۷.

كما أن قوله:« وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً »إشاره إلی زلزله الساعه فی الأرض التی يذكرها تعالی فی مواضع من كلامه كقوله: «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا» :الواقعه:۶،و قوله: وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً» :النبأ:۲۰.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ الطُّورِ وَ کِتابٍ مَسْطُورٍ »قال:الطور جبل بطور سیناء.

و فی المجمع،"« وَ الْبَیْتِ الْمَعْمُورِ »و هو بیت فی السماء الرابعه بحیال الکعبه-یعمره الملائکه بما یکون منها فیه من العباده":.عن ابن عباس و مجاهد،

و روی أیضا عن أمیر المؤمنین(ع)قال: .و یدخله کل یوم سبعون ألف ملک ثم لا یعودون إلیه أبدا.

أقول:کون البیت المعمور بیتا فی السماء یطوف علیه الملائکه واقع فی عده أحادیث من طرق الفریقین غیر أنها مختلفه فی محله ففی أکثرها أنه فی السماء الرابعه و فی بعضها أنه فی السماء الأولی،و فی بعضها السابعه.

و فیه،: « وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ »و هو السماء عن علی(ع) .

و فی تفسیر القمی،":« وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ »قال:السماء،« وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ »قال:

تسجر یوم القیامه.

و فی المجمع،":« وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ »أی المملوء.عن قتاده،و قیل:هو الموقد المحمی بمنزله التنور.عن مجاهد و الضحاک و الأخفش و ابن زید.ثم قیل:إنه تحمی البحار یوم القیامه فتجعل نیرانا-ثم تفجر بعضها فی بعض ثم تفجر إلی النار":.ورد به الحدیث.

[سوره الطور (۵۲): الآیات ۱۱ الی ۲۸]

اشاره

فَوَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۱۱) اَلَّذِینَ هُمْ فِی خَوْضٍ یَلْعَبُونَ (۱۲) یَوْمَ یُدَعُّونَ إِلیٰ نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (۱۳) هٰذِهِ اَلنّٰارُ اَلَّتِی کُنْتُمْ بِهٰا تُکَذِّبُونَ (۱۴) أَ فَسِحْرٌ هٰذٰا أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ (۱۵) اِصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَیْکُمْ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۶) إِنَّ اَلْمُتَّقِینَ فِی جَنّٰاتٍ وَ نَعِیمٍ (۱۷) فٰاکِهِینَ بِمٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ عَذٰابَ اَلْجَحِیمِ (۱۸) کُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِیئاً بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۹) مُتَّکِئِینَ عَلیٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَهٍ وَ زَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِینٍ (۲۰) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اِتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّیَّتُهُمْ بِإِیمٰانٍ أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَیْءٍ کُلُّ اِمْرِئٍ بِمٰا کَسَبَ رَهِینٌ (۲۱) وَ أَمْدَدْنٰاهُمْ بِفٰاکِهَهٍ وَ لَحْمٍ مِمّٰا یَشْتَهُونَ (۲۲) یَتَنٰازَعُونَ فِیهٰا کَأْساً لاٰ لَغْوٌ فِیهٰا وَ لاٰ تَأْثِیمٌ (۲۳) وَ یَطُوفُ عَلَیْهِمْ غِلْمٰانٌ لَهُمْ کَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَکْنُونٌ (۲۴) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَسٰاءَلُونَ (۲۵) قٰالُوا إِنّٰا کُنّٰا قَبْلُ فِی أَهْلِنٰا مُشْفِقِینَ (۲۶) فَمَنَّ اَللّٰهُ عَلَیْنٰا وَ وَقٰانٰا عَذٰابَ اَلسَّمُومِ (۲۷) إِنّٰا کُنّٰا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْبَرُّ اَلرَّحِیمُ (۲۸)

(بیان)

تذکر الآیات من یقع علیهم هذا العذاب الذی لا ریب فی تحققه و وقوعه،و تصف حالهم إذ ذاک،و هذا هو الغرض الأصیل فی السوره کما تقدمت الإشاره إلیه و أما ما وقع فی الآیات من وصف حال المتقین یومئذ فهو من باب التطفل لتأکید الإنذار المقصود.

قوله تعالی:« فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ »تفریع علی ما دلت علیه الآیات السابقه من تحقق وقوع العذاب یوم القیامه أی إذا کان الأمر کما ذکر و لم یکن محیص عن وقوع العذاب فویل لمن یقع علیه و هم المکذبون لا محاله فالجمله تدل علی کون المعذبین هم المکذبین بالاستلزام و علی تعلق الویل بهم بالمطابقه.

أو التقدیر إذا کان العذاب واقعا لا محاله و لا محاله لا یقع إلا علی المکذبین لأنهم الکافرون بالله المکذبون لیوم القیامه فویل یومئذ لهم،فالدال علی تعلق العذاب بالمکذبین

هو قوله:« عَذٰابَ رَبِّکَ »لأن عذاب الله إنما يقع على من دعاه فلم يجبه و كذب دعوته.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ » الخوض هو الدخول فى باطل القول قال الراغب: الخوض هو الشروع فى الماء و المرور فيه،و يستعار فى الأمور و أكثر ما ورد فى القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه انتهى،و تنوين التنكير فى« خَوْضٍ »يدل على صفه محذوفه أى فى خوض عجيب.

و لما كان الاشتغال بباطل القول لا يفيد نتيجه حقه إلا نتيجه خياليه يزينها الوهم للخائض سماه لعبا-و اللعب من الأفعال ما ليس له إلا الأثر الخيالى-.

و المعنى:الذين هم مستمرون فى خوض عجيب يلعبون بالمجادله فى آيات الله و إنكارها و الاستهزاء بها.

قوله تعالى:« يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلىٰ نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا » الدع هو الدفع الشديد،و الظاهر أن « يَوْمَ »بيان لقوله:« يَوْمَئِذٍ ».

قوله تعالى:« هٰذِهِ النّٰارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ »أى يقال لهم:هذه النار التى كنتم بها تكذبون،و المراد بالتكذيب بالنار التكذيب بما أخبر به الأنبياء(ع) بوحى من الله من وجود هذه النار و أنه سيعذب بها المجرمون و محصل المعنى هذه مصداق ما أخبر به الأنبياء فكذبتم به.

قوله تعالى:« أَ فَسِحْرٌ هٰذٰا أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ »تفريع على قوله:« هٰذِهِ النّٰارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ »و الاستفهام للإنكار تفريعا لهم أى إذا كانت هذه هى تلك النار التى كنتم تكذبون بها فليس هذا سحرا كما كنتم ترمون إخبار الأنبياء بها أنه سحر و ليس هذا أمرا موهوما خرافيا كما كنتم تتفوهون به بل أمر مبصر معاين لكم فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّٰارِ أَ لَيْسَ هٰذٰا بِالْحَقِّ» :الأحقاف:۳۴.

و بما مر من المعنى يظهر أن« أَمْ »فى قوله:« أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ »متصله و قيل:

منقطعه و لا يخلو من بعد.

قوله تعالى:« اِصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »، الصلى بالفتح فالسكون مقاساه حراره النار فمعنى اصلوها قاسوا حراره نار جهنم.

و قوله:« فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا »تفريع على الأمر بالمقاساه،و الترديد بين الأمر و النهى كنايه عن مساواه الفعل و الترك،و لذا أتبعه بقوله:« سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ »أى هذه المقاساه لازمه لكم لا تفارقكم سواء صبرتم أو لم تصبروا فلا الصبر يرفع عنكم العذاب أو يخففه و لا الجزع و ترك الصبر ينفع لكم شيئا.

و قوله:« سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ »خبر مبتدإ محذوف أى هما سواء و إفراد« سَوٰاءٌ »لكونه مصدرا فى الأصل.

و قوله:« إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »فى مقام التعليل لما ذكر من ملازمه العذاب و مساواه الصبر و الجزع.

و المعنى:إنما يلازمكم هذا الجزاء السيئ و لا يفارقكم لأنكم تجزون بأعمالكم التى كنتم تعملونها و لا تسلب نسبه العمل عن عامله فالعذاب يلازمكم أو إنما تجزون بتبعات ما كنتم تعملون و جزائه.

قوله تعالى:« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ نَعِيمٍ » الجنه البستان تجنيه الأشجار و تستره، و النعيم النعمه الكثيره أى إن المتصفين بتقوى الله يومئذ فى جنات يسكنون فيها و نعمه كثيره تحيط بهم.

قوله تعالى:« فٰاكِهِينَ بِمٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ » الفاكهه مطلق الثمره،و قيل:هى الثمره غير العنب و الرمان،و يقال:تفكه و فكه إذا تعاطى الفكاهه،و تفكه و فكه إذا تناول الفاكهه،و قد فسرت الآيه بكل من المعنيين فقيل:

المعنى:يتحدثون بما آتاهم ربهم من النعيم،و قيل:المعنى:يتناولون الفواكه و الثمار التى آتاهم ربهم،و قيل:المعنى:يتلذذون بإحسان ربهم و مرجعه إلى المعنى الأول،و قيل:

معناه فاكهين معجبين بما آتاهم ربهم،و لعل مرجعه إلى المعنى الثانى.

و تكرار« رَبُّهُمْ »فى قوله:« وَ وَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ »لإفاده مزيد العنايه بهم.

قوله تعالى:« كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »أى يقال لهم:كلوا و اشربوا أكلا و شربا هنيئا أو طعاما و شرابا هنيئا،فهنيئا وصف قائم مقام مفعول مطلق أو مفعول به.

و قوله:« بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »متعلق بقوله:« كُلُوا وَ اشْرَبُوا »أو بقوله:« هَنِيئاً ».

قوله تعالی:« مُتَّكِئِينَ عَلىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ » الاتکاء الاعتماد علی الوساده و نحوها،و السرر جمع سریر،و مصفوفه من الصف أی مصطفه موصوله بعضها ببعض،و المعنی:متکئین علی الوسائد و النمارق قاعدین علی سرر مصطفه.

و قوله:« وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ »المراد بالتزویج القرن أی قرناهم بهن دون النکاح بالعقد،و الدلیل علیه تعدیه بالباء فإن التزویج بمعنی النکاح بالعقد متعد بنفسها، قال تعالی: «زَوَّجْناكَها» :الأحزاب:۳۷ کذا قیل.

قوله تعالی:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ »إلخ،قیل:الفرق بین الاتباع و اللحوق مع اعتبار التقدم و التأخر فیهما جمیعا أنه یعتبر فی الاتباع اشتراک بین التابع و المتبوع فی مورد الاتباع بخلاف اللحوق فاللاحق لا یشارک الملحوق فی ما لحق به فیه.

و لات و ألات بمعنی نقص فمعنی ما ألتناهم ما نقصناهم شیئا من عملهم بالإلحاق.

و ظاهر الآیه أنها فی مقام الامتنان فهو سبحانه یمتن علی الذین آمنوا أنه سیلحق بهم ذریتهم الذین اتبعوهم بإیمان فتقر بذلک أعینهم،و هذا هو القرینه علی أن التنوین فی « بِإِيمانٍ »للتنکیر دون التعظیم.

و المعنی:اتبعوهم بنوع من الإیمان و إن قصر عن درجه إیمان آبائهم إذ لا امتنان لو کان إیمانهم أکمل من إیمان آبائهم أو مساویا له.

و إطلاق الاتباع فی الإیمان منصرف إلی اتباع من یصح منه فی نفسه الإیمان ببلوغه حدا یکلف به فالمراد بالذریه الأولاد الکبار المکلفون بالإیمان فالآیه لا تشمل الأولاد الصغار الذین ماتوا قبل البلوغ،و لا ینافی ذلک کون صغار أولاد المؤمنین محکومین بالإیمان شرعا.

اللهم إلا أن یستفاد العموم من تنکیر الإیمان و یکون المعنی:و اتبعتهم ذریتهم بإیمان ما سواء کان إیمانا فی نفسه أو إیمانا بحسب حکم الشرع.

و کذا الامتنان قرینه علی أن الضمیر فی قوله:« وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ » للذین آمنوا کالضمیرین فی قوله:« وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ »إذ قوله:« وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ »مسوق حینئذ لدفع توهم ورود النقص فی الثواب علی تقریر الإلحاق و هو ینافی

الامتنان و من المعلوم أن الذی ینافی الامتنان هو النقص فی ثواب الآباء الملحق بهم دون الذریه.

فتحصل أن قوله:« وَ الَّذِینَ آمَنُوا »إلخ،استئناف یمتن تعالی فیه علی الذین آمنوا بأنه سیلحق بهم أولادهم الذین اتبعوهم بنوع من الإیمان و إن کان قاصرا عن درجه إیمانهم لتقر به أعینهم،و لا ینقص مع ذلک من ثواب عمل الآباء بالإلحاق شیء بل یؤتیهم مثل ما آتاهم أو بنحو لا تزاحم فیه علی ما هو أعلم به.

و فی معنی الآیه أقوال أخر لا تخلو من سخافه کقول بعضهم إن قوله:« وَ الَّذِینَ آمَنُوا »معطوف علی« بِحُورٍ عِینٍ »و المعنی:و زوجناهم بحور عین و بالذین آمنوا یتمتعون من الحور العین بالنکاح و بالذین آمنوا بالرفاقه و الصحبه،و قول بعضهم:إن المراد بالذریه صغار الأولاد فقط،و قول بعضهم:إن الضمیرین فی« وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَیْءٍ » للذریه و المعنی:و ما نقصنا الذریه من عملهم شیئا بسبب إلحاقهم بآبائهم بل نوفیهم أعمالهم من خیر أو شر ثم نلحقهم بآبائهم.

و قوله:« کُلُّ امْرِئٍ بِمٰا کَسَبَ رَهِینٌ »تعلیل لقوله:« وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَیْءٍ »علی ما یفیده السیاق،و الرهن و الرهین و المرهون ما یوضع وثیقه للدین علی ما ذکره الراغب قال:و لما کان الرهن یتصور منه حبسه أستعیر ذلک لحبس أی شیء کان.انتهی.

و لعل هذا المعنی الاستعاری هو المراد فی الآیه و المرء رهن مقبوض و محفوظ عند الله سبحانه بما کسبه من خیر أو شر حتی یوفیه جزاء ما عمله من ثواب أو عقاب فلو نقص شیئا من عمله و لم یوفه ذلک لم یکن رهین ما کسب بل رهین بعض ما عمل و امتلک بعضه الآخر غیره کذریته الملحقین به.

و أما قوله تعالی: «کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ رَهِینَهٌ إِلاّٰ أَصْحٰابَ الْیَمِینِ» :المدثر:۳۹، فالمراد کونها رهینه العذاب یوم القیامه کما یشهد به سیاق ما بعده من قوله: «فِی جَنّٰاتٍ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِینَ» :المدثر:۴۱.

و قیل:المراد کون المرء رهین عمله السیئ کما تدل علیه آیه سوره المدثر المذکوره آنفا بشهاده استثناء أصحاب الیمین،و الآیه أعنی قوله:« کُلُّ امْرِئٍ بِمٰا کَسَبَ رَهِینٌ » جمله معترضه من صفات أهل النار اعترضت فی صفات أهل الجنه.

و حمل صاحب الكشاف الآيه على نوع من الاستعاره فرفع به التنافى بين الآيتين قال:كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فإن عمل صالحا فكها و خلصها و إلا أوبقها.انتهى.

و أنت خبير بأن مجرد ما ذكره لا يوجه اتصال الجمله أعنى قوله:« كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ »بما قبلها.

قوله تعالى:« وَ أَمْدَدْنٰاهُمْ بِفٰاكِهَهٍ وَ لَحْمٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ »بيان لبعض تتماتهم و تمتعاتهم فى الجنه المذكوره إجمالا فى قوله السابق:« كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً »إلخ.

و الإمداد الإتيان بالشىء وقتا بعد وقت و يستعمل فى الخير كما أن المد يستعمل فى الشر قال تعالى: «وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذٰابِ مَدًّا» :مريم:٧٩.

و المعنى:أنا نرزقهم بالفاكهه و ما يشتهونه من اللحم رزقا بعد رزق و وقتا بعد وقت من غير انقطاع.

قوله تعالى:« يَتَنٰازَعُونَ فِيهٰا كَأْساً لاٰ لَغْوٌ فِيهٰا وَ لاٰ تَأْثِيمٌ » التنازع فى الكأس تعاطيها و الاجتماع على تناولها،و الكأس القدح و لا يطلق الكأس إلا فيما كان فيها الشراب.

و المراد باللغو لغو القول الذى يصدر من شاربى الخمر فى الدنيا،و التأثيم جعل الشخص ذا إثم و هو أيضا من آثار الخمر فى الدنيا،و نفى اللغو و التأثيم هو القرينه على أن المراد بالكأس التى يتنازعون فيها كأس الخمر.

قوله تعالى:« وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمٰانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ »المراد به طوافهم عليهم للخدمه قال بعضهم:قيل:« غِلْمٰانٌ لَهُمْ »بالتنكير و لم يقل:غلمانهم لئلا يتوهم أن المراد بهم غلمانهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فهم كالحور من مخلوقات الجنه كأنهم لؤلؤ مكنون مخزون فى الحسن و الصباحه و الصفا.

قوله تعالى:« وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ »أى يسأل كل منهم غيره عن حاله فى الدنيا و ما الذى ساقه إلى الجنه و النعيم؟.

قوله تعالى:« قٰالُوا إِنّٰا كُنّٰا قَبْلُ فِي أَهْلِنٰا مُشْفِقِينَ »قال الراغب:و الإشفاق عنايه مختلطه بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه و يخاف ما يلحقه قال تعالى:« وَ هُمْ مِنَ السّٰاعَهِ

مُشْفِقُونَ »فإذا عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر،و إذا عدى بفى فمعنى العنايه فيه أظهر قال تعالى:« إِنّٰا كُنّٰا قَبْلُ فِی أَهْلِنٰا مُشْفِقِینَ »،انتهى.

فالمعنى:أنا كنا فى الدنيا ذوى إشفاق فى أهلنا نعتنى بسعادتهم و نجاتهم من مهلكه الضلال فنعاشرهم بجميل المعاشره و نسير فيهم ببث النصيحه و الدعوه إلى الحق.

قوله تعالى:« فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنٰا وَ وَقٰانٰا عَذٰابَ السَّمُومِ » المن على ما ذكره الراغب الإنعام بالنعمه الثقيله و يكون بالفعل و هو حسن،و بالقول و هو قبيح من غيره تعالى، قال تعالى: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاٰ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاٰمَكُمْ بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدٰاكُمْ لِلْإِيمٰانِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ» :الحجرات:١٧.

و منه تعالى على أهل الجنه إسعاده إياهم لدخولها بالرحمه و تمامه بوقايتهم عذاب السموم.

و السموم -على ما ذكره الطبرسى-الحر الذى يدخل فى مسام البدن يتألم به و منه ريح السموم.

قوله تعالى:« إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ »تعليل لقوله:« فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنٰا »إلخ،كما أن قوله:« إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ »تعليل له.

و تفيد هذه الآيه مع الآيتين قبلها أن هؤلاء كانوا فى الدنيا يدعون الله بتوحيده للعباده و التسليم لأمره و كانوا مشفقين فى أهلهم يقربونهم من الحق و يجنبونهم الباطل فكان ذلك سببا لمن الله عليهم بالجنه و وقايتهم من عذاب السموم،و إنما كان ذلك سببا لذلك لأنه تعالى بر رحيم فيحسن لمن دعاه و يرحمه.

فالآيات الثلاث فى معنى قوله: «إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَفِی خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ» :العصر:٣.

و البر من أسماء الله تعالى الحسنى،و هو من البر بمعنى الإحسان،و فسره بعضهم باللطيف.

(بحث روائى)

فى الكافى،بإسناده عن أبى بكر عن أبى عبد الله(ع): فى قول الله عز و جل:

« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ-أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ »قال:فقال: قصرت الأبناء

عن عمل الآباء-فألحقوا الأبناء بالآباء لتقر بذلك أعينهم.:

أقول:و رواه أيضا فى التوحيد،بإسناده إلى أبى بكر الحضرمى عنه(ع) .

و فى تفسير القمى،حدثنى أبى عن سليمان الديلمى عن أبى بصير عن أبى عبد الله(ع) قال: إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيهم فاطمه(ع)،و قوله:« أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ »قال:يهدون إلى آبائهم يوم القيامه.:

أقول:و روى فى المجمع،ذيل الحديث عنه(ع)مرسلا .

و فى التوحيد،بإسناده عن أبى بصير قال:قال أبو عبد الله(ع): إذا مات الطفل من أطفال المؤمنين-نادى مناد فى ملكوت السماوات و الأرض-ألا إن فلان بن فلان قد مات-فإن كان قد مات والداه أو أحدهما-أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه،و إلا دفع إلى فاطمه تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما-أو بعض أهل بيته من المؤمنين فيدفعه إليه.

و فى الفقيه،:و فى روايه الحسن بن محبوب عن على عن الحلبى عن أبى عبد الله(ع) قال: إن الله تبارك و تعالى كفل إبراهيم و ساره-أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجره فى الجنه- لها أخلاف كأخلاف البقر فى قصر من دره-فإذا كان يوم القيامه ألبسوا-و طيبوا و أهدوا إلى آبائهم-فهم ملوك فى الجنه مع آبائهم،و هذا قول الله تعالى:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ-أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ».

و فى المجمع،روى زاذان عن على(ع)قال:قال رسول الله ص: إن المؤمنين و أولادهم فى الجنه،ثم قرأ هذه الآيه.

و فى الدر المنثور،أخرج البزار و ابن مردويه عن ابن عباس رفعه إلى النبى ص قال: إن الله يرفع ذريه المؤمن إليه فى درجته-و إن كانوا دونه فى العمل-ثم قرأ« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ-أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ »قال:

و ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء.

و فيه،أخرج الطبرانى و ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى ص قال: إذا دخل الرجل الجنه سأل عن أبويه و ذريته و ولده- فيقال:إنهم لم يبلغوا درجتك و عملك-فيقول:

يا رب قد عملت لى و لهم فيؤمر بإلحاقهم به-و قرأ ابن عباس:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ »الآيه.

ص :١۶

أقول:و الآیه لا تشمل الآباء المذکورین فی الحدیث،و الأنسب للدلاله علیه ما ذکره تعالی فی دعاء الملائکه «رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ» XالآیهX:المؤمن:٨.

و فی تفسیر القمی،":قوله:« لا لَغْوٌ فِیها وَ لا تَأْثِیمٌ »قال:لیس فی الجنه غناء و لا فحش،و یشرب المؤمن و لا یأثم« وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ »قال:فی الجنه.

[سوره الطور (۵۲): الآیات ۲۹ الی ۴۴]

اشاره

فَذَکِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِکاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ (۲۹) أَمْ یَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَیْبَ اَلْمَنُونِ (۳۰) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَکُمْ مِنَ اَلْمُتَرَبِّصِینَ (۳۱) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهٰذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (۳۲) أَمْ یَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا یُؤْمِنُونَ (۳۳) فَلْیَأْتُوا بِحَدِیثٍ مِثْلِهِ إِنْ کانُوا صادِقِینَ (۳۴) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ اَلْخالِقُونَ (۳۵) أَمْ خَلَقُوا اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ بَلْ لا یُوقِنُونَ (۳۶) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ أَمْ هُمُ اَلْمُصَیْطِرُونَ (۳۷) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ یَسْتَمِعُونَ فِیهِ فَلْیَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِینٍ (۳۸) أَمْ لَهُ اَلْبَناتُ وَ لَکُمُ اَلْبَنُونَ (۳۹) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (۴۰) أَمْ عِنْدَهُمُ اَلْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ (۴۱) أَمْ یُرِیدُونَ کَیْداً فَالَّذِینَ کَفَرُوا هُمُ اَلْمَکِیدُونَ (۴۲) أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَیْرُ اَللّٰهِ سُبْحانَ اَللّٰهِ عَمّا یُشْرِکُونَ (۴۳) وَ إِنْ یَرَوْا کِسْفاً مِنَ اَلسَّماءِ ساقِطاً یَقُولُوا سَحابٌ مَرْکُومٌ (۴۴)

ص: ۱۷

(بيان)

لما أخبر عن العذاب الواقع يوم القيامه و أنه سيصيب المكذبين، و المتقون فی جنات و نعيم قريره العيون أمر النبی ص أن يمضی فی دعوته و تذكرته مشيرا إلی أنه صالح لإقامه الدعوه الحقه،و لا عذر لهؤلاء المكذبين فی تكذيبه و رد دعوته.

فنفی جميع الأعذار المتصوره لهم و هی سته عشر أمرا شطر منها راجع إلی النبی ص لو تحقق شیء منه فيه سلب صلاحيته للاتباع و كان مانعا عن قبول قوله ككونه كاهنا أو مجنونا أو شاعرا أو متقولا مفتريا علی الله و كسؤاله الأجر علی دعوته و شطر منها راجع إلی المكذبين أنفسهم مثل كونهم خلقوا من غير شیء أو كونهم الخالقين أو أمر عقولهم بالتكذيب إلی غير ذلک و لا تخلو الآيات مع ذلک عن توبيخهم الشديد علی التكذيب.

قوله تعالی:« فَذَكِّرْ فَمٰا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكٰاهِنٍ وَ لاٰ مَجْنُونٍ »تفريع علی ما مر من الإخبار المؤكد بوقوع العذاب الإلهی يوم القيامه،و أنه سيغشی المكذبين و المتقون فی وقايه منه متلذذون بنعيم الجنه.

فالآيه فی معنی أن يقال:إذا كان هذا حقا فذكر فإنما تذكر و تنذر بالحق و لست كما يرمونک كاهنا أو مجنونا.

و تقييد النفی بقوله:« بِنِعْمَتِ رَبِّكَ »يفيد معنی الامتنان علی النبی ص خاصه و ليس هذا الامتنان الخاص من جهه مجرد انتفاء الكهانه و الجنون فأكثر الناس علی هذه الصفه بل من وجهه تلبسه(ص)بالنعمه الخاصه به المانع من عروض هذه الصفات عليه من كهانه أو جنون و غير ذلک.

قوله تعالی:« أَمْ يَقُولُونَ شٰاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ »أم منقطعه،و التربص

الانتظار،و فی مجمع البیان،: التربص الانتظار بالشیء من انقلاب حال له إلی خلافها و المنون المنیه و الموت،و الریب القلق و الاضطراب.فریب المنون قلق الموت.

و محصل المعنی:بل یقولون هو أی النبی ص شاعر ننتظر به الموت حتی یموت و یخمد ذکره و ینسی رسمه فنستریح منه.

قوله تعالی:« قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِینَ »أمر النبی ص أن یأمرهم بالتربص کما رضوا لأنفسهم ذلک،و هو أمر تهدیدی أی تربصوا کما ترون لأنفسکم ذلک فإن هناک أمر من حقه أن ینتظر وقوعه،و أنا أنتظره مثلکم لکنه علیکم لا لکم و هو هلاککم و وقوع العذاب علیکم.

قوله تعالی:« أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاٰمُهُمْ بِهٰذٰا » الأحلام جمع حلم و هو العقل،و أم منقطعه و الکلام بتقدیر الاستفهام و الإشاره بهذا إلی ما یقولونه للنبی ص و یتربصون به.

و المعنی:بل أ تأمرهم عقولهم أن یقولوا هذا الذی یقولونه و یتربصوا به الموت؟ فأی عقل یدفع الحق بمثل هذه الأباطیل؟.

قوله تعالی:« أَمْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ »أی إن عقولهم لم تأمرهم بهذا بل هم طاغون حملهم علی هذا طغیانهم.

قوله تعالی:« أَمْ یَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاٰ یُؤْمِنُونَ »قال فی المجمع،: التقول تکلف القول و لا یقال ذلک إلا فی الکذب،و المعنی بل یقولون:افتعل القرآن و نسبه إلی الله کذبا و افتراء.لا بل لا یؤمنون فیرمونه بهذه الفریه.

قوله تعالی:« فَلْیَأْتُوا بِحَدِیثٍ مِثْلِهِ إِنْ کٰانُوا صٰادِقِینَ »جواب عن قولهم:« تَقَوَّلَهُ » بأنه لو کان کلاما للنبی ص کان کلاما بشریا مماثلا لسائر الکلام و یماثله سائر الکلام فکان یمکنهم أن یأتوا بحدیث مثله فلیأتوا بحدیث مثله إن کانوا صادقین فی دعواهم التقول بل هو کلام إلهی لائحه علیه دلائل الإعجاز یعجز البشر عن إتیان مثله،و قد تقدم الکلام فی وجوه إعجاز القرآن فی تفسیر سوره البقره الآیه ۲۳ تفصیلا.

و یمکن أن تؤخذ الآیه ردا لجمیع ما تقدم من قولهم المحکی إنه کاهن أو مجنون أو

شاعر أو متقول لأن عجز البشر عن الإتيان بمثله يأبى إلا أن يكون كلام الله سبحانه لكن الأظهر ما تقدم.

قوله تعالى:« أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ »إتيان« شَيْءٍ »منكرا بتقدير صفه تناسب المقام و التقدير من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر.

و المعنى:بل أ خلق هؤلاء المكذبون من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر فصلح لإرسال الرسول و الدعوه إلى الحق و التلبس بعبوديته تعالى فهؤلاء لا يتعلق بهم تكليف و لا يتوجه إليهم أمر و لا نهى و لا تستتبع أعمالهم ثوابا و لا عقابا لكونهم مخلوقين من غير ما خلق منه غيرهم.

و فى معنى الجمله أقوال أخر.

فقيل:المراد أم أحدثوا و قدروا هذا التقدير البديع من غير مقدر و خالق فلا حاجه لهم إلى خالق يدبر أمرهم.

و قيل:المراد أم خلقوا من غير شيء حى فهم لا يؤمرون و لا ينهون كالجمادات.

و قيل:المعنى أم خلقوا من غير عله و لا لغايه ثواب و عقاب فهم لذلك لا يسمعون.

و قيل:المعنى أم خلقوا باطلا لا يحاسبون و لا يؤمرون و لا ينهون.

و ما قدمناه من المعنى أقرب إلى لفظ الآيه و أشمل.

و قوله:« أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ »أى لأنفسهم فليسوا مخلوقين لله سبحانه حتى يربهم و يدبر أمرهم بالأمر و النهى.

قوله تعالى:« أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ »أى أم أخلقوا العالم حتى يكونوا أربابا آلهه و يجلوا من أن يستعبدوا و يكلفوا بتكليف العبوديه بل هم قوم لا يوقنون.

قوله تعالى:« أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ »أى بل أ عندهم خزائن ربك حتى يرزقوا النبوه من شاءوا و يمسكوها عمن شاءوا فيمنعوك النبوه و الرساله.

و قوله:« أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ » السيطره -و ربما يقلب سينها صادا-الغلبه و القهر و المعنى:بل أ هم الغالبون القاهرون على الله سبحانه حتى يسلبوا عنك ما رزقك الله من النبوه و الرساله.

قوله تعالى:« أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ » السلم المرقاه ذات الدرج التى يتوسل بالصعود فيه إلى الأمكنه العاليه،و الاستماع مضمن معنى الصعود،و السلطان الحجه و البرهان.

و المعنى:بل أ عندهم سلم يصعدون فيه إلى السماء فيستمعون بالصعود فيه الوحى فيأخذون ما يوحى إليهم و يردون غيره؟فليأت مستمعهم أى المدعى للاستماع منهم بحجه ظاهره.

قوله تعالى:« أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمُ الْبَنُونَ »قيل:فيه تسفيه لعقولهم حيث نسبوا إليه تعالى ما أنفوا منه.

قوله تعالى:« أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ »قال الراغب: الغرم -بالضم فالسكون-ما ينوب الإنسان فى ماله من ضرر لغير جنايه منه أو خيانه انتهى و الإثقال تحميل الثقل و هو كنايه عن المشقه.

و المعنى:بل أ تسألهم أجرا على تبليغ رسالتك فهم يتحرجون عن تحمل الغرم الذى ينوبهم بتأديه الأجر؟.

قوله تعالى:« أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ »ذكر بعضهم أن المراد بالغيب اللوح المحفوظ المكتوب فيه الغيوب و المعنى:بل أ عندهم اللوح المحفوظ يكتبون منه و يخبرون به الناس فما أخبروا به عنك من الغيب الذى لا ريب فيه.

و قيل:المراد بالغيب علم الغيب،و بالكتابه الإثبات و المعنى:بل أ عندهم علم الغيب فهم يثبتون ما علموه شرعا للناس عليهم أن يطيعوهم فيما أثبتوا،و قيل:يكتبون بمعنى يحكمون.

قوله تعالى:« أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ » الكيد ضرب من الاحتيال على ما ذكره الراغب،و فى المجمع،:الكيد هو المكر،و قيل:هو فعل ما يوجب الغيظ فى خفيه.انتهى.

ظاهر السياق أن المراد بكيدهم هو مكرهم بالنبى ص بما رموه به من الكهانه و الجنون و الشعر و التقول ليعرض عنه الناس و يبتعدوا عنه فتبطل بذلك دعوته و ينطفئ نوره،و هذا كيد منهم و مكر بأنفسهم حيث يحرمون لها السعاده الخالده و الركوب على

صراط الحق بذلک بل کید من الله بقطع التوفیق عنهم و الطبع علی قلوبهم.

و قیل:المراد بالکید الذی یریدونه هو ما کان منهم فی حقه(ص)فی دار الندوه و المراد بالذین کفروا المذکورون من المکذبین و هم أصحاب دار الندوه،و قد قلب الله کیدهم إلی أنفسهم فقتلهم یوم بدر،و الکلام علی هذا من الإخبار بالغیب لنزول السوره قبل ذلک بکثیر،و هو بعید من السیاق.

قوله تعالی:« أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَیْرُ اللّٰهِ سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا یُشْرِکُونَ »فإنهم إذا کان لهم إله غیر الله کان هو الخالق لهم و المدبر لأمرهم فاستغنوا بذلک عن الله سبحانه و استجابه دعوه رسوله و نصرهم إلههم و دفع عنهم عذاب الله الذی أوعد به المکذبین و أنذرهم به رسوله.

و قوله:« سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا یُشْرِکُونَ »تنزیه له تعالی أن یکون له شریک کما یدعون،و ما فی قوله:« عَمّٰا یُشْرِکُونَ »مصدریه أی سبحانه عن شرکهم.

قوله تعالی:« وَ إِنْ یَرَوْا کِسْفاً مِنَ السَّمٰاءِ سٰاقِطاً یَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْکُومٌ » الکسف بالکسر فالسکون القطعه،و المرکوم المتراکم الواقع بعضه علی بعض.

و المعنی:أن کفرهم و إصرارهم علی تکذیب الدعوه الحقه بلغ إلی حیث لو رأوا قطعه من السماء ساقطا علیهم لقالوا سحاب متراکم لیست من آیه العذاب فی شیء فهو کقوله: «وَ لَوْ فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بٰاباً مِنَ السَّمٰاءِ فَظَلُّوا فِیهِ یَعْرُجُونَ لَقٰالُوا إِنَّمٰا سُکِّرَتْ أَبْصٰارُنٰا» :الحجر:۱۵.

[سوره الطور (۵۲): الآیات ۴۵ الی ۴۹]

اشاره

فَذَرْهُمْ حَتّٰی یُلاٰقُوا یَوْمَهُمُ اَلَّذِی فِیهِ یُصْعَقُونَ (۴۵) یَوْمَ لاٰ یُغْنِی عَنْهُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ (۴۶) وَ إِنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا عَذٰاباً دُونَ ذٰلِکَ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۴۷) وَ اِصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ فَإِنَّکَ بِأَعْیُنِنٰا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ حِینَ تَقُومُ (۴۸) وَ مِنَ اَللَّیْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبٰارَ اَلنُّجُومِ (۴۹)

(بيان)

الآيات تختم السوره و تأمر النبى ص أن يترك أولئك المكذبين و شأنهم و لا يتعرض لحالهم،و أن يصبر لحكم ربه و يسبح بحمده،و فى خلالها مع ذلك تكرار إيعادهم بما أوعدهم به فى أول السوره من عذاب واقع ليس له من دافع،و تضيف إليه الإيعاد بعذاب آخر دون ذلك للذين ظلموا.

قوله تعالى:« فَذَرْهُمْ حَتّٰى يُلاٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ » ذرهم أمر بمعنى اتركهم و هو فعل لم يستعمل من تصريفاته إلا المستقبل و الأمر،و «يصعقون» من الإصعاق بمعنى الإماته و قيل:من الصعق بمعنى الإماته.

لما أنذر سبحانه المكذبين لدعوته بعذاب واقع لا ريب فيه ثم رد جميع ما تعلل به أو يفرض أن يتعلل به أولئك المكذبون،و ذكر أنهم فى الإصرار على الباطل بحيث لو عاينوا أوضح آيه للحق أولوه و ردوه،أمر نبيه ص أن يتركهم و شأنهم،و هو تهديد كنائى بشمول العذاب لهم و حالهم هذه الحال.

و المراد باليوم الذى فيه يصعقون يوم نفخ الصور الذى يصعق فيه من فى السماوات و الأرض و هو من أشراط الساعه قال تعالى: «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» :الزمر:۶۸.

و يؤيد هذا المعنى قوله فى الآيه التاليه:« يَوْمَ لاٰ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ »فإن انتفاء إغناء الكيد و النصر من خواص يوم القيامه الذى يسقط فيه عامه الأسباب و الأمر يومئذ لله.

و استشكل بأنه لا يصعق يوم النفخ إلا من كان حيا و هؤلاء ليسوا بأحياء يومئذ و الجواب أنه يصعق فيه جميع من فى الدنيا من الأحياء و من فى البرزخ من الأموات و هؤلاء إن لم يكونوا فى الدنيا ففى البرزخ.

على أنه يمكن أن يكون ضمير« يُصْعَقُونَ »راجعا إلى الأحياء يومئذ،و التهديد إنما هو بالعذاب الواقع فى هذا اليوم لا بالصعقه التى فيه.

و قيل:المراد به يوم بدر و هو بعيد،و قيل:المراد به يوم الموت،و فيه أنه لا

يلائم السياق الظاهر فى التهديد بما وقع فى أول السوره و هو عذاب يوم القيامه لا عذاب يوم الموت.

قوله تعالى:« وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ »لا يبعد أن يكون المراد به عذاب القبر،و قوله:« وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ »مشعر بأن فيهم من يعلم ذلك لكنه يصر على كفره و تكذيبه عنادا و قيل:المراد به يوم بدر لكن ذيل الآيه لا يلائمه تلك الملاءمه.

قوله تعالى:« وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا »عطف على قوله:« فَذَرْهُمْ » و ظاهر السياق أن المراد بالحكم حكمه تعالى فى المكذبين بالإمهال و الإملاء و الطبع على قلوبهم،و فى النبى ص أن يدعو إلى الحق بما فيه من الأذى فى جنب الله فالمراد بقوله:

« فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا »إنك بمرأى منا نراك بحيث لا يخفى علينا شيء من حالك و لا نغفل عنك ففى تعليل الصبر بهذه الجمله تأكيد للأمر بالصبر و تشديد للخطاب.

و قيل:المراد بقوله:« فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا »إنك فى حفظنا و حراستنا فالعين مجاز عن الحفظ،و لعل المعنى المتقدم أنسب للسياق.

قوله تعالى:« وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبارَ النُّجُومِ » الباء فى« بِحَمْدِ »للمصاحبه أى سبح ربك و نزهه حال كونه مقارنا لحمده.

و المراد بقوله:« حِينَ تَقُومُ »قيل هو القيام من النوم،و قيل:هو القيام من القائله،فهو صلاه الظهر،و قيل:هو القيام من المجلس،و قيل:هو كل قيام،و قيل:

هو القيام إلى الفريضه و قيل:هو القيام إلى كل صلاه،و قيل:هو الركعتان قبل فريضه الصبح سبعه أقوال كما ذكره الطبرسى.

و قوله:« وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ »أى من الليل فسبح ربك فيه،و المراد به صلاه الليل،و قيل:المراد صلاتا المغرب و العشاء الآخره.

و قوله:« وَ إِدْبارَ النُّجُومِ »قيل:المراد به وقت إدبار النجوم و هو اختفاؤها بضوء الصبح،و هو الركعتان قبل فريضه الصبح،و قيل:المراد فريضه الصبح،و قيل:

المراد تسبيحه تعالى صباحا و مساء من غير غفله عن ذكره.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،": فی قوله تعالی:« وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ حِینَ تَقُومُ »قال:لصلاه اللیل« فَسَبِّحْهُ »قال:صلاه اللیل.:

أقول:و روی هذا المعنی فی مجمع البیان،عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) .

و فیه،بإسناده عن الرضا(ع)قال: أدبار السجود أربع رکعات بعد المغرب- و إدبار النجوم رکعتان قبل صلاه الصبح.:

أقول:و روی ذیله فی المجمع،عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع)،و القمی، بإسناده عن زراره عن أبی جعفر(ع) .

و قد ورد من طرق أهل السنه فی عده من الروایات: أن النبی ص کان إذا قام من مجلسه-سبح الله و حمده-و یقول:إنه کفاره المجلس لکنها غیر ظاهره فی کونها تفسیرا للآیه.

(۵۳) سوره النجم مکیه و هی اثنان و ستون آیه(۶۲)

[سوره النجم (۵۳): الآیات ۱ الی ۱۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلنَّجْمِ إِذٰا هَویٰ (۱) مٰا ضَلَّ صٰاحِبُکُمْ وَ مٰا غَویٰ (۲) وَ مٰا یَنْطِقُ عَنِ اَلْهَویٰ (۳) إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ (۴) عَلَّمَهُ شَدِیدُ اَلْقُویٰ (۵) ذُو مِرَّهٍ فَاسْتَویٰ (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ اَلْأَعْلیٰ (۷) ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰی (۸) فَکٰانَ قٰابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنیٰ (۹) فَأَوْحیٰ إِلیٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحیٰ (۱۰) مٰا کَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا رَأیٰ (۱۱) أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلیٰ مٰا یَریٰ (۱۲) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْریٰ (۱۳) عِنْدَ سِدْرَهِ اَلْمُنْتَهیٰ (۱۴) عِنْدَهٰا جَنَّهُ اَلْمَأْویٰ (۱۵) إِذْ یَغْشَی اَلسِّدْرَهَ مٰا یَغْشیٰ (۱۶) مٰا زٰاغَ اَلْبَصَرُ وَ مٰا طَغیٰ (۱۷) لَقَدْ رَأیٰ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِ اَلْکُبْریٰ (۱۸)

(بيان)

غرض السوره تـذكير الأصول الثلاثه:وحدانيته تعالى فى ربوبيته و المعاد و النبوه فتبدأ بالنبوه فتصدق الوحى إلى النبى ص و تصفه ثم تتعرض للوحدانيه فتنفى الأوثان و الشركاء أبلغ النفى ثم تصف انتهاء الخلق و التدبير إليه تعالى من إحياء و إماته و إضحاك و إبكاء و إغناء و إقناء و إهلاك و تعذيب و دعوه و إنذار،و تختم الكلام بالإشاره إلى المعاد و الأمر بالسجده و العباده.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها و لا يصغى إلى قول بعضهم بكون بعض آياتها أو كلها مدنيه،و قد قيل:إنها أول سوره أعلن النبى ص بقراءتها فقرأها على المؤمنين و المشركين جميعا،و من غرر الآيات فيها قوله تعالى:« وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ »و قوله: « وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ ».

و ما أوردناه من الآيات هى الفصل الأول من فصول السوره الثلاثه و هى الآيات اللاتى تصدق الوحى إلى النبى ص و تصفه،لكن هناك روايات مستفيضه عن أئمه أهل البيت(ع)ناصه على أن المراد بالآيات ليس بيان صفه كل وحى بل بيان وحى المشافهه الذى أوحاه الله سبحانه إلى نبيه ص ليله المعراج فالآيات متضمنه لقصه المعراج و ظاهر الآيات لا يخلو من تأييد لهذه الروايات و هو المستفاد أيضا من أقوال بعض الصحابه كابن عباس و أنس و أبى سعيد الخدرى و غيرهم على ما روى عنهم و على ذلك جرى كلام المفسرين و إن اشتد الخلاف بينهم فى تفسير مفرداتها و جملها.

قوله تعالى:« وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ »ظاهر الآيه أن المراد بالنجم هو مطلق الجرم

السماوی المضیء و قد أقسم الله فی کتابه بکثیر من خلقه و منها عده من الأجرام السماویه کالشمس و القمر و سائر السیارات،و علی هذا فالمراد بهوی النجم سقوطه للغروب.

و قیل:المراد بالنجم القرآن لنزوله نجوما،و قیل:الثریا،و قیل:الشعری، و قیل:الشهاب الذی یرمی به شیاطین الجن لأن العرب تسمیه نجما،و للهوی ما یناسب لکل من هذه الأقوال من المعنی،لکن لفظ الآیه لا یساعد علی شیء من هذه المعانی.

قوله تعالی:« مٰا ضَلَّ صٰاحِبُکُمْ وَ مٰا غَویٰ » الضلال الخروج و الانحراف عن الصراط المستقیم،و الغی خلاف الرشد الذی هو إصابه الواقع،قال الراغب: الغی جهل من اعتقاد فاسد،و ذلک أن الجهل قد یکون من کون الإنسان غیر معتقد اعتقادا لا صالحا و لا فاسدا و قد یکون من اعتقاد شیء فاسد،و هذا النحو الثانی یقال له غی،قال تعالی:« مٰا ضَلَّ صٰاحِبُکُمْ وَ مٰا غَویٰ ».انتهی.و المراد بالصاحب هو النبی ص.

و المعنی:ما خرج صاحبکم عن الطریق الموصل إلی الغایه المطلوبه و لا أخطأ فی اعتقاده و رأیه فیها،و یرجع المعنی إلی أنه لم یخطئ لا فی الغایه المطلوبه التی هی السعاده الإنسانیه و هو عبودیته تعالی،و لا فی طریقها التی تنتهی إلیها.

قوله تعالی:« وَ مٰا یَنْطِقُ عَنِ الْهَویٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ »المراد بالهوی هوی النفس و رأیها،و النطق و إن کان مطلقا ورد علیه النفی و کان مقتضاه نفی الهوی عن مطلق نطقه(ص)لکنه لما کان خطابا للمشرکین و هم یرمونه فی دعوته و ما یتلو علیهم من القرآن بأنه کاذب متقول مفتر علی الله سبحانه کان المراد بقرینه المقام أنه(ص)ما ینطق فیما یدعوکم إلی الله أو فیما یتلوه علیکم من القرآن عن هوی نفسه و رأیه بل لیس ذلک إلا وحیا یوحی إلیه من الله سبحانه.

قوله تعالی:« عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُویٰ »ضمیر« عَلَّمَهُ »للنبی ص أو للقرآن بما هو وحی أو لمطلق الوحی و المفعول الآخر لعلمه محذوف علی أی حال و التقدیر علم النبی الوحی أو علم القرآن أو الوحی إیاه.

و المراد بشدید القوی-علی ما قالوا-جبریل و قد وصفه الله بالقوه فی قوله:

«ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ» :التکویر:۲۰،و قیل:المراد به هو الله سبحانه.

قوله تعالی:« ذُو مِرَّهٍ فَاسْتَویٰ » المره بکسر المیم الشده،و حصافه العقل

ص :۲۷

و الرأى و بناء نوع عن المرور و قد فسرت المره فى الآيه بكل من المعانى الثلاثه مع القول بأن المراد بذى مره جبريل،و المعنى:هو أى جبريل ذو شده فى جنب الله أو هو ذو حصافه فى عقله و رأيه،أو هو ذو نوع من المرور بالنبى ص و هو فى الهواء.

و قيل:المراد بذو مره النبى ص فهو ذو شده فى جنب الله أو ذو حصافه فى عقله و رأيه أو ذو نوع من المرور عرج فيه إلى السماوات.

و قوله:« فَاسْتَوى »بمعنى استقام أو استولى و ضمير الفاعل راجع إلى جبريل و المعنى:فاستقام جبريل على صورته الأصليه التى خلق عليها على ما روى أن جبريل كان ينزل على النبى ص فى صور مختلفه،و إنما ظهر له فى صورته الأصليه مرتين أو المعنى:

فاستولى جبريل بقوته على ما جعل له من الأمر.

و إن كان الضمير للنبى ص فالمعنى فاستقام و استقر.

قوله تعالى:« وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى » الأفق الناحيه قيل:المراد بالأفق الأعلى ناحيه الشرق من السماء لأن أفق المشرق فوق المغرب فى صعيد الأرض لا فى الهواء و هو كما ترى و الظاهر أن المراد به أفق أعلى من السماء من غير اعتبار كونه أفقا شرقيا.

و ضمير هو فى الآيه راجع إلى جبريل أو إلى النبى ص،و الجمله حال من ضمير« فَاسْتَوى ».

قوله تعالى:« ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى » الدنو القرب،و التدلى التعلق بالشىء و يكنى به عن شده القرب،و قيل:الامتداد إلى جهه السفل مأخوذ من الدلو.

و المعنى:على تقدير رجوع الضميرين لجبريل:ثم قرب جبريل فتعلق بالنبى ص ليعرج به إلى السماوات،و قيل:ثم تدلى جبريل من الأفق الأعلى فدنا من النبى ص ليعرج به.

و المعنى:على تقدير رجوع الضميرين إلى النبى ص: ثم قرب النبى من الله سبحانه و زاد فى القرب.

قوله تعالى:« فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى »قال فى المجمع: القاب و القيب و القاد و القيد عباره عن مقدار الشىء انتهى.و القوس معروفه و هى آله الرمى،و يقال قوس على الذراع فى لغه أهل الحجاز على ما قيل.

و المعنى:فكان البعد قدر قوسين أو قدر ذراعين أو أقرب من ذلك.

و قيل:القاب ما بين مقبض القوس و سيتها ففى الكلام قلب و المعنى:فكان قابى قوس،و اعترض عليه بأن قابى قوس و قاب قوسين واحد فلا موجب للقلب.

قوله تعالى:« فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ »ضمير أوحى فى الموضعين لجبريل على تقدير رجوع الضمائر السابقه إلى جبريل،و المعنى:فأوحى جبريل إلى عبد الله و هو النبى ص ما أوحى،قيل:و لا ضير فى رجوع الضمير إليه تعالى من عدم سبق الذكر لكونه فى غايه الوضوح.أو الضمائر الثلاث لله و المعنى:فأوحى الله بتوسط جبريل إلى عبده ما أوحى أو الضمير الأول لجبريل و الثانى و الثالث لله و المعنى فأوحى جبريل ما أوحى الله إليه إلى عبد الله.

و الضمائر الثلاث كلها لله على تقدير رجوع الضمائر السابقه إلى النبى ص و المعنى:

فأوحى الله إلى عبده ما أوحى،و هذا المعنى أقرب إلى الذهن من المعنى السابق الذى لا يرتضيه الذوق السليم و إن كان صحيحا.

قوله تعالى:« مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ » الكذب خلاف الصدق يقال:كذب فلان فى حديثه،و يقال:كذبه الحديث بالتعدى إلى مفعولين أى حدثه كذبا،و الكذب كما يطلق على القول و الحديث الذى يلفظه اللسان كذلك يطلق على خطاء القوه المدركه يقال:كذبته عينه أى أخطأت فى رؤيتها.

و نفى الكذب عن الفؤاد إنما هو بهذا المعنى سواء أخذ الكذب لازما و التقدير ما كذب الفؤاد فيما رأى أو متعديا إلى مفعولين،و التقدير ما كذب الفؤاد-فؤاد النبى- النبى ما رآه أى إن رؤيه فؤاده فيما رآه رؤيه صادقه.

و على هذا فالمراد بالفؤاد فؤاد النبى ص،و ضمير الفاعل فى« مٰا رَأىٰ »راجع إلى الفؤاد و الرؤيه رؤيته.

و لا بدع فى نسبه الرؤيه و هى مشاهده العيان إلى الفؤاد فإن للإنسان نوعا من الإدراك الشهودى وراء الإدراك بإحدى الحواس الظاهره و التخيل و التفكر بالقوى الباطنه كما إننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى و ليست هذه المشاهده العيانيه إبصارا بالبصر و لا معلوما بفكر،و كذا نرى من أنفسنا أننا نسمع و نشم و نذوق و نلمس و نشاهد أننا

نتخیل و نتفکر و لیست هـذه الرؤیه ببصـر أو بشـیء من الحواس الظاهره أو الباطنه فإنا کما نشاهد مدرکات کل واحده من هذه القوی بنفس تلک القوه کذلک نشاهد إدراک کل منا لمدرکها و لیس هذه المشاهده بنفس تلک القوه بل بأنفسـنا المعبر عنها بالفؤاد.

و لیس فی الآیه ما یـدل علی أن متعلق الرؤیه هو الله سـبحانه و أنه لمرئی له(ص) بل المرئی هو الأفق الأعلی و الـدنو و التدلی و أنه أوحی إلیه فهـذه هی المـذکوره فی الآیـات السـابقه و هی آیات له تعالی،و یؤیـد ذلک ما ذکره تعالی فی النزله الأخری من قوله:« مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغیٰ لَقَدْ رَأیٰ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِ الْکُبْریٰ ».

علی أنهـا لو دلت علی تعلق الرؤیه به تعـالی لم یکن به بـأس فإنهـا رؤیه القلب و رؤیه القلب غیر رؤیه البصـر الحسـیه التی تتعلق بالأجسام و یستحیل تعلقها به تعالی و قد قدمنا کلاما فی رؤیه القلب فی تفسیر سوره الأعراف الآیه ۱۴۳.

و ما قیل:إن ضـمیر« مٰا رَأیٰ »للنبی ص و المعنی:ما قال فؤاده(ص)لما رآه ببصره لم أعرفک و لو قال ذلک لکان کاذبا لأنه عرفه بقلبه کما رآه ببصره،و محصله أن فؤاده صدق بصره فیما رآه.

و کذا ما قیل:إن المعنی أن فؤاده لم یکذب بصره فیما رآه بل صدقه و اعتقد به، و یؤیده قراءه من قرأ« مٰا کَذَبَ »بتشدید الذال.

ففیه أن الذی یعطیه سـیاق الآیات تأییده تعالی صدق النبی ص فیما یدعیه من الوحی و رؤیه آیات الله الکبری،و لو کان ضـمیر« مٰا رَأیٰ »للنبی ص کان محصل معنی الآیه الاحتجاج علی صـدق رؤیته باعتقاده ذلک بفؤاده و هو بعیـد من دأب القرآن و هـذا بخلاـف مـا لو رجع ضـمیر« مٰا رَأیٰ »إلی الفؤاد فـإن محصـل معناه تصـدیقه تعالی لفؤاده فیما رآه و یجری الکلام علی السـیاق السابق الأخذ من قوله:« مٰا ضَلَّ صٰاحِبُکُمْ وَ مٰا غَویٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ »إلخ.

فـإن قلت:إنه تعـالی یحتـج فی الآـیه التـالیه« أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلیٰ مٰا یَریٰ »برؤیته(ص) علی صـدقه فیمـا یـدعیه فلیکن مثله الاحتجاج باعتقاد فؤاده بما یراه بعینه.

قلت:لیس قوله:« أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلیٰ مٰا یَریٰ »مسوقـا للاحتجاج برؤیته علی صـدقه بل توبیـخ علی مماراتهم إیاه(ص)علی أمر یراه و یبصره و مجادلتهم إیاه فیه،و المماراه و المجادله

إنما تصح-لو صحت-فی الآراء النظریه و الاعتقادات الفکریه و أما فیما یری و یشاهد عیانا فلا معنی للمماراه و المجادله فیه،و هو(ص)إنما کان یخبرهم بما یشاهده عیانا لا عن فکر و تعقل.

قوله تعالی:« أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلیٰ مٰا یَریٰ »الاستفهام للتوبیخ و الخطاب للمشرکین و الضمیر للنبی ص،و المماراه الإصرار علی المجادله،و المعنی:أ فتصرون فی جدالکم علی النبی ص أن یذعن بخلاف ما یدعیه و یخبرکم به و هو یشاهد ذلک عیانا.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْریٰ » النزله بناء مره من النزول فمعناه نزول واحد، و تدل الآیه علی أن هذه قصه رؤیه فی نزول آخر و الآیات السابقه تقص نزولا آخر غیره.

و قد قالوا:إن ضمیر الفاعل المستکن فی قوله« رَآهُ »للنبی ص، و ضمیر المفعول لجبریل،و علی هذا فالنزله نزول جبریل علیه(ص)لیعرج به إلی السماوات،و قوله:« عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهیٰ »ظرف للرؤیه لا للنزله،و المراد برؤیته رؤیته و هو فی صورته الأصلیه.

و المعنی:أنه نزل علیه(ص)نزله أخری و عرج به إلی السماوات و تراءی له(ص) عند سدره المنتهی و هو فی صورته الأصلیه.

و قد ظهر مما تقدم صحه إرجاع ضمیر المفعول إلیه تعالی و المراد بالرؤیه رؤیه القلب و المراد بنزله أخری نزله النبی ص عند سدره المنتهی فی عروجه إلی السماوات فالمفاد أنه (ص)نزل نزله أخری أثناء معراجه عند سدره المنتهی فرآه بقلبه کما رآه فی النزله الأولی.

قوله تعالی:« عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهیٰ عِنْدَهٰا جَنَّهُ الْمَأْویٰ إِذْ یَغْشَی السِّدْرَهَ مٰا یَغْشیٰ » السدر شجر معروف و التاء للوحده و المنتهی-کأنه-اسم مکان و لعل المراد به منتهی السماوات بدلیل کون الجنه عندها و الجنه فی السماء،قال تعالی: «وَ فِی السَّمٰاءِ رِزْقُکُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ» :الذاریات:۲۲.

و لا یوجد فی کلامه تعالی ما یفسر هذه الشجره،و کان البناء علی الإبهام کما یؤیده قوله بعد:« إِذْ یَغْشَی السِّدْرَهَ مٰا یَغْشیٰ »و قد فسر فی الروایات أیضا بأنها شجره فوق السماء السابعه إلیها تنتهی أعمال بنی آدم و ستمر ببعض هذه الروایات.

و قوله:« عِنْدَهٰا جَنَّهُ الْمَأْویٰ »أی الجنه التی یأوی إلیها المؤمنون و هی جنه الآخره فإن جنه البرزخ جنه معجله محدوده بالبعث،قال تعالی: «فَلَهُمْ جَنّٰاتُ الْمَأْویٰ

نُزُلًا بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ» :السجده:١٩،و قوله: «فَإِذٰا جٰاءَتِ الطَّامَّةُ الْكَبْرىٰ -Xإلى أن قالX- فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ» :النازعات:۴١ و هى فى السماء على ما يدل عليه قوله تعالى: «وَ فِي السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ» :الذاريات:٢٢ و قيل:المراد بها جنه البرزخ.

و قوله:« إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مٰا يَغْشىٰ » غشيان الشيء الإحاطه به،و« مٰا » موصوله و المعنى:إذ يحيط بالسدره ما يحيط بها،و قد أبهم تعالى هذا الذى يغشى السدره و لم يبين ما هو كما تقدمت الإشاره إليه.

قوله تعالى:« مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ » الزيغ الميل عن الاستقامه،و الطغيان تجاوز الحد فى العمل،و زيغ البصر إدراكه المبصر على غير ما هو عليه،و طغيانه إدراكه ما لا حقيقه له،و المراد بالبصر بصر النبى ص.

و المعنى:أنه(ص)لم يبصر ما أبصره على غير صفته الحقيقيه و لا أبصر ما لا حقيقه له بل أبصر غير خاطئ فى إبصاره.

و المراد بالإبصار رؤيته(ص)بقلبه لا بجارحه العين فإن المراد بهذا الإبصار ما يعنيه بقوله:« وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ »المشير إلى مماثله هذه الرؤيه لرؤيه النزله الأولى التى يشير إليها بقوله:« مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلىٰ مٰا يَرىٰ »فافهم و لا تغفل.

قوله تعالى:« لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ »« مِنْ »للتبعيض،و المعنى:

أقسم لقد شاهد بعض الآيات الكبرى لربه،و بذلك تم مشاهده ربه بقلبه فإن مشاهدته تعالى بالقلب إنما هى بمشاهده آياته بما هى آياته فإن الآيه بما هى آيه لا تحكى إلا ذا الآيه و لا تحكى عن نفسه شيئا و إلا لم تكن من تلك الجهه آيه.

و أما مشاهده ذاته المتعاليه من غير توسط آيه و تخلل حجاب فمن المستحيل ذلك قال تعالى: «وَ لاٰ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً» :طه:١١٠.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،:فى قوله تعالى:« وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ »قال:النجم رسول الله ص- « إِذٰا هَوىٰ »لما أسرى به إلى السماء و هو فى الهوى.

أقول:و روى تسميته(ص)بالنجم بإسناده عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا(ع)،و هو من البطن.

و فى الكافى،عن القمى عن أبيه عن ابن أبى عمير عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبى جعفر(ع):قول الله عز و جل:« وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ »« وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ »و ما أشبه ذلك؟قال:إن لله عز و جل أن يقسم من خلقه بما شاء،و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به.:

أقول:و فى الفقيه،عن على بن مهزيار عن أبى جعفر الثانى:مثله .

و فى المجمع،و روت العامه عن جعفر الصادق أنه قال: إن محمدا ص نزل من السماء السابعه ليله المعراج-و لما نزلت السوره أخبر بذلك عتبه بن أبى لهب-فجاء إلى النبى ص و طلق ابنته و تفل فى وجهه و قال:كفرت بالنجم و رب النجم،فدعا(ص)عليه و قال:

اللهم سلط عليه كلبا من كلابك.

فخرج عتبه إلى الشام فنزل فى بعض الطريق-و ألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه- أنيمونى بينكم ليلا ففعلوا-فجاء أسد فافترسه من بين الناس.

أقول:ثم أورد الطبرسى شعر حسان فى ذلك،و روى فى الدر المنثور،القصه بطرق مختلفه.

و فى الكافى،بإسناده إلى هشام و حماد و غيره قالوا:سمعنا أبا عبد الله(ع)يقول:

حديثى حديث أبى و حديث أبى حديث جدى-و حديث جدى حديث الحسين-و حديث الحسين حديث الحسن-و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين-و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ص-و حديث رسول الله ص قول الله عز و جل.

و فى تفسير القمى،بإسناده إلى ابن سنان فى حديث:قال أبو عبد الله(ع): و ذلك أنه يعنى النبى ص أقرب الخلق إلى الله تعالى-و كان بالمكان الذى-قال له جبرئيل لما أسرى به إلى السماء:تقدم يا محمد فقد وطأت موطئا-لم يطأه ملك مقرب و لا نبى مرسل،و لو لا- أن روحه و نفسه-كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه،و كان من الله عز و جل كما قال الله عز و جل:« قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ »أى بل أدنى.

و فى الاحتجاج،عن على بن الحسين(ع)فى حديث طويل: أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدره المنتهى-فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

أقول:و قد ورد هذا المعنى فى كثير من روايات أئمه أهل البيت(ع).

و فى الدر المنثور،أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال": لما أسرى بالنبى ص اقترب من ربه-فكان قاب قوسين أو أدنى.قال:أ لم تر إلى القوس ما أقربها من الوتر؟ و فيه،أخرج ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن ابن عباس ":فى قوله:« ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى »قال:هو محمد ص دنا فتدلى إلى ربه عز و جل.

و فى المجمع،و روى مرفوعا عن أنس قال:قال رسول الله ص: فى قوله:« فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى »قال:قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى »قال:وحى مشافهه.

و فى التوحيد،بإسناده إلى محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن(ع)هل رأى رسول الله ص ربه عز و جل؟فقال:نعم بقلبه رآه،أ ما سمعت الله عز و جل يقول:

« ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى »؟لم يره بالبصر و لكن رآه بالفؤاد.

و فى الدر المنثور،أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى عن بعض أصحاب النبى ص قال: قالوا:يا رسول الله هل رأيت ربك؟قال:

لم أره بعينى و رأيته بفؤادى مرتين-ثم تلا« ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى ».

أقول:و روى هذا المعنى النسائى عن أبى ذر-على ما فى الدر المنثور،-و لفظه:

رأى رسول الله ص ربه بقلبه و لم يره ببصره.

و عن صحيح مسلم،و الترمذى و ابن مردويه عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ص:

هل رأيت ربك؟فقال:نورانى أراه.

أقول:«نورانى»منسوب إلى النور على خلاف القياس كجسمانى فى النسبه إلى جسم،و قرئ«نور إنى أراه»بتنوين الراء و كسر الهمزه و تشديد النون ثم ياء المتكلم، و الظاهر أنه تصحيف و إن أيد بروايه أخرى

عن مسلم فى صحيحه و ابن مردويه عن أبى ذر:

أنه سأل رسول الله ص:هل رأيت ربك؟فقال:رأيت نورا.

و كيف كان فالمراد بالرؤيه رؤيه القلب فلا الرؤيه رؤيه حسيه و لا النور نور حسى.

و فی الکافی،بإسناده عن صفوان بن یحیی قال: سألنی أبو قره المحدث أن أدخله إلی

أبی الحسن الرضا(ع)-فاستأذنته فی ذلک فأذن لی-فدخل علیه فسأله عن الحلال و الحرام و الأحکام.إلی قوله:قال أبو قره:فإنه یقول:« وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ »فقال أبو الحسن (ع):إن بعد هذه الآیه ما یدل علی ما رأی حیث قال:« مٰا کَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ » یقول:ما کذب فؤاد محمد ما رأت عیناه-ثم أخبر بما رأی فقال:« لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِ الْکُبْرىٰ »و آیات الله غیر الله.

أقول:الظاهر أن کلامه(ع)مسوق لإلزام أبی قره حیث کان یرید إثبات رؤیته تعالی بالعین الحسیه فألزمه بأن الرؤیه إنما تعلقت بالآیات و آیات الله غیر الله و لا ینافی ذلک کون رؤیه الآیات بما هی آیاته رؤیته و إن کانت آیاته غیره،و هذه الرؤیه إنما کانت بالقلب کما مرت عده من الروایات فی هذا المعنی.

و فی تفسیر القمی،حدثنی أبی عن ابن أبی عمیر عن هشام عن أبی عبد الله(ع) قال:قال النبی ص: انتهیت إلی سدره المنتهی-و إذا الورقه منها تظل أمه من الأمم- فکنت من ربی کقاب قوسین أو أدنی.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و ابن جریر عن أنس قال:قال رسول الله ص:

انتهیت إلی السدره فإذا نبقها مثل الجراد،و إذا ورقها مثل آذان الفیله-فلما غشیها من أمر الله ما غشیها تحولت یاقوتا-و زمردا و نحو ذلک.

و فی تفسیر القمی،بإسناده إلی إسماعیل الجعفی عن أبی جعفر(ع)فی حدیث طویل: فلما انتهی به إلی سدره المنتهی تخلف عنه جبرئیل-فقال رسول الله ص:فی هذا الموضع تخذلنی؟فقال:تقدم أمامک فوالله لقد بلغت مبلغا-لم یبلغه أحد من خلق الله قبلک- فرأیت من نور ربی و حال بینی و بینه السبحه.

قلت:و ما السبحه جعلت فداک؟فأومی بوجهه إلی الأرض و أومأ بیده إلی السماء- و هو یقول:جلال ربی جلال ربی ثلاث مرات.

أقول:السبحه الجلال کما فسر فی الروایه،و السبحه ما یدل علی تنزهه تعالی من خلقه و مرجعه إلی المعنی الأول،و محصل ذیل الروایه أنه(ص)رأی ربه برؤیه آیاته.

و فیه،": فی قوله تعالی:« وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ- عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ »قال:فی السماء السابعه.

و فيه،": فى قوله تعالى:« إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مٰا يَغْشىٰ »قال:لما رفع الحجاب بينه و بين رسول الله ص-غشى نور السدره.

أقول:و فى المعانى السابقه روايات أخرى و قد تقدم فى أول تفسير سوره الإسراء روايات جامعه لقصه معراجه(ص).

و قد نقلنا هناك فى ذيل الروايات الاختلاف فى كيفيه معراجه(ص)أنه كان فى المنام أو فى اليقظه و على الثانى بجسمه و روحه معا أو بروحه فحسب،و نقلنا عن صاحب المناقب أن الإماميه ترى أن إسراءه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان بالروح و الجسم معا على ما تدل عليه آيه الإسراء،و أما من المسجد الأقصى إلى السماوات فقد قال قوم بكونه بالروح و الجسم معا أيضا و وافقهم كثير من الشيعه و مال بعضهم إلى كونه بالروح و مال إليه بعض المتأخرين.

و لا ضير فى القول به لو أيدته القرائن الحافه بالآيات و الروايات غير أن من الواجب حينئذ أن يحمل قوله تعالى:« عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوىٰ »على جنه البرزخ ليحمل كونها عندها على نحو من التعلق كما ورد أن القبر إما روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النار، أو توجه الآيه بما لا ينافى كون العروج فى السماوات روحيا.

و أما كون الإسراء فى المنام فقد تقدم فى تفسير آيه الإسراء أنه مما لا ينبغى أن يلتفت إليه.

و أما تطبيق الإسراء إلى السماوات على تسييره(ص)ليلا فى الكواكب الأخرى غير الأرض من منظومتنا الشمسيه أو فى منظومات أخرى غير منظومتنا أو فى مجرات أخرى غير مجرتنا فمما لا يلائمه الأخبار الوارده فى تفصيل القصه البته بل و لا محصل مضامين الآيات المتقدمه.

[سوره النجم (۵۳): الآيات ۱۹ الى ۳۲]

اشاره

أَ فَرَأَيْتُمُ اَللاّٰتَ وَ اَلْعُزّٰى (۱۹) وَ مَنٰاةَ اَلثّٰالِثَةَ اَلْأُخْرىٰ (۲۰) أَ لَكُمُ اَلذَّكَرُ وَ لَهُ اَلْأُنْثىٰ (۲۱) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزىٰ (۲۲) إِنْ هِيَ إِلاّٰ أَسْمٰاءٌ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَى اَلْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ اَلْهُدىٰ (۲۳) أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّٰى (۲۴) فَلِلّٰهِ اَلْآخِرَةُ وَ اَلْأُولىٰ (۲۵) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اَللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْضىٰ (۲۶) إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ اَلْمَلاٰئِكَةَ تَسْمِيَةَ اَلْأُنْثىٰ (۲۷) وَ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ إِنَّ اَلظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ اَلْحَقِّ شَيْئاً (۲۸) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا (۲۹) ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ اَلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِهْتَدىٰ (۳۰) وَ لِلّٰهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ اَلَّذِينَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ اَلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (۳۱) اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ اَلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ فَلاٰ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِتَّقىٰ (۳۲)

(بيان)

شطر من آيات الفصل الثانی من الفصول الثلاثه فی السوره تتعرض لأمر الأوثان و عبادتها بـدعوی أنها ستشـفع لهم و الرد عليهم أبلغ الرد،و فيها إشاره إلی أمر المعاد و هو مقصد الفصل الثالث.

ص :۳۷

قوله تعالى:« أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى وَ مَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى »لما سجل فى الآيات السابقه صدق النبى ص و أنه وحى يوحى إليه و ترتب عليه حقيه النبوه المبنيه على التوحيد و نفى الشركاء،فرع عليه الكلام فى الأوثان:اللات و العزى و مناه و هى عند المشركين تماثيل للملائكه بدعوى أنهم إناث أو بعضها للملائكه و بعضها للإنسان كما قاله بعضهم و نفى ربوبيتها و ألوهيتها و استقلال الملائكه الذين هم أرباب الأصنام فى الشفاعه و أنوثيتهم و أشار إلى حقائق أخرى تنتج المعاد و جزاء الأعمال.

و اللات و العزى و مناه أصنام ثلاث كانت معبوده لعرب الجاهليه،و قد اختلفوا فى وصف صورها،و فى موضعها الذى كانت منصوبه عليه،و فى من يعبدها من العرب،و فى الأسباب التى أوجبت عبادتهم لها،و هى أقوال متدافعه لا سبيل إلى الاعتماد على شىء منها،و المتيقن منها ما أوردناه.

و المعنى:إذا كان الأمر على ما ذكرناه من حقيه الدعوه و صدق النبى ص فى دعوى الوحى و الرساله من عند الله سبحانه فأخبرونى عن اللات و العزى و مناه التى هى ثالثه الصنمين و غيرهما-و هى التى تدعون أنها أصنام الملائكه الذين هم بنات الله على زعمكم-.

قوله تعالى:« أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى »استفهام إنكارى مشوب بالاستهزاء،و قسمه ضيزى أى جائره غير عادله.

و المعنى:إذا كان كذلك و كانت أرباب هذه الأصنام من الملائكه بنات الله،و أنتم لا ترضون لأنفسكم إلا الذكر من الأولاد فهل لكم الذكر و لله سبحانه الأنثى من الأولاد؟تلك القسمه إذا قسمه جائره غير عادله-استهزاء-.

قوله تعالى:« إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ »إلخ، ضمير« هِيَ »للات و العزى و مناه أو لها بما هى أصنام،و ضمير« سَمَّيْتُمُوها »للأسماء و تسميه الأسماء جعلها أسماء،و المراد بالسلطان البرهان.

و المعنى:ليست هذه الأصنام الآلهه إلا أسماء جعلتموها أسماء لها أنتم و آباؤكم ليست لهذه الأسماء وراءها مصاديق و مسميات ما أنزل الله معها برهانا يستدل به على ربوبيتها و ألوهيتها.

و محصل الآيه الرد على المشركين بعدم الدليل على ألوهيه آلهتهم.

و قوله:« إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ »ما موصوله و الضمير العائد

إليها محذوف أى الذى تهواه النفس،و قيل:مصدريه و التقدير هوى النفس و الهوى الميل الشهوانى للنفس و الجمله مسوقه لذمهم فى اتباع الباطل و تأكيد لما تقدم من أنه لا برهان لهم على ذلك.

و يؤكده قوله:« وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدىٰ »و الجمله حاليه.

و المعنى:إن يتبع هؤلاء المشركون فى أمر آلهتهم إلا الظن و ما يميل إليه أنفسهم شهوه يتبعون ذلك و الحال أنه قد جاءهم من الله و هو ربهم الهدى و هى الدعوه الحقه أو القرآن الذى يهديهم إلى الحق.

و الالتفات فى الآيه من الخطاب إلى الغيبه للإشعار بأنهم أحط فهما من أن يخاطبوا بهذا الكلام على أنهم غير مستعدين لأن يخاطبوا بكلام برهانى و هم أتباع الظن و الهوى.

قوله تعالى:« أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّٰى »أم منقطعه و الاستفهام إنكارى،و الكلام مسوق لنفى أن يملك الإنسان ما يتمناه بمجرد أنه يتمناه أى ليس يملك الإنسان ما يتمناه بمجرد أنه يتمناه حتى يملك المشركون ما يتمنونه بهوى أنفسهم من شفاعه الملائكه الذين هم أرباب أصنامهم و بنات لله بزعمهم أو يملكوا ألوهيه آلهتهم بمجرد التمنى.

و فى الكلام تلويح إلى أنهم ليس لهم للدلاله على صحه ألوهيه آلهتهم أو شفاعتهم إلا التمنى،و لا يملك شىء بالتمنى.

قوله تعالى:« فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولىٰ »تفريعه على سابقه من تفريع العله للمعلول للدلاله على التعلق و الارتباط ففيه تعليل للجمله السابقه،و المعنى:ليس يملك الإنسان ما تمناه بمجرد التمنى لأن الآخره و الأولى لله سبحانه و لا شريك له فى ملكه.

قوله تعالى:« وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْضىٰ »الفرق بين الإذن و الرضا أن الإذن إعلام ارتفاع المانع من قبل الآذن، و الرضا ملاءمه نفس الراضى للشىء و عدم امتناعها فربما تحقق الإذن بشىء مع عدم الرضا و لا يتحقق رضا إلا مع الإذن بالفعل أو بالقوه.

و الآيه مسوقه لنفى أن يملك الملائكه من أنفسهم الشفاعه مستغنين فى ذلك عن الله سبحانه كما يروم إليه عبده الأصنام فإن الأمر مطلقا إلى الله تعالى فإنما يشفع من يشفع منهم بعد إذنه تعالى له فى الشفاعه و رضاه بها.

و على هذا فالمراد بقوله:« لِمَنْ يَشٰاءُ »الملائكه،و معنى الآيه:و كثير من الملائكه

ص: ۳۹

فی السماوات لا تؤثر شفاعتهم أثرا إلا من بعد أن یأذن الله لمن یشاء منهم أی من الملائکه و یرضی بشفاعته.

و قیل:المراد بمن یشاء و یرضی الإنسان،و المعنی:إلا من بعد أن یأذن الله فی شفاعه من یشاء أن یشفع له من الإنسان و یرضی،و کیف یأذن و یرضی بشفاعه من کفر به و عبد غیره؟.

و الآیه تثبت الشفاعه للملائکه فی الجمله،و تقید شفاعتهم بالإذن و الرضا من الله سبحانه.

قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ لَیُسَمُّونَ الْمَلاٰئِکَهَ تَسْمِیَهَ الْأُنْثیٰ »رد لقولهم بأنوثیه الملائکه بعد رد قولهم بشفاعتهم.

و المراد بتسمیتهم الملائکه تسمیه الأنثی قولهم:إن الملائکه بنات الله فالمراد بالأنثی الجنس أعم من الواحد و الکثیر.

و قیل:إن الملائکه فی معنی استغراق المفرد فیکون التقدیر لیسمون کل واحد من الملائکه تسمیه الأنثی أی یسمونه بنتا فالکلام علی وزان کسانا الأمیر حله أی کسا کل واحد منا حله.

قال بعضهم:فی تعلیق التسمیه بعدم الإیمان بالآخره إشعار بأنها فی الشناعه و الفظاعه و استتباع العقوبه فی الآخره بحیث لا یجترئ علیها إلا من لا یؤمن بها رأسا.انتهی.

قوله تعالی:« وَ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لاٰ یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئاً » العلم هو التصدیق المانع من النقیض،و الظن هو التصدیق الراجح و یسمی المرجوح وهما،و قولهم بأنوثیه الملائکه کما لم یکن معلوما لهم کذلک لم یکن مظنونا إذ لا سبیل إلی ترجیح القول به علی خلافه لکنه لما کان عن هوی أنفسهم أثبته الهوی فی أنفسهم و زینه لهم فلم یلتفتوا إلی خلافه،و کلما لاح لهم لائح خلافه أعرضوا عنه و تعلقوا بما یهوونه،و بهذه العنایه سمی ظنا و هو فی الحقیقه تصور فقط.

و بهذا یظهر استقامه قول من قال:إن الظن فی هذه الآیه و فی قوله السابق:« إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَی الْأَنْفُسُ »بمعنی التوهم دون الاعتقاد الراجح و أید بما یظهر من کلام الراغب:إن الظن ربما یطلق علی التوهم.

و قوله:« إِنَّ الظَّنَّ لاٰ یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئاً » الحق ما هو علیه الشیء و ظاهر أنه لا یدرک إلا بالعلم الذی هو الاعتقاد المانع من النقیض لا غیر و أما غیر العلم مما فیه احتمال

الخلاف فلا يتعين فيه المدرك على ما هو عليه فى الواقع فلا مجوز لأن يعتمد عليه فى الحقائق قال تعالى: «وَ لاٰ تَقْفُ مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» :إسراء:٣۶.

و أما العمل بالظن فى الأحكام العمليه فإنما هو لقيام دليل عليه يقيد به إطلاق الآيه، و تبقى الأمور الاعتقاديه تحت إطلاق الآيه.

قال بعضهم:وضع الظاهر موضع المضمر فى قوله:« إِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِي »ليجرى الكلام مجرى المثل.

قوله تعالى:« فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا »تفريع على اتباعهم الظن و هوى الأنفس،فقوله:« فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ »إلخ،أمر بالإعراض عنهم و إنما لم يقل:فأعرض عنهم،و وضع قوله:« مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا »إلخ،موضع الضمير للدلاله على عله الأمر بالإعراض كأنه قيل:إن هؤلاء يتركون العلم و يتبعون الظن و ما تهوى الأنفس و إنما فعلوا ذلك لأنهم تولوا عن الذكر و أرادوا الحياه الدنيا فلا هم لهم إلا الدنيا فهى مبلغهم من العلم،و إذا كان كذلك فأعرض عنهم لأنهم فى ضلال.

و المراد بالذكر إما القرآن الذى يهدى متبعيه إلى الحق الصريح و يرشدهم إلى سعاده الدار الآخره التى وراء الدنيا بالحجج القاطعه و البراهين الساطعه التى لا تبقى معها وصمه شك.

و أما ذكر الله بالمعنى المقابل للغفله فإن ذكره تعالى بما يليق بذاته المتعاليه من الأسماء و الصفات يهدى إلى سائر الحقائق العلميه فى المبدأ و المعاد هدايه علميه لا ريب معها.

قوله تعالى:« ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ »الإشاره بذلك إلى أمر الدنيا و هو معلوم من الآيه السابقه و كونه مبلغ علمهم من قبيل الاستعاره كان العلم يسير إلى المعلوم و ينتهى إليه و علمهم انتهى فى مسيره إلى الدنيا و بلغها و وقف عندها و لم يتجاوزها،و لازم ذلك أن تكون الدنيا متعلق إرادتهم و طلبهم، و موطن هممهم،و غايه آمالهم لا يطمئنون إلى غيرها و لا يقبلون إلا عليها.

و قوله:« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ »إلخ،تأكيد لمضمون الجمله السابقه و شهاده منه تعالى عليه.

قوله تعالى:« وَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى »يمكن أن يكون صدر الآيه حالا من فاعل« أَعْلَمُ »فى الآيه السابقه و الواو للحال،و المعنى:أن ربك هو أعلم بالفريقين الضالين و المهتدين و الحال أنه يملك ما فى السماوات و ما فى الأرض فكيف يمكن أن لا يعلم بهم و هو مالكهم؟.

و علی هـذا فالظاهر تعلق قوله:« لِيَجْزِيَ »إلـخ،بقوله السابق:« فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى » إلخ،و المعنی:أعرض عنهم و کل أمرهم إلی الله لیجزیهم کذا و کذا و یجزیک و یجزی المحسنین کذا و کذا.

و یمکن أن یکون قوله:« وَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ »إلـخ،کلاما مسـتأنفا للـدلاله علی أن الأمر بالإعراض عنهم لا لإهمالهم و ترکهم سـدی بـل الله سبحانه یجزی کلاـ بعمله إن سیئا و إن حسـنا،و وضع اسم الجلاله و هو ظاهر موضع الضـمیر للـدلاله علی کمال العظمه.

و قوله:« لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ »إشاره إلی ملکه تعالی للکل و معناه قیام الأشیاء به تعالی لکونه خالقهم الموجد لهم فالملک ناشئ من الخلق و هو مع ذلک منشأ للتدبیر فالجمله داله علی الخلق و التدبیر کأنه قیل:و لله الخلق و التدبیر.

و بهـذا المعنی یتعلق قوله:« لِيَجْزِيَ »إلـخ،و اللاـم للغـایه،و المعنی:له الخلق و التـدبیر و غایه ذلک و الغرض منه أن یجزی الـذین أساءوا إلخ،و المراد بالجزاء ما یخبر عنه الکتاب من شـئون یوم القیامه،و المراد بالإساءه و الإحسان المعصیه و الطاعه،و المراد بما عملوا جزاء ما عملوا أو نفس ما عملوا،و بالحسنی المثوبه الحسنی.

و المعنی:لیجزی الله الـذین عصوا بمعصـیتهم أو بجزاء معصـیتهم و یجزی الـذین أطـاعوا بالمثوبه الحسـنی،و قـد أوردوا فی الآیه احتمالات أخری و ما قدمناه هو أظهرها.

قوله تعـالی:« اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ » إلـخ، الإثم هو الـذنب و أصـله-کما ذکره الراغب-الفعل المبطئ عن الثواب و الخیر، و کبائر الإثم المعاصـی الکبیره و هو علی ما فی الروایه (1)ما أوعد الله علیه النار،و قد تقدم البحث عنها فی تفسیر قوله تعالی: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ»، Xالآیه X:النساء:31.

و الفواحش الذنوب الشـنیعه الفظیعه،و قد عد تعالی فی کلامه الزنا و اللواط من الفواحش و لا یبعد أن یستظهر من الآیه اتحادها مع الکبائر.

و أما اللمم فقد اختلفوا فی معناه فقیل:هو الصـغیره من المعاصـی،و علیه فالاستثناء منقطع،و قیل:هو أن یلم بالمعصیه و یقصدها و لا یفعل و الاستثناء أیضا منقطع،و قیل:

1- 1) رواها فی ثواب الأعمال عن عباد بن کثیر النوا عن أبی جعفر علیه السلام.

هو المعصیه حینا بعد حین من غیر عاده أی المعصیه علی سبیل الاتفاق فیکون أعم من الصغیره و الکبیره و ینطبق مضمون الآیه علی معنی قوله تعالی فی وصف المتقین المحسنین:

«وَ الَّذِینَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَهً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَ لَمْ یُصِرُّوا عَلی ما فَعَلُوا وَ هُمْ یَعْلَمُونَ» :آل عمران:۱۳۵.

و قد فسر فی روایات أئمه أهل البیت(ع)بثالث المعانی (۱).

و الآیه تفسر ما فی الآیه السابقه من قوله:« اَلَّذِینَ أَحْسَنُوا »فهم الذین یجتنبون کبائر الإثم و الفواحش و من الجائز أن یقع منهم لمم.

و فی قوله:« إِنَّ رَبَّکَ واسِعُ الْمَغْفِرَهِ »تطمیعهم فی التوبه رجاء المغفره.

و قوله:« هُوَ أَعْلَمُ بِکُمْ إِذْ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ »قال الراغب: النشء و النشأه إحداث الشیء و تربیته.انتهی.فأنشئوهم من الأرض ما جری علیهم فی بدء خلقهم طورا بعد طور من أخذهم من المواد العنصریه إلی أن یتکونوا فی صوره المنی و یردوا الأرحام.

و قوله:« وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّهٌ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ » الأجنه جمع جنین،و الکلام معطوف علی« إِذْ »السابق أی و هو أعلم بکم إذ کنتم أجنه فی أرحام أمهاتکم یعلم ما حقیقتکم و ما أنتم علیه من الحال و ما فی سرکم و إلی ما یئول أمرکم.

و قوله: فَلا تُزَکُّوا أَنْفُسَکُمْ »تفریع علی العلم أی إذا کان الله أعلم من أول أمر فلا تزکوا أنفسکم بنسبتها إلی الطهاره هو أعلم بمن اتقی.

[سوره النجم (۵۳): الآیات ۳۳ الی ۶۲]

اشاره

أَ فَرَأَیْتَ اَلَّذِی تَوَلّی (۳۳) وَ أَعْطی قَلِیلاً وَ أَکْدی (۳۴) أَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْغَیْبِ فَهُوَ یَری (۳۵) أَمْ لَمْ یُنَبَّأْ بِما فِی صُحُفِ مُوسی (۳۶) وَ إِبْراهِیمَ اَلَّذِی وَفّی (۳۷) أَلاّ تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری (۳۸) وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعی (۳۹) وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُری (۴۰) ثُمَّ یُجْزاهُ اَلْجَزاءَ اَلْأَوْفی (۴۱) وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ اَلْمُنْتَهی (۴۲) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکی (۴۳) وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْیا (۴۴) وَ أَنَّهُ خَلَقَ اَلزَّوْجَیْنِ اَلذَّکَرَ وَ اَلْأُنْثی (۴۵) مِنْ نُطْفَهٍ إِذا تُمْنی (۴۶) وَ أَنَّ عَلَیْهِ اَلنَّشْأَهَ اَلْأُخْری (۴۷) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنی وَ أَقْنی (۴۸) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ اَلشِّعْری (۴۹) وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عاداً اَلْأُولی (۵۰) وَ ثَمُودَ فَما أَبْقی (۵۱) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغی (۵۲) وَ اَلْمُؤْتَفِکَهَ أَهْوی (۵۳) فَغَشّاها ما غَشّی (۵۴) فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکَ تَتَماری (۵۵) هذا نَذِیرٌ مِنَ اَلنُّذُرِ اَلْأُولی (۵۶) أَزِفَتِ اَلْآزِفَهُ (۵۷) لَیْسَ لَها مِنْ دُونِ اَللّهِ کاشِفَهٌ (۵۸) أَ فَمِنْ هذَا اَلْحَدِیثِ تَعْجَبُونَ (۵۹) وَ تَضْحَکُونَ وَ لا تَبْکُونَ (۶۰) وَ أَنْتُمْ سامِدُونَ (۶۱) فَاسْجُدُوا لِلّهِ وَ اُعْبُدُوا (۶۲)

۱- ۱) ففی أصول الکافی عن ابن عمار عن الصادق علیه السلام:اللم الرجل یلم بالذنب فیستغفر اللّه منه، و فیه بإسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق علیه السلام قال:هو الذنب یلم به الرجل فیمکث ما شاء الله ثم یلم به بعد،و فیه بإسناده عن ابن عمار عن الصادق علیه السلام علیه قته الذی یلم بالذنب بعد الذنب لیس من سلیقته أی من طبعه.

(بیان)

سیاق التسع آیات الواقعه فی صدر هذا الفصل یصدق ما ورد فی أسباب النزول أن رجلا من المسلمین کان ینفق من ماله فی سبیل الله فلامه بعض الناس علی کثره الإنفاق و حذره و خوفه بنفاد المال و الفقر و ضمن حمل خطایاه و ذنوبه فأمسک عن الإنفاق فنزلت الآیات.

أشار سبحانه بالتعرض لهذه القصه و نقل ما نقل من صحف إبراهیم و موسی(ع)

ص :۴۴

إلى بيان وجه الحق فيها،و إلى ما هو الحق الصريح فيما تعرض له الفصل السابق من أباطيل المشركين من أنهم إنما يعبدون الأصنام لأنها تماثيل الملائكه الذين هم بنات الله يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله سبحانه و قد أبطلتها الآيات السابقه أوضح الإبطال.

و قد أوضحت هذه الآيات ما هو وجه الحق فی الربوبيه و الألوهيه و هو أن الخلق و التدبير لله سبحانه،إليه ينتهی كل ذلک،و أنه خلق ما خلق و دبر ما دبر خلقا و تدبيرا يستعقب نشأه أخری فيها جزاء الكافر و المؤمن و المجرم و المتقی و من لوازمه تشريع الدين و توجيه التكاليف و قد فعل،و من شواهده إهلاک من أهلک من الأمم الدارجه الطاغيه كقوم نوح و عاد و ثمود و المؤتفكه.

ثم عقب سبحانه هذا الذی نقله عن صحف النبيين الكريمين بالتنبيه علی أن هذا النذير من النذر الأولی الخاليه و أن الساعه قريبه،و خاطبهم بالأمر بالسجود لله و العباده،و بذلک تختتم السوره.

قوله تعالی:« أَ فَرَأَيْتَ الَّذِی تَوَلّٰی وَ أَعْطیٰ قَلِيلاً وَ أَكْدیٰ » التولی هو الإعراض و المراد به بقرينه الآيه التاليه الإعراض عن الإنفاق فی سبيل الله،و الإعطاء الإنفاق و الإكداء قطع العطاء،و التفريع الذی فی قوله:« أَ فَرَأَيْتَ »مبنی علی ما قدمنا من تفرع مضمون هذه الآيات علی ما قبلها.

و المعنی:فأخبرنی عمن أعرض عن الإنفاق و أعطی قليلا من المال و أمسک بعد ذلک أشد الإمساک.

قوله تعالی:« أَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَریٰ »الضمائر لمن تولی و الاستفهام للإنكار و المعنی:

أ يعلم الغيب فيترتب عليه أن يعلم أن صاحبه يتحمل عنه ذنوبه و يعذب مكانه يوم القيامه لو استحق العذاب.كذا فسروا.

و الظاهر أن المراد نفی علمه بما غاب عنه من مستقبل حاله فی الدنيا و المعنی:أ يعلم الغيب فهو يعلم أنه لو أنفق و دام علی الإنفاق نفد ماله و ابتلی بالفقر و أما تحمل الذنوب و العذاب فالمتعرض له قوله الآتی:« أَلاّٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْریٰ ».

قوله تعالی:« أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمٰا فِی صُحُفِ مُوسیٰ وَ إِبْرٰاهِيمَ الَّذِی وَفّٰی »صحف موسی التوراه،و صحف إبراهيم.ما نزل عليه من الكتاب و الجمع للإشاره إلی كثرته بكثره أجزائه.

و التوفيه تأديه الحق بتمامه و كماله،و توفيته(ع)تأديته ما عليه من الحق فی العبوديه

أتم التأديه و أبلغها قال تعالى: «وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» :البقره:۱۲۴.

و ما نقله الله سبحانه فى الآيات التاليه من صحف إبراهيم و موسى(ع)و إن لم يذكر فى القرآن بعنوان أنه من صحفهما قبل هذه الآيات لكنه مذكور بعنوان الحكم و المواعظ و القصص و العبر فمعنى الآيتين:أم لم ينبأ بهذه الأمور و هى فى صحف إبراهيم و موسى.

قوله تعالى:« أَلاّٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ » الوزر الثقل و كثر استعماله فى الإثم، و الوازره النفس التى من شأنها أن تحمل الإثم،و الآيه بيان ما فى صحف إبراهيم و موسى (ع)،و كذا سائر الآيات المصدره بأن و أن إلى تمام سبع عشره آيه.

و المعنى:ما فى صحفهما هو أنه لا تحمل نفس إثم نفس أخرى أى لا تتأثم نفس بما لنفس أخرى من الإثم فلا تؤاخذ نفس بإثم نفس أخرى.

قوله تعالى:« وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ »قال الراغب: السعى المشى السريع و هو دون العدو،و يستعمل للجد فى الأمر خيرا كان أو شرا قال تعالى:« وَ سَعىٰ فِي خَرٰابِهٰا ».انتهى و استعماله فى الجد فى الفعل استعمال استعارى.

و معنى اللام فى قوله:« لِلْإِنْسٰانِ »الملك الحقيقى الذى يقوم بصاحبه قياما باقيا ببقائه يلازمه و لا يفارقه بالطبع و هو الذى يكتسبه الإنسان بصالح العمل أو طالحه من خير أو شر،و أما ما يراه الإنسان مملوكا لنفسه و هو فى ظرف الاجتماع من مال و بنين و جاه و غير ذلک من زخارف الحياه الدنيا و زينتها فكل ذلک من الملک الاعتبارى الوهمى الذى يصاحب الإنسان ما دام فى دار الغرور و يودعه عند ما أراد الانتقال إلى دار الخلود و عالم الآخره.

فالمعنى:و أنه لا يملک الإنسان ملكا يعود إليه أثره من خير أو شر أو نفع أو ضر حقيقه إلا ما جد فيه من عمل فله ما قام بفعله بنفسه و أما ما قام به غيره من عمل فلا يلحق بالإنسان أثره خيرا أو شرا.

و أما الانتفاع من شفاعه الشفعاء يوم القيامه لأهل الكبائر فلهم فى ذلک سعى جميل حيث دخلوا فى حضيره الإيمان بالله و آياته،و كذا استفاده المؤمن بعد موته من استغفار المؤمنين له،و الأعمال الصالحه التى تهدى إليه مثوباتها هى مرتبطه بسعيه فى الدخول فى زمره المؤمنين و تكثير سوادهم و تأييد إيمانهم الذى من آثاره ما يأتون به من الأعمال الصالحه.

و كذا من سن سنه حسنه فله ثوابها و ثواب من عمل بها،و من سن سنه سيئه كان له وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامه فإن له سعيا فى عملهم حيث سن السنه و توسل بها إلى أعمالهم كما تقدم فى تفسير قوله تعالى: «وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ» :يس:١٢، و قد تقدم فى تفسير قوله: «وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَيْهِمْ» :النساء:٩،و تفسير قوله: «لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» :الأنفال:٣٧،كلام نافع فى هذا المقام.

قوله تعالى:« وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ »المراد بالسعى ما سعى فيه من العمل و بالرؤيه المشاهده،و ظرف المشاهده يوم القيامه بدليل تعقيبه بالجزاء فالآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» :آل عمران:٣٠، و قوله: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» :الزلزال:٨.

و إتيان قوله:« سَوْفَ يُرىٰ »مبنيا للمفعول لا يخلو من إشعار بأن هناك من يشاهد العمل غير عامله.

قوله تعالى:« ثُمَّ يُجْزٰاهُ الْجَزٰاءَ الْأَوْفىٰ » الوفاء بمعنى التمام لأن الشىء التام يفى بجميع ما يطلب من صفاته،و الجزاء الأوفى الجزاء الأتم.

و ضمير« يُجْزٰاهُ »للسعى الذى هو العمل و المعنى:ثم يجزى الإنسان عمله أى بعمله أتم الجزاء.

قوله تعالى:« وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ » المنتهى مصدر ميمى بمعنى الانتهاء و قد أطلق إطلاقا فيفيد مطلق الانتهاء،فما فى الوجود من شىء موجود إلا و ينتهى فى وجوده و آثار وجوده إلى الله سبحانه بلا واسطه أو مع الواسطه،و لا فيه أمر من التدبير و النظام الجارى جزئيا أو كليا إلا و ينتهى إليه سبحانه إذ ليس التدبير الجارى بين الأشياء إلا الروابط الجاريه بينها القائمه بها و موجد الأشياء هو الموجد لروابطها المجرى لها بينها فالمنتهى المطلق لكل شىء هو الله سبحانه.

قال تعالى: «اللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقٰالِيدُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» :الزمر:٦٣،و قال: «أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» :الأعراف:٥۴.

و الآيه تثبت الربوبيه المطلقه لله سبحانه بإنهاء كل تدبير و كل التدبير إليه و تشمل

انتهاء الأشياء إليه من حيث البدء و هو الفطر،و انتهاءها إليه من حيث العود و الرجوع و هو الحشر.

و مما تقدم يظهر ضعف ما قيل فی تفسير الآيه أن المراد بذلک رجوع الخلق إليه سبحانه يوم القيامه،و کذا ما قيل:إن المعنى أن إلى ثواب ربک و عقابه آخر الأمر،و کذا ما قيل:المعنى أن إلى حساب ربک منتهاهم،و کذا ما قيل:إليه سبحانه ينتهی الأفکار و تقف دونه،ففی جميع هذه التفاسير تقييد الآيه من غير مقيد.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکىٰ »الآيه و ما يتلوها إلى تمام اثنتی عشره آيه بيان لموارد من انتهاء الخلق و التدبير إلى الله سبحانه.

و السياق فی جميع هذه الآيات سياق الحصر،و تفيد انحصار الربوبيه فيه تعالى و انتفاء الشريک،و لا ينافی ما فی هذه الموارد من الحصر توسط أسباب أخر طبيعيه أو غير طبيعيه فيها کتوسط السرور و الحزن و أعضاء الضحک و البکاء من الإنسان فی تحقق الضحک و البکاء،و کذا توسط الأسباب المناسبه الطبيعيه و غير الطبيعيه فی الإحياء و الإماته و خلق الزوجين و الغنى و القنى و إهلاک الأمم الهالکه و ذلک أنها لما کانت مسخره لأمر الله غير مستقله فی نفسها و لا منقطعه عما فوقها کانت وجوداتها و آثار وجوداتها و ما يترتب عليها لله وحده لا يشارکه فی ذلک أحد.

فمعنى قوله:« وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکىٰ »إنه تعالى هو أوجد الضحک فی الضاحک و أوجد البکاء فی الباکی لا غيره تعالى:

و لا منافاه بين انتهاء الضحک و البکاء فی وجودهما إلى الله سبحانه و بين انتسابهما إلى الإنسان و تلبسه بهما لأن نسبه الفعل إلى الإنسان بقيامه به و نسبه الفعل إليه تعالى بالإيجاد و کم بينهما من فرق.

و لا أن تعلق الإراده الإلهيه بضحک الإنسان مثلا يوجب بطلان إراده الإنسان للضحک و سقوطها عن التأثير لأن الإراده الإلهيه لم تتعلق بمطلق الضحک کيفما کان و إنما تعلقت بالضحک الإرادی الاختياری من حيث إنه صادر عن إراده الإنسان و اختياره فإراده الإنسان سبب لضحکه فی طول إراده الله سبحانه لا فی عرضها حتى تتزاحما و لا تجتمعا معا فنضطر إلى القول بأن أفعال الإنسان الاختياريه مخلوقه لله و لا صنع للإنسان فيها کما يقوله الجبری أو أنها مخلوقه للإنسان و لا صنع لله سبحانه فيها کما يقوله المعتزلی.

و مما تقدم يظهر فساد قول بعضهم: إن معنى الآيه أنه خلق قوتى الضحك و البكاء، و قول آخرين:إن المعنى أنه خلق السرور و الحزن،و قول آخرين:إن المعنى أنه أضحك الأرض بالنبات و أبكى السماء بالمطر،و قول آخرين:إن المعنى أنه أضحك أهل الجنه و أبكى أهل النار.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ هُوَ أَمٰاتَ وَ أَحْيٰا »الكلام فى انتساب الموت و الحياه إلى أسباب أخر طبيعيه و غير طبيعيه كالملائكه كالكلام فى انتساب الضحك و البكاء إلى غيره تعالى مع انحصار الإيجاد فيه تعالى،و كذا الكلام فى الأمور المذكوره فى الآيات التاليه.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذٰا تُمْنىٰ » النطفه ماء الرجل و المرأه الذى يخلق منه الولد،و أمنى الرجل أى صب المنى،و قيل:معناه التقدير، و قوله:« اَلذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ »بيان للزوجين.

قيل:لم يذكر الضمير فى الآيه على طرز ما تقدم-أنه هو-لأنه لا يتصور نسبه خلق الزوجين إلى غيره تعالى.

قوله تعالى:« وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرىٰ »النشأه الأخرى الخلقه الأخرى الثانيه و هى الدار الآخره التى فيها جزاء،و كون ذلك عليه تعالى قضاؤه قضاء حتم و قد وعد به و وصف نفسه بأنه لا يخلف الميعاد.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَ أَقْنىٰ »أى أعطى الغنى و أعطى القنيه،و القنيه ما يدوم من الأموال و يبقى ببقاء نفسه كالدار و البستان و الحيوان،و على هذا فذكر« أَقْنىٰ » بعد أَغْنىٰ من التعرض للخاص بعد العام لنفاسته و شرفه.

و قيل: الإغناء التمويل و الإقناء الإرضاء بذلك،و قال بعضهم:معنى الآيه أنه هو أغنى و أفقر.

قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ »كان المراد بالشعرى الشعرى اليمانيه و هى كوكبه مضيئه من الثوابت شرقى صوره الجبار فى السماء.

قيل:كانت الخزاعه و حمير تعبد هذه الكوكبه،و ممن كان يعبده أبو كبشه أحد أجداد النبى ص من جهه أمه،و كان المشركون يسمونه(ص)ابن أبى كبشه لمخالفته إياهم فى الدين كما خالف أبو كبشه قومه فى عباده الشعرى.

قوله تعالی:« وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عاداً الْأُولی »و هم قوم هود النبی(ع)و وصفوا بالأولی لأن هناک عادا ثانیه هم بعد عاد الأولی.

قوله تعالی:« وَ ثَمُودَ فَما أَبْقی »و هم قوم صالح النبی(ع)أهلک الله الکفار منهم عن آخرهم،و هو المراد من قوله:« فَما أَبْقی »و إلا فهو سبحانه نجی المؤمنین منهم من الهلاک کما قال: «وَ نَجَّیْنَا الَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ» :فصلت:۱۸.

قوله تعالی:« وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغی »عطف کسابقه علی قوله:

« عاداً »و الإصرار بالتأکید علی کونهم أظلم و أطغی،أی من القومین عاد و ثمود علی ما یعطیه السیاق لأنهم لم یجیبوا دعوه نوح(ع)و لم یتعظوا بموعظته فیما یقرب من ألف سنه و لم یؤمن منهم معه إلا أقل قلیل.

قوله تعالی:« وَ الْمُؤْتَفِکَهَ أَهْوی فَغَشّاها ما غَشّی »قیل:إن المؤتفکه قری قوم لوط ائتفکت بأهلها أی انقلبت و الائتفاک الانقلاب،و الأهواء الإسقاط.

و المعنی:و أسقط القری المؤتفکه إلی الأرض بقلبها و خسفها فشملها و أحاط بها من العذاب ما شملها و أحاط بها.

و احتمل أن یکون المراد بالمؤتفکه ما هو أعم من قری قوم لوط و هی کل قریه نزل علیها العذاب فباد أهلها فبقیت خربه داثره معالمها خاویه علی عروشها.

قوله تعالی:« فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکَ تَتَماری » الآلاء جمع إلی بمعنی النعمه،و التماری التشکک،و الجمله متفرعه علی ما تقدم ذکره مما ینسب إلیه تعالی من الأفعال.

و المعنی:إذا کان الله سبحانه هو الذی نظم هذا النظام البدیع من صنع و تدبیر بالإضحاک و الإبکاء و الإماته و الإحیاء و الخلق و الإهلاک إلی آخر ما قیل فبأی نعم ربک تتشکک و فی أیها تریب؟.

و عد مثل الإبکاء و الإماته و إهلاک الأمم الطاغیه نعما لله سبحانه لما فیها من الدخل فی تکون النظام الأتم الذی یجری فی العالم و تنساق به الأمور فی مرحله استکمال الخلق و رجوع الکل إلی الله سبحانه.

و الخطاب فی الآیه للذی تولی و أعطی قلیلا و أکدی أو للنبی ص من باب إیاک أعنی و اسمعی یا جاره،و الاستفهام للإنکار.

قوله تعالی:« هٰذٰا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولىٰ »قیل: النذیر یأتی مصدرا بمعنی الإنذار و وصفا بمعنی المنذر و یجمع علی النذر بضمتین علی کلا المعنیین و الإشاره بهذا إلی القرآن أو النبی ص.

قوله تعالی:« أَزِفَتِ الْآزِفَةُ »أی قربت القیامه و الآزفه من أسماء القیامه قال تعالی:

«وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ» :المؤمن:۱۸.

قوله تعالی:« لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اللّٰهِ كٰاشِفَةٌ »أی نفس کاشفه و المراد بالکشف إزاله ما فیها من الشدائد و الأهوال،و المعنی:لیس نفس تقدر علی إزاله ما فیها من الشدائد و الأهوال إلا أن یکشفها الله سبحانه.

قوله تعالی:« أَ فَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لاٰ تَبْكُونَ وَ أَنْتُمْ سٰامِدُونَ » الإشاره بهذا الحدیث إلی ما تقدم من البیان،و السمود اللهو،و الآیه متفرعه علی ما تقدم من البیان،و الاستفهام للتوبیخ.

و المعنی:إذا کان الله هو ربکم الذی ینتهی إلیه کل أمر و علیه النشأه الأخری و کانت القیامه قریبه و لیس لها من دون الله کاشفه کان علیکم أن تبکوا لما فرطتم فی جنب الله، و تعرضتم للشقاء الدائم أ فمن هذا البیان الذی یدعوکم إلی النجاه تعجبون إنکارا و تضحکون استهزاء و لا تبکون؟.

قوله تعالی:« فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَ اعْبُدُوا »تفریع آخر علی ما تقدم من البیان و المعنی:

إذا کان کذلک فعلیکم أن تسجدوا لله و تعبدوه لیکشف عنکم ما لیس له من دونه کاشفه.

(بحث روائی)

فی الکشاف،":فی قوله تعالی:« أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلّٰى »إلخ،روی أن عثمان کان یعطی ماله فی الخیر-فقال له عبد الله بن سعد بن أبی سرح-و هو أخوه من الرضاعه:یوشک أن لا یبقی لک شیء-فقال عثمان:إن لی ذنوبا و خطایا،و إنی أطلب بما أصنع رضا الله تعالی و أرجو عفوه-فقال عبد الله:أعطنی ناقتک برحلها-و أنا أتحمل عنک ذنوبک کلها-فأعطاه و أشهد علیه و أمسک عن العطاء فنزلت،و معنی:« تَوَلّٰى »ترک المرکز یوم أحد-فعاد عثمان إلی أحسن من ذلک و أجمل.

أقول:و أورد القصه فی مجمع البیـان و نسـبها إلی ابن عباس و السـدی و الکلبی و جماعه من المفسـرین،و فی انطباق«تولی»علی ترکه المرکز یوم أحد نظر و الآیات مکیه.

و فی الـدر المنثور،أخرج الفاریابی و عبـد بن حمیـد و ابن جریر و ابن المنـذر و ابن أبی حاتم عن مجاهـد": فی قوله:« أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی تَوَلّٰی »قال:الولیـد بن المغیره کان یأتی النبی ص و أبا بکر-فسـمع ما یقولان و ذلک ما أعطی من نفسه،أعطی الاسـتماع« وَ أَکْدیٰ »قال:

انقطع عطاؤه نزل فی ذلک« أَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَیْبِ »قال:الغیب القرآن-أ رأی فیه باطلا أنفذه ببصـره-إذ کان یختلف إلی النبی ص و أبی بکر.

أقول:و أنت خبیر بأن الآیات بظاهرها لا تنطبق علی ما ذکره.

و روی": أنها نزلت فی العاص بن وائل،و روی أنها نزلت فی رجل لم یذکر اسمه.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ إِبْرٰاهِیمَ الَّذِی وَفّٰی »قال: وفی بما أمره الله به من الأمر و النهی و ذبح ابنه.

و فی الکافی،بإسـناده عن إسـحاق بن عمار عن أبی إبراهیم(ع)قال: سألته عن الرجل یحج فیجعل حجته و عمرته-أو بعض طوافه لبعض أهله-و هو عنه غائب فی بلد آخر؟قال:

قلت:فینتقص ذلک من أجره؟قال:هی له و لصاحبه و له أجر سوی ذلک بما وصل.

قلت:و هو میت أ یدخل ذلک علیه؟قال:نعم حتی یکون مسـخوطا علیه فیغفر له-أو یکون مضیقا علیه فیوسع له.قلت:فیعلم هو فی مکانه أنه عمل ذلک لحقه؟قال:نعم.

قلت:و إن کان ناصبا ینفعه ذلک؟قال:نعم یخفف عنه.

أقول:مورد الروایه إهداء ثواب العمل دون العمل نیابه عن المیت.

و فیه،بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبی عبد الله(ع)قال:قال رسول الله ص:

یقول الله عز و جل للملک الموکل بالمؤمن إذا مرض:اکتب له ما کنت تکتب له فی صحته- فإنی أنا الذی صیرته فی حبالی

(۱)

.

و فی الخصال،عن أبی عبد الله(ع)قال: لیس یتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال:صدقه أجراها فی حیاته-فهی تجری بعد موته إلی یوم القیامه-صدقه

1- 1) الحباله:الوثاق.

موقوفه لا تورث،و سنه هدى سنها-و كان يعمل بها و عمل بها من بعده غيره،و ولد صالح يستغفر له.

أقول:و هـذه الروايات الثلاث-و فى معناها روايات كثيره جدا عن أئمه أهل البيت (ع)-توسع معنى السعى فى قوله تعالى:« وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعىٰ »و قد تقدمت إشاره إليها.

و فى أصول الكافى،بإسناده إلى سليمان بن خالد قال:قال أبو عبد الله(ع): إن الله يقول:« وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ »فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا.

أقول:و هو من التوسعه فى معنى الانتهاء.

و فيه،بإسناده إلى أبى عبيده الحذاء قال:قال أبو جعفر(ع): يا زياد إياك و الخصومات فإنها تورث الشك،و تحبط العمل،و تردى صاحبها،و عسى أن يتكلم بالشىء فلا يغفر له.

أنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به،و طلبوا علم ما كفوه حتى انتهى كلامهم إلى الله-فتحيروا حتى كان الرجل يدعى من بين يديه-فيجيب من خلفه،و يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه.قال:و فى روايه أخرى:حتى تاهوا فى الأرض.

و فى الدر المنثور،أخرج أبو الشيخ عن أبى ذر قال:قال رسول الله ص: تفكروا فى خلق الله و لا تفكروا فى الله فتهلكوا.

أقول:و فى النهى عن التفكر فى الله سبحانه روايات كثيره أخر مودعه فى جوامع الفريقين،و النهى إرشادى متعلق بمن لا يحسن الورود فى المسائل العقليه العميقه فيكون خوضه فيها تعرضا للهلاك الدائم.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكىٰ »قال:أبكى السماء بالمطر،و أضحك الأرض بالنبات.

أقول:هو من التوسعه فى معنى الإبكاء و الإضحاك.

و فى المعانى،بإسناده إلى السكونى عن جعفر بن محمد عن آبائهم(ع)قال:قال أمير المؤمنين(ع): فى قول الله عز و جل:« وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَ أَقْنىٰ »قال:أغنى كل إنسان بمعيشته،و أرضاه بكسب يده.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ »قال:النجم فى السماء يسمى الشعرى كانت قريش و قوم من العرب يعبدونه،و هو نجم يطلع فى آخر الليل.

ص :۵۳

أقول:الظاهر أن قوله:و هو نجم يطلع فی آخر اللیل تعریف له بحسب زمان صدور الحدیث و کان فی الصیف و إلا فهو یستوفی فی مجموع السنه جمیع ساعات اللیل و النهار.

و فیه،":فی قوله تعالی:« أَزِفَتِ اَلْآزِفَهُ »قال قربت القیامه.

و فی المجمع،":فی قوله تعالی:« أَ فَمِنْ هٰذَا اَلْحَدِیثِ تَعْجَبُونَ »یعنی بالحدیث ما تقدم من الأخبار.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال": لما نزلت هذه الآیه علی النبی ص« أَ فَمِنْ هٰذَا اَلْحَدِیثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَکُونَ وَ لاٰ تَبْکُونَ »فما رئی النبی بعدها ضاحکا حتی ذهب من الدنیا.

(۵۴) سوره القمر مکیه و هی خمس و خمسون آیه(۵۵)

[سوره القمر (۵۴): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

اِقْتَرَبَتِ اَلسّٰاعَهُ وَ اِنْشَقَّ اَلْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) وَ کَذَّبُوا وَ اِتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (۳) وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ اَلْأَنْبٰاءِ مٰا فِیهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِکْمَهٌ بٰالِغَهٌ فَمٰا تُغْنِ اَلنُّذُرُ (۵) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ یَوْمَ یَدْعُ اَلدّٰاعِ إِلیٰ شَیْءٍ نُکُرٍ (۶) خُشَّعاً أَبْصٰارُهُمْ یَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ کَأَنَّهُمْ جَرٰادٌ مُنْتَشِرٌ (۷) مُهْطِعِینَ إِلَی اَلدّٰاعِ یَقُولُ اَلْکٰافِرُونَ هٰذٰا یَوْمٌ عَسِرٌ (۸)

(بيان)

سوره ممحضه فى الإنذار و التخويف إلا آيتين من آخرها تبشران المتقين بالجنه و الحضور عند ربهم.

تبدأ السوره بالإشاره إلى آيه شق المقر التى أتى بها رسول الله ص عن اقتراح من قومه،و تذكر رميهم له بالسحر و تكذيبهم به و اتباعهم الأهواء مع ما جاءهم أنباء زاجره من أنباء يوم القيامه و أنباء الأمم الماضين الهالكين ثم يعيد تعالى عليهم نبذه من تلك الأنباء إعاده ساخط معاتب فيذكر سيئ حالهم يوم القيامه عند خروجهم من الأجداث و حضورهم للحساب.

ثم تشير إلى قصص قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون و ما نزل بهم من أليم العذاب إثر تكذيبهم بالنذر و ليس قوم النبى ص بأعز عند الله منهم و ما هم بمعجزين، و تختتم السوره ببشرى للمتقين.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها،و لا يعبأ بما قيل:إنها نزلت ببدر،و كذا بما قيل:إن بعض آياتها مدنيه،و من غرر آياتها ما فى آخرها من آيات القدر.

قوله تعالى:« اِقْتَرَبَتِ اَلسّٰاعَةُ وَ اِنْشَقَّ اَلْقَمَرُ » الاقتراب زياده فى القرب فقوله:

« اِقْتَرَبَتِ اَلسّٰاعَةُ »أى قربت جدا،و الساعه هى الظرف الذى تقوم فيه القيامه.

و قوله:« وَ اِنْشَقَّ اَلْقَمَرُ »أى انفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين تشير الآيه إلى آيه شق القمر التى أجراها الله تعالى على يد النبى ص بمكه قبل الهجره إثر سؤال المشركين من أهل مكه،و قد استفاضت الروايات على ذلك،و اتفق أهل الحديث و المفسرون على قبولها كما قيل.و لم يخالف فيه منهم إلا الحسن و عطاء و البلخى حيث قالوا:معنى قوله:« اِنْشَقَّ اَلْقَمَرُ »سينشق القمر عند قيام الساعه و إنما عبر بلفظ الماضى لتحقق الوقوع.

و هو مزيف مدفوع بدلاله الآيه التاليه« وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ » فإن سياقها أوضح شاهد على أن قوله« آيَةً »مطلق شامل لانشقاق القمر فعند وقوعه إعراضهم و قولهم:سحر مستمر و من المعلوم أن يوم القيامه يوم يظهر فيه الحقائق و يلجئون فيه إلى المعرفه،و لا معنى حينئذ لقولهم فى آيه ظاهره:أنها سحر مستمر فليس إلا أنها

آیه قد وقعت للدلاله علی الحق و الصدق و تأتی لهم أن یرموها عنادا بأنها سحر.

و مثله فی السقوط ما قیل:إن الآیه إشاره إلی ما ذهب إلیه الریاضیون أخیرا أن القمر قطعه من الأرض کما أن الأرض جزء منفصل من الشمس فقوله:« وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ » إشاره إلی حقیقه علمیه لم ینکشف یوم النزول بعد.

و ذلک أن هذه النظریه علی تقدیر صحتها لا یلائمها قوله:« وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ »إذ لم ینقل عن أحد أنه قال للقمر:هو سحر مستمر.

علی أن انفصال القمر عن الأرض اشتقاق و الذی فی الآیه الکریمه انشقاق،و لا یطلق الانشقاق إلا علی تقطع الشیء فی نفسه قطعتین دون انفصاله من شیء بعد ما کان جزء منه.

و مثله فی السقوط ما قیل:إن معنی انشقاق القمر انکشاف الظلمه عند طلوعه و کذا ما قیل:إن انشقاق القمر کنایه عن ظهور الأمر و وضوح الحق.

و الآیه لا تخلو من إشعار بأن انشقاق القمر من لوازم اقتراب الساعه.

قوله تعالی:« وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ » الاستمرار من الشیء مرور منه بعد مرور مره بعد مره،و لذا یطلق علی الدوام و الاطراد فقولهم:سحر مستمر أی سحر بعد سحر مداوما.

و قوله:« آیَهً »نکره فی سیاق الشرط فتفید العموم،و المعنی و کل آیه یشاهدونها یقولون فیها أنها سحر بعد سحر،و فسر بعضهم المستمر بالمحکم الموثق،و بعضهم بالذاهب الزائل،و بعضهم بالمستبشع المنفور،و هی معان بعیده.

قوله تعالی:« وَ کَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ »متعلق التکذیب بقرینه ذیل الآیه هو النبی ص و ما أتی به من الآیات أی و کذبوا بالنبی ص و ما أتی به من الآیات و الحال أن کل أمر مستقر سیستقر فی مستقره فیعلم أنه حق أو باطل و صدق أو کذب فسیعلمون أن النبی ص صادق أو کاذب،علی الحق أو لا فقوله:« وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ »فی معنی قوله: «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ» :_ص:۸۸.

و قیل متعلق التکذیب انشقاق القمر و المعنی:و کذبوا بانشقاق القمر و اتبعوا أهواءهم، و جمله« وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ »لا تلائمه تلک الملاءمه.

قوله تعالی:« لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبٰاءِ مٰا فِیهِ مُزْدَجَرٌ » المزدجر مصدر میمی و هو الاتعاظ،و قوله:« مِنَ الْأَنْبٰاءِ »بیان لما فیه مزدجر،و المراد بالأنباء أخبار الأمم

الـدارجه الهـالكه أو أخبـار يوم القيامه و قـد احتمل كل منهما،و الظاهر من تعقيب الآيه بأنباء يوم القيامه ثم بأنباء عـده من الأمم الهالكه أن المراد بالأنباء التى فيها مزدجر جميع ذلك.

قوله تعـالى:« حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ » الحكمه كلمه الحق التى ينتفع بها،و البلوغ وصول الشـىء إلى ما تنتهى إليه المسافه و يكنى به عن تمام الشىء و كماله فالحكمه البالغه هى الحكمه التامه الكامله التى لا نقص فيها من حيث نفسها و من حيث أثرها.

و قوله:« فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ »الفاء فيه فصيحه تفصح عن جمله مقدره تترتب عليها الكلام، و النذر جمع نذير بمعنى المنذر أو بمعنى الإنذار و الكل صحيح و إن كان الأول أقرب إلى الفهم.

و المعنى:هذا القرآن أو الذى يدعون إليه حكمه بالغه كذبوا بها و اتبعوا أهواءهم فما تغنى المنذرون أو الإنذارات؟.

قوله تعالى:« فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ » التولى الإعراض و الفاء فى « فَتَوَلَّ »لتفريع الأمر بالتولى على ما تقدمه من وصف حـالهم أى إذا كانوا مكـذبين بك متبعين أهواءهم لا يغنى فيهم النـذر و لا تؤثر فيهم الزواجر فتول عنهم و لا تلح عليهم بالدعوه.

و قوله:« يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ »قال الراغب: الإنكار ضد العرفان يقال:

أنكرت كذا و نكرت،و أصـله أن يرد على القلب ما لا يتصوره،و ذلك ضـرب من الجهل قال تعالى:« فَلَمّٰا رَأىٰ أَيْدِيَهُمْ لاٰ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ».قال:و النكر الدهاء و الأمر الصعب الذى لا يعرف.انتهى.

و قـد تم الكلام فى قوله:« فَتَوَلَّ عَنْهُمْ »ببيـان حـالهم تجاه الحكمه البـالغه التى ألقيت إليهم و الزواجر التى ذكروا بها على سبيل الإنذار،ثم أعاد سبحانه نبذه من تلك الزواجر التى هى أنباء من حالهم يوم القيامه و من عاقبه حال الأمم المكذبين من الماضين فى لحن العتاب و التوبيخ الشديد الذى تهز قلوبهم للانتباه و تقطع منابت أعذارهم فى الإعراض.

فقوله:« يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ »إلخ،كلام مفصول عما قبله لذكر الزواجر التى أشير إليها سابقا فى مقام الجواب عن سؤال مقدر كأنه لما قـال:« فَتَوَلَّ عَنْهُمْ »سـئل فقيـل:فـإلى م يئول أمرهم؟فقيـل:« يَوْمَ يَدْعُ »إلـخ،أى هـذه حـال آخرتهم و تلك عاقبه دنيا أشـياعهم و أمثالهم من قوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم،و ليسوا خيرا منهم.

و على هذا فالظرف فى« يَوْمَ يَدْعُ »متعلق بما سيأتى من قوله:« يَخْرُجُونَ »و المعنى:

يخرجون من الأجداث يوم يدعو الداعى إلى شيء نكر،إلخ و إما متعلق بمحذوف، و التقدير اذكر يوم يدعو الداعى،و المحصل اذكر ذاك اليوم و حالهم فيه، و الآيه فى معنى قوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السّاعَهَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ» :الزخرف:۶۶،و قوله: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاّ مِثْلَ أَيّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ» :يونس:۱۰۲.

و لم يسم سبحانه هذا الداعى من هو؟و قد نسب الدعوه فى موضع من كلامه إلى نفسه فقال: «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» :إسراء:۵۲.

و إنما أورد من أنباء القيامه نبأ دعوتهم للخروج من الأجداث و الحضور لفصل القضاء و خروجهم منها خشعا أبصارهم مهطعين إلى الداعى ليحاذى به دعوتهم فى الدنيا إلى الإيمان بالآيات و إعراضهم و قولهم:سحر مستمر.

و معنى الآيه:اذكر يوم يدعو الداعى إلى أمر صعب عليهم و هو القضاء و الجزاء.

قوله تعالى:« خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ » الخشع جمع خاشع و الخشوع نوع من الذله و نسب إلى الأبصار لأن ظهوره فيها أتم.

و الأجداث جمع جدث و هو القبر،و الجراد حيوان معروف،و تشبيههم فى الخروج من القبور بالجراد المنتشر من حيث إن الجراد فى انتشاره يدخل البعض منه فى البعض و يختلط البعض بالبعض فى جهات مختلفه فكذلك هؤلاء فى خروجهم من القبور،قال تعالى:

«يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خاشِعَهً أَبْصارُهُمْ» :المعارج:۴۴.

قوله تعالى:« مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ »أى حال كونهم مسرعين إلى الداعى مطيعين مستجيبين دعوته يقول الكافرون:هذا يوم عسر أى صعب شديد.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،":« اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ »قال:اقتربت القيامه-فلا يكون بعد رسول الله ص إلا القيامه-و قد انقضت النبوه و الرساله.

و قوله:« وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ »فإن قريشا سألت رسول الله ص أن يريهم آيه-فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم-فقالوا:هذا سحر مستمر أى صحيح.

و فی أمالی الشیخ،بإسناده عن عبید الله بن علی عن الرضا عن آبائه عن علی(ع) قال: انشق القمر بمکه فلقتین-فقال رسول الله ص:اشهدوا اشهدوا.

أقول:ورد انشقاق القمر لرسول الله ص فی روایات الشیعه عن أئمه أهل البیت (ع)کثیرا و قد تسلمه محدثوهم و العلماء من غیر توقف.

و فی الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و أحمد و عبد بن حمید و مسلم و ابن جریر و ابن المنذر و الترمذی و ابن مردویه و البیهقی فی الدلائل عن أنس قال": سأل أهل مکه النبی ص آیه فانشق القمر بمکه فرقتین-فنزلت« اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ »إلی قوله:« سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ »أی ذاهب.

و فیه،أخرج ابن جریر و ابن المنذر و ابن مردویه و أبو نعیم و البیهقی و کلاهما فی الدلائل من طریق مسروق عن ابن مسعود قال": انشق القمر علی عهد النبی ص فقال قریش:

هذا سحر ابن أبی کبشه-فقالوا:انتظروا ما یأتیکم به السفار-فإن محمدا لا یستطیع أن یسحر الناس کلهم-فجاء السفار فسألوهم فقالوا:نعم قد رأیناه-فأنزل الله« اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ».

و فیه،أخرج مسلم و الترمذی و ابن جریر و ابن المنذر و ابن مردویه و الحاکم و البیهقی و أبو نعیم فی الدلائل من طریق مجاهد عن ابن عمر": فی قوله:« اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ »قال:کان ذلک علی عهد رسول الله ص-انشق فرقتین:فرقه من دون الجبل و فرقه خلفه-فقال النبی ص:اللهم اشهد.

و فیه،أخرج أحمد و عبد بن حمید و الترمذی و ابن جریر و الحاکم و أبو نعیم و البیهقی عن جبیر بن مطعم": فی قوله:« وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ »قال:انشق القمر و نحن بمکه علی عهد رسول الله ص-حتی صار فرقتین:فرقه علی هذا الجبل-و فرقه علی هذا الجبل-فقال الناس:

سحرنا محمد فقال رجل:إن کان سحرکم فإنه لا یستطیع أن یسحر الناس کلهم.

و فیه،أخرج ابن جریر و ابن مردویه و أبو نعیم فی الدلائل عن ابن عباس":فی قوله:

« اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ »قال:قد مضی ذلک قبل الهجره-انشق القمر حتی رأوا شقیه.

و فیه،أخرج ابن أبی شیبه و عبد بن حمید و عبد الله بن أحمد فی زوائد الزهد و ابن جریر و ابن مردویه و أبو نعیم عن أبی عبد الرحمن السلمی قال":خطبنا حذیفه بن الیمان بالمدائن-

فحمد الله و أثنى عليه.ثم قال:اقتربت الساعه و انشق القمر-ألا و إن الساعه قد اقتربت.

ألا و إن القمر قد انشق على عهد رسول الله ص.ألا و إن الدنيا قد آذنت بفراق.ألا و إن اليوم المضمار و غدا السباق.

أقول:و قد روى انشقاق القمر بدعاء النبى ص بطرق مختلفه كثيره عن هؤلاء النفر من الصحابه و هم أنس،و عبد الله بن مسعود،و ابن عمر،و جبير بن مطعم،و ابن عباس،و حذيفه بن اليمان،و عد فى روح المعانى ممن روى عنه الحديث من الصحابه عليا (ع)ثم نقل عن السيد الشريف فى شرح المواقف و عن ابن السبكى فى شرح المختصر أن الحديث متواتر لا يمترى فى تواتره.هذه حال الحديث عند أهل السنه و قد عرفت حاله عند الشيعه.

(كلام فيه إجمال القول فى شق القمر)

آيه شق القمر بيد النبى ص بمكه قبل الهجره باقتراح من المشركين مما تسلمها المسلمون بلا ارتياب منهم.

و يدل عليها من القرآن الكريم دلاله ظاهره قوله تعالى: «اقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ وَ إِنْ يَرَوْا آيَهً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» :القمر:٢،فالآيه الثانيه تأبى إلا أن يكون مدلول قوله:« وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ »آيه واقعه قريبه من زمان النزول أعرض عنها المشركون كسائر الآيات التى أعرضوا عنها و قالوا:سحر مستمر.

و يدل عليها من الحديث روايات مستفيضه متكاثره رواها الفريقان و تسلمها المحدثون، و قد تقدمت نماذج منها فى البحث الروائى.

فالكتاب و السنه يدلان عليها و انشقاق كره من الكرات الجويه ممكن فى نفسه لا دليل على استحالته العقليه،و وقوع الحوادث الخارقه للعاده-و منها الآيات المعجزات-جائز و قد قدمنا فى الجزء الأول من الكتاب تفصيل الكلام فيها إمكانا و وقوعا و من أوضح الشواهد عليه القرآن الكريم فمن الواجب قبول هذه الآيه و إن لم يكن من ضروريات الدين.

و اعترض عليها بأن صدور الآيه المعجزه منه(ص)باقتراح من الناس ينافى قوله تعالى:

«وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيٰاتِ إِلاّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنٰا ثَمُودَ النّٰاقَهَ مُبْصِرَهً فَظَلَمُوا بِهٰا وَ مٰا

نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلّا تَخْوِيفاً» :إسراء:۵۹ فإن مفاد الآيه إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمه لأن الأمم السابقه كذبوا بها و هؤلاء يماثلونهم فی طباعهم فيكذبون بها،و لا فائده فی الإرسال مع عدم ترتب أثر عليه أو المفاد أنا لا نرسل بها لأنا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها فعذبوا و أهلكوا و لو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها و عذبوا عذاب الاستئصال لكنا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب،و على أی حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمه كما كانت ترسل إلى الأمم الدارجه.

نعم هذا فی الآيات المرسله باقتراح من الناس دون الآيات التی تؤيد بها الرساله كالقرآن المؤيد لرساله النبی ص و كآيتی العصا و اليد لموسی(ع)و آيه إحياء الموتی و غيرها لعيسی (ع)،و كذا الآيات النازله لطفا منه سبحانه كالخوارق الصادره عن النبی ص لا عن اقتراح منهم.

و مثل الآيه السابقه قوله تعالى:« وَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّی تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً إلى أن قال- قُلْ سُبْحَانَ رَبِّی هَلْ كُنْتُ إِلّا بَشَراً رَسُولاً» :إسراء:۹۳ و غير ذلك من الآيات.

و الجواب عن هذا الاعتراض يحتاج إلى تقديم مقدمه هی أن النبی ص بعث رسولا إلى أهل الدنيا كافه بنبوه خاتمه كما يدل عليه قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً» :الأعراف:۱۵۸،و قوله: «وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» :الأنعام:۱۹،و قوله: «وَ لَكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» :الأحزاب:۴۰ إلى غير ذلك من الآيات.

و قد بدأ(ص)و هو بمكه بدعوه قومه من أهل مكه و حواليها فقابلوه بما استطاعوا من الشقاق و الإيذاء و الاستهزاء و هموا بإخراجه أو إثباته أو قتله حتی أمره ربه بالهجره غير أنه آمن به و هو بمكه جمع كثير منهم و إن كانت عامتهم على الكفر و المؤمنون و إن كانوا قليلين بالنسبه إلى المشركين مضطهدين مفتنين لكنهم كانوا فی أنفسهم جمعا ذا عدد كما يدل عليه قوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ» :النساء:۷۷ فقد استجازوا النبی ص أن يقاتلوا المشركين فلم يأذن الله لهم فی ذلك على ما روی فی سبب نزول الآيه و هذا يدل على أنهم كانوا ذوی عده و عده فی الجمله و لم يزالوا يزيدون جمعا.

ثم هاجر(ص)إلى المدينه و بسط هنالك الدعوه و نشر الإسلام فيها و فى حواليها و فى القبائل و فى اليمن و سائر أقطار الجزيره ما عدا مكه و حواليها ثم بسط الدعوه على غير الجزيره فكاتب الملوك و العظماء من فارس و الروم و مصر سنه ست من الهجره ثم فتح مكه سنه ثمان من الهجره و قد أسلم ما بين الهجره و الفتح جمع من أهلها و حواليها.

ثم ارتحل(ص)و كان من انتشار الإسلام ما كان،و لم يزل الإسلام يزيد جمعا و ينتشر صيتا إلى يومنا هذا و قد بلغوا خمس أهل الأرض عددا.

إذا تمهد هذا فنقول:كانت آيه انشقاق القمر آيه اقتراحيه تستعقب العذاب لو كذبوا بها و قد كذبوا و قالوا سحر مستمر و ما كان الله ليهلك بها جميع من أرسل إليهم النبى ص و هم أهل الأرض جميعا لعدم تمام الحجه عليهم يومئذ و قد كان الانشقاق سنه خمس قبل الهجره،و قد قال تعالى: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ» :الأنفال:۴۲.

و ما كان الله ليهلك جميع أهل مكه و حواليها خاصه و بينهم جمع من المسلمين كما قال تعالى:

«وَ لَوْ لاٰ رِجٰالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسٰاءٌ مُؤْمِنٰاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّهٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللّٰهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً:» الفتح:۲۵.

و ما كان الله سبحانه لينجى المؤمنين و يهلك كفارهم و قد آمن جمع كثير منهم فيما بين سنه خمس قبل الهجره و سنه ثمان بعد الهجره عام فتح مكه ثم آمنت عامتهم يوم الفتح و الإسلام كان يكتفى منهم بظاهر الشهادتين.

و لم تكن عامه أهل مكه و حواليها أهل عناد و جحود و إنما كان أهل الجحود و العناد عظماؤهم و صناديدهم المستهزئين بالنبى ص المعذبين للمؤمنين،المقترحين عليه بالآيات و هم الذين يقول تعالى فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ» :البقره:۶،و قد أوعد الله هؤلاء الجاحدين المقترحين بتحريم الإيمان و الهلاك فى مواضع من كلامه فلم يؤمنوا و أهلكهم الله يوم بدر و تمت كلمه الرب صدقا و عدلا.

و أما التمسك لنفى إرسال الآيات مطلقا بقوله تعالى:« وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيٰاتِ إِلاّٰ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ »فالآيه لا تشمل قطعا الآيات المؤيده للرساله كالقرآن المؤيد لرساله النبى ص،و كذا الآيات النازله لطفا كالخوارق الصادره عن النبى ص من الإخبار بالمغيبات و شفاء المرضى بدعائه و غير ذلك.

فلو كانت مطلقه فإنما تشمل الآيات الاقتراحيه و تفيد أن الله سبحانه لم يرسل الآيات

التی اقترحتها قریش-أو لم (۱)یرسل النبی ص بالآیات التی اقترحوها-لأن الأمم السابقه کذبوا بها و طباع هؤلاء المقترحین طباعهم یکذبون بها و لازمها نزول العذاب و الله لا یرید أن یعذبهم عاجلا.

و قد أوضح سبحانه سبب عدم معاجلتهم بالعذاب بقوله: «وَ مٰا کٰانَ اللّٰهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ وَ مٰا کٰانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ» :الأنفال:۳۳،و استبان بذلک أن المانع من عذابهم وجود الرسول فیهم کما یفیده أیضا قوله تعالی: «وَ إِنْ کٰادُوا لَیَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ لِیُخْرِجُوکَ مِنْهٰا وَ إِذاً لاٰ یَلْبَثُونَ خِلاٰفَکَ إِلاّٰ قَلِیلاً» :إسراء:۷۶.

ثم قال تعالی: «وَ مٰا لَهُمْ أَلاّٰ یُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَ هُمْ یَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَ مٰا کٰانُوا أَوْلِیٰاءَهُ إِنْ أَوْلِیٰاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ وَ مٰا کٰانَ صَلاٰتُهُمْ عِنْدَ الْبَیْتِ إِلاّٰ مُکٰاءً وَ تَصْدِیَهً فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ» :الأنفال:۳۵ و الآیات نزلت عقیب غزوه بدر.

و الآیات تبین أنه لم یکن من قبلهم مانع من نزول العذاب غیر وجود النبی ص بینهم فإذا زال المانع بخروجه من بینهم فلیذوقوا العذاب و هو ما أصابهم فی وقعه بدر من القتل الذریع.

و بالجمله کان المانع من إرسال الآیات تکذیب الأولین و مماثلتهم لهم فی خصیصه التکذیب و وجود النبی ص بینهم المانع من معاجله العذاب فإذا وجد مقتض للعذاب کالصد و المکاء و التصدیه و زال أحد رکنی المانع و هو کونه(ص)فیهم فلا مانع من العذاب و لا مانع من نزول الآیه و إرسالها لیحق علیهم القول فیعذبوا بسبب تکذیبهم لها و بسبب مقتضیات أخر کالصد و نحوه.

فتحصل أن قوله تعالی:« وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآیٰاتِ »إلخ،إنما یفید الإمساک عن إرسال الآیات ما دام النبی ص فیهم و أما إرسالها و تأخیر العذاب إلی خروجه من بینهم فلا دلاله فیه علیه و قد صرح سبحانه بأن وقعه بدر کانت آیه و ما أصابهم فیها کان عذابا،و کذا لو کان مفاد الآیه هو الامتناع عن الإرسال لکونه لغوا بسبب کونهم مجبولین علی التکذیب فإن إرسالها مع تأخیر العذاب و النکال إلی خروج النبی ص من

۱- ۱) أول شقی التردید مبنی علی کون الباء فی قوله:«نرسل بالآیات»زائده و الآیات مفعول نرسل، و الثانی مبنی علی کونها بمعنی المصاحبه و المفعول محذوفا.

بينهم من الفائده ليحق الله الحق و يبطل الباطل فلتكن آيه انشقاق القمر من الآيات النازله التى من فائدتها نزول العذاب عليهم بعد خروج النبى ص من بينهم.

و أما قوله تعالى:« قُلْ سُبْحانَ رَبِّی هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً »فليس مدلوله نفى تأييد النبى ص بالآيات المعجزه و إنكار نزولها من أصلها كيف؟و هو ينفيها عن نفسه بما أنه بشر رسول،و لو كان المراد ذلك لأفاد إنكار معجزات الأنبياء جميعا لكون كل منهم بشرا رسولا،و صريح القرآن فيما حدث من قصص الأنبياء و أخبر عن آياتهم يناقض ذلك،و أوضح من الجميع فى مناقضه ذلك نفس الآيه التى هى من القرآن المتحدى بالإعجاز.

بل مدلوله أن النبى ص بشر رسول غير قادر من حيث نفسه على شیء من الآيات التى يقترحون عليه،و إنما الأمر إلى الله سبحانه إن شاء أنزلها و إن لم يشأ لم يفعل قال تعالى: «وَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَهٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللّهِ وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ» :الأنعام:١٠٩،و قال حاكيا عن قوم نوح: «قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللّهُ إِنْ شاءَ» :هود:٣٣،و قال: «وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِیَ بِآيَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ» :المؤمن:

٧٨،و الآيات فى هذا المعنى كثيره.

و من الاعتراض على آيه الانشقاق ما قيل: إن القمر لو انشق كما يقال لرآه جميع الناس و لضبطه أهل الأرصاد فى الشرق و الغرب لكونه من أعجب الآيات السماويه و لم يعهد فيما بلغ إلينا من التاريخ و الكتب الباحثه عن الأوضاح السماويه له نظير و الدواعى متوفره على استماعه و نقله.

و أجيب بما حاصله أن من الممكن أولا:أن يغفل عنه فلا دليل على كون كل حادث أرضى أو سماوى معلوما للناس محفوظا عندهم يرثه خلف عن سلف.

و ثانيا:أن الحجاز و ما حولها من البلاد العربيه و غيرها لم يكن بها مرصد للأوضاع السماويه،و إنما كان ما كان من المراصد بالهند و المغرب من الروم و اليونان و غيرهما و لم يثبت وجود مرصد فى هذا الوقت-و هو على ما فى بعض الروايات أول الليله الرابعه عشره من ذى الحجه سنه خمس قبل الهجره-.

على أن بلاد الغرب التى كانوا معتنين بهذا الشأن بينها و بين مكه من اختلاف الأفق ما

یوجب فصلا زمانیا معتدا به و قد کان القمر-علی ما فی بعض الروایات-بدرا و انشق فی حوالی غروب الشمس حین طلوعه و لم یبق علی الانشقاق إلا زمانا یسیرا ثم التأم فیقع طلوعه علی بلاد الغرب و هو ملتئم ثانیا.

علی أنا نتهم غیر المسلمین من أتباع الکنیسه و الوثنیه فی الأمور الدینیه التی لها مساس نفع بالإسلام.

و من الاعتراض علیها ما قیل: إن الانشقاق لا یقع إلا ببطلان التجاذب بین الشقتین و حینئذ یستحیل الالتیام فلو کان منشقا لم یلتئم أبدا.

و الجواب عنه أن الاستحاله العقلیه ممنوعه،و الاستحاله العادیه بمعنی اختراق العاده لو منعت عن الالتیام بعد الانشقاق لمنعت أولا عن الانشقاق بعد الالتیام و لم تمنع و أصل الکلام مبنی علی جواز خرق العاده.

[سوره القمر (۵۴): الآیات ۹ الی ۴۲]

اشاره

کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَکَذَّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ اُزْدُجِرَ (۹) فَدَعا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) فَفَتَحْنا أَبْوابَ اَلسَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ (۱۱) وَ فَجَّرْنَا اَلْأَرْضَ عُیُوناً فَالْتَقَی اَلْماءُ عَلی أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (۱۲) وَ حَمَلْناهُ عَلی ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳) تَجْرِی بِأَعْیُنِنا جَزاءً لِمَنْ کانَ کُفِرَ (۱۴) وَ لَقَدْ تَرَکْناها آیَهً فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۱۵) فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۱۶) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۱۷) کَذَّبَتْ عادٌ فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۱۸) إِنّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی یَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (۱۹) تَنْزِعُ اَلنّاسَ کَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (۲۰) فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۲۱) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۲۲) کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (۲۳) فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (۲۴) أَ أُلْقِیَ اَلذِّکْرُ عَلَیْهِ مِنْ بَیْنِنا بَلْ هُوَ کَذّابٌ أَشِرٌ (۲۵) سَیَعْلَمُونَ غَداً مَنِ اَلْکَذّابُ اَلْأَشِرُ (۲۶) إِنّا مُرْسِلُوا اَلنّاقَهِ فِتْنَهً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اِصْطَبِرْ (۲۷) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ اَلْماءَ قِسْمَهٌ بَیْنَهُمْ کُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (۲۸) فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطی فَعَقَرَ (۲۹) فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۳۰) إِنّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ صَیْحَهً واحِدَهً فَکانُوا کَهَشِیمِ اَلْمُحْتَظِرِ (۳۱) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۳۲) کَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (۳۳) إِنّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ حاصِباً إِلاّ آلَ لُوطٍ نَجَّیْناهُمْ بِسَحَرٍ (۳۴) نِعْمَهً مِنْ عِنْدِنا کَذلِکَ نَجْزِی مَنْ شَکَرَ (۳۵) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ (۳۶) وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَیْفِهِ فَطَمَسْنا أَعْیُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُکْرَهً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸) فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُرِ (۳۹) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۴۰) وَ لَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ اَلنُّذُرُ (۴۱) کَذَّبُوا بِآیاتِنا کُلِّها فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِیزٍ مُقْتَدِرٍ (۴۲)

ص: ۶۵

(بيان)

إشاره إلى بعض ما فيه مزدجر من أنباء الأمم الدارجه خص بالذكر من بينهم قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون فذكرهم بأنبائهم و أعاد عليهم إجمال ما قص عليهم سابقا من قصصهم و ما آل إليه تكذيبهم بآيات الله و رسله من أليم العذاب و هائل العقاب تقريرا لقوله:« وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ اَلْأَنْبٰاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ».

و لتوكيد التقرير و تمثيل ما فى هذه القصص الزاجره من الزجر القارع للقلوب عقب كل واحده من القصص بقوله خطابا لهم:« فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ »ثم ثناه بذكر الغرض من الإنذار و التخويف فقال:« وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ».

قوله تعالى:« كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنٰا وَ قٰالُوا مَجْنُونٌ وَ اُزْدُجِرَ »التكذيب الأول منزل منزله اللازم أى فعلت التكذيب،و قوله:« فَكَذَّبُوا عَبْدَنٰا »إلخ،تفسيره كما فى قوله: «وَ نٰادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقٰالَ» XالخX،:هود:۴۵.

و قيل:المراد بالتكذيب الأول التكذيب المطلق و هو تكذيبهم بالرسل و بالثانى التكذيب بنوح خاصه كقوله فى سوره الشعراء: «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ اَلْمُرْسَلِينَ» :الشعراء:۱۰۵، و المعنى:كذبت قوم نوح المرسلين فترتب عليه تكذيبهم لنوح،و هو وجه حسن.

و قيل:المراد بتفريع التكذب على التكذيب الإشاره إلى كونه تكذيبا إثر تكذيب بطول زمان دعوته فكلما انقرض قرن منهم مكذب جاء بعدهم قرن آخر مكذب،و هو معنى بعيد.

و مثله قول بعضهم:إن المراد بالتكذيب الأول قصده و بالثانى فعله.

و قوله:« فَكَذَّبُوا عَبْدَنٰا »فى التعبير عن نوح(ع)بقوله:« عَبْدَنٰا »فى مثل المقام تجليل لمقامه و تعظيم لأمره و إشاره إلى أن تكذيبهم له يرجع إليه تعالى لأنه عبد لا يملك شيئا و ما له فهو لله.

و قوله:« وَ قٰالُوا مَجْنُونٌ وَ اُزْدُجِرَ »المراد بالازدجار زجر الجن له أثر الجنون،و المعنى:

و لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون و ازدجره الجن فلا يتكلم إلا عن زجر و ليس كلامه من الوحى السماوى فى شىء.

و قیل:الفاعل المحذوف للازدجار هو القوم،و المعنی:و ازدجره القوم عن الدعوه و التبلیغ بأنواع الإیذاء و التخویف،و لعل المعنی الأول أظهر.

قوله تعالی:« فَدَعٰا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ » الانتصار الانتقام،و قوله:« أَنِّی مَغْلُوبٌ »أی بالقهر و التحکم دون الحجه،و هذا الدعاء تلخیص لتفصیل دعائه،و تفصیل دعائه مذکور فی سوره نوح و تفصیل حججه فی سوره هود و غیرها.

قوله تعالی:« فَفَتَحْنٰا أَبْوٰابَ السَّمٰاءِ بِمٰاءٍ مُنْهَمِرٍ »قال فی المجمع،: الهمر صب الدمع و الماء بشده،و الانهمار الانصباب،انتهی.و فتح أبواب السماء و هی الجو بماء منصب استعاره تمثیلیه عن شده انصباب الماء و جریان المطر متوالیا کأنه مدخر وراء باب مسدود یمنع عن انصبابه ففتح الباب فانصب أشد ما یکون.

قوله تعالی:« وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُیُوناً فَالْتَقَی الْمٰاءُ عَلیٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ »قال فی المجمع،: التفجیر تشقیق الأرض عن الماء،و العیون جمع عین الماء و هو ما یفور من الأرض مستدیرا کاستداره عین الحیوان.انتهی.

و المعنی:جعلنا الأرض عیونا منفجره عن الماء تجری جریانا متوافقا متتابعا.

و قوله:« فَالْتَقَی الْمٰاءُ عَلیٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ »أی فالتقی الماءان ماء السماء و ماء الأرض مستقرا علی أمر قدره الله تعالی أی حسب ما قدر من غیر نقیصه و لا زیاده و لا عجل و لا مهل.

فالماء اسم جنس أرید به ماء السماء و ماء الأرض و لذلک لم یثن،و المراد بأمر قد قدر الصفه التی قدرها الله لهذا الطوفان.

قوله تعالی:« وَ حَمَلْنٰاهُ عَلیٰ ذٰاتِ أَلْوٰاحٍ وَ دُسُرٍ »المراد بذات الألواح و الدسر السفینه، و الألواح جمع لوح و هو الخشبه التی یرکب بعضها علی بعض فی السفینه،و الدسر جمع دسار و دسر و هو المسمار الذی تشد بها الألواح فی السفینه،و قیل فیه معان أخر لا تلائم الآیه تلک الملاءمه.

قوله تعالی:« تَجْرِی بِأَعْیُنِنٰا جَزٰاءً لِمَنْ کٰانَ کُفِرَ »أی تجری السفینه علی الماء المحیط بالأرض بأنواع من مراقبتنا و حفظنا و حراستنا،و قیل:المراد تجری بأعین أولیائنا و من وکلناه بها من الملائکه.

و قوله:« جَزٰاءً لِمَنْ کٰانَ کُفِرَ »أی جریان السفینه کذلک و فیه نجاه من فیها من الهلاک لیکون جزاء لمن کان کفر به و هو نوح(ع)کفر به و بدعوته قومه،فالآیه فی معنی

قوله: «وَ نَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ -Xإلى أن قالX- إِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» :الصافات:٨٠.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ تَرَكْنٰاهٰا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ »ضمير« تَرَكْنٰاهٰا »للسفينه على ما يفيده السياق و اللام للقسم،و المعنى:أقسم لقد أبقينا تلك السفينه التى نجينا بها نوحا و الذين معه،و جعلناها آيه يعتبر بها من اعتبر فهل من متذكر يتذكر بها وحدانيته تعالى و أن دعوه أنبيائه حق،و أن أخذه أليم شديد؟و لازم هذا المعنى بقاء السفينه إلى حين نزول هذه الآيات علامه داله على واقعه الطوفان مذكره لها،و قد قال بعضهم فى تفسير الآيه على ما نقل:أبقى الله سفينه نوح على الجودى حتى أدركها أوائل هذه الأمه (١)، انتهى.و قد أوردنا فى تفسير سوره هود فى آخر الأبحاث حول قصه نوح خبر أنهم عثروا فى بعض قلل جبل آراراط و هو الجودى قطعات أخشاب من سفينه متلاشيه وقعت هناك،فراجع.

و قيل:ضمير« تَرَكْنٰاهٰا »لما مر من القصه بما أنها فعله.

قوله تعالى:« فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ » النذر جمع نذير بمعنى الإنذار،و قيل:

مصدر بمعنى الإنذار.و الظاهر أن« كٰانَ »ناقصه و اسمها« عَذٰابِي »و خبرها« فَكَيْفَ »، و يمكن أن تكون تامه فاعلها قوله:« عَذٰابِي »و قوله:« فَكَيْفَ »حالا منه.

و كيف كان فالاستفهام للتهويل يسجل به شده العذاب و صدق الإنذار.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » التيسير التسهيل و تيسير القرآن للذكر هو إلقاؤه على نحو يسهل فهم مقاصده للعامى و الخاصى و الأفهام البسيطه و المتعمقه كل على مقدار فهمه.

و يمكن أن يراد به تنزيل حقائقه العاليه و مقاصده المرتفعه عن أفق الأفهام العاديه إلى مرحله التكليم العربى تناله عامه الأفهام كما يستفاد من قوله تعالى: «إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ» :الزخرف:۴.

و المراد بالذكر ذكره تعالى بأسمائه أو صفاته أو أفعاله،قال فى المفردات،: الذكر تاره يقال و يراد به هيئه للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفه و هو كالحفظ

١- ١) رواه فى الدر المنثور عن عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن قتاده.

إلاـ أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه،و الذكر يقال اعتبارا باستحضاره و تاره يقال لحضور الشيء القلب أو القول، و لذلك قيل:الذكر ذكران:ذكر بالقلب و ذكر باللسان و كل واحد منهما ضربان:ذكر عن نسيان و ذكر لاـ عن نسيان بل عن إدامه الحفظ،و كل قول يقال له ذكر.انتهى.

و معنى الآيه:و أقسم لقد سهلنا القرآن لأن يتذكر به،فيذكر الله تعالى و شئونه، فهل من متذكر يتذكر به فيؤمن بالله و يدين بما يدعو إليه من الدين الحق؟.

فالآيه دعوه عامه إلى التذكر بالقرآن بعد تسجيل صدق الإنذار و شده العذاب الذى أنذر به.

قوله تعالى:« كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِی وَ نُذُرِ »شروع فی قصه أخرى من القصص التی فیها الازدجار و لم یعطف على ما قبلها-و مثلها القصص الآتیه-لأن كل واحده من هذه القصص مستقله كافیه فی الزجر و الردع و العظه لو اتعظوا بها.

و قوله:« فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِی وَ نُذُرِ »مسوق لتوجیه قلوب السامعین إلى ما یلقى إلیهم من كیفیه العذاب الهائل بقوله:« إِنَّا أَرْسَلْنَا »إلخ،و لیس مسوقا للتهویل و تسجیل شده العذاب و صدق الإنذار كسابقه و إلا لتكرر قوله بعد:« فَكَيْفَ كَانَ »إلخ،كذا قیل و هو وجه حسن.

قوله تعالى:« إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِی يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ »بیان لما استفهم عنه فی قوله:« فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِی وَ نُذُرِ »و الصرصر -على ما فی المجمع،-الریح الشدیده الهبوب،و النحس بالفتح فالسكون مصدر كالنحوسه بمعنى الشؤم،و مُسْتَمِرٍّ صفه لنحس،و معنى إرسال الریح فی یوم نحس مستمر إرسالها فی یوم متلبس بالنحوسه و الشأمه بالنسبه إلیهم المستمره علیهم لا یرجى فیه خیر لهم و لا نجاه.

و المراد بالیوم قطعه من الزمان لا الیوم الذی یساوی سبع الأسبوع لقوله تعالى فی موضع آخر من كلامه: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِی أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ» :حم السجده ۱۶، و فی موضع آخر: «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً» :الحاقه:۷.

و فسر بعضهم النحس بالبرد.

قوله تعالى:« تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ »فاعل« تَنْزِعُ »ضمیر راجع إلى

الریح أی تنزع الریح الناس من الأرض،و أعجاز النخل أسافله،و المنقعر المقلوع من أصله،و المعنی ظاهر،و فی الآیه إشعار ببسطه القوم أجساما.

قوله تعالی:« فَکَیْفَ کٰانَ عَذٰابِی -إلی قوله- مُدَّکِرٍ »تقدم تفسیر الآیتین.

(کلام فی سعاده الأیام و نحوستها و الطیره و الفأل فی فصول)

۱-فی سعاده الأیام و نحوستها:

نحوسه الیوم أو أی مقدار من الزمان أن لا یعقب الحوادث الواقعه فیه إلا الشر و لا یکون الأعمال أو نوع خاص من الأعمال فیه مبارکه لعاملها،و سعادته خلافه.

و لا سبیل لنا إلی إقامه البرهان علی سعاده یوم من الأیام أو زمان من الأزمنه و لا نحوسته و طبیعه الزمان المقداریه متشابهه الأجزاء و الأبعاض،و لا إحاطه لنا بالعلل و الأسباب الفاعله المؤثره فی حدوث الحوادث و کینونه الأعمال حتی یظهر لنا دوران الیوم أو القطعه من الزمان من علل و أسباب تقتضی سعادته أو نحوسته،و لذلک کانت التجربه الکافیه غیر متأتیه لتوقفها علی تجرد الموضوع لأثره حتی یعلم أن الأثر أثره و هو غیر معلوم فی المقام.

و لما مر بعینه لم یکن لنا سبیل إلی إقامه البرهان علی نفی السعاده و النحوسه کما لم یکن سبیل إلی الإثبات و إن کان الثبوت بعیدا فالبعد غیر الاستحاله.هذا بحسب النظر العقلی.

و أما بحسب النظر الشرعی ففی الکتاب ذکر من النحوسه و ما یقابلها،قال تعالی:

«إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی یَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ»

:القمر:۱۹،و قال: «فَأَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی أَیّٰامٍ نَحِسٰاتٍ» :حم السجده:۱۶،لکن لا یظهر من سیاق القصه و دلاله الآیتین أزید من کون النحوسه و الشؤم خاصه بنفس الزمان الذی کانت تهب علیهم فیه الریح عذابا و هو سبع لیال و ثمانیه أیام متوالیه یستمر علیهم فیها العذاب من غیر أن تدور بدوران الأسابیع و هو ظاهر و إلا کان جمیع الزمان نحسا،و لا بدوران الشهور و السنین.

و قال تعالی:« وَ الْکِتٰابِ الْمُبِینِ إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبٰارَکَهٍ» :الدخان:۳،و المراد بها لیله القدر التی یصفها الله تعالی بقوله: «لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» :القدر:۳،و ظاهر

أن مبارکه هذه اللیله و سعادتها إنما هی بمقارنتها نوعا من المقارنه لأمور عظام من الإفاضات الباطنیه الإلهیه و أفاعیل معنویه کإبرام القضاء و نزول الملائکه و الروح و کونها سلاما،قال تعالی: «فِیهٰا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ» :الدخان:۴،و قال: «تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ سَلاٰمٌ هِیَ حَتّٰی مَطْلَعِ الْفَجْرِ» :القدر:۵.

و یئول معنی مبارکتها و سعادتها إلی فضل العباده و النسک فیها و غزاره ثوابها و قرب العنایه الإلهیه فیها من المتوجهین إلی ساحه العزه و الکبریاء.

و أما السنه فهناک روایات کثیره جدا فی السعد و النحس من أیام الأسبوع و من أیام الشهور العربیه و من أیام شهور الفرس و من أیام الشهور الرومیه،و هی روایات بالغه فی الکثره مودعه فی جوامع الحدیث (۱)أکثرها ضعاف من مراسیل و مرفوعات و إن کان فیها ما لا یخلو من اعتبار من حیث إسنادها.

أما الروایات العاده للأیام النحسه کیوم الأربعاء و الأربعاء لا تدور (۲)و سبعه أیام من کل شهر عربی و یومین من کل شهر رومی و نحو ذلک،ففی کثیر منها و خاصه فیما یتعرض لنحوسه أیام الأسبوع و أیام الشهور العربیه تعلیل نحوسه الیوم بوقوع حوادث مره غیر مطلوبه بحسب المذاق الدینی کرحله النبی ص و شهاده الحسین(ع)و إلقاء إبراهیم (ع)فی النار و نزول العذاب بأمه کذا و خلق النار و غیر ذلک.

و معلوم أن فی عدها نحسه مشئومه و تجنب اقتراب الأمور المطلوبه و طلب الحوائج التی یلتذ الإنسان بالحصول علیها فیها تحکیما للتقوی و تقویه للروح الدینیه و فی عدم الاعتناء و الاهتمام بها و الاسترسال فی الاشتغال بالسعی فی کل ما تهواه النفس فی أی وقت کان إضرابا عن الحق و هتکا لحرمه الدین و إزراء لأولیائه فتئول نحوسه هذه الأیام إلی جهات من الشقاء المعنوی منبعثه عن علل و أسباب اعتباریه مرتبطه نوعا من الارتباط بهذه الأیام تفید نوعا من الشقاء الدینی علی من لا یعتنی بأمرها.

و أیضا قد ورد فی عده من هذه الروایات الاعتصام بالله بصدقه أو صوم أو دعاء أو قراءه شیء من القرآن أو غیر ذلک لدفع نحوسه هذه الأیام کما

عن مجالس ابن الشیخ،بإسناده

ص:۷۲

۱- ۱) أوردت منها فی الجزء الرابع عشر من کتاب البحار أحادیث جمه.

۲- ۲) أربعاء لا تدور هی آخر أربعاء فی الشهر.

عن سهل بن یعقوب الملقب بأبی نواس عن العسکری(ع)فی حدیث: قلت:یا سیدی فی أکثر هذه الأیام قواطع عن المقاصد-لما ذکر فیها من النحس و المخاوف-فتدلنی علی الاحتراز من المخاوف فیها-فإنما تدعونی الضروره إلی التوجه فی الحوائج فیها؟فقال لی:یا سهل إن لشیعتنا بولایتنا لعصمه-لو سلکوا بها فی لجه البحار الغامره-و سباسب (۱)البیداء الغائره بین سباع و ذئاب-و أعادی الجن و الإنس-لآمنوا من مخاوفهم بولایتهم لنا،فثق بالله عز و جل و أخلص فی الولاء لأئمتک الطاهرین-و توجه حیث شئت و اقصد ما شئت.الحدیث.

ثم أمره(ع)بشیء من القرآن و الدعاء أن یقرأه-و یدفع به النحوسه و الشأمه و یقصد ما شاء.

و فی الخصال،بإسناده عن محمد بن ریاح الفلاح قال: رأیت أبا إبراهیم(ع)یحتجم یوم الجمعه-فقلت:جعلت فداک تحتجم یوم الجمعه؟قال:أقرأ آیه الکرسی-فإذا هاج بک الدم لیلا کان أو نهارا-فاقرأ آیه الکرسی و احتجم.

و فی الخصال،أیضا بإسناده عن محمد بن أحمد الدقاق قال: کتبت إلی أبی الحسن الثانی (ع)-أسأله عن الخروج یوم الأربعاء لا تدور،فکتب(ع):من خرج یوم الأربعاء لا تدور-خلافا علی أهل الطیره-وقی من کل آفه و عوفی من کل عاهه-و قضی الله له حاجته.

و کتب إلیه مره أخری یسأله-عن الحجامه یوم الأربعاء لا تدور،فکتب(ع):من احتجم فی یوم الأربعاء لا تدور-خلافا علی أهل الطیره عوفی من کل آفه،و وقی من کل عاهه،و لم (۲)تخضر محاجمه.

و فی معناها ما فی تحف العقول،:قال الحسین بن مسعود: دخلت علی أبی الحسن علی بن محمد(ع)-و قد نکبت إصبعی و تلقانی راکب و صدم کتفی،و دخلت فی زحمه فخرقوا علی بعض ثیابی-فقلت:کفانی الله شرک من یوم فما أیشمک.فقال(ع)لی:

یا حسن هذا-و أنت تغشانا ترمی بذنبک من لا ذنب له؟.

قال الحسن:فأثاب إلی عقلی و تبینت خطئی-فقلت:یا مولای أستغفر الله.فقال:

۱- ۱) السباسب جمع سبسب:المفازه.

۲- ۲) هذه الجمله إشاره إلی نفی ما فی عده من الروایات أن من احتجم فی یوم الأربعاء أو یوم الأربعاء لا تدور اخضرت محاجمه،و فی بعضها خیف علیه أن تخضر محاجمه.

يا حسن ما ذنب الأيام-حتى صرتم تتشاءمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها؟قال الحسن:

أنا أستغفر الله أبدا،و هی توبتی يا بن رسول الله.

قال:ما ينفعكم و لكن الله يعاقبكم بذمها-على ما لا ذم عليها فيه.أ ما علمت يا حسن- أن الله هو المثيب و المعاقب و المجازی- بالأعمال عاجلا و آجلا؟قلت:بلى يا مولای.قال:

لا تعد-و لا تجعل للأيام صنعا فی حكم الله.قال الحسن:بلى يا مولای.

و الروايات السابقه-و لها نظائر فی معناها-يستفاد منها أن الملاک فی نحوسه هذه الأيام النحسات هو تطير عامه الناس بها و للتطير تأثير نفسانی كما سيأتی،و هذه الروايات تعالج نحوستها التی تأتيها من قبل الطيره بصرف النفس عن الطيره إن قوی الإنسان على ذلک،و بالالتجاء إلى الله سبحانه و الاعتصام به بقرآن يتلوه أو دعاء يدعو به إن لم يقو عليه بنفسه.

و حمل بعضهم هذه الروايات المسلمه لنحوسه بعض الأيام على التقيه،و ليس بذاک البعيد فإن التشاؤم و التفاؤل بالأزمنه و الأمكنه و الأوضاع و الأحوال من خصائص العامه يوجد منه عندهم شیء كثير عند الأمم و الطوائف المختلفه على تشتتهم و تفرقهم منذ القديم إلى يومنا و كان بين الناس حتى خواصهم فی الصدر الأول فی ذلک روايات دائره يسندونها إلى النبی ص لا يسع لأحد أن يردها

كما فی كتاب المسلسلات،بإسناده عن الفضل بن الربيع قال: كنت يوما مع مولای المأمون-فأردنا الخروج يوم الأربعاء فقال المأمون:يوم مكروه سمعت أبی الرشيد يقول:سمعت المهدی يقول: سمعت المنصور يقول:سمعت أبی محمد بن علی يقول:سمعت أبی عليا يقول:سمعت أبی عبد الله بن عباس يقول:سمعت رسول الله ص يقول:إن آخر الأربعاء فی الشهر يوم نحس مستمر.

و أما الروايات الداله على الأيام السعيده من الأسبوع و غيرها فالوجه فيها نظير ما تقدمت إليه الإشاره فی الأخبار الداله على نحوستها من الوجه الأول فإن فی هذه الأخبار تعليل بركه ما عده من الأيام السعيده بوقوع حوادث متبركه عظيمه فی نظر الدين كولاده النبی ص و بعثته

و كما ورد: أنه(ص)دعا فقال:اللهم بارک لأمتی فی بكورها يوم سبتها و خميسها ،

و ما ورد: أن الله ألان الحديد لداود(ع)يوم الثلاثاء،و أن النبی ص كان يخرج للسفر يوم الجمعه،و أن الأحد من أسماء الله تعالى.

فتبين مما تقدم على طوله أن الأخبار الوارده فی سعاده الأيام و نحوستها لا تدل على أزيد

من ابتنائهما على حوادث مرتبطه بالدين توجب حسنا و قبحا بحسب الذوق الدينى أو بحسب تأثير النفوس،و أما اتصاف اليوم أو أى قطعه من الزمان بصفه الميمنه أو المشأمه و اختصاصه بخواص تكوينيه عن علل و أسباب طبيعيه تكوينيه فلا،و ما كان من الأخبار ظاهرا فى خلاف ذلك فإما محمول على التقيه أو لا اعتماد عليه.

۲-فى سعاده الكواكب و نحوستها

و تأثير الأوضاع السماويه فى الحوادث الأرضيه سعاده و نحوسه. الكلام فى ذلك من حيث النظر العقلى كالكلام فى سعاده الأيام و نحوستها فلا سبيل إلى إقامه البرهان على شىء من ذلك كسعاده الشمس و المشترى و قران السعدين و نحوسه المريخ و قران النحسين و القمر فى العقرب.

نعم كان القدماء من منجمى الهند يرون للحوادث الأرضيه ارتباطا بالأوضاع السماويه مطلقا أعم من أوضاع الثوابت و السيارات،و غيرهم يرى ذلك بين الحوادث و بين أوضاع السيارات السبع دون الثوابت و أوردوا لأوضاعها المختلفه خواص و آثارا تسمى بأحكام النجوم يرون عند تحقق كل وضع أنه يعقب وقوع آثاره.

و القوم بين قائل بأن الأجرام الكوكبيه موجودات ذوات نفوس حيه مريده تفعل أفاعيلها بالعليه الفاعليه،و قائل بأنها أجرام غير ذات نفس تؤثر أثرها بالعليه الفاعليه، أو هى معدات لفعله تعالى و هو الفاعل للحوادث أو أن الكواكب و أوضاعها علامات للحوادث من غير فاعليه و لا إعداد،أو أنه لا شىء من هذه الارتباطات بينها و بين الحوادث حتى على نحو العلاميه و إنما جرت عاده الله على أن يحدث حادثه كذا عند وضع سماوى،كذا.

و شىء من هذه الأحكام ليس بدائمى مطرد بحيث يلزم حكم كذا وضعا كذا فربما تصدق و ربما تكذب لكن الذى بلغنا من عجائب القصص و الحكايات فى استخراجاتهم يعطى أن بين الأوضاع السماويه و الحوادث الأرضيه ارتباطا ما إلا أنه فى الجمله لا بالجمله كما أن بعض الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت(ع)يصدق ذلك كذلك.

و على هذا لا يمكن الحكم البتى بكون كوكب كذا أو وضع كذا سعدا أو نحسا و أما أصل ارتباط الحوادث و الأوضاع السماويه و الأرضيه بعضها ببعض فليس فى وسع الباحث الناقد إنكار ذلك.

و أما القول بكون الكواكب أو الأوضاع السماويه ذوات تأثير فيما دونها سواء قيل

بکونها ذوات نفوس ناطقه أو لم یقل فلیس مما یخالف شیئا من ضروریات الدین إلا أن یقال بکونها خالقه موجده لما دونها من غیر أن ینتهی ذلک إلیه تعالی فیکون شرکا لکنه لا قائل به حتی من وثنیه الصابئه التی تعبد الکواکب،أو أن یقال بکونها مدبره للنظام الکونی مستقله فی التدبیر فیکون ربوبیه تستعقب المعبودیه فیکون شرکا کما علیه الصابئه عبده الکواکب.

و أما الروایات الوارده فی تأثیر النجوم سعدا و نحسا و تصدیقا و تکذیبا فهی کثیره جدا علی أقسام:

منها:ما یدل بظاهره علی تسلیم السعاده و النحوسه فیها

کما فی الرساله الذهبیه،عن الرضا (ع): اعلم أن جماعهن و القمر فی برج الحمل-أو الدلو من البروج أفضل-و خیر من ذلک أن یکون فی برج الثور-لکونه شرف القمر.

و فی البحار،عن النوادر بإسناده عن حمران عن أبی عبد الله(ع)قال: من سافر أو تزوج و القمر فی العقرب لم یر الحسنی الخبر،

و فی کتاب النجوم،لابن طاووس عن علی (ع): یکره أن یسافر الرجل فی محاق الشهر-و إذا کان القمر فی العقرب.

و یمکن حمل أمثال هذه الروایات علی التقیه علی ما قیل،أو علی مقارنه الطیره العامه کما ربما یشعر به ما فی عده من الروایات من الأمر بالصدقه لدفع النحوسه

کما فی نوادر الراوندی،بإسناده عن موسی بن جعفر عن أبیه عن جده فی حدیث: إذا أصبحت فتصدق بصدقه تذهب عنک نحس ذلک الیوم،و إذا أمسیت فتصدق بصدقه-تذهب عنک نحس تلک اللیله الخبر،و یمکن أن یکون ذلک لارتباط خاص بین الوضع السماوی و الحادثه الأرضیه بنحو الاقتضاء.

و منها:ما یدل علی تکذیب تأثیرات النجوم فی الحوادث و النهی الشدید عن الاعتقاد بها و الاشتغال بعلمها

کما فی نهج البلاغه،: المنجم کالکاهن و الکاهن کالساحر-و الساحر کالکافر و الکافر فی النار. و یظهر من أخبار أخر تصدقها و تجوز النظر فیها أن النهی عن الاشتغال بها و البناء علیها إنما هو فیما اعتقد لها استقلال فی التأثیر لتأدیته إلی الشرک کما تقدم.

و منها:ما یدل علی کونه حقا فی نفسه غیر أن قلیله لا ینفع و کثیره لا یدرک کما فی

الکافی،بإسناده عن عبد الرحمن بن سیابه قال: قلت لأبی عبد الله(ع):جعلت فداک

إن النـاس يقولون:إن النجوم لاـ يحل النظر فيها و هو يعجبنى-فإن كانت تضـر بـدينى فلا حاجه لى فى شـىء يضـر بـدينى،و إن كانت لا تضـر بـدينى-فو الله إنى لأشـتهيها و أشـتهى النظر فيها.فقال:ليس كما يقولون لا يضـر بدينك-ثم قال:إنكم تنظرون فى شىء منها-كثيره لا يدرك و قليله لا ينتفع به. الخبر.

و فى البحـار،عن كتـاب النجوم لابن طاووس عن معاويه بن حكيم عن محمـد بن زياد عن محمـد بن يحيى الخثعمى قال: سألت أبـا عبـد الله(ع)عن النجوم حق هى؟قـال لى:نعم- فقلت له:و فى الأـرض من يعلمها؟قال:نعم و فى الأرض من يعلمها،:و فى عـده من الروايات:

ما يعلمها إلا أهل بيت من الهند-و أهل بيت من العرب:و فى بعضها:من قريش.

و هذه الروايات تؤيد ما قدمناه من أن بين الأوضاع و الأحكام ارتباطا ما فى الجمله.

نعم

ورد فى بعض هـذه الروايـات: أن الله أنزل المشترى على الأـرض فى صوره رجـل-فلقى رجلا من العجم-فعلمه النجوم حتى ظن أنه بلغ-ثم قال له انظر أين المشترى؟فقال:ما أراه فى الفلك و ما أدرى أين هو؟فنحاه و أخذ بيد رجل من الهند-فعلمه حتى ظن أنه قد بلغ و قال:انظر إلى المشترى أين هو؟فقال:إن حسابى ليدل على أنك أنت المشترى- قال:فشهق شهقه فمات و ورث علمه أهله-فالعلم هناك. الخبر،و هو أشبه بالموضوع.

٣-فى التفاؤل و التطير

و هما الاستدلال بحادث من الحوادث على الخير و ترقبه و هو التفاؤل أو على الشر و هو التطير و كثيرا ما يؤثران و يقع ما يترقب منهما من خير أو شر و خاصه فى الشر و ذلك تأثير نفسانى.

و قد فرق الإسلام بين التفاؤل و التطير فأمر بالتفاؤل و نهى عن التطير،و فى ذلك تصديق لكون ما فيهما من التأثير تأثيرا نفسانيا.

أما التفاؤل ففيما روى

عن النبى ص: تفاءلوا بالخير تجدوه ،و كان(ص)كثير التفاؤل نقل عنه ذلك فى كثير من مواقفه (١).

و أمـا التطير فقـد ورد فى مواضع من الكتاب نقله عن أمم الأنبياء فى دعواتهم لهم حيث كانوا يظهرون لأنبيائهم أنهم اطيروا بهم فلا يؤمنون،و أجاب عن ذلك أنبياؤهم

١- ١) كما ورد فى قصه الحـديبيه:جاء سـهيل بن عمرو فقال صـلى اللّه عليه و آله:قد سـهل عليكم أمركم. و كما فى قصه كتابه

الى خسرو برويز يدعوه الى الإسلام فمزق كتابه و أرسل إليه قبضه من تراب فتفاءل صلى اللّه عليه و آله منه أن المؤمنين سيملكون أرضهم.

بما حاصله أن التطير لا يقلب الحق باطلا و لا الباطل حقا،و أن الأمر إلى الله سبحانه لا إلى الطائر الذی لا يملك لنفسه شيئا فضلا عن أن يملك لغيره الخير و الشر و السعاده و الشقاء قال تعالى: «قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» :يس:۱۹،أی ما يجر إليكم الشر هو معكم لا معنا،و قال: «قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللّهِ» :النمل:۴۷،أی الذی يأتيكم به الخير أو الشر عند الله فهو الذی يقدر فيكم ما يقدر لا أنا و من معی فليس لنا من الأمر شیء.

و قد وردت أخبار كثيره فی النهی عن الطيره و فی دفع شؤمها بعدم الاعتناء أو بالتوكل و الدعاء،و هی تؤيد ما قدمناه من أن تأثيرها من التأثيرات النفسانيه

ففی الكافی،بإسناده عن عمرو بن حريث قال:قال أبو عبد الله(ع): الطيره على ما تجعلها إن هونتها تهونت،و إن شددتها تشددت،و إن لم تجعلها شيئا لم تكن شيئا. و دلاله الحديث على كون تأثيرها من التأثيرات النفسانيه ظاهره،

و مثله الحديث المروی من طرق أهل السنه:

ثلاث لا يسلم منها أحد:الطيره و الحسد و الظن.قيل:فما نصنع؟قال:إذا تطيرت فامض،و إذا حسدت فلا تبغ،و إذا ظننت فلا تحقق.

و فی معناه ما فی الكافی،عن القمی عن أبيه عن النوفلی عن السكونی عن أبی عبد الله (ع)قال:قال رسول الله ص: كفاره الطيره التوكل. الخبر و ذلك أن فی التوكل إرجاع أمر التأثير إلى الله تعالى،فلا يبقى للشیء أثر حتى يتضرر به،و فی معناه ما ورد من طرق أهل السنه

على ما فی نهايه ابن الأثير: الطيره شرك و ما منا إلا و لكن الله يذهبه بالتوكل.

و فی المعنى السابق ما روی عن موسى بن جعفر(ع)أنه قال: الشؤم للمسافر فی طريقه سبعه أشياء:الغراب الناعق عن يمينه،و الكلب الناشر لذنبه،و الذئب العاوی الذی يعوی فی وجه الرجل-و هو مقع على ذنبه ثم يرتفع ثم ينخفض ثلاثا،و الظبی السانح عن يمين إلى شمال،و البومه الصارخه،و المرأه الشمطاء تلقى فرجها،و الأتان العضبان يعنی الجدعاء،فمن أوجس فی نفسه منهن شيئا فليقل:اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد فی نفسی-فيعصم من ذلك.

(۱)

ص: ۷۸

۱- ۱) الخبر على ما فی البحار مذكور فی الكافی و الخصال و المحاسن و الفقيه و ما فی المتن مطابق لبعض نسخ الفقيه.

و یلحق بهذا البحث الکلامی فی نحوسه سائر الأمور المعدوده عند العامه مشئومه نحسه کالعطاس مره واحده عند العزم علی أمر و غیر ذلک و قد وردت فی النهی عن التطیر بها و التوکل عند ذلک روایات فی أبواب متفرقه،

و فی النبوی المروی من طرق الفریقین:

لا عدوی (۱)،و لا طیره،و لا هامه،و لا شؤم،و لا صفر،و لا رضاع بعد فصال،و لا تعرب بعد هجره،و لا صمت یوما إلی اللیل،و لا طلاق قبل نکاح،و لا عتق قبل ملک، و لا یتم بعد إدراک.

[بیان]

قوله تعالی:« کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ » النذر إما مصدر کما قیل و المعنی:کذبت ثمود بإنذار نبیهم صالح(ع)،و إما جمع نذیر بمعنی المنذر،و المعنی:کذبت ثمود بالأنبیاء لأن تکذیبهم بالواحد منهم تکذیب منهم بالجمیع لأن رسالتهم واحده لا اختلاف فیها فیکون فی معنی قوله: «کَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِینَ» :الشعراء:۱۴۱،و إما جمع نذیر بمعنی الإنذار و مرجعه إلی أحد المعنیین السابقین.

قوله تعالی:« فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ »تفریع علی التکذیب و السعر جمع سعیر بمعنی النار المشتعله،و احتمل أن یکون بمعنی الجنون و هو أنسب للسیاق،و الظاهر أن المراد بالواحد الواحد العددی،و المعنی:کذبوا به فقالوا:

أ بشرا من نوعنا و هو شخص واحد لا عده له و لا جموع معه نتبعه إنا إذا مستقرون فی ضلال عجیب و جنون.

فیکون هذا القول توجیها منهم لعدم اتباعهم لصالح لفقده العده و القوه و هم قد اعتادوا علی اتباع من عنده ذلک کالملوک و العظماء و قد کان صالح(ع)یدعوهم إلی طاعه نفسه و رفض طاعه عظمائهم کما یحکیه الله سبحانه عنه بقوله: «فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِیعُونِ وَ لا تُطِیعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِینَ» :الشعراء:۱۵۱.

۱- ۱) العدوی مصدر کالأعداء بمعنی تجاوز مرض المریض منه الی غیره کما یقال فی الجرب و الوباء و الجدری و غیرها،و المراد بنفی العدوی کما یفیده مورد الروایه أن یکون العدوی مقتضی المرض من غیر انتساب الی مشیه اللّه تعالی،و الهامه ما کان أهل الجاهلیه یزعمون أن روح القتیل تصیر طائراً یأوی الی قبره و یصیح و یشتکی العطش حتی یؤخذ بثأره،و الصفر هو التصغیر عند سقایه الحیوان و غیره.

و لو أخذ الواحد واحدا نوعيا كان المعنى:أ بشرا هو واحد منا أى هو مثلنا و من نوعنا نتبعه؟و كانت الآيه التاليه مفسره لها.

قوله تعالى:« أَ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ »الاستفهام كسابقه للإنكار و المعنى:أ أنزل الوحى عليه و اختص به من بيننا و لا فضل له علينا؟لا يكون ذلك أبدا،و التعبير بالإلقاء دون الإنزال و نحوه للإشعار بالعجله كما قيل.

و من المحتمل أن يكون المراد نفى أن يختص بإلقاء الذكر من بينهم و هو بشر مثلهم فلو كان الوحى حقا و جاز أن ينزل على البشر لنزل على البشر كلهم فما باله اختص بما من شأنه أن يرزقه الجميع؟فتكون الآيه فى معنى قولهم له كما فى سوره الشعراء: «ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا» :الشعراء:۱۵۴.

و قوله:« بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ »أى شديد البطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بهذا الطريق.

قوله تعالى:« سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذّابُ الْأَشِرُ »حكايه قوله سبحانه لصالح(ع) كالآيتين بعدها.

و المراد بالغد العاقبه من قولهم:إن مع اليوم غدا،يشير سبحانه به إلى ما سينزل عليهم من العذاب فيعلمون عند ذلك علم عيان من هو الكذاب الأشر صالح أو هم؟.

قوله تعالى:« إِنّا مُرْسِلُوا النّاقَهِ فِتْنَهً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ »فى مقام التعليل لما أخبر من أنهم سينزل عليهم العذاب و المفاد أنهم سينزل عليهم العذاب لأنا فاعلون كذا و كذا، و الفتنه الامتحان و الابتلاء،و المعنى:أنا مرسلون-على طريق الإعجاز-الناقه التى يسألونها امتحانا لهم فانتظرهم و اصبر على أذاهم.

قوله تعالى:« وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَهٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ »ضمير الجمع الأول للقوم و الثانى للقوم و الناقه على سبيل التغليب،و القسمه بمعنى المقسوم،و الشرب النصيب من شرب الماء،و المعنى:و خبرهم بعد إرسال الناقه أن الماء مقسوم بين القوم و بين الناقه كل نصيب من الشرب يحضر عنده صاحبه فيحضر القوم عند شربهم و الناقه عند شربها قال تعالى: «قالَ هٰذِهِ ناقَهٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» :الشعراء:۱۵۵.

قوله تعالى:« فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطىٰ فَعَقَرَ »المراد بصاحبهم عاقر الناقه،و التعاطى التناول و المعنى:فنادى القوم عاقر الناقه لعقرها فتناول عقرها فعقرها و قتلها.

قوله تعالى:« فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وٰاحِدَةً فَكٰانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ » المحتظر صاحب الحظيره و هى كالحائط يعمل ليجعل فيه الماشيه،و هشيم المحتظر الشجر اليابس و نحوه يجمعه صاحب الحظيره لماشيته،و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا »إلخ تقدم تفسيره.

قوله تعالى:« كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ »تقدم تفسيره فى نظيره.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ حٰاصِباً إِلاّٰ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنٰاهُمْ بِسَحَرٍ » الحاصب الريح التى تأتى بالحجاره و الحصباء،و المراد بها الريح التى أرسلت فرمتهم بسجيل منضود.

و قال فى مجمع البيان،:سحر إذا كان نكره يراد به سحر من الأسحار يقال:رأيت زيدا سحرا من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت:أتيته بسحر-بالفتح-و أتيته سحر-من غير تنوين-انتهى،و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ »« نِعْمَةً »مفعول له من « نَجَّيْنٰاهُمْ »أى نجيناهم ليكون نعمه من عندنا نخصهم بها لأنهم كانوا شاكرين لنا و جزاء الشكر لنا النجاه.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنٰا فَتَمٰارَوْا بِالنُّذُرِ »ضمير الفاعل فى« أَنْذَرَهُمْ » للوط(ع)،و البطشه الأخذه الشديده بالعذاب،و التمارى الإصرار على الجدال و إلقاء الشك،و النذر الإنذار،و المعنى:أقسم لقد خوفهم لوط أخذنا الشديد فجادلوا فى إنذاره و تخويفه.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ رٰاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنٰا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ »مراودته عن ضيفه طلبهم منه أن يسلم إليهم أضيافه و هم الملائكه،و طمس أعينهم محوها،و قوله:

« فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ »التفات إلى خطابهم تشديدا و تقريعا، و النذر مصدر أريد به ما يتعلق به الإنذار و هو العذاب،و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذٰابٌ مُسْتَقِرٌّ »قال فى مجمع البيان،:و قوله:

« بُكْرَةً »ظرف زمان فإذا كان معرفه بأن تريد بكره يومك تقول:أتيته بكره و غدوه لم تصرفهما فبكره هنا-و قد نون-نكره،و المراد باستقرار العذاب حلوله بهم و عدم تخلفه عنهم.

قوله تعالی:« فَذُوقُوا عَذٰابِی -إلی قوله- مِنْ مُدَّکِرٍ »تقدم تفسیره.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ جٰاءَ آلَ فِرْعَوْنَ اَلنُّذُرُ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا کُلِّهٰا فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِیزٍ مُقْتَدِرٍ » المراد بالنذر الإنذار،و قوله:« کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا »مفصول من غیر عطف لکونه جوابا لسؤال مقدر کأنه لما قیل:« وَ لَقَدْ جٰاءَ آلَ فِرْعَوْنَ اَلنُّذُرُ »قیل:فما فعلوا؟فأجیب بقوله:« کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا »،و فرع علیه قوله:« فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِیزٍ مُقْتَدِرٍ ».

(بحث روائی)

فی روح المعانی،":فی قوله تعالی:« وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ »":أخرج ابن أبی حاتم عن ابن عباس":لو لا أن الله یسره علی لسان الآدمیین-ما استطاع أحد من الخلق أن یتکلم بکلام الله تعالی".:

قال:و أخرج الدیلمی مرفوعا عن أنس مثله.ثم قال:و لعل خبر أنس إن صح لیس تفسیرا للآیه.

أقول:و لیس من البعید أن یکون المراد المعنی الثانی الذی قدمناه فی تفسیر الآیه.

و فی تفسیر القمی،:فی قوله:« فَفَتَحْنٰا أَبْوٰابَ اَلسَّمٰاءِ بِمٰاءٍ مُنْهَمِرٍ »قال:صب بلا قطر- « وَ فَجَّرْنَا اَلْأَرْضَ عُیُوناً فَالْتَقَی اَلْمٰاءُ »قال:ماء السماء و ماء الأرض« عَلیٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَ حَمَلْنٰاهُ »یعنی نوحا« عَلیٰ ذٰاتِ أَلْوٰاحٍ وَ دُسُرٍ »قال:الألواح السفینه و الدسر المسامیر.

و فیه،":فی قوله تعالی:« فَنٰادَوْا صٰاحِبَهُمْ »قال:قدار الذی عقر الناقه،و قوله:« کَهَشِیمِ » قال:الحشیش و النبات.

و فی الکافی،بإسناده عن أبی یزید عن أبی عبد الله(ع): فی حدیث یذکر فیه قصه قوم لوط قال:فکابروه یعنی لوطا حتی دخلوا البیت-فصاح به جبرئیل فقال:یا لوط دعهم- فلما دخلوا أهوی جبرئیل بإصبعه نحوهم-فذهبت أعینهم و هو قول الله عز و جل:« فَطَمَسْنٰا أَعْیُنَهُمْ ».

[سوره القمر (۵۴): الآیات ۴۳ الی ۵۵]

اشاره

أَ کُفّٰارُکُمْ خَیْرٌ مِنْ أُولٰئِکُمْ أَمْ لَکُمْ بَرٰاءَهٌ فِی اَلزُّبُرِ (۴۳) أَمْ یَقُولُونَ نَحْنُ جَمِیعٌ مُنْتَصِرٌ (۴۴) سَیُهْزَمُ اَلْجَمْعُ وَ یُوَلُّونَ اَلدُّبُرَ (۴۵) بَلِ اَلسّٰاعَهُ مَوْعِدُهُمْ وَ اَلسّٰاعَهُ أَدْهیٰ وَ أَمَرُّ (۴۶) إِنَّ اَلْمُجْرِمِینَ فِی ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ (۴۷) یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی اَلنّٰارِ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (۴۸) إِنّٰا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ (۴۹) وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَهٌ کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (۵۰) وَ لَقَدْ أَهْلَکْنٰا أَشْیٰاعَکُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۵۱) وَ کُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی اَلزُّبُرِ (۵۲) وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ (۵۳) إِنَّ اَلْمُتَّقِینَ فِی جَنّٰاتٍ وَ نَهَرٍ (۵۴) فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ (۵۵)

(بيان)

الآيات فی معنی أخذ النتیجه مما أعید ذکره من الأنباء التی فیها مزدجر و هی نبأ الساعه المذکور أولا ثم أنباء الأمم الهالکه المذکوره ثانیا فهی تنعطف أولا علی أنباء الأمم الهالکه فتخاطب قوم النبی ص أن کفارکم لیسوا خیرا من أولئک الأمم الطاغیه الجباره و قد أهلکهم الله علی أذل وجه و أهونه و لا لکم براءه مکتوبه من عذاب الله،و لا أن جمعکم ینفعکم فی الذب عن العقاب.ثم تنعطف إلی ما مر من نبأ الساعه بأنها موعدهم الصعب أن أجرموا و کذبوا و الساعه أدهی و أمر،ثم تشیر إلی موطن المتقین یومئذ و عند ذلک تختتم السوره.

قوله تعالی:« أَ كُفّٰارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِي الزُّبُرِ »الظاهر أنه خطاب لقوم النبی ص من مسلم و کافر علی ما تشعر به الإضافه فی« كُفّٰارُكُمْ »و الخیریه هی الخیریه فی زینه الدنیا و زخارف حیاتها کالمال و البنین أو من جهه الأخلاق العامه فی مجتمعهم کالسخاء

ص :83

و الشجاعه و الشفقه على الضعفاء،و الإشاره بأولئكم إلى الأقوام المذكوره أنباؤهم:قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون،و الاستفهام للإنكار.

و المعنى:ليس الذين كفروا منكم خيرا من أولئكم الأمم المهلكين المعذبين حتى يشملهم العذاب دونكم.

و يمكن أن يكون خطاب« أَ كُفّٰارُكُمْ »لخصوص الكفار بعنايه أنهم قوم النبى ص و فيهم كفار و هم هم.

و قوله:« أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِي الزُّبُرِ »ظاهره أيضا عموم الخطاب،و الزبر جمع زبور و هو الكتاب،و قد ذكروا أن المراد بالزبر الكتب السماويه المنزله على الأنبياء،و المعنى:بل أ لكم براءه فى الكتب السماويه التى نزلت من عند الله أنكم فى أمن من العذاب و المؤاخذه و إن كفرتم و أجرمتم و اقترفتم ما شئتم من الذنوب.

قوله تعالى:« أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ »الجميع المجموع و المراد به وحده مجتمعهم من حيث الإراده و العمل،و الانتصار الانتقام أو التناصر كما فى خطابات يوم القيامه:

«مٰا لَكُمْ لاٰ تَنٰاصَرُونَ» :الصافات:۲۵،و المعنى:بل أ يقولون أى الكفار نحن قوم مجتمعون متحدون ننتقم ممن أرادنا بسوء أو ينصر بعضنا بعضا فلا ننهزم.

قوله تعالى:« سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ »اللام فى« اَلْجَمْعُ »للعهد الذكرى و فى « اَلدُّبُرَ »للجنس، و تولى الدبر الإدبار،و المعنى:سيهزم الجمع الذى يتبجحون به و يولون الأدبار و يفرون.

و فى الآيه إخبار عن مغلوبيه و انهزام لجمعهم،و دلاله على أن هذه المغلوبيه انهزام منهم فى حرب سيقدمون عليها،و قد وقع ذلك فى غزاه بدر،و هذا من ملاحم القرآن الكريم.

قوله تعالى:« بَلِ السّٰاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السّٰاعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ »« أَدْهىٰ »اسم تفضيل من الدهاء و هو عظم البليه المنكره التى ليس إلى التخلص منها سبيل،و« أَمَرُّ »اسم تفضيل من المراره ضد الحلاوه،و فى الآيه إضراب عن إيعادهم بالانهزام و العذاب الدنيوى إلى إيعادهم بما سيجرى عليهم فى الساعه و قد أشير إلى نبئها فى أول الأنباء الزاجره،و الكلام يفيد الترقى.

و المعنى:و ليس الانهزام و العذاب الدنيوى مقام عقوبتهم بل الساعه التى أشرنا إلى نبئها هى موعدهم و الساعه أدهى من كل داهيه و أمر من كل مر.

قوله تعالى:« إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ »جمع سعير و هى النار المسعره و فى الآيه تعليل لما قبلها من قوله:« وَ السّاٰعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ »،و المعنى:إنما كانت الساعه أدهى و أمر لهم لأنهم مجرمون و المجرمون فى ضلال عن موطن السعاده و هو الجنه و نيران مسعره.

قوله تعالى:« يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النّاٰرِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ » السحب جر الإنسان على وجهه،و« يَوْمَ »ظرف لقوله:« فِى ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ »،و« سَقَرَ »من أسماء جهنم و مسها هو إصابتها لهم بحرها و عذابها.

و المعنى:كونهم فى ضلال و سعر فى يوم يجرون فى النار على وجوههم يقال لهم:

ذوقوا ما تصيبكم جهنم بحرها و عذابها.

قوله تعالى:« إِنّاٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ »« كُلَّ شَيْءٍ »منصوب بفعل مقدر يدل عليه « خَلَقْنٰاهُ »و التقدير خلقنا كل شىء خلقناه،و« بِقَدَرٍ »متعلق بقوله:« خَلَقْنٰاهُ »و الباء للمصاحبه،و المعنى:أنا خلقنا كل شىء مصاحبا لقدر.

و قدر الشىء هو المقدار الذى لا يتعداه و الحد و الهندسه التى لا يتجاوزه فى شىء من جانبى الزياده و النقيصه،قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» :الحجر:۲۱،فلكل شىء حد محدود فى خلقه لا يتعداه و صراط ممدود فى وجوده يسلكه و لا يتخطاه.

و الآيه فى مقام التعليل لما فى الآيتين السابقتين من عذاب المجرمين يوم القيامه كأنه قيل:

لما ذا جوزى المجرمون بالضلال و السعر يوم القيامه و أذيقوا مس سقر؟فأجيب بقوله:

« إِنّاٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ »و محصله أن لكل شىء قدرا و من القدر فى الإنسان أن الله سبحانه خلقه نوعا متكاثر الأفراد بالتناسل اجتماعيا فى حياته الدنيا يتزود من حياته الدنيا الداثره لحياته الآخره الباقيه،و قدر أن يرسل إليهم رسولا يدعوهم إلى سعاده الدنيا و الآخره فمن استجاب الدعوه فاز بالسعاده و دخل الجنه و جاور ربه،و من ردها و أجرم فهو فى ضلال و سعر.

و من الخطإ أن يقال:إن الجواب عن السؤال بهذا النحو من المصادره الممنوعه فى الاحتجاج فإن السؤال عن مجازاته تعالى إياهم بالنار لإجرامهم فى معنى السؤال عن تقديره ذلك،فمعنى السؤال:لم قدر الله للمجرمين المجازاه بالنار؟و معنى الجواب:أن الله قدر للمجرمين المجازاه بالنار،أو معنى السؤال:لم يدخلهم الله النار؟و معنى الجواب:أن

الله یدخلهم النار و ذلک مصادره بینه.

و ذلـک لأـن بین فعلنا و بین فعله تعالی فرقا فإنا نتبع فی أفعالنا القوانین و الأصول الکلیه المأخوذه من الکون الخارجی و الوجود العینی،و هی الحاکمه علینا فی إرادتنا و أفعالنا، فإذا أکلنا لجوع أو شـربنا لعطش فإنما نریـد بذلک الشبع و الری لما حصـلنا من الکون الخارجی أن الأکل یفید الشبع و الشرب یفید الری و هو الجواب لو سئلنا عن الفعل.

و بـالجمله أفعالنـا تـابعه للقواعـد الکلیه و الضوابـط العـامه المنتزعه عن الوجود العینی المتفرعه علیه،و أمـا فعله تعـالی فهو نفس الوجود العینی،و الأصول العقلیه الکلیه مأخوذه منه متأخره عنه محکومه له فلا تکون حاکمه فیه متقدمه علیه،قال تعالی: «لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ» :الأنبیاء:۲۳،و قال: «إِنَّ اللّٰهَ یَفْعَلُ مٰا یَشٰاءُ» :الحج:۱۸،و قال:

«الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» :آل عمران:۶۰.

فلاـ سؤال عن فعله تعـالی بلم بمعنی السؤال عن السـبب الخـارجی إذ لا سـبب دونه یعینه فی فعله،و لا بمعنی السؤال عن الأصـل الکلی العقلی الذی یصحح فعله إذ الأصول العقلیه منتزعه عن فعله متأخره عنه.

نعم وقع فی کلامه سبحانه تعلیل الفعل بأحد ثلاثه أوجه:

أحـدها:تعلیل الفعل بما یترتب علیه من الغایات و الفوائد العائده إلی الخلق لا إلیه، لکنه تعلیل للفعل لا لکونه فعلا له سبحانه بل لکونه أمرا واقعـا فی صف الأسـباب و المسببات کمـا فی قوله تعالی:« وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قٰالُوا إِنّٰا نَصٰاریٰ ذٰلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ وَ رُهْبٰاناً وَ أَنَّهُمْ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ» :المائده:۸۲،و قال: «وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْکَنَةُ X-إلی أن قال-X ذٰلِکَ بِمٰا عَصَوْا وَ کٰانُوا یَعْتَدُونَ» :البقره:۶۱.

الثانی:تعلیل فعله تعالی بشـیء من أسـمائه و صـفاته المناسـبه له کتعلیله تعالی مضامین کثیر من الآیات فی کلامه بمثل قوله:« إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ »« وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »« وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ »إلی غیر ذلـک و هو شـائع فی القرآن الکریم،و إذا أجـدت التأمل فی موارده وجدتها من تعلیل الفعل بما له من صـفه خاصه بصفه عامه لفعله تعالی فإن أسماءه تعالی الفعلیه منتزعه عن فعله العام فتعلیل فعل خاص بصـفه من صـفاته و اسم من أسـمائه تعلیل الوجه الخاص فی الفعل بالوجه العام فیه کقوله تعالی: «وَ کَأَیِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ یَرْزُقُهٰا وَ إِیّٰاکُمْ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ» :العنکبوت:۶۰،یعلل قضاء حاجه الدواب

و الإنسان إلى الرزق المسئول بلسان حاجتها بأنه سميع عليم أى أنه خلق كل شىء و الحال أن مسائلهم مسموعه له و أحوالهم معلومه عنده و هما صفتا فعله العام،و قوله: «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ» :البقره:٣٧،يعلل توبته على آدم بأنه تواب رحيم أى صفه فعله هى التوبه و الرحمه.

الثالث:تعليل فعله الخاص بفعله العام و مرجعه فى الحقيقه إلى الوجه الثانى كقوله:

« إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ -إلى أن قال- إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ »فإن القدر و هو كون الشىء محدودا لا يتخطى حده فى مسير وجوده فعل عام له تعالى لا يخلو عنه شىء من الخلق فتعليل العذاب بالقدر من تعليل فعله الخاص بفعله العام و بيان أنه مصداق من مصاديق القدر إذ كان من المقدر فى الإنسان أن لو أجرم برد دعوه النبوه عذب و دخل النار يوم القيامه،و كقوله: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا» :مريم:

٧١،يعلل الورود بالقضاء و هو فعل له عام و الورود خاص بالنسبه إليه.

فتبين أن ما فى كلامه من تعليل فعل من أفعاله إنما هو من تعليل الفعل الخاص بصفته العامه و العله عله للإثبات لا للثبوت،و ليس من المصادره فى شىء.

قوله تعالى:« وَ ما أَمْرُنا إِلاّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ »قال فى المجمع،: اللمح النظر بالعجله و هو خطف البصر.انتهى.

و المراد بالأمر ما يقابل النهى لكنه الأمر التكوينى بإراده وجود الشىء،قال تعالى:

«إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» :يس:٨٢ فهو كلمه كن و لعله لكونه كلمه اعتبر الخبر مؤنثا فقيل:« إِلاّ واحِدَةٌ ».

و الذى يفيده السياق أن المراد بكون الأمر واحده أنه لا يحتاج فى مضيه و تحقق متعلقه إلى تعدد و تكرار بل أمر واحد بإلقاء كلمه كن يتحقق به المتعلق المراد كلمح بالبصر من غير تأن و مهل حتى يحتاج إلى الأمر ثانيا و ثالثا.

و تشبيه الأمر من حيث تحقق متعلقه بلمح بالبصر لا لإفاده أن زمان تأثيره قصير كزمان تحقق اللمح بالبصر بل لإفاده أنه لا يحتاج فى تأثيره إلى مضى زمان و لو كان قصيرا فإن التشبيه باللمح بالبصر فى الكلام يكنى به عن ذلك،فأمره تعالى و هو إيجاده و إراده وجوده لا يحتاج فى تحققه إلى زمان و لا مكان و لا حركه كيف لا؟و نفس الزمان و المكان و الحركه إنما تحققت بأمره تعالى.

و الآیه و إن کانت بحسب مؤداها فی نفسها تعطی حقیقه عامه فی خلق الأشیاء و أن وجودها من حیث إنه فعل الله سبحانه کلمح بالبصر و إن کان من حیث إنه وجود لشیء کذا تدریجیا حاصلا شیئا فشیئا.

إلا أنها بحسب وقوعها فی سیاق إیعاد الکفار بعذاب یوم القیامه ناظره إلی إتیان الساعه و أن أمرا واحدا منه تعالی یکفی فی قیام الساعه و تجدید الخلق بالبعث و النشور فتکون متممه لما أقیم من الحجه بقوله:« إِنّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ ».

فیکون مفاد الآیه الأولی أن عذابهم بالنار علی وفق الحکمه و لا محیص عنه بحسب الإراده الإلهیه لأنه من القدر،و مفاد هذه الآیه أن تحقق الساعه التی یعذبون فیها بمضی هذه الإراده و تحقق متعلقها لا مئونه فیه علیه سبحانه لأنه یکفی فیه أمر واحد منه تعالی کلمح بالبصر.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ أَهْلَکْنا أَشْیاعَکُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ » الأشیاع جمع شیعه و المراد -کما قیل-الأشباه و الأمثال فی الکفر و تکذیب الأنبیاء من الأمم الماضیه.

و المراد بالآیه و الآیتین بعدها تأکید الحجه السابقه التی أقیمت علی شمول العذاب لهم لا محاله.

و محصل المعنی:أن لیس ما أنذرناکم به من عذاب الدنیا و عذاب الساعه مجرد خبر أخبرناکم به و لا قول ألقیناه إلیکم فهذه أشیاعکم من الأمم الماضیه شرع فیهم بذلک فقد أهلکناهم و هو عذابهم فی الدنیا و سیلقون عذاب الآخره فإن أعمالهم مکتوبه مضبوطه فی کتب محفوظه عندنا سنحاسبهم بها و نجازیهم بما عملوا.

قوله تعالی:« وَ کُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی الزُّبُرِ وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ » الزبر کتب الأعمال و تفسیره باللوح المحفوظ سخیف،و المراد بالصغیر و الکبیر صغیر الأعمال و کبیرها علی ما یفیده السیاق.

قوله تعالی:« إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ »أی فی جنات عظیمه الشأن بالغه الوصف و نهر کذلک، قیل:المراد بالنهر الجنس،و قیل:النهر بمعنی السعه.

قوله تعالی:« فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ » المقعد المجلس، الملیک صیغه مبالغه للملک علی ما قیل،و لیس من إشباع کسر لام الملک،و المقتدر القادر العظیم القدره و هو الله سبحانه.

و المراد بالصدق صدق المتقين فی إیمانهم و عملهم أضیف إلیه المقعد لملابسه ما و یمکن أن یراد به کون مقامهم و ما لهم فیه صدقا لا یشوبه کذب فلهم حضور لا غیبه معه، و قرب لا بعد معه،و نعمه لا نقمه معها،و سرور لا غم معه،و بقاء لا فناء معه.

و یمکن أن یراد به صدق هذا الخبر من حیث إنه تبشیر و وعد جمیل للمتقین،و علی هذا ففیه نوع مقابله بین وصف عاقبه المتقین و المجرمین حیث أوعد المجرمون بالعذاب و الضلال و قرر ذلک بأنه من القدر و لن یتخلف،و وعد المتقون بالثواب و الحضور عند ربهم الملیک المقتدر و قرر ذلک بأنه صدق لا کذب فیه.

(بحث روائی)

فی کمال الدین،بإسناده إلی علی بن سالم عن أبی عبد الله(ع) قال: سألته عن الرقی أ تدفع من القدر شیئا؟فقال:هی من القدر.

و قال:إن القدریه مجوس هذه الأمه-و هم الذین أرادوا أن یصفوا الله بعدله-فأخرجوه من سلطانه و فیهم نزلت هذه الآیه:« یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی النّٰارِ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ-ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنّٰا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ ».

أقول:المراد بالقدریه النافون للقدر و هم المعتزله القائلون بالتفویض،و قوله:إنهم مجوس هذه الأمه ذلک لقولهم:إن خالق الأفعال الاختیاریه هو الإنسان و الله خالق لما وراء ذلک فأثبتوا إلهین اثنین کما أثبتت المجوس إلهین اثنین:خالق الخیر و خالق الشر.

و قوله:أرادوا أن یصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه،و ذلک أنهم قالوا بخلق الإنسان لأفعاله فرارا عن القول بالجبر المنافی للعدل فأخرجوا الله من سلطانه علی أعمال عباده بقطع نسبتها عنه تعالی.

و قوله:و فیهم نزلت هذه الآیه،إلخ،المراد به جری الآیات فیهم دون کونهم سببا للنزول و موردا له لما عرفت فی تفسیر الآیات من کونها عامه بحسب السیاق،و فی نزول الآیات فیهم روایات أخری مرویه عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع)،و من طرق أهل السنه أیضا روایات فی هذا المعنی عن ابن عباس و ابن عمر و محمد بن کعب و غیرهم.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد عن حذیفه بن الیمان قال:قال رسول الله ص: إن لکل أمه مجوسا-و إن مجوس هذه الأمه الذین یقولون:لا قدر. الخبر.

أقول:و رواه فی ثواب الأعمال،بإسناده عن الصادق عن آبائه عن علی(ع)و لفظه:

لکل أمه مجوس-و مجوس هذه الأمه الذین یقولون:لا قدر.

و فیه،أخرج ابن مردویه بسند رواه عن ابن عباس قال:قال رسول الله ص: النهر الفضاء و السعه لیس بنهر جار.

و فیه،أخرج أبو نعیم عن جابر قال: بینا رسول الله ص یوما فی مسجد المدینه-فذکر بعض أصحابه الجنه-فقال النبی ص:یا أبا دجانه-أ ما علمت أن من أحبنا و ابتلی بمحبتنا- أسکنه الله تعالی معنا؟ثم تلا« فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ ».

و فی روح المعانی،:فی قوله:« فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ »الآیه،:و

قال جعفر الصادق رضی الله عنه:

مدح المکان بالصدق فلا یقعد فیه إلا أهل الصدق.

(کلام فی القدر)

القدر و هو هندسه الشیء و حد وجوده مما تکرر ذکره فی کلامه تعالی فیما تکلم فیه فی أمر الخلقه،قال تعالی: «وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» :الحجر:۲۱،و ظاهره أن القدر ملازم للإنزال من الخزائن الموجوده عنده تعالی،و أما نفس الخزائن و هی من إبداعه تعالی لا محاله فهی غیر مقدره بهذا القدر الذی یلازم الإنزال و الإنزال إصداره إلی هذا العالم المشهود کما یفیده قوله: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ» :الحدید:۲۵، و قوله: «وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِیَهَ أَزْواجٍ» :الزمر:۶.

و یؤید ذلک ما ورد من تفسیر القدر بمثل العرض و الطول و سائر الحدود و الخصوصیات الطبیعیه الجسمانیه

کما فی المحاسن،عن أبیه عن یونس عن أبی الحسن الرضا(ع)قال: لا یکون إلا ما شاء الله و أراد و قدر و قضی.قلت:فما معنی شاء؟قال:ابتدأ الفعل.

قلت:فما معنی أراد؟قال:الثبوت علیه.قلت:فما معنی قدر؟قال:تقدیر الشیء من طوله و عرضه.قلت:فما معنی قضی؟قال:إذا قضی أمضاه فذلک الذی لا مرد له.

و روی هذا المعنی عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن محمد بن إسحاق عن الرضا(ع)فی خبر مفصل و فیه: فقال:أ و تدری ما قدر؟قال:لا،قال:هو الهندسه من الطول و العرض و البقاء. الخبر.

و من هنـا يظهر أن المراد بكل شـیء فی قوله: «وَ خَلَقَ کُلَّ شَـیْءٍ فَقَـدَّرَهُ تَقْـدِیراً» :الفرقان:۳،و قوله: «إِنّٰا کُلَّ شَـیْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَـدَرٍ» :القمر:۴۹،و قوله: «وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ» :الرعد:۸،و قوله: «الَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ» :طه:۵۰، الأشیاء الواقعه فی عالمنـا المشـهود،من الطبیعیات الواقعه تحت الخلق و الترکیب، أو أن للتقـدیر مرتبتین:مرتبه تعم جمیع ما سوی الله و هی تحـدید أصـل الوجود بالإمکـان و الحـاجه و هـذا یعم جمیع الموجودات مـا خلاـ الله سـبحانه،قال تعالی: «وَ کٰانَ اللّٰهُ بِکُلِّ شَـیْءٍ مُحِیطاً» :النساء:۱۲۶.

و مرتبه تخص عالمنا المشـهود و هی تحدید وجود الأشیاء الموجوده فیه من حیث وجودها و آثار وجودها و خصوصیات کونها بمـا أنهـا متعلقه الوجود و الآثـار بـأمور خـارجه من العلل و الشـرائط فیختلف وجودها و أحوالها باختلاف عللها و شـرائطها فهی مقلوبه بقوالب من داخل و خارج تعین لها من العرض و الطول و الشکل و الهیئه و سائر الأحوال و الأفعال ما یناسبها.

فالتقدیر یهدی هذا النوع من الموجودات إلی ما قدر لها فی مسیر وجودها،قال تعالی:

«الَّذِی خَلَقَ فَسَوّیٰ وَ الَّذِی قَـدَّرَ فَهَدیٰ» :الأعلی:۳،أی هـدی ما خلقه إلی ما قدر له، ثم أتم ذلک بإمضاء القضاء،و فی معناه قوله فی الإنسان: «مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَـدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ» :عبس:۲۰،و یشـیر بقوله:« ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ »إلی أن التقـدیر لا ینافی اختیاریه أفعاله الاختیاریه.

و هـذا النوع من القـدر فی نفسه غیر القضاء الـذی هو الحکم البتی منه تعالی بوجوده «وَ اللّٰهُ یَحْکُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُکْمِهِ» :الرعد:۴۱، فربما قدر و لم یعقبه القضاء کالقدر الذی یقتضـیه بعض العلل و الشـرائط الخارجه ثم یبطل لمانع أو باسـتخلاف سـبب آخر،قال تعالی: «یَمْحُوا اللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ» :الرعد:۳۹،و قال: «مٰا نَنْسَخْ مِنْ آیَهٍ أَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْهٰا أَوْ مِثْلِهٰا» :البقره:۱۰۶،و ربما قدر و تبعه القضاء کما إذا قدر من جمیع الجهات باجتماع جمیع علله و شرائطه و ارتفاع موانعه.

و إلی ذلـک یشـیر قوله(ع)فی خبر المحـاسن السـابق:إذا قضـی أمضاه فـذلک الـذی لا مرد له،و قریب منه ما فی عـده من أخبار القضاء و القدر ما معناه أن القدر یمکن أن یتخلف و أما القضاء فلا یرد.

و عن علی(ع)بطرق مختلفه کما فی التوحید،بإسناده عن ابن نباته: أن أمیر المؤمنین (ع)عدل من عند حائط مائل إلی حائط آخر-فقیل له:یا أمیر المؤمنین تفر من قضاء الله؟قال:أفر من قضاء الله إلی قدر الله عز و جل.

و أما النوع الأول من الموجودات الذی قدره حد وجوده من إمکانه و حاجته فحسب فالقدر و القضاء فیه واحد و لا یتخلف القدر فیه عن التحقق البته.

و البحث العقلی یؤید ما تقدم فإن الأمور التی لها علل مرکبه من فاعل و ماده و شرائط و معدات و موانع فإن لکل منها تأثیرا فی الشیء بما یسانخه فهو کالقالب الذی یقلب به الشیء فیأخذ لنفسه هیئه قالبه و خصوصیته و هذا هو قدره ثم العله التامه إذا اجتمعت أجزاؤه أعطته ضروره الوجود،و هذه هی القضاء الذی لا مرد له،و قد تقدم فی تفسیر أول سوره الإسراء کلام فی القضاء لا یخلو من نفع فی هذا البحث،فلیرجع إلیه.

(۵۵) (سوره الرحمن مکیه أو مدنیه و هی ثمان و سبعون آیه)(۷۸)

[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۱ الی ۳۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

اَلرَّحْمٰنُ (۱) عَلَّمَ اَلْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ (۳) عَلَّمَهُ اَلْبَیٰانَ (۴) اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ (۵) وَ اَلنَّجْمُ وَ اَلشَّجَرُ یَسْجُدٰانِ (۶) وَ
اَلسَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ اَلْمِیزٰانَ (۷) أَلاّٰ تَطْغَوْا فِی اَلْمِیزٰانِ (۸) وَ أَقِیمُوا اَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا اَلْمِیزٰانَ (۹) وَ اَلْأَرْضَ وَضَعَهٰا لِلْأَنٰامِ
(۱۰) فِیهٰا فٰاکِهَهٌ وَ اَلنَّخْلُ ذٰاتُ اَلْأَکْمٰامِ (۱۱) وَ اَلْحَبُّ ذُو اَلْعَصْفِ وَ اَلرَّیْحٰانُ (۱۲) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۱۳) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ مِنْ
صَلْصٰالٍ کَالْفَخّٰارِ (۱۴) وَ خَلَقَ اَلْجَانَّ مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ (۱۵) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۱۶) رَبُّ اَلْمَشْرِقَیْنِ وَ رَبُّ اَلْمَغْرِبَیْنِ (۱۷)
فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۱۸) مَرَجَ اَلْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیٰانِ (۱۹) بَیْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ یَبْغِیٰانِ (۲۰) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۲۱) یَخْرُجُ مِنْهُمَا
اَللُّؤْلُؤُ وَ اَلْمَرْجٰانُ (۲۲) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۲۳) وَ لَهُ اَلْجَوٰارِ اَلْمُنْشَآتُ فِی اَلْبَحْرِ کَالْأَعْلاٰمِ (۲۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ
(۲۵) کُلُّ مَنْ عَلَیْهٰا فٰانٍ (۲۶) وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُو اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِکْرٰامِ (۲۷) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۲۸) یَسْئَلُهُ مَنْ فِی
اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ (۲۹) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۳۰)

(بیان)

تتضـمن السوره الإشـاره إلی خلقه تعـالی العـالم بـأجزائه من سـماء و أرض و بر و بحر و إنس و جن و نظم أجزائه نظما ینتفع به الثقلاـن الإـنس و الجن فی حیاتهمـا و ینقسم بـذلک العالم إلی نشأتین:نشأه دنیا سـتفنی بفناء أهلها،و نشأه أخری باقیه تتمیز فیها السعاده من الشقاء و النعمه من النقمه.

و بـذلک یظهر أن دار الوجود من دنیاها و آخرتها ذات نظام واحـد مؤتلف الأجزاء مرتبط الأبعاض قویم الأرکان یصـلح بعضـه ببعض و یتم شطر منه بشطر.

فما فیه من عین و أثر،من نعمه تعالی و آلائه،و لذا یستفهمهم مره بعد مره استفهاما مشوبا بعتاب بقوله:« فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ »فقد کررت الآیه فی السوره إحدی و ثلاثین مره.

و لذلک افتتحت السوره بذکره تعالی بصفه رحمته العامه الشامله للمؤمن و الکافر و الدنیا و الآخره و اختتمت بالثناء علیه بقوله:« تَبٰارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ ».

و السوره یحتمل کونها مکیه أو مدنیه و إن کان سیاقها بالسیاق المکی أشبه و هی السوره الوحیده فی القرآن افتتحت بعد البسمله باسم من أسماء الله عز اسمه،

و فی المجمع،عن موسی بن جعفر عن آبائه(ع)عن النبی ص قال: لکل شیء عروس -و عروس القرآن سوره الرحمن جل ذکره،: و رواه فی الدر المنثور،عن البیهقی عن علی(ع)عن النبی ص .

قوله تعالی:« اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ »الرحمن کما تقدم فی تفسیر سوره الفاتحه صیغه مبالغه تدل علی کثره الرحمه ببذل النعم و لذلک ناسب أن یعم ما یناله المؤمن و الکافر من نعم الدنیا و ما یناله المؤمن من نعم الآخره،و لعمومه ناسب أن یصدر به الکلام لاشتمال الکلام فی السوره علی أنواع النعم الدنیویه و الأخرویه التی ینتظم بها عالم الثقلین الإنس و الجن.

ذکروا أن الرحمن من الأسماء الخاصه به تعالی لا یسمی به غیره بخلاف مثل الرحیم و الراحم.

و قوله:« عَلَّمَ الْقُرْآنَ »شروع فی عد النعم الإلهیه،و لما کان القرآن أعظم النعم قدرا و شأنا و أرفعها مکانا-لأنه کلام الله الذی یخط صراطه المستقیم و یتضمن بیان نهج السعاده التی هی غایه ما یأمله آمل و نهایه ما یسأله سائل-قدم ذکر تعلیمه علی سائر النعم حتی علی خلق الإنس و الجن اللذین نزل القرآن لأجل تعلیمهما.

و حذف مفعول« عَلَّمَ »الأول و هو الإنسان أو الإنس و الجن و التقدیر علم الإنسان القرآن أو علم الإنس و الجن القرآن،و هذا الاحتمال الثانی و إن لم یتعرضوا له لکنه أقرب الاحتمالین لأن السوره تخاطب فی تضاعیف آیاتها الجن کالإنس و لو لا شمول التعلیم فی قوله:

« عَلَّمَ الْقُرْآنَ »لهم لم یتم ذلک.

و قیل:المفعول المحذوف محمد ص أو جبرئیل و الأنسب للسیاق ما تقدم.

قوله تعالی:« خَلَقَ الْإِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَیٰانَ »ذکر خلق الإنسان و سیذکر خصوصیه خلقه بقوله:« خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰالٍ کَالْفَخّٰارِ »،و الإنسان من أعجب مخلوقات الله تعالی أو هو أعجبها یظهر ذلک بقیاس وجوده إلی وجود غیره من المخلوقات و التأمل فیما

خط له من طريق الكمال فی ظاهره و باطنه و دنياه و آخرته،قال تعالی: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» :التين:۶.

و قوله:« عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » البيان الكشف عن الشیء و المراد به الكلام الكاشف عما فی الضمير،و هو من أعجب النعم و تعليمه للإنسان من عظيم العنايه الإلهيه المتعلقه به فليس الكلام مجرد إيجاد صوت ما باستخدام الرئه و قصبتها و الحلقوم و لا ما يحصل من التنوع فی الصوت الخارج من الحلقوم باعتماده علی مخارج الحروف المختلفه فی الفم.

بل يجعل الإنسان بإلهام باطنی من الله سبحانه الواحد من هذه الأصوات المعتمده علی مخرج من مخارج الفم المسمی حرفا أو المركب من عده من الحروف علامه مشيره إلی مفهوم من المفاهيم يمثل به ما يغيب عن حس السامع و إدراكه فيقدر به علی إحضار أی وضع من أوضاع العالم المشهود و إن جل ما جل أو دق ما دق من موجود أو معدوم ماض أو مستقبل،ثم علی إحضار أی وضع من أوضاع المعانی غير المحسوسه التی ينالها الإنسان بفكره و لا سبيل للحس إليها يحضرها جميعا لسامعه و يمثلها لحسه كأنه يشخصها له بأعيانها.

و لا يتم للإنسان اجتماعه المدنی و لا تقدم فی حياته هذا التقدم الباهر إلا بتنبهه لوضع الكلام و فتحه بذلك باب التفهيم و التفهم،و لو لا ذلك لكان هو و الحيوان العجم سواء فی جمود الحياه و ركودها.

و من أقوی الدليل علی أن اهتداء الإنسان إلی البيان بإلهام إلهی له أصل فی التكوين اختلاف اللغات باختلاف الأمم و الطوائف فی الخصائص الروحيه و الأخلاق النفسانيه و بحسب اختلاف المناطق الطبيعيه التی يعيشون فيها،قال تعالی: «وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ» :الروم:۲۲.

و ليس المراد بقوله:« عَلَّمَهُ الْبَيَانَ »أن الله سبحانه وضع اللغات ثم علمها الإنسان بالوحی إلی نبی من الأنبياء أو بالإلهام فإن الإنسان بوقوعه فی ظرف الاجتماع مندفع بالطبع إلی اعتبار التفهيم و التفهم بالإشارات و الأصوات و هو التكلم و النطق لا يتم له الاجتماع المدنی دون ذلك.

علی أن فعله تعالی هو التكوين و الإيجاد و الرابطه بين اللفظ و معناه اللغوی وضعيه اعتباريه لا حقيقيه خارجيه بل الله سبحانه خلق الإنسان و فطره فطره تؤديه إلی الاجتماع المدنی ثم إلی وضع اللغه بجعل اللفظ علامه للمعنی بحيث إذا ألقی اللفظ إلی سامعه فكأنما

يلقى إليه المعنى ثم إلى وضع الخط بجعل الأشكال المخصوصه علائم للألفاظ فالخط مكمل لغرض الكلام،و هو يمثل الكلام كما أن الكلام يمثل المعنى.

و بالجمله البيان من أعظم النعم و الآلاء الربانيه التى تحفظ لنوع الإنسان موقفه الإنسانى و تهديه إلى كل خير.

هذا ما هو الظاهر المتبادر من الآيتين،و لهم فى معناهما أقوال:فقيل:الإنسان هو آدم (ع)و البيان الأسماء التى علمه الله إياها،و قيل:الإنسان محمد ص و البيان القرآن أو تعليمه المؤمنين القرآن،و قيل:البيان الخير و الشر علمهما الإنسان،و قيل:سبيل الهدى و سبيل الضلال إلى غير ذلك و هى أقوال بعيده عن الفهم.

قوله تعالى:« اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ » الحسبان مصدر بمعنى الحساب،و الشمس مبتدأ و القمر معطوف عليه،و بحسبان خبره،و الجمله خبر بعد خبر لقوله:« اَلرَّحْمٰنُ » و التقدير الشمس و القمر يجريان بحساب منه على ما قدر لهما من نوع الجرى.

قوله تعالى:« وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ »قالوا:المراد بالنجم ما ينجم من النبات و يطلع من الأرض و لا ساق له،و الشجر ما له ساق من النبات،و هو معنى حسن يؤيده الجمع و القرن بين النجم و الشجر و إن كان ربما أوهم سبق ذكر الشمس و القمر كون المراد بالنجم هو الكواكب.

و سجود النجم و الشجر انقيادهما للأمر الإلهى بالنشوء و النمو على حسب ما قدر لهما كما قيل،و أدق منه أنهما يضربان فى التراب بأصولهما و أعراقهما لجذب ما يحتاجان إليه من المواد العنصريه التى يغتذيان بها و هذا السقوط على الأرض إظهارا للحاجه إلى المبدأ الذى يقضى حاجتهما-و هو فى الحقيقه الله الذى يربيهما كذلك-سجود منهما له تعالى.

و الكلام فى إعراب قوله:« وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ »و هو معطوف على الآيه السابقه كالكلام فى قوله:« اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ »و التقدير و النجم و الشجر يسجدان له.

قال فى الكشاف،:فإن قلت:كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن يعنى قوله:

« اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ -إلى قوله- يَسْجُدٰانِ »؟قلت:استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه و السجود له لا لغيره.

و قال فى وجه إخلاء الآيات السابقه -خَلَقَ الْإِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ -عن العاطف ما محصله أن هذه الجمل الأول وارده على سنن التعديد ليكون كل

واحده من الجمل مستقله فی تفریع الذین أنکروا الرحمن و آلاءه کما یبکت منکر أیادی المنعم علیه من الناس بتعدیدها علیه فیقال:زید أغناک بعد فقر،أعزک بعد ذل،کثرک بعد قله،فعل بک ما لم یفعل أحد بأحد فما تنکر من إحسانه؟.

ثم رد الکلام إلی منهاجه بعد التبکیت فی وصل ما یحب وصله للتناسب و التقارب بالعاطف فقیل:« وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ یَسْجُدٰانِ وَ السَّمٰاءَ رَفَعَهٰا »إلخ،انتهی.

قوله تعالی:« وَ السَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ الْمِیزٰانَ »المراد بالسماء إن کان جهه العلو فرفعها خلقها مرفوعه لا رفعها بعد خلقها و إن کان ما فی جهه العلو من الأجرام فرفعها تقدیر محالها بحیث تکون مرفوعه بالنسبه إلی الأرض بالفتق بعد الرتق کما قال تعالی: «أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ کٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا» :الأنبیاء:۳۰، و الرفع علی أی حال رفع حسی.

و إن کان المراد ما یشمل منازل الملائکه الکرام و مصادر الأمر الإلهی و الوحی فالرفع معنوی أو ما یشمل الحسی و المعنوی.

و قوله:« وَ وَضَعَ الْمِیزٰانَ »المراد بالمیزان کل ما یوزن أی یقدر به الشیء أعم من أن یکون عقیده أو قولا أو فعلا و من مصادیقه المیزان الذی یوزن به الأثقال،قال تعالی:

«لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلَنٰا بِالْبَیِّنٰاتِ وَ أَنْزَلْنٰا مَعَهُمُ الْکِتٰابَ وَ الْمِیزٰانَ لِیَقُومَ النّٰاسُ بِالْقِسْطِ» :الحدید:۲۵.

فظاهره مطلق ما یمیز به الحق من الباطل و الصدق من الکذب و العدل من الظلم و الفضیله من الرذیله علی ما هو شأن الرسول أن یأتی به من عند ربه.

و قیل:المراد بالمیزان العدل أی وضع الله العدل بینکم لتسووا به بین الأشیاء بإعطاء کل ذی حق حقه.

و قیل:المراد المیزان الذی یوزن به الأثقال و المعنی الأول أوسع و أشمل.

قوله تعالی:« أَلاّٰ تَطْغَوْا فِی الْمِیزٰانِ وَ أَقِیمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا الْمِیزٰانَ » الظاهر أن المراد بالمیزان المیزان المعروف و هو میزان الأثقال،فقوله:« أَلاّٰ تَطْغَوْا »إلخ علی تقدیر أن یراد بالمیزان فی الآیه السابقه أیضا میزان الأثقال،و هو بیان وضع المیزان، و المعنی أن معنی وضعنا المیزان بینکم هو أن اعدلوا فی وزن الأثقال و لا تطغوا فیه.

و على تقدير أن يراد به مطلق التقدير الحق أو العدل هو استخراج حكم جزئى من حكم كلى،و المعنى أن لازم ما وضعناه من التقدير الحق أو العدل بينكم هو أن تزنوا الأثقال بالقسط و لا تطغوا فيه.

و على أى حال الظاهر أن«إن»فى قوله:« أَلاّ تَطْغَوْا »تفسيريه،و«لا تطغوا» نهى عن الطغيان فى الميزان و« أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ »أمر معطوف عليه،و القسط العدل و« لاٰ تُخْسِرُوا الْمِيزٰانَ »نهى آخر مبين لقوله:« أَلاّٰ تَطْغَوْا إلخ،و مؤكد له.و الإخسار فى الميزان التطفيف به بزياده أو نقيصه بحيث يخسر البائع أو المشترى.

و أما جعل« اَلْمِيزٰانِ »ناصبه و« أَلاّٰ تَطْغَوْا »نفيا،و التقدير:لئلا تطغوا،فيحتاج إلى تكلف توجيه فى عطف الإنشاء على الإخبار فى قوله:« وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ »إلخ.

قوله تعالى:« وَ الْأَرْضَ وَضَعَهٰا لِلْأَنٰامِ » الأنام الناس،و قيل:الإنس و الجن،و قيل:

كل ما يدب على الأرض،و فى التعبير فى الأرض بالوضع قبال التعبير فى السماء بالرفع لطف ظاهر.

قوله تعالى:« فِيهٰا فٰاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذٰاتُ الْأَكْمٰامِ »المراد بالفاكهه الثمره غير التمر، و الأكمام جمع كم بضم الكاف و كسرها وعاء التمر و هو الطلع،و أما كم القميص فهو مضموم الكاف لا غير كما قيل.

قوله تعالى:« وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحٰانُ »معطوف على قوله:« فٰاكِهَةٌ »أى و فيها الحب و الريحان،و الحب ما يقتات به كالحنطه و الشعير و الأرز،و العصف ما هو كالغلاف للحب و هو قشره،و فسر بورق الزرع مطلقا و بورق الزرع اليابس،و الريحان النبات الطيب الرائحه.

قوله تعالى:« فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ » الآلاء جمع إلى بمعنى النعمه.

و الخطاب فى الآيه لعامه الثقلين:الجن و الإنس و يدل على ذلك توجيه الخطاب إليهما صريحا فيما سيأتى من قوله:« سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلاٰنِ »و قوله:« يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ » إلخ،و قوله:« يُرْسَلُ عَلَيْكُمٰا شُوٰاظٌ »إلخ،فلا يصغى إلى قول من قال:إن الخطاب فى الآيه للذكر و الأنثى من بنى آدم،و لا إلى قول من قال:إنه من خطاب الواحد بخطاب الاثنين و يفيد تكرر الخطاب نحو يا شرطى اضربا عنقه أى اضرب عنقه اضرب عنقه.

و توجيه الخطاب إلى عالمى الجن و الإنس هو المصحح لعد ما سنذكره من شدائد يوم

القيامه و عقوبات المجرمين من أهل النار من آلائه و نعمه تعالى،فإن سوق المسيئين و أهل الشقوه فى نظام الكون إلى ما تقتضيه شقوتهم و مجازاتهم بتبعات أعمالهم من لوازم صلاح النظام العام الجارى فى الكل الحاكم على الجميع فذلك نعمه بالقياس إلى الكل و إن كان نقمه بالنسبه إلى طائفه خاصه منهم و هم المجرمون و هذا نظير ما نجده فى السنن و القوانين الجاريه فى المجتمعات فإن التشديد على أهل البغى و الفساد مما يتوقف عليه حياه المجتمع و بقاؤه و ليس يتنعم به أهل الصلاح خاصه كما أن إثابه أهل الصلاح بالثناء الجميل و الأجر الحسن كذلك.

فما فى النار من عذاب و عقاب لأهلها و ما فى الجنه من كرامه و ثواب آلاء و نعم على معشر الجن و الإنس كما أن الشمس و القمر و السماء المرفوعه و الأرض الموضوعه و النجم و الشجر و غيرها آلاء و نعم على أهل الدنيا.

و يظهر من الآيه أن للجن تنعما فى الجمله بهذه النعم المعدوده فى خلال الآيات كما للإنس و إلا لم يصح إشراكهم مع الإنس فى التوبيخ.

قوله تعالى:« خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ » الصلصال الطين اليابس الذى يتردد منه الصوت إذا وطأ،و الفخار الخزف.

و المراد بالإنسان نوعه و المراد بخلقه من صلصال كالفخار انتهاء خلقه إليه،و قيل:

المراد بالإنسان آدم(ع).

قوله تعالى:« وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ » المارج هو اللهب الخالص من النار، و قيل:اللهب المختلط بسواد،و الكلام فى الجان كالكلام فى الإنسان فالمراد به نوع الجن، و عدهم مخلوقين من النار باعتبار انتهاء خلقتهم إليها،و قيل:المراد بالجان أبو الجن.

قوله تعالى:« رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ »المراد بالمشرقين مشرق الصيف و مشرق الشتاء،و بذلك تحصل الفصول الأربعه و تنتظم الأرزاق،و قيل:المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرباهما.

قوله تعالى:« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ » المرج الخلط و المرج الإرسال،يقال:مرجه أى خلطه و مرجه أى أرسله و المعنى الأول أظهر،و الظاهر أن المراد بالبحرين العذب الفرات و الملح الأجاج،قال تعالى: «وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً

تَلْبَسُونَهٰا» :فاطر:١٢.

و أمثل ما قيل فى الآيتين أن المراد بالبحرين جنس البحر المالح الذى يغمر قريبا من ثلاثه أرباع الكره الأرضيه من البحار المحيطه،و غير المحيطه و البحر العذب المدخر فى مخازن الأرض التى تنفجر الأرض عنها فتجرى العيون و الأنهار الكبيره فتصب فى البحر المالح،و لا يزالان يلتقيان،و بينهما حاجز و هو نفس المخازن الأرضيه و المجارى يحجز البحر المالح أن يبغى على البحر العذب فيغشيه و يبدله بحرا مالحا و تبطل بذلك الحياه، و يحجز البحر العذب أن يزيد فى الانصباب على البحر المالح فيبدله ماء عذبا فتبطل بذلك مصلحه ملوحته من تطهير الهواء و غيره.

و لا يزال البحر المالح يمد البحر العذب بالأمطار التى تأخذها منه السحب فتمطر على الأرض و تدخرها المخازن الأرضيه و البحر العذب يمد البحر المالح بالانصباب عليه.

فمعنى الآيتين-و الله أعلم-خلط البحرين العذب الفرات و الملح الأجاج حال كونهما مستمرين فى تلاقيهما بينهما حاجز لا يطغيان بأن يغمر أحدهما الآخر فيذهب بصفته من العذوبه و الملوحه فيختل نظام الحياه و البقاء.

قوله تعالى:« يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ »أى من البحرين العذب و المالح جميعا و ذلك من فوائدهما التى ينتفع بها الإنسان،و قد تقدم فيه الكلام فى تفسير قوله تعالى:

«وَ مٰا يَسْتَوِي الْبَحْرٰانِ» Xالآيه X،:فاطر:١٢.

قوله تعالى:« وَ لَهُ الْجَوٰارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلاٰمِ » الجوارى جمع جاريه و هى السفينه،و المنشئات اسم مفعول من الإنشاء و هو إحداث الشىء و تربيته،و الأعلام جمع علم بفتحتين و هو الجبل.

و عد الجوارى مملوكه له تعالى مع كونها من صنع الإنسان لأن الأسباب العامله فى إنشائها من خشب و حديد و سائر أجزائها التى تتركب منها و الإنسان الذى يركبها و شعوره و فكره و إرادته كل ذلك مخلوق له و مملوك فما ينتجه عملها من ملكه.

فهو تعالى المنعم بها للإنسان ألهمه طريق صنعها و المنافع المترتبه عليها و سبيل الانتفاع بمنافعها الجمه.

قوله تعالى:« كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ »ضمير« عَلَيْهٰا » للأرض أى كل ذى شعور و عقل على الأرض سيفنى و فيه تسجيل الزوال و الدثور على الثقلين.

و إنما أتى باللفظ الدال على أولى العقل-كل من عليها-و لم يقل:كل ما عليها كذلك لأن الكلام مسرود فى السوره لتعداد نعمه و آلائه تعالى للثقلين فى نشأتيهم الدنيا و الآخره.

و ظهور قوله:« فَانٍ »فى الاستقبال كما يستفاد أيضا من السياق يعطى أن قوله:

« كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ »يشير إلى انقطاع أمد النشأه الدنيا و ارتفاع حكمها بفناء من عليها و هم الثقلان و طلوع النشأه الأخرى عليهم،و كلاهما أعنى فناء من عليها و طلوع نشأه الجزاء عليهم من النعم و الآلاء لأن الحياه الدنيا حياه مقدميه لغرض الآخره و الانتقال من المقدمه إلى الغرض و الغايه نعمه.

و بذلك يندفع قول من قال:أى نعمه فى الفناء حتى يجعل من النعم و يعد من الآلاء.

و محصل الجواب أن حقيقه هذا الفناء الرجوع إلى الله بالانتقال من الدنيا كما تفسره آيات كثيره فى كلامه تعالى و ليس هو الفناء المطلق.

و قوله:« وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ » وجه الشىء ما يستقبل به غيره و يقصده به غيره،و هو فيه سبحانه صفاته الكريمه التى تتوسط بينه و بين خلقه فتنزل بها عليهم البركات من خلق و تدبير كالعلم و القدره و السمع و البصر و الرحمه و المغفره و الرزق و قد تقدم فى تفسير سوره الأعراف كلام مبسوط فى كون أسمائه و صفاته تعالى وسائط بينه و بين خلقه.

و قوله:« ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ »فى الجلال شىء من معنى الاعتلاء و الترفع المعنوى على الغير فيناسب من الصفات ما فيه شائبه الدفع و المنع كالعلو و التعالى و العظمه و الكبرياء و التكبر و الإحاطه و العزه و الغلبه.

و يبقى للإكرام من المعنى ما فيه نعت البهاء و الحسن الذى يجذب الغير و يولهه كالعلم و القدره و الحياه و الرحمه و الجود و الجمال و الحسن و نحوها و تسمى صفات الجمال كما تسمى القسم الأول صفات الجلال و تسمى الأسماء أيضا على حسب ما فيها من صفات الجمال أو الجلال بأسماء الجمال أو الجلال.

فذو الجلال و الإكرام اسم من الأسماء الحسنى جامع بمفهومه بين أسماء الجمال و أسماء الجلال جميعا.

و المسمى به بالحقيقه هو الذات المقدسه كما فى قوله فى آخر السوره:« تَبٰارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ »لكن أجرى فى هذه الآيه- وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ -

على الوجه،و هو إما لكونه وصفا مقطوعا عن الوصفيه للمدح،و التقدير هو ذو الجلال و الإكرام، و إما لأن المراد بالوجه كما تقدم هو صفته الكريمه و اسمه المقدس و إجراء الاسم على الاسم مآله إلى إجراء الاسم على الذات.

و معنى الآيه على تقدير أن يراد بالوجه ما يستقبل به الشيء غيره و هو الاسم-و من المعلوم أن بقاء الاسم (1)فرع بقاء المسمى-و يبقى ربك عز اسمه بما له من الجلال و الإكرام من غير أن يؤثر فناؤهم فيه أثرا أو يغير منه شيئا.

و على تقدير أن يراد بالوجه ما يقصده به غيره و مصداقه كل ما ينتسب إليه تعالى فيكون مقصودا بنحو للمتوجه إليه كأنبيائه و أوليائه و دينه و ثوابه و قربه و سائر ما هو من هذا القبيل فالمعنى:و يبقى بعد فناء أهل الدنيا ما هو عنده تعالى و هو من صقعه و ناحيته كأنواع الجزاء و الثواب و القرب منه،قال تعالى: «مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ» :النحل:٩۶.

و قد تقدم في تفسير قوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ» :القصص:٨٨ من الكلام بعض ما لا يخلو من نفع في المقام.

قوله تعالى:« يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »سؤالهم سؤال حاجه فهم في حاجه من جميع جهاتهم إليه تعالى متعلقو الوجودات به متمسكون بذيل غناه و جوده،قال تعالى: «أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَى اللّٰهِ وَ اللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ» :فاطر:١۵،و قال في هذا المعنى من السؤال: «وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ» :إبراهيم:٣۴.

و قوله:« كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »تنكير« شَأْنٍ »للدلاله على التفرق و الاختلاف فالمعنى:

كل يوم هو تعالى في شأن غير ما في سابقه و لاحقه من الشأن فلا يتكرر فعل من أفعاله مرتين و لا يماثل شأن من شئونه شأنا آخر من جميع الجهات و إنما يفعل على غير مثال سابق و هو الإبداع،قال تعالى: «بَدِيعُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» :البقره:١١٧.

و معنى ظرفيه اليوم إحاطته تعالى في مقام الفعل على الأشياء فهو سبحانه في كل زمان و ليس في زمان و في كل مكان و ليس في مكان و مع كل شيء و لا يداني شيئا.

١- ١) المراد بالاسم ما يحكى عنه الاسم اللفظي دون اللفظ الحاكي.

(بحث روائی)

فی الکافی،روی محمد بن المنکدر عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله ص الرحمن علی الناس سکتوا-فلم یقولوا شیئا،فقال رسول الله ص:الجن کانوا أحسن جوابا منکم-لما قرأت علیهم« فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ »قالوا:لا و لا بشیء من آلاء ربنا نکذب.:

أقول:و روی هذا المعنی فی الدر المنثور،عن عده من أصحاب الجوامع-و صححه- عن ابن عمر عنه(ص) .

و فی العیون،بإسناده عن الرضا(ع): فیما سأل الشامی علیا(ع)و فیه:سأله عن اسم أبی الجن فقال:شؤمان و هو الذی خلق من مارج من نار.

و فی الاحتجاج،عن علی(ع)فی حدیث: و أما قوله:« رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ » فإن مشرق الشتاء علی حده و مشرق الصیف علی حده.أ ما تعرف ذلک من قرب الشمس و بعدها؟:

أقول:و روی هذا المعنی القمی فی تفسیره،مرسلا مضمرا .

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن ابن عباس": فی قوله:« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ » قال:علی و فاطمه« بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ »قال:النبی ص« يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ » قال:الحسن و الحسین.:

أقول:و رواه أیضا عن ابن مردویه عن أنس بن مالک مثله،و رواه فی مجمع البیان، عن سلمان الفارسی و سعید بن جبیر و سفیان الثوری . و هو من البطن.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ »قال من علی وجه الأرض « وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ »قال:دین ربک،و

قال علی بن الحسین(ع): نحن الوجه الذی یؤتی الله منه.

و فی مناقب ابن شهرآشوب،:قوله:« وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ »

قال الصادق(ع): نحن وجه الله.

أقول:و فی معنی هاتین الروایتین غیرهما،و قد تقدم ما یوجه به تفسیر الوجه بالدین و بالإمام.

و فی الکافی،فی خطبه لعلی(ع): الحمد لله الذی لا یموت و لا ینقضی عجائبه-لأنه کل یوم هو فی شأن من إحداث بدیع لم یکن.

و فی تفسیر القمی،":فی الآیه قال:یحیی و یمیت و یزید و ینقص.

و فی المجمع،عن أبی الدرداء عن النبی ص: فی قوله:« کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ »قال:من شأنه أن یغفر ذنبا،و یفرج کربا،و یرفع قوما،و یضع آخرین.:

أقول:و رواه عنه فی الدر المنثور،و روی ما فی معناه عن ابن عمر عنه(ص)و لفظه:

یغفر ذنبا و یفرج کربا.

[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۳۱ الی ۷۸]

اشاره

سَنَفْرُغُ لَکُمْ أَیُّهَ اَلثَّقَلاٰنِ (۳۱) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۳۲) یٰا مَعْشَرَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ إِنِ اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطٰارِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ فَانْفُذُوا لاٰ تَنْفُذُونَ إِلاّٰ بِسُلْطٰانٍ (۳۳) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۳۴) یُرْسَلُ عَلَیْکُمٰا شُوٰاظٌ مِنْ نٰارٍ وَ نُحٰاسٌ فَلاٰ تَنْتَصِرٰانِ (۳۵) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۳۶) فَإِذَا اِنْشَقَّتِ اَلسَّمٰاءُ فَکٰانَتْ وَرْدَةً کَالدِّهٰانِ (۳۷) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۳۸) فَیَوْمَئِذٍ لاٰ یُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ (۳۹) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۰) یُعْرَفُ اَلْمُجْرِمُونَ بِسِیمٰاهُمْ فَیُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِی وَ اَلْأَقْدٰامِ (۴۱) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۲) هٰذِهِ جَهَنَّمُ اَلَّتِی یُکَذِّبُ بِهَا اَلْمُجْرِمُونَ (۴۳) یَطُوفُونَ بَیْنَهٰا وَ بَیْنَ حَمِیمٍ آنٍ (۴۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۵) وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ (۴۶) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۷) ذَوٰاتٰا أَفْنٰانٍ (۴۸) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۴۹) فِیهِمٰا عَیْنٰانِ تَجْرِیٰانِ (۵۰) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۵۱) فِیهِمٰا مِنْ کُلِّ فٰاکِهَةٍ زَوْجٰانِ (۵۲) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۵۳) مُتَّکِئِینَ عَلیٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَی اَلْجَنَّتَیْنِ دٰانٍ (۵۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۵۵) فِیهِنَّ قٰاصِرٰاتُ اَلطَّرْفِ لَمْ یَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۵۶) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۵۷) کَأَنَّهُنَّ اَلْیٰاقُوتُ وَ اَلْمَرْجٰانُ (۵۸) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۵۹) هَلْ جَزٰاءُ اَلْإِحْسٰانِ إِلاَّ اَلْإِحْسٰانُ (۶۰) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۶۱) وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ (۶۲) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۶۳) مُدْهٰامَّتٰانِ (۶۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۶۵) فِیهِمٰا عَیْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ (۶۶) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۶۷) فِیهِمٰا فٰاکِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ (۶۸) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۶۹) فِیهِنَّ خَیْرٰاتٌ حِسٰانٌ (۷۰) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۷۱) حُورٌ مَقْصُورٰاتٌ فِی اَلْخِیٰامِ (۷۲) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۷۳) لَمْ یَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۷۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۷۵) مُتَّکِئِینَ عَلیٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِیٍّ حِسٰانٍ (۷۶) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ (۷۷) تَبٰارَکَ اِسْمُ رَبِّکَ ذِی اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِکْرٰامِ (۷۸)

(بيان)

هذا هو الفصل الثانى من آيات السوره يصف نشأه الثقلين الثانيه و هى نشأه الرجوع إلى الله و جزاء الأعمال و يعد آلاء الله تعالى عليهم كما كانت الآيات السابقه فصلا أولا يصف النشأه الأولى و يعد آلاء الله فيها عليهم.

قوله تعالى:« سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلاٰنِ »يقال: فرغ فلان لأمر كذا إذا كان مشتغلا قبلا بأمور ثم تركها و قصر الاشتغال بذاك الأمر اهتماما به.

فمعنى« سَنَفْرُغُ لَكُمْ »سنطوى بساط النشأه الأولى و نشتغل بكم،و تبين الآيات التاليه أن المراد بالاشتغال بهم بعثهم و حسابهم و مجازاتهم بأعمالهم خيرا أو شرا فالفراغ لهم استعاره بالكنايه عن تبدل النشأه.

و لا ينافى الفراغ لهم كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن فإن الفراغ المذكور ناظر إلى تبدل النشأه و كونه لا يشغله شأن عن شأن ناظر إلى إطلاق القدره و سعتها كما لا ينافى كونه تعالى كل يوم هو فى شأن الناظر إلى اختلاف الشئون كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

و الثقلان الجن و الإنس،و إرجاع ضمير الجمع فى« لَكُمْ »و« إِنِ اسْتَطَعْتُمْ »و غيرهما إليهما لكونهما جمعا ذا أفراد.

قوله تعالى:« يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطٰارِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا »إلخ،الخطاب-على ما يفيده السياق-من خطابات يوم القيامه و هو خطاب تعجيزى.

و المراد بالاستطاعه القدره،و بالنفوذ من الأقطار الفرار،و الأقطار جمع قطر و هو الناحيه.

و المعنى:يا معشر الجن و الإنس-و قدم الجن لأنهم على الحركات السريعه أقدر- إن قدرتم أن تفروا بالنفوذ من نواحى السماوات و الأرض و الخروج من ملك الله و التخلص من مؤاخذته ففروا و انفذوا.

و قوله:« لاَ تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ »أى لا تقدرون على النفوذ إلا بنوع من السلطه على ذلک و ليس لکم و السلطان القدره الوجوديه،و السلطان البرهان أو مطلق الحجه، و السلطان الملک.

و قيل:المراد بالنفوذ المنفى فى الآيه النفوذ العلمى فى السماوات و الأرض من أقطارهما، و قد عرفت أن السياق لا يلائمه.

قوله تعالى:« يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ » الشواظ -على ما ذكره الراغب-اللهب الذى لا دخان فيه،و يقرب منه ما فى المجمع،أنه اللهب الأخضر المنقطع من النار،و النحاس الدخان و قال الراغب:هو اللهب بلا دخان و المعنى ظاهر.

و قوله:« فَلا تَنْتَصِرانِ »أى لا تتناصران بأن ينصر بعضكم بعضا لرفع البلاء و التخلص عن العناء لسقوط تأثير الأسباب و لا عاصم اليوم من الله.

قوله تعالى:« فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ »أى كانت حمراء كالدهان و هو الأديم الأحمر.

قوله تعالى:« فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ »الآيه و ما يتلوها من الآيات إلى آخر السوره تصف الحساب و الجزاء تصف حال المجرمين و الخائفين مقام ربهم و ما ينتهى إليه.

ثم الآيه تصف سرعه الحساب و قد قال تعالى: «وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ» :النور:۳۹.

و المراد بيومئذ يوم القيامه،و السؤال المنفى هو النحو المألوف من السؤال،و لا ينافى نفى السؤال فى هذه الآيه إثباته فى قوله: «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» :الصافات:۲۴ و قوله: «فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» :الحجر:۹۲،لأن اليوم ذو مواقف مختلفه يسأل فى بعضها،و يختم على الأفواه فى بعضها و تكلم الأعضاء،و يعرف بالسيماء فى بعضها.

قوله تعالى:« يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ »فى مقام الجواب عن سؤال مقدر كأنه قيل:فإذا لم يسألوا عن ذنبهم فما يصنع بهم؟فأجيب بأنه يعرف المجرمون بسيماهم إلخ،و لذا فصلت الجمله و لم يعطف،و المراد بسيماهم علامتهم البارزه فى وجوههم.

و قوله:« فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ »الكلام متفرع على المعرفه المذكوره،و النواصى

جمع ناصیه و هی شعر مقدم الرأس،و الأقدام جمع قدم،و قوله:« بِالنَّوٰاصِی »نائب فاعل یؤخذ.

و المعنی:-لا یسأل أحد عن ذنبه-یعرف المجرمون بعلامتهم الظاهره فی وجوههم فیؤخذ بالنواصی و الأقدام من المجرمین فیلقون فی النار.

قوله تعالی:« هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی یُکَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ -إلی قوله -آنٍ» مقول قول مقدر أی یقال یومئذ هذه جهنم التی یکذب بها المجرمون،و قال الطبرسی:و یمکن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم یؤخذون بالنواصی و الأقدام قال للنبی ص:هذه جهنم التی یکذب بها المجرمون من قومک فسیردونها فلیهن علیک أمرهم.انتهی.

و الحمیم الماء الحار،و الآنی الذی انتهت حرارته و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ »شروع فی وصف حال السعداء من الخائفین مقام ربهم،و المقام مصدر میمی بمعنی القیام مضاف إلی فاعله،و المراد قیامه تعالی علیه بعمله و هو إحاطته تعالی و علمه بما عمله و حفظه له و جزاؤه علیه قال تعالی:

«أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ» :الرعد:۳۳.

و یمکن أن یکون المقام اسم مکان و الإضافه لامیه و المراد به مقامه و موقفه تعالی من عبده و هو أنه تعالی ربه الذی یدبر أمره و من تدبیر أمره أنه دعاه بلسان رسله إلی الإیمان و العمل الصالح و قضی أن یجازیه علی ما عمل خیرا أو شرا هذا و هو محیط به و هو معه سمیع بما یقول بصیر بما یعمل لطیف خبیر.

و الخوف من الله تعالی ربما کان خوفا من عقابه تعالی علی الکفر به و معصیته،و لازمه أن یکون عباده من یعبده خوفا بهذا المعنی یراد بها التخلص من العقاب لا لوجه الله محضا و هو عباده العبید یعبدون موالیهم خوفا من السیاسه کما أن عباده من یعبده طمعا فی الثواب غایتها الفوز بما تشتهیه النفس دون وجهه الکریم و هی عباده التجار کما فی الروایات و قد تقدم شطر منها.

و الخوف المذکور فی الآیه- وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ -ظاهره غیر هذا الخوف فإن هذا خوف من العقاب و هو غیر الخوف من قیامه تعالی علی عبده بما عمل أو الخوف من مقامه تعالی من عبده فهو تأثر خاص ممن لیس له إلا الصغار و الحقاره تجاه ساحه العظمه و الکبریاء،و ظهور أثر المذله و الهوان و الاندکاک قبال العزه و الجبروت المطلقین.

و عبادته تعالى خوفا منه بهذا المعنى من الخوف خضوع له تعالى لأنه الله ذو الجلال و الإكرام لا لخوف من عقابه و لا طمعا فى ثوابه بل فيه إخلاص العمل لوجهه الكريم، و هذا المعنى من الخوف هو الذى وصف الله به المكرمين من ملائكته و هم معصومون آمنون من عقاب المخالفه و تبعه المعصيه قال تعالى: «يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ» :النحل:۵۰.

فتبين مما تقدم أن الذين أشار إليهم بقوله:« وَ لِمَنْ خافَ » أهل الإخلاص الخاضعون لجلاله تعالى العابدون له لأنه الله عز اسمه لا خوفا من عقابه و لا طمعا فى ثوابه،و لا يبعد أن يكونوا هم الذين سموا سابقين فى قوله: «وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً X-إلى أن قال-X وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» :الواقعه:۱۱.

و قوله:« جَنَّتانِ »قيل:إحداهما منزله و محل زياره أحبابه له و الأخرى منزل أزواجه و خدمه،و قيل:بستانان بستان داخل قصره و بستان خارجه،و قيل:منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر ليكمل به التذاذه،و قيل:جنه لعقيدته و جنه لعمله، و قيل:جنه لفعل الطاعات و جنه لترك المعاصى،و قيل:جنه جسمانيه و جنه روحانيه و هذه الأقوال-كما ترى-لا دليل على شىء منها.

و قيل:جنه يثاب بها و جنه يتفضل بها عليه،و يمكن أن يستشعر ذلك من قوله تعالى: «لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ» :ق:۳۵،على ما مر فى تفسيره.

قوله تعالى:« ذَواتا أَفْنانٍ » ذواتا تثنيه ذات،و« أَفْنانٍ »إما جمع فن بمعنى النوع و المعنى:ذواتا أنواع من الثمار و نحوها،و إما جمع فنن بمعنى الغصن الرطب اللين و المعنى:

ذواتا أغصان لينه أشجارهما.

قوله تعالى:« فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ »و قد أبهمت العينان و فيه دلاله على فخامه أمرهما.

قوله تعالى:« فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَهٍ زَوْجانِ »أى صنفان قيل:صنف معروف لهم شاهدوه فى الدنيا و صنف غير معروف لم يروه فى الدنيا،و قيل:غير ذلك،و لا دلاله فى الكلام على شىء من ذلك.

قوله تعالى:« مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ »إلخ، الفرش جمع فراش، و البطائن جمع بطانه و هى داخل الشىء و جوفه مقابل الظهائر جمع ظهاره،و الإستبرق الحرير الغليظ قال فى المجمع،:ذكر البطانه و لم يذكر الظهاره لأن البطانه تدل على أن لها ظهاره و البطانه دون الظهاره فدل على أن الظهاره فوق الإستبرق،انتهى.

و قوله:« وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ » الجنى الثمر المجتنى و« دٰانٍ »اسم فاعل من الدنو بمعنى القرب أى ما يجتنى من ثمار الجنتين قريب.

قوله تعالى:« فِيهِنَّ قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ »إلى آخر الآيه ضمير« فِيهِنَّ »للفرش و جوز أن يرجع إلى الجنان فإنها جنان لكل واحد من أولياء الله منها جنتان،و الطرف جفن العين،و المراد بقصور الطرف اكتفاؤهن بأزواجهن فلا يردن غيرهم.

و قوله:« لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ » الطمث الافتضاض و النكاح بالتدميه، و المعنى:لم يمسسهن بالنكاح إنس و لا جان قبل أزواجهن.

قوله تعالى:« كَأَنَّهُنَّ الْيٰاقُوتُ وَ الْمَرْجٰانُ »أى فى صفاء اللون و البهاء و التلالؤ.

قوله تعالى:« هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلاَّ الْإِحْسٰانُ »استفهام إنكارى فى مقام التعليل لما ذكر من إحسانه تعالى عليهم بالجنتين و ما فيهما من أنواع النعم و الآلاء فيفيد أنه تعالى يحسن إليهم هذا الإحسان جزاء لإحسانهم بالخوف من مقام ربهم.

و تفيد الآيه أن ما أوتوه من الجنه و نعيمها جزاء لأعمالهم و أما ما يستفاد من بعض الآيات أنهم يعطون فضلا وراء جزاء أعمالهم فلا تعرض فى هذه الآيات لذلک إلا أن يقال:

الإحسان إنما يتم إذا كان يربو على ما أحسن به المحسن إليه فإطلاق الإحسان فى قوله:« إِلاَّ الْإِحْسٰانُ »يفيد الزياده.

قوله تعالى:« وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ »ضمير التثنيه للجنتين الموصوفتين فى الآيات السابقه و معنى« مِنْ دُونِهِمٰا »أى أنزل درجه و أحط فضلا و شرفا منهما و إن كانتا شبيهتين بالجنتين السابقتين فى نعمهما و آلائهما،و قد تقدم أن الجنتين السابقتين لأهل الإخلاص الخائفين مقام ربهم فهاتان الجنتان لمن دونهم من المؤمنين العابدين لله سبحانه خوفا من النار أو طمعا فى الجنه و هم أصحاب اليمين.

و قيل:معنى« مِنْ دُونِهِمٰا »بالقرب منهما،و يستفاد من السياق حينئذ أن هاتين الجنتين أيضا لأهل الجنتين المذكورتين قبلا بل ادعى بعضهم أن هاتين الجنتين أفضل من السابقتين و الصفات المذكوره فيهما أمدح.

و أنت بالتدبر فيما قدمناه فى معنى لمن خاف مقام ربه و ما يستفاد من كلامه تعالى أن أهل الجنه صنفان:المقربون أهل الإخلاص و أصحاب اليمين تعرف قوه الوجه السابق.

قوله تعالی:« مُدْهٰامَّتٰانِ » الادهیمام من الدهمه اشتداد الخضره بحیث تضرب إلی السواد و هو ابتهاج الشجره.

قوله تعالی:« فِیهِمٰا عَیْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ »أی فوارتان تخرجان من منبعهما بالدفع.

قوله تعالی:« فِیهِمٰا فٰاکِهَهٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ »المراد بالفاکهه و الرمان شجرتهما بقرینه النخل.

قوله تعالی:« فِیهِنَّ خَیْرٰاتٌ حِسٰانٌ »ضمیر« فِیهِنَّ »للجنان باعتبار أنها جنتان من هاتین الجنتین،و قیل:مرجع الضمیر الجنات الأربع المذکوره فی الآیات،و قیل:

الضمیر للفاکهه و النخل و الرمان.

و أکثر ما یستعمل الخیر فی المعانی کما أن أکثر استعمال الحسن فی الصور،و علی هذا فمعنی خیرات حسان أنهن حسان فی أخلاقهن حسان فی وجوههن.

قوله تعالی:« حُورٌ مَقْصُورٰاتٌ فِی الْخِیٰامِ » الخیام جمع خیمه و هی الفسطاط،و کونهن مقصورات فی الخیام أنهن مصونات غیر مبتذلات لا نصیب لغیر أزواجهن فیهن.

قوله تعالی:« لَمْ یَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ »تقدم معناه.

قوله تعالی:« مُتَّکِئِینَ عَلیٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِیٍّ حِسٰانٍ »فی الصحاح،: الرفرف ثیاب خضر تتخذ منها المجالس.انتهی.و قیل:هی الوسائد،و قیل:غیر ذلک،و الخضر جمع أخضر صفه لرفرف،و العبقری قیل:الزرابی،و قیل:الطنافس،و قیل:الثیاب الموشاه،و قیل:الدیباج.

قوله تعالی:« تَبٰارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ »ثناء جمیل له تعالی بما امتلأت النشأتان الدنیا و الآخره بنعمه و آلائه و برکاته النازله من عنده برحمته الواسعه،و بذلک یظهر أن المراد باسمه المتبارک هو الرحمن المفتتحه به السوره،و التبارک کثره الخیرات و البرکات الصادره.

فقوله:« تَبٰارَکَ اسْمُ رَبِّکَ »تبارک الله المسمی بالرحمن بما أفاض هذه الآلاء.

و قوله:« ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ »إشاره إلی تسمیه بأسمائه الحسنی و اتصافه بما یدل علیه من المعانی الوصفیه و نعوت الجلال و الجمال،و لصفات الفاعل ظهور فی أفعاله و أثر فیها یرتبط به الفعل بفاعله فهو تعالی خلق الخلق و نظم النظام لأنه بدیع خالق مبدئ فأتقن الفعل لأنه علیم حکیم و جازی أهل الطاعه بالخیر لأنه ودود شکور غفور رحیم

و أهل الفسق بالشر لأنه منتقم شديد العقاب.

فتوصيف الرب-الذى أثنى على سعه رحمته-بذى الجلال و الإكرام للإشاره إلى أن لأسمائه الحسنى و صفاته العليا دخلا فى نزول البركات و الخيرات من عنده،و أن نعمه و آلاءه عليها طابع أسمائه الحسنى و صفاته العليا تبارك و تعالى.

(بحث روائى)

فى المجمع،:و قد جاء فى الخبر: يحاط على الخلق بالملائكه-و بلسان من نار ثم ينادون:

«يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ -إلى قوله- يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ ».:

أقول:و روى هذا المعنى عن مسعده بن صدقه عن كليب عن أبى عبد الله(ع) .

و فى الكافى،بإسناده عن داود الرقى عن أبى عبد الله(ع): فى قول الله عز و جل:

« وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ »قال:من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول-و يعلم ما يعمله من خير أو شر-فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال-فذلك الذى خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى شيبه و أحمد و ابن منيع و الحكيم فى نوادر الأصول و النسائى و البزار و أبو يعلى و ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن المنذر و الطبرانى و ابن مردويه عن أبى الدرداء: أن النبى ص قرأ هذه الآيه« وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ »فقلت:

«أ و إن زنى و إن سرق يا رسول الله؟فقال النبى ص الثانيه« وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ »فقلت:و إن زنى و إن سرق؟فقال:نعم و إن رغم أنف أبى الدرداء.

أقول:الروايه لا تخلو من شىء فإن الخوف من مقامه تعالى لا يجامع هذه الكبائر الموبقه،و قد روى عن أبى الدرداء نفسه ما يدفع هذه الروايه

ففى الدر المنثور،أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن يسار مولى لآل معاويه عن أبى الدرداء": فى قوله:« وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ »قال:قيل:يا أبا الدرداء و إن زنى و إن سرق؟قال:من خاف مقام ربه لم يزن و لم يسرق.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« قاصِراتُ الطَّرْفِ »قال:الحور العين يقصر الطرف عنها من ضوء نورها.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن جعفر بن محمد عن أبیه عن جده عن النبی ص: فی قوله:« قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ »قال:لا ینظرن إلا إلی أزواجهن.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« کَأَنَّهُنَّ الْیٰاقُوتُ وَ الْمَرْجٰانُ »

فی الحدیث أن المرأه من أهل الجنه یری مخ ساقها-من وراء سبعین حله من حریر.

أقول:و هذا المعنی وارد فی عده روایات.

و فی تفسیر العیاشی،بإسناده عن علی بن سالم قال:سمعت أبا عبد الله(ع)یقول:

آیه فی کتاب الله مسجله. قلت:و ما هی؟قال:قول الله عز و جل:« هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلاَّ الْإِحْسٰانُ »جری فی الکافر و المؤمن و البر و الفاجر،و من صنع إلیه معروف فعلیه أن یکافئ به،و لیس المکافأه أن یصنع کما صنع حتی یربی-فإن صنعت کما صنع کان له الفضل بالابتداء.

و فی المجمع،:فی قوله:« هَلْ جَزٰاءُ الْإِحْسٰانِ إِلاَّ الْإِحْسٰانُ »:جاءت الروایه من أنس بن مالک قال: قرأ رسول الله ص هذه الآیه فقال:هل تدرون ما یقول ربکم؟قالوا:

الله و رسوله أعلم.قال:فإن ربکم یقول:هل جزاء من أنعمنا علیه بالتوحید إلا الجنه؟ و فی تفسیر القمی،":فی الآیه قال:ما جزاء من أنعمت علیه بالمعرفه إلا الجنه.

أقول:

الروایه مرویه عن النبی ص و أئمه أهل البیت(ع)و قد أسندها فی التوحید إلی جعفر بن محمد عن آبائه عن علی(ع)عن النبی ص-و لفظها-: أن الله عز و جل قال:ما جزاء من أنعمت علیه بالتوحید إلا الجنه.

و أسندها فی العلل،إلی الحسن بن علی(ع)عن النبی ص-و اللفظ-: هل جزاء من قال:لا إله إلا الله إلا الجنه؟:

و روی الروایه بألفاظها المختلفه فی الدر المنثور،بطرق مختلفه عن النبی ص

و قوله:

أنعمت علیه،إشاره إلی أن إحسان العبد بالحقیقه إحسان من الله إلیه.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ »:عن العلاء بن سیابه عن أبی عبد الله (ع): قلت له:إن الناس یتعجبون منا إذا قلنا:یخرج قوم من النار فیدخلون الجنه- فیقولون لنا فیکونون مع أولیاء الله فی الجنه؟فقال یا علی إن الله یقول:« وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ »ما یکونون مع أولیاء الله.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن أبی موسی عن النبی ص: فی قوله:« وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ »و قوله:« وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ »قال:

جنتان من ذهب للمقربین-و جنتان من ورق لأصحاب الیمین.

أقول:و الروایتان تؤیدان ما قدمناه فی تفسیر الآیتین.

و فیه،أخرج الطبرانی و ابن مردویه عن أبی أیوب قال: سألت النبی ص عن قوله:

« مُدْهٰامَّتٰانِ »قال:خضراوان.

و فی تفسیر القمی،بإسناده إلی یونس بن ظبیان عن أبی عبد الله(ع): فی قوله تعالی:

« نَضّٰاخَتٰانِ »قال:تفوران.

و فیه،":فی قوله:« فِیهِنَّ خَیْرٰاتٌ حِسٰانٌ »قال:جوار نابتات علی شط الکوثر-کلما أخذت منها نبتت مکانها أخری.

و فی المجمع،: فی قوله:« خَیْرٰاتٌ حِسٰانٌ » أی نساء خیرات الأخلاق حسان الوجوه.:

روته أم سلمه عن النبی ص .

و فی الفقیه،قال الصادق(ع): الخیرات الحسان من نساء أهل الدنیا-و هن أجمل من الحور العین.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن الحلبی قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل:« فِیهِنَّ خَیْرٰاتٌ حِسٰانٌ »قال:هن صوالح المؤمنات العارفات.

أقول:و فی انطباق الآیه بالنظر إلی سیاقها علی مورد الروایتین إبهام.

(۵۶) (سوره الواقعه مکیه و هی ست و تسعون آیه)(۹۶)

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

إِذٰا وَقَعَتِ اَلْوٰاقِعَهُ (۱) لَیْسَ لِوَقْعَتِهٰا کٰاذِبَهٌ (۲) خٰافِضَهٌ رٰافِعَهٌ (۳) إِذٰا رُجَّتِ اَلْأَرْضُ رَجًّا (۴) وَ بُسَّتِ اَلْجِبٰالُ بَسًّا (۵) فَکٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا (۶) وَ کُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَهً (۷) فَأَصْحٰابُ اَلْمَیْمَنَهِ مٰا أَصْحٰابُ اَلْمَیْمَنَهِ (۸) وَ أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَهِ مٰا أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَهِ (۹) وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ (۱۰)

(بیان)

تصف السوره القیامه الکبری التی فیها بعث الناس و حسابهم و جزاؤهم فتذکر أولا شیئا من أهوالها مما یقرب من الإنسان و الأرض التی یسکنها فتذکر تقلیبها للأوضاع و الأحوال بالخفض و الرفع و ارتجاج الأرض و انبثاث الجبال و تقسم الناس إلی ثلاثه أزواج إجمالا ثم تذکر ما ینتهی إلیه حال کل من الأزواج السابقین و أصحاب الیمین و أصحاب الشمال.

ثم تحتج علی أصحاب الشمال المنکرین لربوبیته و للبعث المکذبین بالقرآن الداعی إلی التوحید و الإیمان بالبعث.ثم تختم الکلام بذکر الاحتضار بنزول الموت و انقسام الناس إلی ثلاثه أزواج.

و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« إِذٰا وَقَعَتِ اَلْوٰاقِعَهُ » وقوع الحادثه هو حدوثها،و الواقعه صفه توصف بها کل حادثه،و المراد بها هاهنا واقعه القیامه و قد أطلقت إطلاق الأعلام کأنها لا تحتاج إلی موصوف مقدر و لذا قیل:إنها من أسماء القیامه فی القرآن کالحاقه و القارعه و الغاشیه.

و الجمله« إِذٰا وَقَعَتِ اَلْوٰاقِعَهُ »مضمنه معنی الشرط و لم یذکر جزاء الشرط إعظاما له و تفخیما لأمره و هو علی أی حال أمر مفهوم مما ستصفه السوره من حال الناس یوم القیامه، و التقدیر نحو من قولنا:فاز المؤمنون و خسر الکافرون.

قوله تعالی:« لَیْسَ لِوَقْعَتِهٰا کٰاذِبَهٌ »قال فی المجمع،: الکاذبه مصدر کالعافیه و العاقبه.

انتهی.و علیه فالمعنی:لیس فی وقعتها و تحققها کذب،و قیل:کاذبه صفه محذوفه الموصوف و التقدیر:لیس لوقعتها قضیه کاذبه.

قوله تعالی:« خٰافِضَهٌ رٰافِعَهٌ »خبران مبتدؤهما الضمیر الراجع إلی الواقعه،و الخفض خلاف الرفع و کونها خافضه رافعه کنایه عن تقلیبها نظام الدنیا المشهود فتظهر السرائر

و هی محجوبه الیوم و تحجب و تستر آثار الأسباب و روابطها و هی ظاهره الیوم و تذل الأعزه من أهل الکفر و الفسق و تعز المتقین.

قوله تعالی:« إِذٰا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا » الرج تحریک الشیء تحریکا شدیدا إشاره إلی زلزله الساعه التی یعظمها الله سبحانه فی قوله: «إِنَّ زَلْزَلَهَ السّٰاعَهِ شَیْءٌ عَظِیمٌ» :الحج:۱، و قد عظمها فی هذه الآیه حیث عبر عنها برج الأرض ثم أکد شدتها بتنکیر قوله:« رَجًّا » أی رجا لا یوصف شدته.و الجمله بدل أو بیان لقوله:« إِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَهُ ».

قوله تعالی:« وَ بُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا فَکٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا »عطف علی رُجَّتِ و البس الفت و هو عود الجسم بدق و نحوه أجزاء صغارا متلاشیه کالدقیق،و قیل:البس هو التسییر فهو فی معنی قوله: «وَ سُیِّرَتِ الْجِبٰالُ» :النبأ:۲۰.

و قوله:« فَکٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا » الهباء قیل:هو الغبار و قیل:هو الذره من الغبار الظاهر فی شعاع الشمس الداخل من کوه،و الانبثاث التفرق،و المعنی ظاهر.

قوله تعالی:« وَ کُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَهً »الزوج بمعنی الصنف و الخطاب لعامه البشر.

قوله تعالی:« فَأَصْحٰابُ الْمَیْمَنَهِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَیْمَنَهِ »متفرع علی ما قبلها تفرع البیان علی المبین،فهذه الآیه و الآیتان بعدها بیان للأزواج الثلاثه.

و المیمنه من الیمن مقابل الشؤم،فأصحاب المیمنه أصحاب السعاده و الیمن مقابل أصحاب المشأمه أصحاب الشقاء و الشؤم،و ما قیل:إن المراد بالمیمنه الیمین،أی ناحیه الیمین لأنهم یؤتون کتابهم بیمینهم و غیرهم یؤتونه بشمالهم یرده مقابله أصحاب المیمنه بأصحاب المشأمه،و لو کان کما قیل لقیل أصحاب الشمال و هو ظاهر.

و ما فی قوله:« مٰا أَصْحٰابُ الْمَیْمَنَهِ »استفهامیه و مبتدأ خبره« فَأَصْحٰابُ الْمَیْمَنَهِ »، و المجموع خبر لقوله:« فَأَصْحٰابُ الْمَیْمَنَهِ »و فی الاستفهام إعظام لأمرهم و تفخیم لشأنهم.

قوله تعالی:« وَ أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ » المشأمه مصدر کالشؤم مقابل الیمین،و المیمنه و المشأمه السعاده و الشقاء.

قوله تعالی:« وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ »الذی یصلح أن یفسر به السابقون الأول قوله تعالی: «فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَیْرٰاتِ بِإِذْنِ اللّٰهِ» فاطر ۳۲، و قوله: «وَ لِکُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّیهٰا فَاسْتَبِقُوا الْخَیْرٰاتِ» :البقره:۱۴۸،و قوله: «أُولٰئِکَ یُسٰارِعُونَ فِی الْخَیْرٰاتِ وَ هُمْ لَهٰا سٰابِقُونَ» :المؤمنون:۶۱.

فالمراد بالسابقين-الأول-فی الآیه السابقون بالخیرات من الأعمال،و إذا سبقوا بالخیرات سبقوا إلی المغفره و الرحمه التی بإزائها کما قال تعالی: «سَابِقُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ» :الحدید:۲۱،فالسابقون بالخیرات هم السابقون بالرحمه و هو قوله:

« وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ ».

و قیل:المراد بالسابقون الثانی هو الأول علی حد قوله:

أنا أبو النجم و شعری شعری.

و قوله:« وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ »مبتدأ و خبر،و قیل:الأول مبتدأ و الثانی تأکید، و الخبر قوله:« أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ ».

و لهم فی تفسیر السابقین أقوال أخر فقیل:هم المسارعون إلی کل ما دعا الله إلیه،و قیل:

هم الذین سبقوا إلی الإیمان و الطاعه من غیر توان،و قیل:هم الأنبیاء(ع)لأنهم مقدمو أهل الأدیان، و قیل:هم مؤمن آل فرعون و حبیب النجار المذکور فی سوره یس و علی(ع)السابق إلی الإیمان بالنبی ص و هو أفضلهم و قیل:هم السابقون إلی الهجره،و قیل:هم السابقون إلی الصلوات الخمس،و قیل:هم الذین صلوا إلی القبلتین، و قیل:هم السابقون إلی الجهاد،و قیل غیر ذلک.

و القولان الأولان راجعان إلی ما تقدم من المعنی،و الثالث و الرابع ینبغی أن یحملا علی التمثیل،و الباقی کما تری إلا أن یحمل علی نحو من التمثیل.

(بحث روائی)

فی الخصال،عن الزهری قال:سمعت علی بن الحسین(ع)یقول: من لم یتعز بعزاء الله-تقطعت نفسه علی الدنیا حسرات،و الله ما الدنیا و الآخره إلا ککفتی میزان-فأیهما رجح ذهب بالآخر ثم تلا قوله عز و جل:« إِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَهُ »یعنی القیامه« لَیْسَ لِوَقْعَتِهٰا کٰاذِبَهٌ خٰافِضَهٌ »خفضت و الله بأعداء الله فی النار« رٰافِعَهٌ »رفعت و الله أولیاء الله إلی الجنه.

و فی تفسیر القمی،":« إِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَهُ لَیْسَ لِوَقْعَتِهٰا کٰاذِبَهٌ »قال:القیامه هی حق، و قوله:« خٰافِضَهٌ »قال:بأعداء الله« رٰافِعَهٌ »لأولیاء الله« إِذٰا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا »

قال:يدق بعضها على بعض« وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا »قال:قلعت الجبال قلعا« فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا »قال:الهباء الذى فى الكوه من شعاع الشمس.

و قوله:« وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً »قال:يوم القيامه« فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ- وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ- وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ »الذين سبقوا إلى الجنه.

أقول:قوله:الذين سبقوا إلى الجنه تفسير للسابقون الثانى.

و فى الدر المنثور،أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن على بن أبى طالب قال:

الهباء المنبث رهج (۱)الذرات-و الهباء المنثور غبار الشمس-الذى تراه فى شعاع الكوه.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن ابن عباس":فى قوله:« وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ »قال:نزلت فى حزقيل مؤمن آل فرعون،و حبيب النجار الذى ذكر فى يس و على بن أبى طالب، كل رجل منهم سابق أمته و على أفضلهم سبقا.

و فى المجمع،عن أبى جعفر(ع)قال: السابقون أربعه:ابن آدم المقتول،و سابق أمه موسى و هو مؤمن آل فرعون،و سابق أمه عيسى و هو حبيب-و السابق فى أمه محمد ص و هو على بن أبى طالب(ع).:

أقول:و روى هذا المعنى فى روضه الواعظين،عن الصادق(ع) .

و فى أمالى الشيخ،بإسناده إلى ابن عباس قال: سألت رسول الله ص عن قول الله عز و جل:« وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ- أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ »فقال:قال لى جبرئيل:

ذلك على و شيعته،هم السابقون إلى الجنه-المقربون من الله بكرامته لهم.

و فى كمال الدين،بإسناده إلى خيثمه الجعفى عن أبى جعفر(ع)فى حديث: و نحن السابقون السابقون و نحن الآخرون.

و فى العيون،فى باب ما جاء عن الرضا(ع)من الأخبار المجموعه بإسناده عن على (ع)قال: « وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ »فى نزلت.

و فى المجمع،: فى الآيه:و قيل:إلى الصلوات الخمس:. عن على(ع) .

أقول:الوجه حمل جميع هذه الأخبار على التمثيل كما تقدم.

۱- ۱) الرهج بفتحتين و بفتح فسكون ما أثير من الغبار.

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۱۱ الی ۵۶]

اشاره

أُولئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ (۱۱) فِی جَنّاتِ اَلنَّعِیمِ (۱۲) ثُلَّةٌ مِنَ اَلْأَوَّلِینَ (۱۳) وَ قَلِیلٌ مِنَ اَلْآخِرِینَ (۱۴) عَلی سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (۱۵) مُتَّکِئِینَ
عَلَیْها مُتَقابِلِینَ (۱۶) یَطُوفُ عَلَیْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ (۱۷) بِأَکْوابٍ وَ أَبارِیقَ وَ کَأْسٍ مِنْ مَعِینٍ (۱۸) لا یُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا یُنْزِفُونَ
(۱۹) وَ فاکِهَةٍ مِمّا یَتَخَیَّرُونَ (۲۰) وَ لَحْمِ طَیْرٍ مِمّا یَشْتَهُونَ (۲۱) وَ حُورٌ عِینٌ (۲۲) کَأَمْثالِ اَللُّؤْلُؤِ اَلْمَکْنُونِ (۲۳) جَزاءً بِما کانُوا
یَعْمَلُونَ (۲۴) لا یَسْمَعُونَ فِیها لَغْواً وَ لا تَأْثِیماً (۲۵) إِلاّ قِیلاً سَلاماً سَلاماً (۲۶) وَ أَصْحابُ اَلْیَمِینِ ما أَصْحابُ اَلْیَمِینِ (۲۷) فِی سِدْرٍ
مَخْضُودٍ (۲۸) وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ (۲۹) وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ (۳۰) وَ ماءٍ مَسْکُوبٍ (۳۱) وَ فاکِهَةٍ کَثِیرَةٍ (۳۲) لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ (۳۳) وَ
فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (۳۴) إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً (۳۵) فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکاراً (۳۶) عُرُباً أَتْراباً (۳۷) لِأَصْحابِ اَلْیَمِینِ (۳۸) ثُلَّةٌ مِنَ اَلْأَوَّلِینَ (۳۹) وَ
ثُلَّةٌ مِنَ اَلْآخِرِینَ (۴۰) وَ أَصْحابُ اَلشِّمالِ ما أَصْحابُ اَلشِّمالِ (۴۱) فِی سَمُومٍ وَ حَمِیمٍ (۴۲) وَ ظِلٍّ مِنْ یَحْمُومٍ (۴۳) لا بارِدٍ وَ لا
کَرِیمٍ (۴۴) إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُتْرَفِینَ (۴۵) وَ کانُوا یُصِرُّونَ عَلَی اَلْحِنْثِ اَلْعَظِیمِ (۴۶) وَ کانُوا یَقُولُونَ أَ إِذا مِتْنا وَ کُنّا تُراباً وَ
عِظاماً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ (۴۷) أَ وَ آباؤُنَا اَلْأَوَّلُونَ (۴۸) قُلْ إِنَّ اَلْأَوَّلِینَ وَ اَلْآخِرِینَ (۴۹) لَمَجْمُوعُونَ إِلی مِیقاتِ یَوْمٍ مَعْلُومٍ (۵۰) ثُمَّ
إِنَّکُمْ أَیُّهَا اَلضّالُّونَ اَلْمُکَذِّبُونَ (۵۱) لَآکِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (۵۲) فَمالِؤُنَ مِنْهَا اَلْبُطُونَ (۵۳) فَشارِبُونَ عَلَیْهِ مِنَ اَلْحَمِیمِ (۵۴)
فَشارِبُونَ شُرْبَ اَلْهِیمِ (۵۵) هذا نُزُلُهُمْ یَوْمَ اَلدِّینِ (۵۶)

ص: ۱۱۹

(بیان)

الآیات تفصل ما ینتهی إلیه حال کل واحد من الأزواج الثلاثه یوم القیامه.

قوله تعالی:« أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ فِی جَنّٰاتِ النَّعِیمِ »الإشاره بأولئک إلی السابقین، و« أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ »مبتدأ و خبر،و الجمله استئنافیه،و قیل:خبر لقوله:« وَ السّٰابِقُونَ »، و قیل:مبتدأ خبره فی جنات النعیم،و أول الوجوه الثلاثه أوجه بالنظر إلی سیاق تقسیم الناس إلی ثلاثه أزواج أولا ثم تفصیل ما ینتهی إلیه أمر کل منهم.

و القرب و البعد معنیان متضائفان تتصف بهما الأجسام بحسب النسبه المکانیه ثم توسع فیهما فاعتبرا فی غیر المکان من الزمان و نحوه،یقال:الغد قریب من الیوم و الأربعه أقرب إلی الثلاثه من الخمسه،و الخضره أقرب إلی السواد من البیاض ثم توسع فیهما فاعتبرا فی غیر الأجسام و الجسمانیات من الحقائق.

و قد اعتبر القرب وصفا له تعالی بما له من الإحاطه بکل شیء،قال تعالی: «وَ إِذٰا سَأَلَکَ عِبٰادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ» :البقره:۱۸۶،و قال: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْکُمْ» :الواقعه:

۸۵،و قال: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ» :ق:۱۶.و هذا المعنی أعنی کونه تعالی أقرب إلی الشیء من نفسه أعجب ما یتصور من معنی القرب،و قد أشرنا إلی تصویره فی تفسیر الآیه.

ص :۱۲۰

و اعتبر القرب أيضا وصفا للعباد فی مرحله العبوديه و لما كان أمرا اكتسابيا يستعمل فيه لفظ التقرب فالعبد يتقرب بصالح العمل إلی الله سبحانه و هو وقوعه فی معرض شمول الرحمه الإلهيه بزوال أسباب الشقاء و الحرمان،و الله سبحانه يقرب العبد بمعنی إنزاله منزله يختص بنيل ما لا ينـاله من دونه من إكرامه تعالی و مغفرته و رحمته،قال تعالی: «كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» :المطففين:۲۱،و قال: «وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» :المطففين:۲۸.

فالمقربون هم النمط الأعلی من أهل السعاده كما يشير إليه قوله:« وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ »و لا يتم ذلك إلا بكمال العبوديه كما قال: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ وَ لاَ الْمَلاٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» :النساء:۱۷۲،و لا تكمل العبوديه إلا بأن يكون العبد تبعا محضا فی إرادته و عمله لمولاه لا يريد و لا يعمل إلا ما يريده و هذا هو الدخول تحت ولايه الله فهؤلاء هم أولياء الله.

و قوله:« فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ »أی كل واحد منهم فی جنه النعيم فالكل فی جنات النعيم، و يمكن أن يراد به أن كلا منهم فی جنات النعيم لكن يبعده قوله فی آخر السوره:« فَأَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحٰانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ ».

و قد تقدم غير مره أن النعيم هی الولايه و أن جنه النعيم هی جنه الولايه و هو المناسب لما تقدم آنفا أن المقربين هم أهل ولايه الله.

قوله تعالی:« ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ » الثله -علی ما قيل-الجماعه الكثيره،و المراد بالأولين الأمم الماضون للأنبياء السابقين،و بالآخرين هذه الأمه علی ما هو المعهود من كلامه تعالی فی كل موضع ذكر فيه الأولين و الآخرين معا و منها ما سيأتی من قوله:« أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ أَ وَ آبٰاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ »فمعنی الآيتين:هم أی المقربون جماعه كثيره من الأمم الماضين و قليل من هذه الأمه.

و بما تقدم يظهر أن قول بعضهم:إن المراد بالأولين و الآخرين أولوا هذه الأمه و آخروها غير سديد.

قوله تعالی:« عَلىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ » الوضن النسج و قيل:نسج الدرع و إطلاقه علی نسج السرر استعاره يراد بها إحكام نسجها.

و قوله:« مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا »حال من الضمير العائد إلی المقربين و الضمير للسرر،و قوله:

« مُتَقابِلِينَ »حال آخر منه أو من ضـمير« مُتَّكِئِينَ »و تقابلهم كنايه عن بلوغ أنسهم و حسن عشرتهم و صفاء باطنهم فلا ينظرون فى قفاء صاحبهم و لا يعيبونه و لا يغتابونه.

و المعنى:هم أى المقربون مستقرون على سرر منسوجه حال كونهم متكئين عليها حال كونهم متقابلين.

قوله تعالى:« يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ » الولـدان جمع ولد و هو الغلام،و طوافهم عليهم كنايه عن خدمتهم لهم،و المخلدون من الخلود بمعنى الـدوام أى باقون أبدا على هيئتهم من حداثه السن،و قيل من الخلد بفتحتين و هو القرط،و المراد أنهم مقرطون بالخلد.

قوله تعـالى:« بِأَكْوابٍ وَ أَبارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ » الأكواب جمع كوب و هو الإناء الـذى لا عروه له و لا خرطوم،و الأباريق جمع إبريق و هو الإناء الذى له خرطوم،و قيل:

عروه و خرطوم معا،و الكأس معروف،قيل: أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأسا إلا إذا كانت ممتلئه،و المراد بالمعين الخمر المعين و هو الظاهر للبصر الجارى.

قوله تعـالى:« لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا يُنْزِفُونَ »أى لا يأخـذهم صـداع لأجل خمار يحصل من الخمر كما فى خمر الـدنيا و لا يزول عقلهم بالسكر الحاصل منها.

قوله تعـالى:« وَ فاكِهَهٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمّا يَشْتَهُونَ »الفـاكهه و الطير معطوفـان على قوله:« بِأَكْوابٍ »،و المعنى:يطوف عليهم الولدان بفاكهه مما يختارون و بلحم طير مما يشتهون.

و لا يستشـكل بما ورد فى الروايات أن أهل الجنه إذا اشـتهوا فاكهه تـدلى إليهم غصن شـجرتها بما لها من ثمره فيتناولونها،و إذا اشتهوا لحم طير وقع مقليا مشويا فى أيديهم فيأكلون منها ما أرادوا ثم حيى و طار.

و ذلك لأن لهم ما شاءوا و من فنون التنعم تناول ما يريـدونه من أيـدى خـدمهم و خاصه حال اجتماعهم و احتفالهم كما أن من فنونه تناولهم أنفسهم من غير توسيط خدمهم فيه.

قوله تعالى:« وَ حُورٌ عِينٌ كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ »مبتـدأ محـذوف الخبر على ما يفيده السـياق و التقدير و لهم حور عين أو و فيها حور عين و الحور العين نساء الجنه و قد تقدم معنى الحور العين فى تفسير سوره الدخان.

و قوله:« كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ »أى اللؤلؤ المصون المخزون فى الصدف لم تمسه الأيدى فهو منته فى صفائه.

ص:١٢٢

قوله تعالى:« جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ »قيد لجميع ما تقدم و هو مفعول له،و المعنى:

فعلنا بهم ما فعلنا ليكون جزاء لهم قبال ما كانوا يستمرون عليه من العمل الصالح.

قوله تعالى:« لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ تَأْثِيماً » اللغو من القول ما لا فائده فيه و لا أثر يترتب عليه،و التأثيم النسبه إلى الإثم أى لا يخاطب أحدهم صاحبه بما لا فائده فيه و لا ينسبه إلى الإثم إذ لا إثم هناك،و فسر بعضهم التأثيم بالكذب.

قوله تعالى:« إِلاّٰ قِيلاً سَلاٰماً سَلاٰماً »استثناء منقطع من اللغو و التأثيم،و القيل مصدر كالقول،و« سَلاٰماً »بيان لقوله:« قِيلاً »و تكراره يفيد تكرر الوقوع،و المعنى:إلا قولا هو السلام بعد السلام.

قيل:و يمكن أن يكون« سَلاٰماً »مصدرا بمعنى الوصف و صفه لقيلا،و المعنى:إلا قولا هو سالم.

قوله تعالى:« وَ أَصْحٰابُ الْيَمِينِ مٰا أَصْحٰابُ الْيَمِينِ »شروع فى تفصيل ما انتهى إليه حال أصحاب الميمنه و فى تبديله من أصحاب اليمين يعلم أن أصحاب اليمين و أصحاب الميمنه واحد و هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم. و الجمله استفهاميه مسوقه لتفخيم أمرهم و التعجيب من حالهم و هى خبر لقوله:« وَ أَصْحٰابُ الْيَمِينِ ».

قوله تعالى:« فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ » السدر شجره النبق،و المخضود ما قطع شوكه فلا شوك له.

قوله تعالى:« وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ » الطلح شجر الموز،و قيل:ليس بالموز بل شجر له ظل بارد رطب،و قيل:شجره أم غيلان لها أنوار طيبه الرائحه،و نضد الأشياء جعل بعضها على بعض،و المعنى:و فى شجر موز منضود الثمر بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه.

قوله تعالى:« وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ »قيل: الممدود من الظل هو الدائم الذى لا تنسخه شمس فهو باق لا يزول،و الماء المسكوب هو المصبوب الجارى من غير انقطاع.

قوله تعالى:« وَ فٰاكِهَهٍ كَثِيرَهٍ لاٰ مَقْطُوعَهٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَهٍ »أى لا مقطوعه فى بعض الأزمان كانقطاع الفواكه فى شتاء و نحوه فى الدنيا،و لا ممنوعه التناول لمانع من قبل أنفسهم كسأمه أو شبع أو من خارج كبعد المكان أو شوكه تمنع القطف أو غير ذلك.

قوله تعالى:« وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَهٍ » الفرش جمع فراش و هو البساط،و المرفوعه العاليه، و قيل:المراد بالفرش المرفوعه النساء المرتفعات قدرا فى عقولهن و جمالهن و كمالهن و المرأه

تسمی فراشا،و یناسب هذا المعنی قوله بعد:« إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً »إلخ.

قوله تعالی:« إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْکٰاراً عُرُباً أَتْرٰاباً »أی إنا أوجدناهن و أحدثناهن و ربیناهن أحداثا و تربیه خاصه،و فیه تلویح إلی أنهن لا یختلف حالهن بالشباب و الشیب و صباحه المنظر و خلافها،و قوله:« فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْکٰاراً »أی خلقناهن عذاری کلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبکارا.

و قوله:« عُرُباً أَتْرٰاباً » العرب جمع عروب و هی المتحننه إلی زوجها أو الغنجه أو العاشقه لزوجها،و الأتراب جمع ترب بالکسر فالسکون بمعنی المثل أی أنهن أمثال أو أمثال فی السن لأزواجهن.

قوله تعالی:« لِأَصْحٰابِ الْیَمِینِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِینَ »یتضح معناه بما تقدم، و یستفاد من الآیات أن أصحاب الیمین فی الآخرین جمع کثیر کالأولین لکن السابقین المقربین فی الآخرین أقل جمعا منهم فی الأولین.

قوله تعالی:« وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ »مبتدأ و خبر،و الاستفهام للتعجیب و التهویل،و قد بدل أصحاب المشأمه من أصحاب الشمال إشاره إلی أنهم الذین یؤتون کتابهم بشمالهم کما مر نظیره فی أصحاب الیمین.

قوله تعالی:« فِی سَمُومٍ وَ حَمِیمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ یَحْمُومٍ لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ کَرِیمٍ » السموم -علی ما فی الکشاف،-حر نار ینفذ فی المسام،و الحمیم الماء الشدید الحراره،و التنوین فیهما لتعظیم الأمر،و الیحموم الدخان الأسود،و قوله:« لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ کَرِیمٍ »الظاهر أنهما صفتان للظل لا لیحموم،و ذلک أن الظل هو الذی یتوقع منه أن یتبرد بالاستظلال به و یستراح فیه دون الدخان.

قوله تعالی:« إِنَّهُمْ کٰانُوا قَبْلَ ذٰلِکَ مُتْرَفِینَ »تعلیل لاستقرار أصحاب الشمال فی العذاب، و الإشاره بذلک إلی ما ذکر من عذابهم یوم القیامه،و إتراف النعمه الإنسان إبطارها و إطغاؤها له،و ذلک إشغالها نفسه بحیث یغفل عما وراءها فکون الإنسان مترفا تعلقه بما عنده من نعم الدنیا و ما یطلبه منها سواء کانت کثیره أو قلیله.

فلا یرد ما استشکل من أن کثیرا من أصحاب الشمال لیسوا من المترفین بمعنی المتوسعین فی التنعم و ذلک أن الإنسان محفوف بنعم ربه و لیست النعمه هی المال فحسب فاشتغاله بنعم ربه عن ربه ترفه منه،و المعنی:أنا إنما نعذبهم بما ذکر لأنهم کانوا قبل ذلک فی

الدنیا بطرین طاغین بالنعم.

قوله تعالی:« وَ کٰانُوا یُصِرُّونَ عَلَی الْحِنْثِ الْعَظِیمِ »فی المجمع،: الحنث نقض العهد المؤکد بالحلف،و الإصرار أن یقیم علیه فلا یقلع عنه.انتهی.و لعل المستفاد من السیاق أن إصرارهم علی الحنث العظیم هو استکبارهم عن عبودیه ربهم التی عاهدوا الله علیها بحسب فطرتهم و أخذ منهم المیثاق علیها فی عالم الذر فیطیعون غیر ربهم و هو الشرک المطلق.

و قیل:الحنث الذنب العظیم فتوصیفه بالعظیم مبالغه و الحنث العظیم الشرک بالله، و قیل:الحنث العظیم جنس المعاصی الکبیره،و قیل:هو القسم علی إنکار البعث المشار إلیه بقوله تعالی: «وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ لاٰ یَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ یَمُوتُ» :النحل:۳۸،و لفظ الآیه مطلق.

قوله تعالی:« وَ کٰانُوا یَقُولُونَ أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ کُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ أَ وَ آبٰاؤُنَا الْأَوَّلُونَ »قول منهم مبنی علی الاستبعاد و لذا أکدوا استبعاد بعث أنفسهم ببعث آبائهم لأن الاستبعاد فی موردهم آکد،و التقدیر أ و آباؤنا الأولون مبعوثون.

قوله تعالی:« قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِینَ وَ الْآخِرِینَ لَمَجْمُوعُونَ إِلیٰ مِیقٰاتِ یَوْمٍ مَعْلُومٍ »أمر منه تعالی لنبیه(ص)أن یجیب عن استبعادهم البعث بتقریره ثم إخبارهم عما یعیشون به یوم البعث من طعام و شراب و هما الزقوم و الحمیم.

و محصل القول إن الأولین و الآخرین-من غیر فرق بینهم لا کما فرقوا فجعلوا بعث أنفسهم مستبعدا و بعث آبائهم الأولین أشد استبعادا و آکد-لمجموعون محشورین إلی میقات یوم معلوم.

و المیقات ما وقت به الشیء و هو وقته المعین،و المراد بیوم معلوم یوم القیامه المعلوم عند الله فإضافه المیقات إلی یوم معلوم بیانیه.

قوله تعالی:« ثُمَّ إِنَّکُمْ أَیُّهَا الضّٰالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ لَآکِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ »من تمام کلام النبی ص یخبرهم عما ینتهی إلیه حالهم یوم القیامه و یعیشون به من طعام و شراب.

و فی خطابهم بالضالین المکذبین إشاره إلی ملاک شقائهم و خسرانهم یوم البعث و هو ضلالهم عن طریق الحق و استقرار ذلک فی نفوسهم باستمرارهم علی تکذیبهم و إصرارهم علی الحنث،و لو کانوا ضالین فحسب من غیر تکذیب لکان من المرجو أن ینجوا و لا یهلکوا.

و« مِنْ »فی قوله:« مِنْ شَجَرٍ »للابتداء،و فی قوله:« مِنْ زَقُّومٍ »بیانیه و یحتمل أن یکون« مِنْ زَقُّومٍ »بدلا من« مِنْ شَجَرٍ »،و ضمیر« مِنْهَا »للشجر أو الثمر و کل منهما یؤنث و یذکر و لذا جیء هاهنا بضمیر التأنیث و فی الآیه التالیه فی قوله:« فَشٰارِبُونَ عَلَیْهِ »بضمیر التذکیر،و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« فَشٰارِبُونَ عَلَیْهِ مِنَ الْحَمِیمِ فَشٰارِبُونَ شُرْبَ الْهِیمِ »کلمه«علی»للاستعلاء و تفید فی المورد کون الشرب عقیب الأکل من غیر ریث،و الهیم جمع هیماء الإبل التی أصابها الهیام بضم الهاء و هو داء شبه الاستسقاء یصیب الإبل فتشرب الماء حتی تموت أو تسقم سقما شدیدا،و قیل:الهیم الرمال التی لا تروی بالماء.

و المعنی:فشاربون عقیب ما أکلتم من الزقوم من الماء الشدید الحراره فشاربون کشرب الإبل الهیم أو کشرب الرمال الهیم و هذا آخر ما أمر النبی ص أن یقوله لهم.

قوله تعالی:« هٰذٰا نُزُلُهُمْ یَوْمَ الدِّینِ »أی یوم الجزاء و النزل ما یقدم للضیف النازل من طعام و شراب إکراما له،و المعنی:هذا الذی ذکر من طعامهم و شرابهم هو نزل الضالین المکذبین ففی تسمیه ما أعد لهم بالنزل نوع تهکم،و الآیه من کلامه تعالی خطابا للنبی ص،و لو کان من کلام النبی ص خطابا لهم لقیل:هذا نزلکم.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه و ابن عساکر من طریق عروه بن رویم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت إذا وقعت الواقعه ذکر فیها« ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرِینَ » قال عمر:یا رسول الله ثله من الأولین و ثله من الآخرین،فقال رسول الله ص:تعال و استمع ما قد أنزل الله- ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ وَ ثُلَّهٌ مِنَ الْآخِرِینَ ».

ألا و إن من آدم إلی ثله و أمتی ثله-و لن نستکمل ثلتنا حتی نستعین بالسودان رعاه الإبل- ممن یشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له.: قال السیوطی و أخرجه ابن أبی حاتم من وجه آخر عن عروه بن رویم مرسلا و فیه،أخرج ابن مردویه عن أبی هریره قال:لما نزلت« ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرِینَ »حزن أصحاب رسول الله ص و قالوا:إذن لا یکون من أمه محمد إلا قلیل

فنزلت نصف النهار« ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ »تقابلون الناس فنسخت الآيه « وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ».

أقول:قال فی الکشاف،فی تفسیر الآیه:فإن قلت:فقد روی أنها لما نزلت شق ذلک علی المسلمین فما زال رسول الله ص یراجع ربه حتی نزلت« ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ».

قلت:هذا لا یصح لأمرین:أحدهما:أن هذه الآیه وارده فی السابقین ورودا ظاهرا و کذلک الثانیه فی أصحاب الیمین،أ لا تری کیف عطف أصحاب الیمین و وعدهم علی السابقین و وعدهم؟ الثانی:أن النسخ فی الأخبار غیر جائز.انتهی.

و أجیب عنه بأنه یمکن أن یحمل الحدیث علی أن الصحابه لما سمعوا الآیه الأولی حسبوا أن الأمر فی هذه الأمه یذهب علی هذا النهج فیکون أصحاب الیمین ثله من الأولین و قلیلا منهم فیکون الفائزون بالجنه فی هذه الأمه أقل منهم فی الأمم السالفه فنزلت« ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ »فزال حزنهم،و معنی نسخ الآیه السابقه إزاله حسبانهم المذکور.

و أنت خبیر بأنه حمل علی ما لا دلیل علیه من جهه اللفظ و اللفظ یأباه و خاصه حمل نسخ الآیه علی إزاله الحسبان،و حال الروایه الأولی و خاصه من جهه ذیلها کحال هذه الروایه.

و فی المجمع،فی قوله تعالی:« يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ »اختلف فی هذه الولدان فقیل:إنهم أولاد أهل الدنیا لم یکن لهم حسنات فیثابوا علیها و لا سیئات فیعاقبوا علیها فأنزلوا هذه المنزله.

قال:

و قد روی عن النبی ص: أنه سئل عن أطفال المشرکین؟فقال:هم خدم أهل الجنه.:

أقول:و رواه فی الدر المنثور عن الحسن

،و الروایه ضعیفه لا تعویل علیها.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی الدنیا فی صفه الجنه و البزار و ابن مردویه و البیهقی فی البعث عن عبد الله بن مسعود قال:قال لی رسول الله ص: إنک لتنظر إلی الطیر فی الجنه- فتشتهیه فیخر بین یدیک مشویا.

أقول:و فی هذا المعنی روایات کثیره و فی بعضها أن المؤمن یأکل ما یشتهیه ثم یعود الباقی إلی ما کان علیه و یحیا فیطیر إلی مکانه و یباهی بذلک.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« لاٰ یَسْمَعُونَ فِیهٰا لَغْواً وَ لاٰ تَأْثِیماً »قال:الفحش و الکذب و الغنا.

أقول:لعل المراد بالغنا ما یکون منه لهوا أو الغنا مصحف الخنا.

و فیه،":فی قوله تعالی:« وَ أَصْحٰابُ الْیَمِینِ مٰا أَصْحٰابُ الْیَمِینِ »قال:علی بن أبی طالب (ع)و أصحابه و شیعته.

أقول:الروایه مبنیه علی ما ورد فی ذیل قوله تعالی: «یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فَمَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ» :إسراء:۷۱،إن الیمین هو الإمام الحق و معناها أن الیمین هو علی(ع)و أصحاب الیمین شیعته،و الروایه من الجری.

و فیه،":فی قوله تعالی:« فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ »شجر لا یکون له ورق و لا شوک فیه،

و قرأ أبو عبد الله(ع):« و طلع منضود »قال:بعضه علی بعض.

و فی الدر المنثور،أخرج الحاکم و صححه و البیهقی فی البعث عن أبی أمامه قال: کان أصحاب رسول الله ص یقولون:إن الله ینفعنا بالأعراب و مسائلهم.أقبل أعرابی یوما فقال:یا رسول الله-لقد ذکر الله فی القرآن شجره مؤذیه.و ما کنت أری أن فی الجنه شجره تؤذی صاحبها.فقال رسول الله ص:و ما هی؟قال:السدر فإن لها شوکا، فقال رسول الله ص:أ لیس یقول الله:« فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ »یخضده الله من شوکه-فیجعل مکان کل شوکه ثمره-أنها تنبت ثمرا تفتق الثمر منها-عن اثنین و سبعین لونا من الطعام-ما فیها لون یشبه الآخر.

و فی المجمع،:و روت العامه عن علی(ع): أنه قرأ رجل عنده« وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ » فقال:ما شأن الطلح إنما هو« و طلع »کقوله:« وَ نَخْلٍ طَلْعُهٰا هَضِیمٌ »فقیل له:أ لا تغیره؟قال:إن القرآن لا یهاج الیوم و لا یحرک:، رواه عنه ابنه الحسن(ع)و قیس بن سعد .

و فی الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و الفاریابی و هناد و عبد بن حمید و ابن جریر و ابن مردویه عن علی بن أبی طالب: فی قوله:« وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ »قال:هو الموز.

و فی المجمع،ورد فی الخبر: أن فی الجنه شجره یسیر الراکب فی ظلها مائه سنه-لا یقطعها اقرءوا إن شئتم« وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ »

و روی أیضا: أن أوقات الجنه کغدوات الصیف-لا یکون فیها حر و لا برد.

أقول:و روی الأول فی الدر المنثور عن أبی سعید و أنس و غیرهما عن النبی ص.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن علی بن إبراهیم عن ابن محبوب عن محمد بن إسحاق المدنی عن أبی جعفر(ع)عن النبی ص:فی حدیث یصف فیه الجنه و أهلها: و یزور بعضهم بعضا و یتنعمون فی جناتهم-فی ظل ممدود فی مثل ما بین طلوع الفجر-إلی طلوع الشمس و أطیب من ذلک.

و فی تفسیر القمی،":و قوله:« إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً »قال:الحور العین فی الجنه« فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْکٰاراً عُرُباً »قال:لا یتکلمون إلا بالعربیه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم عن جعفر بن محمد عن أبیه قال:قال رسول الله ص: فی قوله:« عُرُباً »قال:کلامهن عربی.

أقول:و فیه روایات أخر أن عربا جمع عروب و هی الغنجه.

و فیه،أخرج مسدد فی مسنده و ابن المنذر و الطبرانی و ابن مردویه بسند حسن عن أبی بکره عن النبی ص: فی قوله تعالی:« ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ وَ ثُلَّهٌ مِنَ الْآخِرِینَ »قال:هما جمیعا من هذه الأمه.

أقول:و هذا المعنی مروی فی غیر واحد من الروایات لکن ظاهر آیات السوره أن القسمه لکافه البشر لا لهذه الأمه خاصه،و لعل المراد من هذه الروایات بیان بعض المصادیق و إن کان بعیدا،و کذا المراد مما ورد أن أصحاب الیمین أصحاب أمیر المؤمنین (ع)،و ما ورد أن أصحاب الشمال أعداء آل محمد(ع).

و فی المحاسن،بإسناده عن معاویه بن وهب عن أبی عبد الله(ع)قال: سألته عن الشرب بنفس واحد فکرهه-و قال:ذلک شرب الهیم.قلت:و ما الهیم؟قال:الإبل.

و فیه،بإسناده عن الحلبی عن أبی عبد الله(ع): أنه کان یکره أن یتشبه بالهیم.قلت:

و ما الهیم؟قال الرمل.

أقول:و المعنیان جمیعا واردان فی روایات أخر.

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۵۷ الی ۹۶]

اشاره

نَحْنُ خَلَقْنٰاکُمْ فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ (۵۷) أَ فَرَأَیْتُمْ مٰا تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخٰالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ (۶۰) عَلیٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَکُمْ وَ نُنْشِئَکُمْ فِی مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۶۱) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولیٰ فَلَوْ لاٰ تَذَکَّرُونَ (۶۲) أَ فَرَأَیْتُمْ مٰا تَحْرُثُونَ (۶۳) أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّٰارِعُونَ (۶۴) لَوْ نَشٰاءُ لَجَعَلْنٰاهُ حُطٰاماً فَظَلْتُمْ تَفَکَّهُونَ (۶۵) إِنّٰا لَمُغْرَمُونَ (۶۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۶۷) أَ فَرَأَیْتُمُ الْمٰاءَ الَّذِی تَشْرَبُونَ (۶۸) أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (۶۹) لَوْ نَشٰاءُ جَعَلْنٰاهُ أُجٰاجاً فَلَوْ لاٰ تَشْکُرُونَ (۷۰) أَ فَرَأَیْتُمُ النّٰارَ الَّتِی تُورُونَ (۷۱) أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهٰا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ (۷۲) نَحْنُ جَعَلْنٰاهٰا تَذْکِرَهً وَ مَتٰاعاً

لِلْمُقْوِينَ (۷۳) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلْعَظِيمِ (۷۴) فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ اَلنُّجُومِ (۷۵) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (۷۶) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ
(۷۷) فِي كِتٰابٍ مَكْنُونٍ (۷۸) لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ (۷۹) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۸۰) أَ فَبِهٰذَا اَلْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (۸۱) وَ
تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (۸۲) فَلَوْ لاٰ إِذٰا بَلَغَتِ اَلْحُلْقُومَ (۸۳) وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (۸۴) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ
تُبْصِرُونَ (۸۵) فَلَوْ لاٰ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (۸۶) تَرْجِعُونَهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۸۷) فَأَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (۸۸) فَرَوْحٌ وَ رَيْحٰانٌ وَ
جَنَّةُ نَعِيمٍ (۸۹) وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْيَمِينِ (۹۰) فَسَلاٰمٌ لَكَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْيَمِينِ (۹۱) وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ اَلْمُكَذِّبِينَ اَلضّٰالِّينَ
(۹۲) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (۹۳) وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (۹۴) إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ حَقُّ اَلْيَقِينِ (۹۵) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلْعَظِيمِ (۹۶)

ص: ۱۲۹

(بیان)

لما فصل سبحانه القول فیما ینتهی إلیه حال کل من الأزواج الثلاثه ففصل حال أصحاب الشمال و أن الذی ساقهم إلی ذلک نقضهم عهد العبودیه و تکذیبهم للبعث و الجزاء و أمر نبیه ص أن یرد علیهم بتقریر البعث و الجزاء و بیان ما یجزون به یوم البعث.

وبخهم علی تکذیبهم بالمعاد مع أن الذی یخبرهم به هو خالقهم الذی یدبر أمرهم و یقدر لهم الموت ثم الإنشاء فهو یعلم ما یجری علیهم مدی وجودهم و ما ینتهی إلیه حالهم و مع أن الکتاب الذی ینبئهم بالمعاد هو قرآن کریم مصون من أن یلعب به أیدی الشیاطین و أولیاؤهم المضلین.

ثم یعید الکلام إلی ما بدئ به من حال الأزواج الثلاثه و یذکر أن اختلاف أحوال الأقسام یأخذ من حین الموت و بذلک تختتم السوره.

قوله تعالی:« نَحْنُ خَلَقْنٰاکُمْ فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ »السیاق سیاق الکلام فی البعث و الجزاء و قد أنکروه و کذبوا به،فقوله:« فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ »تحضیض علی تصدیق حدیث المعاد و ترک التکذیب به،و قد علله بقوله:« نَحْنُ خَلَقْنٰاکُمْ »کما یستفاد من التفریع الذی فی قوله:« فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ ».

و إیجاب خلقه تعالی لهم وجوب تصدیقه فیما یخبر به من المعاد من وجهین:أحدهما:

أنه تعالی خلقهم أول مره فهو قادر علی إعاده خلقهم ثانیا کما قال: «قٰالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ» :یس:۷۹.

ص: ۱۳۱

و ثانیهما:أنه تعالی لما کان هو خالقهم و هو المدبر لأمرهم المقدر لهم خصوصیات خلقهم و أمرهم فهو أعلم بما یفعل بهم و سیجری علیهم فإذا أنبأهم بأنه سیبعثهم بعد موتهم و یجزیهم بما عملوا إن خیرا و إن شرا لم یکن بد من تصدیقه فلا عذر لمن کذب بما أخبر به کتابه من البعث و الجزاء،قال تعالی: «أَ لاٰ یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ» :

الملک:۱۴،و قال: «کَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیدُهُ وَعْداً عَلَیْنٰا إِنّٰا کُنّٰا فٰاعِلِینَ» :الأنبیاء:۱۰۴، و قال: «وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِیلاً» :النساء:۱۲۲.

فمحصل الآیه:نحن خلقناکم و نعلم ما فعلنا و ما سنفعل بکم فنخبرکم أنا سنبعثکم و نجزیکم بما عملتم فهلا تصدقون بما نخبرکم به فیما أنزلناه من الکتاب.

و فی الآیه و ما یتلوها من الآیات التفات من الغیبه إلی الخطاب لأن السیاق سیاق التوبیخ و المعاتبه و ذلک بالخطاب أوقع و آکد.

قوله تعالی:« أَ فَرَأَیْتُمْ مٰا تُمْنُونَ » الأمناء قذف المنی و صبه و المراد قذفه و صبه فی الأرحام،و المعنی:أ فرأیتم المنی الذی تصبونه فی أرحام النساء.

قوله تعالی:« أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخٰالِقُونَ »أی أ أنتم تخلقونه بشرا مثلکم أم نحن خالقوه بشرا.

قوله تعالی:« نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ »تدبیر أمر الخلق بجمیع شئونه و خصوصیاته من لوازم الخلق بمعنی إفاضه الوجود فوجود الإنسان المحدود بأول کینونته إلی آخر لحظه من حیاته الدنیا بجمیع خصوصیاته التی تتحول علیه بتقدیر من خالقه عز و جل.فموته أیضا کحیاته بتقدیر منه،و لیس یعتریه الموت لنقص من قدره خالقه أن یخلقه بحیث لا یعتریه الموت أو من جهه أسباب و عوامل تؤثر فیه بالموت فتبطل الحیاه التی أفاضها علیه خالقه تعالی فإن لازم ذلک أن تکون قدرته تعالی محدوده ناقصه و أن یعجزه بعض الأسباب و تغلب إرادته إرادته و هو محال کیف؟و القدره مطلقه و الإراده غیر مغلوبه.

و یتبین بذلک أن المراد بقوله:« نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ »أن الموت حق مقدر و لیس أمرا یقتضیه و یستلزمه نحو وجود الحی بل هو تعالی قدر له وجودا کذا ثم موتا یعقبه.

و أن المراد بقوله:« وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ »و-السبق هو الغلبه و المسبوق المغلوب- و لسنا مغلوبین فی عروض الموت عن الأسباب المقارنه له بأن نفیض علیکم حیاه نرید أن

یدوم ذلک علیکم فیسبقنا الأسباب و تغلبنا فتبطل بالموت الحیاه التی کنا نرید دوامها.

قوله تعالی:« عَلیٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَکُمْ وَ نُنْشِئَکُمْ فِی مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ »« عَلیٰ »متعلقه بقوله:

« قَدَّرْنٰا »و جمله الجار و المجرور فی موضع الحال أی نحن قدرنا بینکم الموت حال کونه علی أساس تبدیل الأمثال و الإنشاء فیما لا تعلمون.

و الأمثال جمع مثل بالکسر فالسکون و مثل الشیء ما یتحد معه فی نوعه کالفرد من الإنسان بالنسبه إلی فرد آخر،و المراد بقوله:« أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَکُمْ »أن نبدل أمثالکم من البشر منکم أو نبدل أمثالکم مکانکم،و المعنی علی أی حال تبدیل جماعه من أخری و جعل الأخلاف مکان الأسلاف.

و قوله:« وَ نُنْشِئَکُمْ فِی مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ » مٰا موصوله و المراد به الخلق و الجمله معطوفه علی« نُبَدِّلَ »و التقدیر و علی أن ننشئکم و نوجدکم فی خلق آخر لا تعلمونه و هو الوجود الأخروی غیر الوجود الدنیوی الفانی.

و محصل معنی الآیتین أن الموت بینکم إنما هو بتقدیر منا لا لنقص فی قدرتنا بأن لا یتیسر لنا إدامه حیاتکم و لا لغلبه الأسباب المهلکه المبیده و قهرها و تعجیزها لنا فی حفظ حیاتکم و إنما قدرناه بینکم علی أساس تبدیل الأمثال و إذهاب قوم و الإتیان بآخرین و إنشاء خلق لکم یناسب الحیاه الآخره وراء الخلق الدنیوی الداثر فالموت انتقال من دار إلی دار و تبدل خلق إلی خلق آخر و لیس بانعدام و فناء.

و احتمل بعضهم أن یکون الأمثال فی الآیه جمع مثل بفتحتین و هو الوصف فتکون الجملتان« عَلیٰ أَنْ نُبَدِّلَ »إلخ،و« نُنْشِئَکُمْ »إلخ،تفیدان معنی واحدا،و المعنی:علی أن نغیر أوصافکم و ننشئکم فی وصف لا تعرفونه أو لا تعلمونه کحشرکم فی صفه الکلب أو الخنزیر أو غیرهما من الحیوان بعد ما کنتم فی الدنیا علی صفه الإنسان،و المعنی السابق أجمع و أکثر فائده.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولیٰ فَلَوْ لاٰ تَذَکَّرُونَ »المراد بالنشأه الأولی نشأه الدنیا،و العلم بها بخصوصیاتها یستلزم الإذعان بنشأه أخری خالده فیها الجزاء،فإن من المعلوم من النظام الکونی أن لا لغو و لا باطل فی الوجود فلهذه النشأه الفانیه غایه باقیه، و أیضا من ضروریات هذا النظام هدایه کل شیء إلی سعاده نوعه و هدایه الإنسان تحتاج إلی بعث الرسل و تشریع الشرائع و توجیه الأمر و النهی،و الجزاء علی خیر الأعمال و شرها

و لیس فی الدنیا فهو فی دار أخری و هی النشأه الآخره (۱).

علی أنهم شاهدوا النشأه الأولی و عرفوها و علموا أن الذی أوجدها عن کتم العدم هو الله سبحانه و إذ قدر علیها أولا فهو علی إیجاد مثلها ثانیا قادر،قال تعالی: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» :یس:۷۹،و هذا برهان علی الإمکان یرتفع به استبعادهم للبعث.

و بالجمله یحصل لهم بالعلم بالنشأه الأولی علم بمبادئ البرهان علی إمکان البعث فیرتفع به استبعاد البعث فلا استبعاد مع الإمکان.

و هذا-کما تری-برهان علی إمکان حشر الأجساد،محصله أن البدن المحشور مثل البدن الدنیوی و إذ جاز صنع البدن الدنیوی و إحیاؤه فلیجز صنع البدن الأخروی و إحیاؤه لأنه مثله و حکم الأمثال فیما یجوز و فیما لا یجوز واحد.

فمن العجیب قول الزمخشری فی الکشاف،فی الآیه:و فی هذا دلیل علی صحه القیاس حیث جهلهم فی ترک قیاس النشأه الأخری بالأولی.انتهی.و ذلک لأن الذی فی الآیه قیاس برهانی منطقی و الذی یستدل بها علیه قیاس فقهی مفید للظن فأین أحدهما من الآخر؟.

و قال فی روح المعانی،فی الآیه:فهلا تتذکرون أن من قدر علیها یعنی علی النشأه الأولی فهو علی النشأه الأخری أقدر و أقدر فإنها أقل صنعا لحصول المواد و تخصیص الأجزاء و سبق المثال،و هذا علی ما قالوا دلیل علی صحه القیاس لکن قیل:لا یدل إلا علی قیاس الأولی لأنه الذی فی الآیه.انتهی.

و فیه ما فی سابقه.علی أن الذی فی الآیه لیس من قیاس الأولی فی شیء لأن الجامع بین النشأه الأولی و الأخری أنهما مثلان و مبدأ القیاس أن حکم الأمثال فیما یجوز و فیما لا یجوز واحد.

و أما قوله:إن النشأه الأخری أقل صنعا لحصول المواد و تخصیص الأجزاء،فهو ممنوع فإن المواد تحتاج إلی إفاضه الوجود بقاء کما تحتاج إلیها فی حدوثها و أول حصولها،و کذا تخصص الأجزاء یحتاج إلیها بقاء کما تحتاج إلیها فالصنع ثانیا کالصنع أولا.

و أما قوله:و سبق المثال،فقد خلط بین المثل و المثال فالبدن الأخروی بالنظر إلی نفسه مثل البدن الدنیوی لا علی مثاله و لو کان علی مثاله کانت الآخره دنیا لا آخره.

۱- ۱) الآیه ۲۷ و ۲۸ من سوره ص.

فإن قلت:لو كان البـدن الأخروى مثلا للبـدن الـدنيوى و مثل الشـيء غيره كان الإنسان المعاد فی الآخره غير الإنسان المبتـدء فی الدنيا لأنه مثله لا عينه.

قلت:قـد تقـدم فی المباحث السابقه غير مره أن شخصـيه الإنسان بروحه لا ببـدنه، و الروح لا تنعـدم بالموت و إنما يفسد البدن و تتلاشـی أجزاؤه ثم إذا سوی ثانيـا مثل ما كان فی الـدنيا ثم تعلقت به الروح كان الإنسان عين الإنسان الـذی فی الـدنيا كما كان زيد الشائب مثلا عين زيد الشاب لبقاء الروح علی شخصيتها مع تغير البدن لحظه بعد لحظه.

قوله تعالی:« أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تَحْرُثُونَ -إلی قوله- مَحْرُومُونَ »بعد ما ذكرهم بكيفيه خلق أنفسهم و تقدير الموت بينهم تمهيدا للبعث و الجزاء و كـل ذلـک من لوازم ربوبيته عـد لهم أمورا ثلاـثه من أهم ما يعيشون به فی الـدنيا و هی الزرع الـذی يقتاتون به و الماء الذی يشربونه و النار التی يصطلون بها و يتوسلون بها إلی جمل من مآربهم، و تثبت بذلک ربوبيته لهم فليست الربوبيه إلا التدبير عن ملک.

فقـال:« أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تَحْرُثُونَ » الحرث العمل فی الأرض و إلقاء البـذر عليها« أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ »أی تنبتونه و تنمونه حتی يبلغ الغايه،و ضمير« تَزْرَعُونَهُ »للبـذر أو الحرث المعلوم من المقـام« أَمْ نَحْنُ الزّٰارِعُونَ »المنبتون المنمون حـتی يكمـل زرعـا« لَوْ نَشٰاءُ لَجَعَلْنٰاهُ حُطٰاماً »أی هشـيما متكسـرا متفتتا« فَظَلْتُمْ »أی فظللتم و صرتم« تَفَكَّهُونَ »أی تتعجبون مما أصيب به زرعكم و تتحدثون بما جری قـائلين« إِنّٰا لَمُغْرَمُونَ »موقعون فی الغرامه و الخسـاره ذهب مالنـا و ضـاع وقتنـا و خـاب سـعينا« بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ »ممنوعون من الرزق و الخير.

و لا منافاه بين نفی الزرع عنهم و نسبته إليه تعالی و بين توسط عوامل و أسباب طبيعيه فی نبات الزرع و نموه فإن الكلام عائد فی تأثير هذه الأسـباب و صنعها و ليس نحو تأثيرها باقتضاء من ذاتها منقطعه عنه تعالی بل بجعله و وضعه و موهبته،و كذا الكلام فی أسباب هذه الأسباب،و ينتهی الأمر إلی الله سبحانه و أن إلی ربک المنتهی.

قوله تعالی:« أَ فَرَأَيْتُمُ الْمٰاءَ الَّذِی تَشْرَبُونَ -إلی قوله- فَلَوْ لاٰ تَشْكُرُونَ » المزن السـحاب،و قوله:« فَلَوْ لاٰ تَشْكُرُونَ » تحضيض علی الشكر،و شكره تعالی جميل ذكره تعالی علی نعمه و هو إظهار عبوديته قولا و عملا.و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« أَ فَرَأَيْتُمُ النّٰارَ الَّتِی تُورُونَ -إلی قوله- وَ مَتٰاعاً لِلْمُقْوِينَ »قال فی المجمع،:

الإيراء إظهار النار بالقدح،يقال أورى يورى،قال:و يقال قدح فأورى إذا أظهر فإذا لم يور يقال:قدح فأكبى،و قال:و المقوى النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد، و أقوت الدار خلت من أهلها.انتهى.و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ »خطاب للنبى ص.لما ذكر سبحانه شواهد ربوبيته لهم و أنه الذى يخلقهم و يدبر أمرهم و من تدبيره أنه سيبعثهم و يجزيهم بأعمالهم و هم مكذبون بذلك أعرض عن خطابهم و التفت إلى خطاب النبى ص إشعارا بأنهم لا يفقهون القول فأمر النبى ص أن ينزهه تعالى عن إشراكهم به و إنكارهم البعث و الجزاء.

فقوله:« فَسَبِّحْ بِاسْمِ »إلخ،الفاء لتفريع التسبيح على ما تقدم من البيان،و الباء للاستعانه أو الملابسه،و المعنى:فإذا كان كذلك فسبح مستعينا بذكر اسم ربك،أو المراد بالاسم الذكر لأن إطلاق اسم الشىء ذكر له كما قيل أو الباء للتعديه لأن تنزيه اسم الشىء تنزيه له،و المعنى:نزه اسم ربك من أن تذكر له شريكا أو تنفى عنه البعث و الجزاء،و العظيم صفه الرب أو الاسم.

قوله تعالى:« فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ »« فَلاَ أُقْسِمُ »قسم و قيل:لا زائده و أقسم هو القسم،و قيل:لا نافيه و أقسم هو القسم.

و «مواقع» جمع موقع و هو المحل،و المعنى:أقسم بمحال النجوم من السماء،و قيل:

مواقع جمع موقع مصدر ميمى بمعنى السقوط يشير به إلى سقوط الكواكب يوم القيامه أو وقوع الشهب على الشياطين،أو مساقط الكواكب فى مغاربها،و أول الوجوه هو السابق إلى الذهن.

قوله تعالى:« وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ »تعظيم لهذا القسم و تأكيد على تأكيد.

قوله تعالى:« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ -إلى قوله- مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ »لما كان إنكارهم حديث وحدانيته تعالى فى ربوبيته و ألوهيته و كذا إنكارهم للبعث و الجزاء إنما أبدوه بإنكار القرآن النازل على النبى ص الذى فيه نبأ التوحيد و البعث كان إنكارهم منشعبا إلى إنكار أصل التوحيد و البعث أصلا،و إلى إنكار ذلك بما أن القرآن ينبئهم به،فأورد تعالى أولا بيانا لإثبات أصل الوحدانيه و البعث بذكر شواهد من آياته تثبت ذلك و هو قوله:« نَحْنُ خَلَقْنٰاكُمْ -إلى قوله- وَ مَتٰاعاً لِلْمُقْوِينَ »،و ثانيا بيانا يؤكد فيه كون القرآن الكريم كلامه المحفوظ عنده النازل منه و وصفه بأحسن أوصافه.

فقوله:« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ »جواب للقسم السابق،الضمير للقرآن المعلوم من السياق السابق و يستفاد من توصيفه بالكريم من غير تقييد فی مقام المدح أنه كريم على الله عزيز عنده و كريم محمود الصفات و كريم بذال نفاع للناس لما فيه من أصول المعارف التی فيها سعاده الدنيا و الآخره.

و قوله:« فِی كِتَابٍ مَكْنُونٍ »وصف ثان للقرآن أی محفوظ مصون عن التغيير و التبديل،و هو اللوح المحفوظ كما قال تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» :البروج:۲۲.

و قوله:« لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ »صفه الكتاب المكنون و يمكن أن يكون وصفا ثالثا للقرآن و مآل الوجهين على تقدير كون لا نافيه واحد.

و المعنى:لا يمس الكتاب المكنون الذی فيه القرآن إلا المطهرون أو لا يمس القرآن الذی فی الكتاب إلا المطهرون.

و الكلام على أی حال مسوق لتعظيم أمر القرآن و تجليله فمسه هو العلم به و هو فی الكتاب المكنون كما يشير إليه قوله: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ» :الزخرف:۴.

و المطهرون-اسم مفعول من التطهير-هم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصی و قذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلک و أدق و هو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى،و هذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذی هو العلم دون الطهاره من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر.

فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكه الكرام و الذين طهرهم الله من البشر،قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» :الأحزاب:۳۳،و لا وجه لتخصيص المطهرين بالملائكه كما عن جل المفسرين لكونه تقييدا من غير مقيد.

و ربما جعل« لاٰ »فی« لاٰ يَمَسُّهُ »ناهيه،و المراد بالمس على هذا مس كتابه القرآن، و بالطهاره الطهاره من الحدث أو الحدث و الخبث جميعا-و قرئ« المطهرون »بتشديد الطاء و الهاء و كسر الهاء أی المتطهرون-و مدلول الآيه تحريم مس كتابه القرآن على غير طهاره.

ص :۱۳۷

و يمكن حمل الآيه على هذا المعنى على تقدير كون لا نافيه بأن تكون الجمله إخبارا أريد به الإنشاء و هو أبلغ من الإنشاء.

قال فى الكشاف،:و إن جعلتها يعنى جمله« لاٰ يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ »صفه للقرآن فالمعنى:

لاـ ينبغى أن يمسه إلاـ من هو على الطهاره من الناس يعنى مس المكتوب منه،انتهى و قد عرفت صحه أن يراد بالمس العلم و الاطلاع على تقدير كونها صفه للقرآن كما يصح على تقدير كونها صفه لكتاب مكنون.

و قوله:« تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ »وصف آخر للقرآن،و المصدر بمعنى اسم المفعول أى منزل من عند الله إليكم تفتهمونه و تعقلونه بعد ما كان فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون.

و التعبير عنه تعالى برب العالمين للإشاره إلى أن ربوبيته تعالى منبسطه على جميع العالمين و هم من جملتهم فهو تعالى ربهم و إذا كان ربهم كان عليهم أن يؤمنوا بكتابه و يصغوا لكلامه و يصدقوه من غير تكذيب.

قوله تعالى:« أَ فَبِهٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ »الإشاره بهذا الحديث إلى القرآن، و الإدهان به التهاون به و أصله التليين بالدهن أستعير للتهاون،و الاستفهام للتوبيخ يوبخهم تعالى على عدهم أمر القرآن هينا لا يعتنى به.

قوله تعالى:« وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ »قيل:المراد بالرزق حظهم من الخير،و المعنى:و تجعلون حظكم من الخير الذى لكم أن تنالوه بالقرآن أنكم تكذبون به أى تضعونه موضعه،و قيل:المراد بالرزق القرآن رزقهم الله إياه،و المعنى:تأخذون التكذيب مكان هذا الرزق الذى رزقتموه،و قيل:الكلام بحذف مضاف و التقدير:

و تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون أى وضعتم التكذيب موضع الشكر.

قوله تعالى:« فَلَوْ لاٰ إِذٰا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ -إلى قوله صٰادِقِينَ »رجوع إلى أول الكلام بالتفريع على تكذيبهم بأنكم إن كنتم صادقين فى نفيكم للبعث مصيبين فى تكذيبكم لهذا القرآن الذى ينبئكم بالبعث رددتم نفس المحتضر التى بلغت الحلقوم إذ لو لم يكن الموت بتقدير من الله كان من الأمور الاتفاقيه التى ربما أمكن الاحتيال لدفعها،فإذا لم تقدروا على رجوعها و إعاده الحياه معها فاعلموا أن الموت حق مقدر من الله لسوق النفوس إلى البعث و الجزاء.

فقوله:« فَلَوْ لاٰ إِذٰا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ »تفريع على تكذيبهم بالقرآن و بما أخبر به من

البعث و الجزاء،و لو لا-للتحضيض تعجيزا و تبكيتا لهم،و ضمير« بَلَغَتِ »للنفس،و بلوغ النفس الحلقوم كنايه عن الإشراف التام للموت.

و قوله:« وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ »أى تنظرون إلى المحتضر أى هو بمنظر منكم.

و قوله:« وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُبْصِرُونَ »أى و الحال أنا أقرب إليه منكم لإحاطتنا به وجودا و رسلنا القابضون لروحه أقرب إليه منكم و لكن لا تبصروننا و لا رسلنا.

قال تعالى: «اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهٰا» :الزمر:۲۶،و قال: «قُلْ يَتَوَفّٰاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» :السجده:۱۱،و قال: «حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا» :الأنعام:۶۱.

و قوله:« فَلَوْ لاٰ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ »تكرار لو لا لتأكيد لو لا السابقه، و« مَدِينِينَ »أى مجزيين من دان يدين بمعنى جزى يجزى،و المعنى:إن كنتم غير مجزيين ثوابا و عقابا بالبعث.

و قوله:« تَرْجِعُونَهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ »أى إن كنتم صادقين فى دعواكم أن لا-بعث و لا-جزاء،و قوله:« تَرْجِعُونَهٰا »مدخول لو لا التحضيضيه بحسب التقدير و ترتيب الآيات بحسب التقدير فلو لا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم مدينين.

قوله تعالى:« فَأَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحٰانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ »رجوع إلى بيان حال الأزواج الثلاثه المذكوره فى أول السوره عند الموت و بعده و ضمير« كٰانَ »للمتوفى المعلوم من السياق، و المراد بالمقربين السابقون المقربون المذكورون سابقا،و الروح الراحه، و الريحان الرزق،و قيل:هو الريحان المشموم من ريحان الجنه يؤتى به إليه فيشمه و يتوفى.

و المعنى:فأما إن كان المتوفى من المقربين فله-أو فجزاؤه-راحه من كل هم و غم و ألم و رزق من رزق الجنه و جنه نعيم.

قوله تعالى:« وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنْ أَصْحٰابِ الْيَمِينِ فَسَلاٰمٌ لَكَ مِنْ أَصْحٰابِ الْيَمِينِ »يمكن أن يكون اللام للاختصاص الملكى و معنى« فَسَلاٰمٌ لَكَ »أنك تختص بالسلام من أصحاب اليمين الذين هم قرناؤك و رفقاؤك فلا ترى منهم إلا خيرا و سلاما.

و قيل:لك بمعنى عليك أى يسلم عليك أصحاب اليمين،و قيل غير ذلك.

و الالتفات من الغيبه إلى الخطاب للدلاله على أنه يخاطب بهذا الخطاب:سلام لك من

أصحاب اليمين.

قوله تعالى:« وَ أَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ » تصليه النار الإدخال فيها،و قيل:مقاساه حرها و عذابها.

و المعنى:و أما إن كان من أهل التكذيب و الضلال فلهم نزل من ماء شديد الحراره، و مقاساه حر نار جحيم.

و قد وصفهم الله بالمكذبين الضالين فقدم التكذيب على الضلال لأن ما يلقونه من العذاب تبعه تكذيبهم و عنادهم للحق و لو كان ضلالا بلا تكذيب و عناد كانوا مستضعفين غير نازلين هذه المنزله،و أما قوله سابقا:« ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ »فإذ كان المقام هناك مقام الرد لقولهم:« أَ إِذا مِتْنا وَ كُنّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ »إلخ،كان الأنسب توصيفهم أولا بالضلال ثم بالتكذيب.

قوله تعالى:« إِنَّ هٰذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » الحق هو العلم من حيث إن الخارج الواقع يطابقه،و اليقين هو العلم الذى لا لبس فيه و لا ريب فإضافه الحق إلى اليقين نحو من الإضافه البيانيه جيء بها للتأكيد.

و المعنى:أن هذا الذى ذكرناه من حال أزواج الناس الثلاثه هو الحق الذى لا تردد فيه و العلم الذى لا شك يعتريه.

قوله تعالى:« فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ »تقدم تفسيره، و هو تفريع على ما تقدمه من صفه القرآن و بيان حال الأزواج الثلاثه بعد الموت و فى الحشر.

و المعنى:فإذا كان القرآن على هذه الصفات و صادقا فيما ينبئ به من حال الناس بعد الموت فنزه ربك العظيم مستعينا أو ملابسا باسمه و أنف ما يراه و يدعيه هؤلاء المكذبون الضالون.

(بحث روائى)

فى المجمع،:فى قوله تعالى:« أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ »:و

روى عن النبى ص قال: لا يقولن أحدكم زرعت و ليقل حرثت.:

أقول:و رواه فى الدر المنثور،عن عده من أصحاب الجوامع عن أبى هريره عنه(ص) .

ص: ۱۴۰

و فی تفسیر القمی،":« أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ »قال:من السحاب« نَحْنُ جَعَلْنٰاهٰا تَذْكِرَةً »لنار یوم القیامه« وَ مَتٰاعاً لِلْمُقْوِینَ »قال:المحتاجین.

و فی المجمع،فی قوله تعالی:« فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِیمِ »:

فقد صح عن النبی ص:

أنه لما نزلت هذه الآیه قال:اجعلوها فی ركوعكم.:

أقول:و رواه فی الفقیه،مرسلا،و رواه فی الدر المنثور،عن الجهنی عنه(ص) .

و فی الدر المنثور،أخرج النسائی و ابن جریر و محمد بن نصر و الحاكم و صححه و ابن مردویه و البیهقی فی شعب الإیمان عن ابن عباس قال":أنزل القرآن فی لیله القدر من السماء العلیا-إلی السماء الدنیا جمله واحده-ثم فرق فی السنین و فی لفظ-ثم نزل من السماء الدنیا إلی الأرض نجوما-ثم قرأ« فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ ».

أقول:و ظاهره تفسیر مواقع النجوم بأوقات نزول نجوم القرآن.

و فی تفسیر القمی،":و قوله:« فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ »قال:معناه أقسم بمواقع النجوم.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه بسند رواه عن ابن عباس عن النبی ص: « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِیمٌ فِی كِتٰابٍ مَكْنُونٍ »قال:عند الله فی صحف مطهره« لاٰ یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ » قال:المقربون.

أقول:و تفسیر المطهرین بالمقربین یؤید ما أوردناه فی البیان المتقدم،و قد أوردنا فی ذیل قوله: «هٰذٰا كِتٰابُنٰا یَنْطِقُ عَلَیْكُمْ بِالْحَقِّ» XالآیهX:الجاثیه:۲۹،حدیثا عن الصادق (ع)فی الكتاب المكنون.

و فی المجمع،: فی قوله تعالی:« لاٰ یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ »و قالوا:لا یجوز للجنب و الحائض و المحدث مس المصحف: عن محمد بن علی(ع) .

أقول:المراد بمس المصحف مس كتابته بدلیل الروایات الأخر.

و فی الكافی،بإسناده عن داود بن فرقد عن أبی عبد الله(ع)قال: سألته عن التعویذ یعلق علی الحائض-قال:نعم لا بأس.و قال:تقرؤه و تكتبه و لا تصیبه یدها.

و فی الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و ابن أبی داود و ابن المنذر عن عبد الله بن أبی بكر عن أبیه قال: فی كتاب النبی ص لعمرو بن حزم:و لا تمس القرآن إلا عن طهور.

أقول:و الروایات فیه كثیره من طرق الشیعه و أهل السنه.

و فيه،أخرج مسلم و ابن المنذر و ابن مردويه عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد

ص :۱۴۱

رسول الله ص فقال النبی ص:أصبح من الناس شاکر و منهم کافر-قالوا:هذه رحمه وضعها الله-و قال بعضهم:لقد صدق نوء کذا-فنزلت هذه الآیه« فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ » حتی بلغ« وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ أَنَّکُمْ تُکَذِّبُونَ ».

أقول:و قد استفاضت الروایه من طرق أهل السنه أن الآیات نزلت فی الأنواء و ظاهرها أنها مدنیه لکنها لا تلائم سیاق آیات السوره کما عرفت.

و فی المجمع،و قراءه علی(ع)و ابن عباس و رویت عن النبی ص: و تجعلون شکرکم:.

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن النبی ص و علی(ع) .

و فی تفسیر القمی،":فی قوله:« غَیْرَ مَدِینِینَ »قال:معناه فلو کنتم غیر مجازین علی أعمالکم« تَرْجِعُونَهٰا »یعنی به الروح إذا بلغت الحلقوم-تردونها فی البدن« إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ ».

و فیه،بإسناده عن أبی بصیر قال:سمعت أبا عبد الله(ع)یقول: « فَأَمّٰا إِنْ کٰانَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ فَرَوْحٌ وَ رَیْحٰانٌ »فی قبره« وَ جَنَّهُ نَعِیمٍ »فی الآخره.

و فی الدر المنثور،أخرج القاسم بن منده فی کتاب الأحوال و الإیمان بالسؤال عن سلمان قال:قال رسول الله ص: إن أول ما یبشر به المؤمن عند الوفاه-بروح و ریحان و جنه نعیم-و إن أول ما یبشر به المؤمن فی قبره أن یقال:أبشر برضا الله تعالی و الجنه قدمت خیر مقدم-قد غفر الله لمن شیعک إلی قبرک،و صدق من شهد لک،و استجاب لمن استغفر لک.

و فیه،أخرج ابن جریر و ابن المنذر عن ابن عباس":فی قوله:« فَسَلاٰمٌ لَکَ مِنْ أَصْحٰابِ الْیَمِینِ »قال:تأتیه الملائکه بالسلام من قبل الله-تسلم علیه و تخبره أنه من أصحاب الیمین.

أقول:و ما أورده من المعنی مبنی علی کون الآیه حکایه خطاب الملائکه،و التقدیر قالت الملائکه سلام لک حال کونک من أصحاب الیمین فهی سلام و بشاره.

(۵۷)(سوره الحدید مدنیه و هی تسع و عشرون آیه)(۲۹)

[سوره الحدید (۵۷): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱) لَهُ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ یُحْیِی وَ یُمِیتُ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲) هُوَ اَلْأَوَّلُ وَ اَلْآخِرُ وَ اَلظّٰاهِرُ وَ اَلْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۳) هُوَ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ یَعْلَمُ مٰا یَلِجُ فِی اَلْأَرْضِ وَ مٰا یَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا یَنْزِلُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا یَعْرُجُ فِیهٰا وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ مٰا کُنْتُمْ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ (۴) لَهُ مُلْكُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِلَى اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۵) يُولِجُ اَللَّيْلَ فِي اَلنَّهَارِ وَ يُولِجُ اَلنَّهَارَ فِي اَللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ اَلصُّدُورِ (۶)

ص :۱۴۲

(بيان)

غرض السوره حث المؤمنين و ترغيبهم فى الإنفاق فى سبيل الله كما يشعر به تأكيد الأمر به مره بعد مره فى خلال آياتها« آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » الآيه،« مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً »الآيه،« إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ وَ أَقْرَضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً »و قد سمت إنفاقهم ذلك إقراضا منه لله عز اسمه فالله سبحانه خير مطلوب و هو لا يخلف الميعاد و قد وعدهم إن أقرضوه أن يضاعفه لهم و أن يؤتيهم أجرا كريما كثيرا.

و قد أشار إلى أن هذا الإنفاق من التقوى و الإيمان بالرسول و أنه يستتبع مغفره الذنوب و إتيان كفلين من الرحمه و لزوم النور بل و اللحوق بالصديقين و الشهداء عند الله سبحانه.

و فى خلال آياتها معارف راجعه إلى المبدأ و المعاد،و دعوه إلى التقوى و إخلاص الإيمان و الزهد و موعظه.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها و قد ادعى بعضهم إجماع المفسرين على ذلك.

ص :۱۴۳

و لقد افتتحت السوره بتسبيحه و تنزيهه تعالى بعده من أسمائه الحسنى لما فى غرض السوره و هو الحث على الإنفاق من شائبه توهم الحاجه و النقص فى ناحيته و نظيرتها فى ذلك جميع السور المفتتحه بالتسبيح و هى سور الحشر و الصف و الجمعه و التغابن المصدره بسبح أو يسبح.

قوله تعالى:« سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » التسبيح التنزيه و هو نفى ما يستدعى نقصا أو حاجه مما لا يليق بساحه كماله تعالى،و مٰا موصوله و المراد بها ما يعم العقلاء مما فى السماوات و الأرض كالملائكه و الثقلين و غير العقلاء كالجمادات و الدليل عليه ما ذكر بعد من صفاته المتعلقه بالعقلاء كالإحياء و العلم بذات الصدور.

فالمعنى:نزه الله سبحانه ما فى السماوات و الأرض من شىء و هو جميع العالم.

و المراد بتسبيحها حقيقه معنى التسبيح دون المعنى المجازى الذى هو دلاله وجود كل موجود فى السماوات و الأرض على أن له موجدا منزها من كل نقص متصفا بكل كمال، و دون عموم المجاز و هو دلاله كل موجود على تنزهه تعالى إما بلسان القال كالعقلاء و إما بلسان الحال كغير العقلاء من الموجودات و ذلك لقوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» :إسراء:۴۴،حيث استدرك أنهم لا يفقهون تسبيحهم و لو كان المراد بتسبيحهم دلاله وجودهم على وجوده و هى قيام الحجه على الناس بوجودهم أو كان المراد تسبيحهم و تحميدهم بلسان الحال و ذلك مما يفقه الناس لم يكن للاستدراك معنى.

فتسبيح ما فى السماوات و الأرض تسبيح و نطق بالتنزيه بحقيقه معنى الكلمه و إن كنا لا نفقهه،قال تعالى: «قٰالُوا أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» :حم السجده:۲۱.

و قوله:« وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »أى المنيع جانبه يغلب و لا يغلب،المتقن فعله لا يعرض على فعله ما يفسده عليه و لا يتعلق به اعتراض معترض.

قوله تعالى:« لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »الكلام موضوع على الحصر فهو المليك فى السماوات و الأرض يحكم ما يشاء لأنه الموجد لكل شىء فما فى السماوات و الأرض يقوم به وجوده و آثار وجوده فلا حكم إلا له فلا ملك و لا سلطنه إلا له.

و قوله:« يُحْيِي وَ يُمِيتُ »إشاره إلى اسميه المحيى و المميت،و إطلاق« يُحْيِي وَ يُمِيتُ » يفيد شمولهما لكل إحياء و إماته كإيجاده الملائكه أحياء من غير سبق موت،و إحيائه

الجنين فی بطن أمه و إحيائه الموتی فی البعث و إيجاده الجماد ميتا من غير سبق حياه و إماتته الإنسان فی الدنيا و إماتته ثانيا فی البرزخ علی ما يشير إليه قوله: «رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ» :المؤمن:١١ و فی« يُحْيِی وَ يُمِيتُ »دلاله علی الاستمرار.

و قوله:« وَ هُوَ عَلی كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ »فيه إشاره إلی صفه قدرته و أنها مطلقه غير مقيده بشیء دون شیء،و فی تذييل الآيه بالقدره علی كل شیء مناسبه مع ما تقدمها من الإحياء و الإماته لما ربما يتوهمه المتوهم أن لا قدره علی إحياء الموتی و لا عين منهم و لا أثر.

قوله تعالی:« هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ »لما كان تعالی قديرا علی كل شیء مفروض كان محيطا بقدرته علی كل شیء من كل جهه فكل ما فرض أولا فهو قبله فهو الأول دون الشیء المفروض أولا،و كل ما فرض آخرا فهو بعده لإحاطه قدرته به من كل جهه فهو الآخر دون الشیء المفروض آخرا،و كل شیء فرض ظاهرا فهو أظهر منه لإحاطه قدرته به من فوقه فهو الظاهر دون المفروض ظاهرا،و كل شیء فرض أنه باطن فهو تعالی أبطن منه لإحاطته به من ورائه فهو الباطن دون المفروض باطنا فهو تعالی الأول و الآخر و الظاهر و الباطن علی الإطلاق و ما فی غيره تعالی من هذه الصفات فهی إضافيه نسبيه.

و ليست أوليته تعالی و لا آخريته و لا ظهوره و لا بطونه زمانيه و لا مكانيه بمعنی مظروفيته لهما و إلا لم يتقدمهما و لا تنزه عنهما سبحانه بل هو محيط بالأشياء علی أی نحو فرضت و كيفما تصورت.

فبان مما تقدم أن هذه الأسماء الأربعه الأول و الآخر و الظاهر و الباطن من فروع اسمه المحيط و هو فرع إطلاق القدره فقدرته محيطه بكل شیء و يمكن تفريع الأسماء الأربعه علی إحاطه وجوده بكل شیء فإنه تعالی ثابت قبل ثبوت كل شیء و ثابت بعد فناء كل شیء و أقرب من كل شیء ظاهر و أبطن من الأوهام و العقول من كل شیء خفی باطن.

و كذا للأسماء الأربعه نوع تفرع علی علمه تعالی و يناسبه تذييل الآيه بقوله:« وَ هُوَ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ ».

و فسر بعضهم الأسماء الأربعه بأنه الأول قبل كل شیء و الآخر بعد هلاك كل شیء الظاهر بالأدله الداله عليه و الباطن غير مدرك بالحواس.

و قيل:الأول قبل كل شیء بلا ابتداء،و الآخر بعد کل شیء بلا انتهاء،و الظاهر الغالب العالی علی کل شیء فکل شیء دونه،و الباطن العالم بکل شیء فلا أحد أعلم منه.

و قيل:الأول بلا ابتداء و الآخر بلا انتهاء و الظاهر بلا اقتراب و الباطن بلا احتجاب.

و هناك أقوال أخر في معناها غیر جیده أغمضنا عن إيرادها.

قوله تعالی:« هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ »تقدم تفسیره.

قوله تعالی:« ثُمَّ اسْتَویٰ عَلَی الْعَرْشِ یَعْلَمُ مٰا یَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ مٰا یَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا یَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَ مٰا یَعْرُجُ فِیهٰا »تقدم تفصیل القول فی معنی العرش فی سوره الأعراف آیه:۵۴.

و تقدم أن الاستواء علی العرش کنایه عن الأخذ فی تدبیر الملک و لذا عقبه بالعلم بجزئیات الأحوال لأن العلم من لوازم التدبیر.

و قوله:« یَعْلَمُ مٰا یَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ مٰا یَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا یَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَ مٰا یَعْرُجُ فِیهٰا » الولوج -کما قال الراغب-الدخول فی مضیق،و العروج ذهاب فی صعود،و المعنی: یعلم ما یدخل و ینفذ فی الأرض کماء المطر و البذور و غیرهما و ما یخرج من الأرض کأنواع النبات و الحیوان و الماء و ما ینزل من السماء کالأمطار و الأشعه و الملائکه و ما یعرج فیها و یصعد کالأبخره و الملائکه و أعمال العباد.

قوله تعالی:« وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ مٰا کُنْتُمْ »لإحاطته بکم فلا تغیبون عنه أینما کنتم و فی أی زمان عشتم و فی أی حال فرضتم فذکر عموم الأمکنه« أَیْنَ مٰا کُنْتُمْ »لأن الأعرف فی مفارقه شیء شیئا و غیبته عنه أن یتوسل إلی ذلک بتغییر المکان و إلا فنسبته تعالی إلی الأمکنه و الأزمنه و الأحوال سواء.

و قيل:المعیه مجاز مرسل عن الإحاطه العلمیه.

قوله تعالی:« وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ »کالفرع المترتب علی ما قبله من کونه معهم أینما کانوا و کونه بکل شیء علیما فإن لازم حضوره عندهم من دون مفارقه ما و احتجاب و هو علیم أن یکون بصیرا بأعمالهم یبصر ظاهر عملهم،و ما فی باطنهم من نیه و قصد.

قوله تعالی:« لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَی اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ »کرر قوله:« لَهُ مُلْکُ »إلخ، لابتناء رجوع الأشیاء إلیه علی عموم الملک فصرح به لیفید الابتناء،قال تعالی: «یَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ لاٰ یَخْفیٰ عَلَی اللّٰهِ مِنْهُمْ شَیْءٌ لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ» :المؤمن:۱۶.

و قوله:« وَ إِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ »الأمور جمع محلى باللام يفيد العموم كقوله: «أَلاٰ إِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» :الشورى:۵۳،فما من شیء إلا و یرجع إلی الله،و لا راد إلیه تعالی إلا هو لاختصاص الملک به فله الأمر و له الحکم.

و فی الآیه وضع الظاهر موضع الضمیر فی« إِلَى اللّٰهِ »و کذا فی الآیه السابقه« وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »و لعل الوجه فی ذلک أن تقرع الجملتان قلوبهم کما یقرع المثل السائر لما سیجیء من ذکر یوم القیامه و جزیل أجر المنفقین فی سبیل الله فیه.

قوله تعالی:« يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ وَ يُولِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ » إیلاج اللیل فی النهار و إیلاج النهار فی اللیل اختلاف اللیل و النهار فی الطول و القصر باختلاف فصول السنه فی کل من البقاع الشمالیه و الجنوبیه بعکس الأخری،و قد تقدم فی کلامه تعالی غیر مره.

و المراد بذات الصدور الأفکار المضمره و النیات المکنونه التی تصاحب الصدور و تلازمها لما أنها تنسب إلی القلوب و القلوب فی الصدور،و الجمله أعنی قوله:« وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »بیان لإحاطه علمه بما فی الصدور بعد بیان إحاطه بصره بظواهر أعمالهم بقوله:« وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ».

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج أحمد و أبو داود و الترمذی و حسنه و النسائی و ابن مردویه و البیهقی فی شعب الإیمان عن عرباض بن ساریه: أن رسول الله ص کان یقرأ المسبحات قبل أن یرقد،و قال:إن فیهن آیه أفضل من ألف آیه.:

أقول:و رواه أیضا عن ابن الضریس عن یحیی بن أبی کثیر عنه(ص) .

و فی الکافی،بإسناده عن عاصم بن حمید قال: سئل علی بن الحسین(ع)عن التوحید فقال:إن الله عز و جل علم أنه یکون فی آخر الزمان-أقوام متعمقون فأنزل الله تعالی:

« قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ »و الآیات من سوره الحدید-إلی قوله:« عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »فمن رام وراء ذلک فقد هلک.

و فی تفسیر القمی،":« سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »قال:هو

قوله:أوتيت جوامع الكلم،و قوله:« هُوَ الْأَوَّلُ »قال:أی قبل کل شیء،« وَ الْآخِرُ » قال:یبقی بعد کل شیء،« وَ هُوَ عَلِیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »قال:بالضمائر.

و فی الکافی،و روی: أنه یعنی علیا(ع)سئل أین کان ربنا-قبل أن یخلق سماء و أرضا؟ قال:أین سؤال عن مکان و کان الله و لا مکان.

و فی التوحید،خطبه للحسن بن علی(ع)و فیها: الحمد لله الذی لم یکن فیه أول معلوم،و لا آخر متناه،و لا قبل مدرک،و لا بعد محدود،فلا تدرک العقول و أوهامها- و لا الفکر و خطراتها و لا الألباب و أذهانها صفته-فتقول:متی و لا بدئ مما،و لا ظاهر علی ما،و لا باطن فیما.

أقول:و قوله أول معلوم إلخ،أوصاف توضیحیه أی لیس له أول و لو کان له أول کان من الجائز أن یتعلق به علم و لا آخر و لو کان له آخر کان متناهیا،و لا قبل و لو کان لکان جائز الإدراک و لا بعد و إلا لکان محدودا.

و قوله:و لا بدئ مما أی لم یبتدأ من شیء حتی یکون له أول و لا ظاهر علی ما أی یتفوق علی شیء بالوقوع و الاستقرار علیه کالجسم علی الجسم«و لا باطن فیما»أی لم یتبطن فی شیء بالدخول فیه و الاستتار به.

و فی نهج البلاغه،: و کل ظاهر غیره غیر باطن،و کل باطن غیره غیر ظاهر.

أقول:معناه أن حیثیه الظهور فی غیره تعالی غیر حیثیه البطون و بالعکس،و أما هو تعالی فلما کان أحدی الذات لا تنقسم و لا تتجزی إلی جهه و جهه کان ظاهرا من حیث هو باطن و باطنا من حیث هو ظاهر فهو باطن خفی من کمال ظهوره و ظاهر جلی من کمال بطونه.

و فیه،: الحمد لله الأول فلا شیء قبله،و الآخر فلا شیء بعده،و الظاهر فلا شیء فوقه،و الباطن فلا شیء دونه.

أقول:المراد بالقبلیه و البعدیه لیس هو القبلیه و البعدیه الزمانیه بأن یفرض هناک امتداد زمانی غیر متناهی الطرفین و قد حل العالم قطعه منه خالیا عنه طرفاه و یکون وجوده تعالی و تقدس منطبقا علی الزمان کله غیر خال عنه شیء من جانبیه و إن ذهبا إلی غیر النهایه فیتقدم وجوده تعالی علی العالم زمانا و یتأخر عنه زمانا و لو کان کذلک لکان تعالی متغیرا فی ذاته و أحواله بتغیر الأزمنه المتجدده علیه،و کان قبلیته

و بعديته بتبع الزمان و كان الزمان هو الأول و الآخر بالأصاله.

و كـذلك ليست ظـاهريته و باطنيته بحسب المكان بنظير البيان بل هو تعالى سابق بنفس ذاته المتعاليه على كل شـىء مفروض و آخر بنفس ذاته عن كل أمر مفروض أنه آخر، و ظاهر،و باطن كذلك،و الزمان مخلوق له متأخر عنه.

و فى الدر المنثور،أخرج أبو الشيخ فى العظمه عن ابن عمر و أبى سعيد عن النبى ص قال: لا يزال الناس يسألون عن كل شـىء حتى يقولوا:هذا الله كان قبل كل شـىء فما ذا كان قبل الله-فإن قالوا لكم ذلك فقولوا:هو الأول قبل كل شىء و هو الآخر فليس بعده شىء-و هو الظاهر فوق كل شىء-و هو الباطن دون كل شىء و هو بكل شىء عليم.

و فى التوحيـد،بإسـناده إلى أبى بصير قـال:سـمعت أبـا عبـد الله(ع)يقول: لم يزل الله عز و جل ربنـا و العلم ذاته و لا معلوم-فلما أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم.

أقول:ليس المراد بهـذا العلم الصور الـذهنيه فيكون تعالى كبانى دار يتصور للـدار صوره و هيئه قبل بنائها ثم يبنيها على ما تصور فتنطبق الصوره الـذهنيه على البناء الخارجى ثم تنهـدم الـدار و الصوره الـذهنيه على حالها،و هذا هو المسـمى بالعلم الكلى و هو مسـتحيل عليه تعـالى بـل ذاته تعـالى عين العلم بمعلومه ثم المعلوم إذا تحقق فى الخارج كان ذات المعلوم عين علمه تعالى به،و يسمى الأول العلم الذاتى و الثانى العلم الفعلى.

و فيه،خطبه لعلى(ع)و فيها: و علمها لا بأداه لا يكون العلم إلا بها،و ليس بينه و بين معلومه علم غيره.

أقول:المراد به أن ذاته تعالى عين علمه،و ليست هناك صوره زائده.

[سوره الحديد (۵۷): الآيات ۷ الى ۱۵]

اشاره

آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَ مٰا لَكُمْ لاٰ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثٰاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (٩) وَ مٰا لَكُمْ أَلاّٰ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لاٰ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قٰاتَلُوا وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنىٰ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضٰاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ بُشْرٰاكُمُ الْيَوْمَ جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونٰا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بٰابٌ بٰاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظٰاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذٰابُ (١٣) يُنٰادُونَهُمْ أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قٰالُوا بَلىٰ وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمٰانِيُّ حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لاٰ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لاٰ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوٰاكُمُ النّٰارُ هِيَ مَوْلاٰكُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)

(بيان)

أمر مؤكد بالإنفاق فى سبيل الله و خاصه الجهاد على ما يؤيده قوله:« لاٰ يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ »الآيه،و يتأيد بذلك ما قيل:إن قوله:« آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا »إلخ،نزل فى غزوه تبوك.

قوله تعالى:« آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ »إلخ،المستفاد من سياق الآيات أن الخطاب فى الآيه للمؤمنين بالله و رسوله لا للكفار و لا للمؤمنين و الكفار جميعا كما قيل،و أمر الذين تلبسوا بالإيمان بالله و رسوله بالإيمان معناه الأمر بتحقيق الإيمان بترتيب آثاره عليه إذ لو كانت صفه من الصفات كالسخاء و العفه و الشجاعه ثابته فى نفس الإنسان حق ثبوتها لم يتخلف عنها أثرها الخاص و من آثار الإيمان بالله و رسوله الطاعه فيما أمر الله و رسوله به.

و من هنا يظهر أولا:أن أمر المؤمن بالإيمان فى الحقيقه أمر للمتحقق بمرتبه من الإيمان أن يتلبس بمرتبه هى أعلى منها،و هذا النوع من الأمر فيه إيماء إلى أن الذى عند المأمور من المأمور به لا يرضى الآمر كل الإرضاء.

و ثانيا:أن قوله:« آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا »أمر بالإنفاق مع التلويح إلى أنه أثر صفه هم متلبسون بها فعليهم أن ينفقوا لما اتصفوا بها فيئول إلى تعليل الإنفاق بإيمانهم.

و قوله:« وَ أَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ »استخلاف الإنسان جعله خليفه،و المراد به إما خلافتهم عن الله سبحانه يخلفونه فى الأرض كما يشير إليه قوله: «إِنِّى جٰاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» :البقره:۳۰،و التعبير عما بأيديهم من المال بهذا التعبير لبيان الواقع و لترغيبهم فى الإنفاق فإنهم إذا أيقنوا أن المال لله و هم مستخلفون عليه و كلاء من ناحيته يتصرفون فيه كما أذن لهم سهل عليهم إنفاقه و لم تتحرج نفوسهم من ذلك.

و إما خلافتهم عمن سبقهم من الأجيال كما يخلف كل جيل سابقه،و فى التعبير به أيضا ترغيب فى الإنفاق فإنهم إذا تذكروا أن هذا المال كان لغيرهم فلم يدم عليهم علموا أنه كذلك لا يدوم لهم و سيتركونه لغيرهم و هان عليهم إنفاقه و سخت بذلك نفوسهم.

و قوله:« فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ »وعد للأجر على الإنفاق تأكيدا للترغيب،و المراد بالإيمان الإيمان بالله و رسوله.

ص :۱۵۱

قوله تعالى:« وَ مٰا لَكُمْ لاٰ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ »إلخ،المراد بالإيمان الإيمان بحيث يترتب عليه آثاره و منها الإنفاق فى سبيل الله-و إن شئت فقل:

المراد ترتيب آثار ما عندهم من الإيمان عليه-.

و قوله:« وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ »عبر الرب بالرب و إضافه إليهم تلويحا إلى عله توجه الدعوه و الأمر كأنه قيل:يدعوكم لتؤمنوا بالله لأنه ربكم يجب عليكم أن تؤمنوا به.

و قوله:« وَ قَدْ أَخَذَ مِيثٰاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »تأكيد للتوبيخ المفهوم من أول الآيه، و ضمير« أَخَذَ »لله سبحانه أو للرسول و على أى حال المراد بالميثاق المأخوذ هو الذى تدل عليه شهادتهم على وحدانيه الله و رساله رسوله يوم آمنوا به(ص)من أنهم على السمع و الطاعه.

و قيل:المراد بالميثاق هو الميثاق المأخوذ منهم فى الذر،و على هذا فضمير« أَخَذَ » لله سبحانه،و فيه أنه بعيد عن سياق الاحتجاج عليهم فإنهم غافلون عنه،على أن أخذ الميثاق فى الذر لا يختص بالمؤمنين بل يعم المنافقين و الكفار.

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ » إلخ،المراد بالآيات البينات آيات القرآن الكريم المبينه لهم ما عليهم من فرائض الدين، و فاعل« لِيُخْرِجَكُمْ »الضمير العائد إلى الله أو إلى رسوله ص و مرجع الثانى أيضا هو الأول فالميثاق ميثاقه و قد أخذه بواسطه رسوله أو بغير واسطته كما أن الإيمان به و برسوله إيمان به و لذلك قال فى صدر الآيه:« وَ مٰا لَكُمْ لاٰ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ »فذكر نفسه و لم يذكر رسوله إشاره إلى أن الإيمان برسوله إيمان به.

و قوله:« وَ إِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ »فى تذييل الآيه برأفته تعالى و رحمته إشاره إلى أن الإيمان الذى يدعوهم إليه رسوله خير لهم و أصلح و هم الذين ينتفعون به دون الله و رسوله،ففيه تأكيد ترغيبهم على الإيمان و الإنفاق.

قوله تعالى:« وَ مٰا لَكُمْ أَلاّٰ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ » الميراث و التراث المال الذى ينتقل من الميت إلى من بقى بعده من وراثه،و إضافه الميراث إلى السماوات و الأرض بيانيه فالسماوات و الأرض هى الميراث بما فيهما من الأشياء التى خلق منهما مما يمتلكه ذوو الشعور من سكنتهما فالسماوات و الأرض شامله لما فيهما مما خلق منهما

و يتصرف فيها ذوو الشعور كالإنسان مثلا بتخصيص ما يتصرفون فيه لأنفسهم و هو الملك الاعتبارى الذى هداهم الله سبحانه إلى اعتباره فيما بينهم لينتظم بذلك جهات حياتهم الدنيا.

غير أنهم لا يبقون و لا يبقى لهم بل يذهبهم الموت المقدر بينهم فينتقل ما فى أيديهم إلى من بعدهم و هكذا حتى يفنى الجميع و لا يبقى إلا هو سبحانه.

فالأرض مثلا- و ما فيها و عليها من مال ميراث من جهه أن كل جيل من سكانها يرثها ممن قبله فكانت ميراثا دائما دائرا بينهم خلفا عن سلف،و ميراث من جهه أنهم سيفنون جميعا و لا يبقى لها إلا الله الذى استخلفهم عليها.

و لله سبحانه ميراث السماوات و الأرض بكلا المعنيين،أما الأول:فلأنه الذى يملكهم المال و هو المالك لما ملكهم،قال تعالى: «لِلّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» :لقمان:۲۶، و قال:« وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» :النور:۴۲،و قال: «وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الَّذِی آتاکُمْ» :النور:۳۳.

و أما الثانى:فظاهر آيات القيامه كقوله تعالى: «کُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ» :الرحمن:۲۶ و غيره،و الذى يسبق إلى الذهن أن المراد بكونهما ميراثا هو المعنى الثانى.

و كيف كان ففى الآيه توبيخ شديد لهم على عدم إنفاقهم فى سبيل الله من المال الذى لا يرثه بالحقيقه إلا هو تعالى و لا يبقى لهم و لا لغيرهم،و الإظهار فى موضع الإضمار فى قوله:« وَ لِلّهِ »لتشديد التوبيخ.

قوله تعالى:« لا يَسْتَوِی مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا »إلخ، الاستواء بمعنى التساوى،و قسيم قوله:« مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ »محذوف إيجازا لدلاله قوله:« أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا »عليه.

و المراد بالفتح-كما قيل-فتح مكه أو فتح الحديبيه و عطف القتال على الإنفاق لا يخلو من إشعار بل دلاله على أن المراد بالإنفاق فى سبيل الله المندوب إليه فى الآيات هو الإنفاق فى الجهاد.

و كان الآيه مسوقه لبيان أن الإنفاق فى سبيل الله كلما عجل إليها كان أحب عند الله و أعظم درجه و منزله و إلا فظاهر أن هذه الآيات نزلت بعد الفتح و القتال الذى بادروا إليه قبل الفتح و بعض المقاتل التى بعده.

ص :۱۵۳

و قوله:« وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى‌ »أى وعد الله المثوبه الحسنى كل من أنفق و قاتل قبل الفتح أو أنفق و قاتل بعده و إن كانت الطائفه الأولى أعظم درجه من الثانيه،و فيه تطييب لقلوب المتأخرين إنفاقا و قتالا أن لهم نيلا من رحمته و ليسوا بمحرومين مطلقا فلا موجب لأن ييأسوا منها و إن تأخروا.

و قوله:« وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »تذييل متعلق بجميع ما تقدم ففيه تشديد للتوبيخ و تقرير و تثبيت لقوله:« لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ »إلخ،و لقوله:« وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى‌ » و يمكن أن يتعلق بالجمله الأخيره لكن تعلقه بالجميع أعم و أشمل.

قوله تعالى:« مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ »قال الراغب:و سمى ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضا .انتهى،و قال فى المجمع،:و أصله القطع فهو قطعه عن مالكه بإذنه على ضمان رد مثله.قال:و المضاعفه الزياده على المقدار مثله أو أمثاله.انتهى، و قال الراغب: الأجر و الأجره ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا قال:و لا يقال إلا فى النفع دون الضر بخلاف الجزاء فإنه يقال فى النفع و الضر.انتهى ملخصا.

و ما يعطيه تعالى من الثواب على عمل العبد تفضل منه من غير استحقاق من العبد فإن العبد و ما يأتيه من عمل ملك طلق له سبحانه ملكا لا يقبل النقل و الانتقال غير أنه اعتبر اعتبارا تشريعيا العبد مالكا و ملكه عمله،و هو المالك لما ملكه و هو تفضل آخر ثم اختار ما أحبه من عمله فوعده ثوابا على عمله و سماه أجرا و جزاء و هو تفضل آخر، و لا ينتفع به فى الدنيا و الآخره إلا العبد قال تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ» :آل عمران:۱۷۲،و قال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» :حم السجده:۸،و قال بعد وصف الجنه و نعيمها: «إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً» :الإنسان:۲۲،و ما وعده من الشكر و عدم المن عند إيتاء الثواب تمام التفضل.

و فى الآيه حث بليغ على ما ندب إليه من الإنفاق فى سبيل الله حيث استفهم عن الذى ينفق منهم فى سبيل الله و مثل إنفاقه بأنه قرض يقرضه الله سبحانه و عليه أن يرده ثم قطع أنه لا يرد مثله إليه بل يضاعفه و لم يكتف بذلك بل أضاف إليه أجرا كريما فى الآخره و الأجر الكريم هو المرضى فى نوعه و الأجر الأخروى كذلك لأنه غايه ما يتصور

من النعمه عند غايه ما يتصور من الحاجه.

قوله تعالى:« يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ »إلخ، اليوم ظرف لقوله:« لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ »و المراد به يوم القيامه،و الخطاب فى« تَرَى »للنبى ص أو لكل سامع يصح خطابه،و الظاهر أن الباء فى« بِأَيْمٰانِهِمْ »بمعنى فى.

و المعنى:لمن أقرض الله قرضا حسنا أجر كريم يوم ترى أنت يا رسول الله-أو كل من يصح منه الرؤيه-المؤمنين بالله و رسوله و المؤمنات يسعى نورهم أمامهم و فى أيمانهم و اليمين هو الجهه التى منها سعادتهم.

و الآيه مطلقه تشمل مؤمنى جميع الأمم و لا تختص بهذه الأمه،و التعبير عن إشراق النور بالسعى يشعر بأنهم ساعون إلى درجات الجنه التى أعدها الله سبحانه لهم و تستنير لهم جهات السعاده و مقامات القرب واحده بعد واحده حتى يتم لهم نورهم كما قال تعالى:

«وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً» :الزمر:٧٣،و قال: «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً» :مريم:٨٥،و قال: «يَوْمَ لاٰ يُخْزِى اللّٰهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا» :التحريم:٨.

و للمفسرين فى تفسير مفردات الآيه أقوال مختلفه أغمضنا عنها لعدم دليل من لفظ الآيه عليها،و سيوافيك ما فى الروايات المأثوره فى البحث الروائى الآتى إن شاء الله.

و قوله:« بُشْرٰاكُمُ الْيَوْمَ جَنّٰاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا »حكايه ما يقال للمؤمنين و المؤمنات يوم القيامه،و القائل الملائكه بأمر من الله و التقدير يقال لهم:

« بُشْرٰاكُمُ »إلخ،و المراد بالبشرى ما يبشر به و هو الجنه و الباقى ظاهر.

و قوله:« ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »كلام الله سبحانه و الإشاره إلى ما ذكر من سعى النور و البشرى أو من تمام قول الملائكه و الإشاره إلى الجنات و الخلود فيها.

قوله تعالى:« يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونٰا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ » إلى آخر الآيه، النظر إذا تعدى بنفسه أفاد معنى الانتظار و الإمهال،و إذا عدى بإلى نحو نظر إليه كان بمعنى إلقاء البصر نحو الشىء و إذا عدى بفى كان بمعنى التأمل،و الاقتباس أخذ قبس من النار.

و السياق يفيد أنهم اليوم فى ظلمه أحاطت بهم سرادقها و قد ألجئوا إلى المسير نحو دارهم التى يخلدون فيها غير أن المؤمنين و المؤمنات يسيرون بنورهم الذى يسعى بين

أيديهم و بأيمانهم فيبصرون الطريق و يهتدون إلى مقاماتهم،و أما المنافقون و المنافقات فهم مغشيون بالظلمه لا يهتدون سبيلا و هم مع المؤمنين كما كانوا فى الدنيا معهم و معدودين منهم فيسبق المؤمنون و المؤمنات إلى الجنه و يتأخر عنهم المنافقون و المنافقات فى ظلمه تغشاهم فيسألون المؤمنين و المؤمنات أن ينتظروهم حتى يلحقوا بهم و يأخذوا قبسا من نورهم ليستضيئوا به فى طريقهم.

و قوله:« قِيلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً »القائل به إما الملائكه أو قوم من كمل المؤمنين كأصحاب الأعراف.

و كيف كان فهو من الله و بإذنه،و الخطاب بقوله:« اِرْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً » قيل:إنه خطاب مبنى على التهكم و الاستهزاء كما كانوا يستهزءون فى الدنيا بالمؤمنين، و الأظهر على هذا أن يكون المراد بالوراء الدنيا،و محصل المعنى:ارجعوا إلى الدنيا التى تركتموها وراء ظهوركم و عملتم فيها ما عملتم على النفاق،و التمسوا من تلك الأعمال نورا فإنما النور نور الأعمال أو الإيمان و لا إيمان لكم و لا عمل.

و يمكن أن يجعل هذا وجها على حياله من غير معنى الاستهزاء بأن يكون قوله:

« اِرْجِعُوا »أمرا بالرجوع إلى الدنيا و اكتساب النور بالإيمان و العمل الصالح و ليسوا براجعين و لا يستطيعون فيكون الأمر بالرجوع كالأمر بالسجود المذكور فى قوله تعالى:

«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سٰاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كٰانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سٰالِمُونَ» :القلم:۴۳.

و قيل:المراد ارجعوا إلى المكان الذى قسم فيه النور و التمسوا من هناك فيرجعون فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم و قد ضرب بينهم بسور،و هذا خدعه منه تعالى يخدعهم بها كما كانوا فى الدنيا يخادعونه كما قال: «إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ يُخٰادِعُونَ اللّٰهَ وَ هُوَ خٰادِعُهُمْ» :النساء:۱۴۲.

قوله تعالى:« فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بٰابٌ بٰاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظٰاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذٰابُ » سور المدينه حائطها الحاجز بينها و بين الخارج منها،و الضمير فى« فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ » راجع إلى المؤمنين و المنافقين جميعا أى ضرب بين المؤمنين و بين المنافقين بسور حاجز يحجز إحدى الطائفتين عن الأخرى.

قيل:السور هو الأعراف و هو غير بعيد و قد تقدمت إشاره إليه فى تفسير قوله

تعالی: «وَ بَیْنَهُمٰا حِجٰابٌ وَ عَلَی الْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ» Xالآیه X:الأعراف:۴۶،و قیل:السور غیر الأعراف.

و قوله:« لَهُ بٰابٌ »أی للسور باب و هـذا یشـبه حال المنافقین فی الـدنیا فقد کانوا فیها بین المؤمنین لهم اتصال بهم و ارتباط و هم مع ذلک محجوبون عنهم بحجاب.علی أنهم یرون أهل الجنه و یزید بذلک حسرتهم و ندامتهم.

و قوله:« بٰاطِنُهُ فِیهِ الرَّحْمَهُ وَ ظٰاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذٰابُ »« بٰاطِنُهُ »مبتـدأ و جمله فِیهِ الرَّحْمَهُ »مبتدأ و خبر و هی خبر بٰاطِنُهُ و کذا ظٰاهِرُهُ مبتدأ و جمله مِنْ قِبَلِهِ الْعَذٰابُ مبتدأ و خبر هی خبره،و ضمیرا فِیهِ و مِنْ قِبَلِهِ للباطن و الظاهر.

و یظهر من کـون بـاطن السـور فیه رحمه و ظـاهره من قبله العـذاب أن السـور محیـط بـالمؤمنین و هم فی داخله و المنـافقون فی الخارج منه.

و فی اشـتمال داخله الذی یلی المؤمنین علی الرحمه و ظاهره الذی یلی المنافقین علی العذاب مناسبه لحال الإیمان فی الدنیا فإنه نعمه لأهل الإخلاص من المؤمنین یبتهجون بها و یلتذون و عذاب لأهل النفاق یتحرجون من التلبس به و یتألمون منه.

قـوله تعـالی:« یُنٰادُونَهُمْ أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ »إلی آخر الآـیه استئنـاف فی معنی جـواب السؤال کـأنه قیـل:فمـا ذا یفعـل المنـافقون و المنافقات بعد ضرب السور و مشاهده العذاب من ظاهره؟فقیل:ینادونهم إلخ.

و المعنی:ینادی المنافقون و المنافقات المؤمنین و المؤمنات بقولهم:« أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ » یریـدون به کونهم فی الدنیا مع المؤمنین و المؤمنات فی ظاهر الدین.

و قوله:« قٰالُوا بَلیٰ »إلی آخر الآیه جواب المؤمنین و المؤمنات لهم و المعنی:« قٰالُوا » أی قال المؤمنون و المؤمنات جوابا لهم« بَلیٰ »کنتم فی الـدنیا معنا« وَ لٰکِنَّکُمْ فَتَنْتُمْ »أی محنتم و أهلکتم« أَنْفُسَـکُمْ وَ تَرَبَّصْـتُمْ »الـدوائر بالدین و أهله« وَ ارْتَبْتُمْ »و شـککتم فی دینکم « وَ غَرَّتْکُمُ الْأَمٰانِیُّ »و منهـا أمنیتکم أن الـدین سـیطفأ نوره و یـترکه أهله« حَتّٰی جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ »و هو الموت« وَ غَرَّکُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ »بفتح الغین و هو الشیطان.

و الآیه-کما تری-تفید أن المنافقین و المنافقات یستنصـرون المؤمنین و المؤمنات علی ما هم فیه من الظلمه متوسلین بأنهم کانوا معهم فی الـدنیا ثم تفید أن المؤمنین و المؤمنات یجیبون بأنهم کانوا معهم لکن قلوبهم کانت لا توافق ظاهر حالهم حیث یفتنون أنفسهم

و یتربصون و یرتابون و تغرهم الأمانی و یغرهم بالله الغرور،و هـذه الصـفات الخبیثه آفات القلوب فکانت القلوب غیر سـلیمه و لا ینفع یوم القیامه إلا القلب السلیم قال تعالی: «یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلاّ مَنْ أَتَی اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» :الشعراء:۸۹.

قوله تعالی:« فَالْیَوْمَ لا یُؤْخَذُ مِنْکُمْ فِدْیَهٌ وَ لا مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا »تتمه کلام المؤمنین و المؤمنات یخاطبون به المنافقین و المنافقات و یضـیفون إلیهم الکفار و هم المعلنون لکفرهم أنهم رهناء أعمالهم کما قال تعالی: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَهٌ» :المدثر:۳۸،لا یؤخـذ منهم فـدیه یخلصون بها أنفسـهم و الفـدیه أحد الأمرین اللذین بهما التخلص من الرهانه و الآخر ناصـر ینصـر فینجی و قد نفوه بقولهم:« مَأْواکُمُ النّارُ »إلخ.

فقوله:« مَأْواکُمُ النّارُ هِیَ مَوْلاکُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ »ینفی أی ناصـر ینصـرهم و ینجیهم من النار غیر النار علی ما یفیـده قوله:« هِیَ مَوْلاکُمْ »من الحصر،و المولی هو الناصر و الجمله مسوقه للتهکم.

و یمکن أن یکـون المـولی بمعنی من یلی الأـمر فـإنهم کـانوا یـدعون لحوائجهم من المأکـل و المشـرب و الملبس و المنکـح و المسـکن غیر الله سبحانه و حقیقته النار فالیوم مولاهم النار و هی التی تعد لهم ذلک فمأکلهم من الزقوم و مشربهم من الحمیم و ملبسهم من ثیاب قطعت من النار و قرناؤهم الشیاطین و مأواهم النار علی ما أخبر الله سبحانه به فی آیات کثیره من کلامه.

(بحث روائی)

فی الـدر المنثور،أخرج ابن جریر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه و أبو نعیم فی الدلائل من طریق زید بن أسـلم عن عطاء بن یسار عن أبی سـعید الخـدری قـال: خرجنا مع رسول الله ص عام الحـدیبیه-حتی إذا کان بعسـفان قال رسول الله ص-یوشک أن یأتی قوم تحقرون أعمـالکم مع أعمالهم-قلنا:من هم یا رسول الله أ قریش؟قال:لا و لکنهم أهل الیمن هم أرق أفئـده و ألین قلوبا.قلنا:أ هم خیر منا یا رسول الله؟قال:لو کان لأحدهم جبل من ذهب-فأنفقه ما أدرک مد أحدکم و لا نصـیفه-ألا إن هذا فصل ما بیننا و بین الناس« لا یَسْتَوِی مِنْکُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ »الآیه.

أقول:روی هذا المعنی بغیر واحد من الطرق بألفاظ متقاربه و هی مشتمله علی الآیه و یشکل بأن ظاهر سیاق الآیات أنها نزلت بعد الفتح و المراد به إما الحدیبیه أو فتح مکه فلا تنطبق علی ما قبل الفتح.

و فیه،أخرج عبد بن حمید و ابن المنذر عن عکرمه قال": لما نزلت هذه الآیه« لاٰ یَسْتَوِی مِنْکُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ »قال أبو الدحداح:و الله لأنفقن الیوم نفقه أدرک بها من قبلی-و لا یسبقنی بها أحد بعدی-فقال:اللهم کل شیء یملکه أبو الدحداح- فإن نصفه لله حتی بلغ فرد نعله ثم قال:و هذا.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله:« یَوْمَ تَرَی الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ-یَسْعیٰ نُورُهُمْ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمٰانِهِمْ »قال:یقسم النور بین الناس یوم القیامه-علی قدر إیمانهم-یقسم للمنافق فیکون نوره بین إبهام رجله الیسری-فینظر نوره ثم یقول للمؤمنین:مکانکم حتی أقتبس من نورکم-فیقول المؤمنون لهم:ارجعوا وراءکم-فالتمسوا نورا و یضرب بینهم بسور له باب- فینادون من وراء السور للمؤمنین:« أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ قٰالُوا:بَلیٰ وَ لٰکِنَّکُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَکُمْ » قال:بالمعاصی« وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ »قال:أی شککتم و تربصتم.

و قوله:« فَالْیَوْمَ لاٰ یُؤْخَذُ مِنْکُمْ فِدْیَهٌ »قال:و الله ما عنی بذلک الیهود و النصاری- و ما عنی به إلا أهل القبله-ثم قال:« مَأْوٰاکُمُ النّٰارُ هِیَ مَوْلاٰکُمْ »قال:هی أولی بکم.

أقول:یعنی بأهل القبله المنافقین منهم.

و فی الکافی،بإسناده عن أبان بن تغلب قال:سمعت أبا عبد الله(ع)یقول: تجنبوا المنی فإنها تذهب بهجه ما خولتم-و تستصغرون بها مواهب الله جل و عز عندکم-و تعقبکم الحسرات فیما وهمتم به أنفسکم.

[سوره الحدید (۵۷): الآیات ۱۶ الی ۲۴]

اشاره

أَ لَمْ یَأْنِ لِلَّذِینَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِکْرِ اَللّٰهِ وَ مٰا نَزَلَ مِنَ اَلْحَقِّ وَ لاٰ یَکُونُوا کَالَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلُ فَطٰالَ عَلَیْهِمُ اَلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ (۱۶) اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ یُحْیِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا قَدْ بَیَّنّٰا لَکُمُ اَلْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۱۷) إِنَّ اَلْمُصَّدِّقِینَ وَ اَلْمُصَّدِّقٰاتِ وَ أَقْرَضُوا اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً یُضٰاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ کَرِیمٌ (۱۸) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِکَ هُمُ اَلصِّدِّیقُونَ وَ اَلشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلْجَحِیمِ (۱۹) اِعْلَمُوا أَنَّمَا اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَهٌ وَ تَفٰاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکٰاثُرٌ فِی اَلْأَمْوٰالِ وَ اَلْأَوْلاٰدِ کَمَثَلِ غَیْثٍ أَعْجَبَ اَلْکُفّٰارَ نَبٰاتُهُ ثُمَّ یَهِیجُ فَتَرٰاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ یَکُونُ حُطٰاماً وَ فِی اَلْآخِرَهِ عَذٰابٌ شَدِیدٌ وَ مَغْفِرَهٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رِضْوٰانٌ وَ مَا اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ اَلْغُرُورِ (۲۰) سٰابِقُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهٰا کَعَرْضِ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ ذٰلِکَ فَضْلُ اَللّٰهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِیمِ (۲۱) مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِیبَهٍ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی أَنْفُسِکُمْ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا إِنَّ ذٰلِکَ عَلَی اَللّٰهِ یَسِیرٌ (۲۲) لِکَیْلاٰ تَأْسَوْا عَلیٰ مٰا فٰاتَکُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاکُمْ وَ اَللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ کُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ (۲۳) اَلَّذِینَ یَبْخَلُونَ وَ یَأْمُرُونَ اَلنّٰاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۲۴)

(بيان)

جرى على وفق مقصد الكلام السابق و هو الحث و الترغيب فى الإيمان بالله و رسوله

ص :۱۶۰

و الإنفـاق فى سبيـل الله و تتضـمن عتـاب المؤمنين على ما يظهر من علائم قسوه القلوب منهم، و تأكيـد الحث على الإنفاق ببيان درجه المنفقين عند الله و الأمر بالمسابقه إلى المغفره و الجنه و ذم الدنيا و أهلها الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل.

و قد تغير السـياق خلال الآيات إلى سـياق عام يشمل المسلمين و أهل الكتاب بعد اختصاص السياق السابق بالمسلمين و سيجىء توضيحه.

قوله تعالى:« أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ »إلى آخر الآيه،يقال:أنى يأنى إنى و إناء أى جاء وقته،و خشوع القلب تأثره قبال العظمه و الكبرياء،و المراد بـذكر الله ما يـذكر به الله،و ما نزل من الحق هو القرآن النازل من عنده تعـالى و« مِنَ الْحَقِّ »بيان لما نزل،و من شأن ذكر الله تعالى عنـد المؤمن أن يعقب خشوعا كما أن من شأن الحق النازل من عنـده تعالى أن يعقب خشوعا ممن آمن بالله و رسله.

و قيل:المراد بذكر الله و ما نزل من الحق جميعا القرآن،و على هذا فذكر القرآن بوصفيه لكون كل من الوصفين مستدعيا لخشوع المؤمن فالقرآن لكونه ذكر الله يستدعى الخشوع كما أنه لكونه حقا نازلا من عنده تعالى يستدعى الخشوع.

و فى الآـيه عتـاب للمؤمنين على مـا عرض لقلوبهم من القسوه و عـدم خشوعهـا لـذكر الله و الحق النازل من عنـده تعالى و تشبيه لحالهم بحال أهل الكتاب الذين نزل عليهم الكتاب و طال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

و قوله:« وَ لا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ » عطف على قوله:« تَخْشَعَ »إلخ،و المعنى:أ لم يأن لهم أن تخشع قلوبهم و أن لا يكونوا إلـخ،و الأمـد الزمان،قال الراغب:الفرق بين الزمان و الأمد أن الأمد يقال باعتبار الغايه و الزمان عام فى المبدأ و الغايه و لذلك قال بعضهم:إن المدى و الأمد يتقاربان.انتهى.

و قد أشار سبحانه بهذا الكلام إلى صيروره قلوبهم كقلوب أهل الكتاب القاسيه و القلب القاسى حيث يفقد الخشوع و التأثر عن الحق ربمـا خرج عن زى العبوديه فلم يتـأثر عن المنـاهى و اقـترف الإـثم و الفسوق،و لـذا أردف قوله:« فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ »بقوله:« وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ ».

قوله تعالى:« اِعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها »إلى آخر الآيه فى تعقيب عتاب

المؤمنين على قسوه قلوبهم بهذا التمثيل تقويه لرجائهم و ترغيب لهم فى الخشوع.

و يمكن أن يكون من تمام العتاب السابق و يكون تنبيها على أن الله لا يخلى هذا الدين على ما هو عليه من الحال بل كلما قست قلوب و حرموا الخشوع لأمر الله جاء بقلوب حيه خاشعه له يعبد بها كما يريد.

فتكون الآيه فى معنى قوله: «هٰا أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمٰا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَ اللّٰهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاٰ يَكُونُوا أَمْثٰالَكُمْ» :سوره محمد:۳۸.

و لذلك ذيل الآيه بقوله:« قَدْ بَيَّنّٰا لَكُمُ الْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ».

قوله تعالى:« إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقٰاتِ وَ أَقْرَضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً يُضٰاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ »تكرار لحديث المضاعفه و الأجر الكريم للترغيب فى الإنفاق فى سبيل الله و قد أضيف إلى الذين أقرضوا الله قرضا حسنا المصدقون و المصدقات.

و المصدقون و المصدقات-بتشديد الصاد و الدال-المتصدقون و المتصدقات،و قوله:

« وَ أَقْرَضُوا اللّٰهَ »عطف على مدخول اللام فى« اَلْمُصَّدِّقِينَ »،و المعنى:أن الذين تصدقوا و الذين أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ما أعطوه و لهم أجر كريم.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ » إلخ،لم يقل:آمنوا بالله و رسوله كما قال فى أول السوره:« آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا »و قال فى آخرها:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ »لأنه تعالى لما ذكر أهل الكتاب فى الآيه السابقه بقوله:« وَ لاٰ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلُ » عدل عن السياق السابق إلى سياق عام يشمل المسلمين و أهل الكتاب جميعا كما قال بعد:

« لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلَنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ »و أما الآيتان المذكورتان فى أول السوره و آخرها فالخطاب فيهما لمؤمنى هذه الأمه خاصه و لذا جىء فيهما بالرسول مفردا.

و المراد بالإيمان بالله و رسله محض الإيمان الذى لا يفارق بطبعه الطاعه و الاتباع كما مرت الإشاره إليه فى قوله:« آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ »الآيه،و المراد بقوله:« أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدٰاءُ »إلحاقهم بالصديقين و الشهداء بقرينه قوله:« عِنْدَ رَبِّهِمْ »و قوله:« لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ »فهم ملحقون بالطائفتين يعامل معهم معامله الصديقين و الشهداء فيعطون مثل أجرهم و نورهم.

ص :۱۶۲

و الظاهر أن المراد بالصديقين و الشهداء هم المذكورون فی قوله: «وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً» :النساء:۶۹،و قد تقدم فی تفسير الآيه أن المراد بالصديقين هم الذين سری الصدق فی قولهم و فعلهم فيفعلون ما يقولون و يقولون ما يفعلون،و الشهداء هم شهداء الأعمال يوم القيامه دون الشهداء بمعنی المقتولين فی سبيل الله.

فهؤلاء الذين آمنوا بالله و رسله ملحقون بالصديقين و الشهداء منزلون منزلتهم عند الله أی بحكم منه لهم أجرهم و نورهم.

و قوله:« لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ »ضمير« لَهُمْ »للذين آمنوا،و ضمير« أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ » للصديقين و الشهداء أی للذين آمنوا أجر من نوع أجر الصديقين و الشهداء و نور من نوع نورهم،و هذا معنی قول من قال:إن المعنی:لهم أجر كأجرهم و نور كنورهم.

و ربما قيل:إن الآيه مسوقه لبيان أنهم صديقون و شهداء علی الحقيقه من غير إلحاق و تنزيل فهم هم لهم أجرهم و نورهم،و لعل السياق لا يساعد عليه.

و ربما قيل:إن قوله:« وَ الشُّهَدٰاءُ »ليس عطفا علی قوله:« اَلصِّدِّيقُونَ »بل استئناف و« اَلشُّهَدٰاءُ »مبتدأ خبره« عِنْدَ رَبِّهِمْ »و خبره الآخر« لَهُمْ أَجْرُهُمْ »فقد قيل:و الذين آمنوا بالله و رسله أولئک هم الصديقون،و قد تم الكلام ثم استؤنف و قيل:« وَ الشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ »كما قيل: «بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» :آل عمران:۱۶۹،و المراد بالشهداء المقتولون فی سبيل الله،ثم تمم الكلام بقوله:« لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ ».

و قوله:« وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ »أی لا يفارقونها و هم فيها دائمين.

و قد تعرض سبحانه فی الآيه لشأن الملحقين بالصديقين و الشهداء و هم خيار الناس و الناجون قطعا،و الكفار المكذبين لآياته و هم شرار الناس و الهالكون قطعا و بقی فريق بين الفريقين و هم المؤمنون المقترفون للمعاصی و الذنوب علی طبقاتهم فی التمرد علی الله و رسوله، و هذا دأب القرآن فی كثير من موارد التعرض لشأن الناس يوم القيامه.

و ذلک ليكون بعثا لقريحتی الخوف و الرجاء فی ذلک الفريق المتخلل بين الخيار و الشرار فيميلوا إلی السعاده و يختاروا النجاه علی الهلاک.

و لذلک أعقب الآيه بذم الحياه الدنيا التی تعلق بها هؤلاء الممتنعون من الإنفاق فی سبيل الله

ثم بدعوتهم إلى المسابقه إلى المغفره و الجنه ثم بالإشاره إلى أن ما يصيبهم من المصيبه فى أموالهم و أنفسهم مكتوبه فى كتاب سابق و قضاء متقدم فليس ينبغى لهم أن يخافوا الفقر فى الإنفاق فى سبيل الله،فيبخلوا و يمسكوا أو يخافوا الموت فى الجهاد فى سبيل الله فيتخلفوا و يقعدوا.

قوله تعالى:« اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلاَدِ »إلخ، اللعب عمل منظوم لغرض خيالى كلعب الأطفال،و اللهو ما يشغل الإنسان عما يهمه،و الزينه بناء نوع و ربما يراد به ما يتزين به و هى ضم شىء مرغوب فيه إلى شىء آخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال،و التفاخر المباهاه بالأنساب و الأحساب،و التكاثر فى الأموال و الأولاد.

و الحياه الدنيا عرض زائل و سراب باطل لا يخلو من هذه الخصال الخمس المذكوره:

اللعب و اللهو و الزينه و التفاخر و التكاثر و هى التى يتعلق بها هوى النفس الإنسانيه ببعضها أو بجميعها و هى أمور وهميه و أعراض زائله لا تبقى للإنسان و ليست و لا واحده منها تجلب للإنسان كمالا نفسيا و لا خيرا حقيقيا.

و عن شيخنا البهائى رحمه الله أن الخصال الخمس المذكوره فى الآيه مترتبه بحسب سنى عمر الإنسان و مراحل حياته فيتولع أولا باللعب و هو طفل أو مراهق ثم إذا بلغ و اشتد عظمه تعلق باللهو و الملاهى ثم إذا بلغ أشده اشتغل بالزينه من الملابس الفاخره و المراكب البهيه و المنازل العاليه و توله للحسن و الجمال ثم إذا اكتهل أخذ بالمفاخره بالأحساب و الأنساب ثم إذا شاب سعى فى تكثير المال و الولد.

و قوله:« كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً » مثل لزينه الحياه الدنيا التى يتعلق بها الإنسان غرورا ثم لا يلبث دون أن يسلبها.

و الغيث المطر و الكفار جمع كافر بمعنى الحارث،و يهيج من الهيجان و هو الحركه، و الحطام الهشيم المتكسر من يابس النبات.

و المعنى:أن مثل الحياه الدنيا فى بهجتها المعجبه ثم الزوال كمثل مطر أعجب الحراث نباته الحاصل بسببه ثم يتحرك إلى غايه ما يمكنه من النمو فتراه مصفر اللون ثم يكون هشيما متكسرا-متلاشيا تذروه الرياح-.

و قوله:« وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ »سبق المغفره على

الرضوان لتطهير المحل ليحل به الرضوان،و توصيف المغفره بكونه من الله دون العذاب لا يخلو من إيماء إلى أن المطلوب بالقصد الأول هو المغفره و أما العذاب فليس بمطلوب فى نفسه و إنما يتسبب إليه الإنسان بخروجه عن زى العبوديه كما قيل.

و قوله:« وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ »أى متاع التمتع منه هو الغرور به، و هذا للمتعلق المغرور بها.

و الكلام أعنى قوله:« وَ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رِضْوَانٌ »إشاره إلى وجهى الحياه الآخره ليأخذ السامع حذره فيختار المغفره و الرضوان على العذاب، ثم فى قوله:« وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ »تنبيه و إيقاظ لئلا تغره الحياه الدنيا بخاصه غروره.

قوله تعالى:« سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ »إلخ المسابقه هى المغالبه فى السبق للوصول إلى غرض بأن يريد كل من المسابقين جعل حركته أسرع من حركه صاحبه ففى معنى المسابقه ما يزيد على معنى المسارعه فإن المسارعه الجد فى تسريع الحركه و المسابقه الجد فى تسريعها بحيث تزيد فى السرعه على حركه صاحبه.

و على هذا فقوله:« سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ »إلخ،يتضمن من التكليف ما هو أزيد مما يتضمنه قوله: «سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» :آل عمران:١٣٣.

و يظهر به عدم استقامه ما قيل:إن آيه آل عمران فى السابقين المقربين و الآيه التى نحن فيها فى عامه المؤمنين حيث لم يذكر فيها إلا الإيمان بالله و رسله بخلاف آيه آل عمران فإنها مذيله بجمله الأعمال الصالحه،و لذا أيضا وصف الجنه الموعوده هناك بقوله:« عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ »بخلاف ما هاهنا حيث قيل:« عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ »فدل على أن جنه أولئك أوسع من جنه هؤلاء.

وجه عدم الاستقامه ما عرفت أن المكلف به فى الآيه المبحوث عنها معنى فوق ما كلف به فى آيه آل عمران.على أن اللام فى« اَلسَّمَاءِ »للجنس فتنطبق على« اَلسَّمَاوَاتُ » فى تلك الآيه.

و تقديم المغفره على الجنه فى الآيه لأن الحياه فى الجنه حياه طاهره فى عالم الطهاره فيتوقف التلبس بها على زوال قذارات الذنوب و أوساخها.

ص :١٦٥

و المراد بالعرض السعه دون العرض المقابل للطول و هو معنى شائع،و الكلام كأنه مسوق للدلاله على انتهائها فى السعه.

و قيل:المراد بالعرض ما يقابل الطول و الاقتصار على ذكر العرض أبلغ من ذكر الطول معه فإن العرض أقصر الامتدادين و إذا كان كعرض السماء و الأرض كان طولها أكثر من طولهما.

و لا يخلو الوجه من تحكم إذ لا دليل على مساواه طول السماء و الأرض لعرضهما ثم على زياده طول الجنه على عرضها حتى يلزم زياده طول الجنه على طولهما و الطول قد يساوى العرض كما فى المربع و الدائره و سطح الكره و غيرها و قد يزيد عليه.

و قوله:« أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ »قد عرفت فى ذيل قوله:« آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ »و قوله:« لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ »أن المراد بالإيمان بالله و رسله هو مرتبه عاليه من الإيمان تلازم ترتب آثاره عليه من الأعمال الصالحه و اجتناب الفسوق و الإثم.

و بذلك يظهر أن قول بعضهم:إن فى الآيه بشاره لعامه المؤمنين حيث قال:« أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ »و لم يقيد الإيمان بشىء من العمل الصالح و نحوه غير سديد فإن خطاب الآيه و إن كان بظاهر لفظه يعم الكافر و المؤمن الصالح و الطالح لكن وجه الكلام إلى المؤمنين يدعوهم إلى الإيمان الذى يصاحب العمل الصالح،و لو كان المراد بالإيمان بالله و رسله مجرد الإيمان و لو لم يصاحبه عمل صالح و كانت الجنه معده لهم و الآيه تدعو إلى السباق إلى المغفره و الجنه كان خطاب« سابِقُوا »متوجها إلى الكفار فإن المؤمنين قد سبقوا و سياق الآيات يأباه.

و قوله:« ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ »و قد شاء أن يؤتيه الذين آمنوا بالله و رسله، و قد تقدم بيان أن ما يؤتيه الله من الأجر لعباده المؤمنين فضل منه تعالى من غير أن يستحقوه عليه.

و قوله:« وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »إشاره إلى عظمه فضله،و أن ما يثيبهم به من المغفره و الجنه من عظيم فضله.

قوله تعالى:« ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها »إلخ، المصيبه الواقعه التى تصيب الشىء مأخوذه من إصابه السهم الغرض و هى بحسب المفهوم أعم من الخير و الشر لكن غلب استعمالها فى الشر فالمصيبه هى النائبه،

و المصیبه التی تصیب فی الأرض کالجدب و عاهه الثمار و الزلزله المخربه و نحوها،و التی تصیب فی الأنفس کالمرض و الجرح و الکسر و القتل و الموت،و البرء و البروء الخلق من العدم،و ضمیر« نَبْرَأَهٰا »للمصیبه،و قیل:للأنفس،و قیل:للأرض،و قیل:للجمیع من الأرض و الأنفس و المصیبه،و یؤید الأول أن المقام مقام بیان ما فی الدنیا من المصائب الموجبه لنقص الأموال و الأنفس التی تدعوهم إلی الإمساک عن الإنفاق و التخلف عن الجهاد.

و المراد بالکتاب اللوح المکتوب فیه ما کان و ما یکون و ما هو کائن إلی یوم القیامه کما تدل علیه الآیات و الروایات و إنما اقتصر علی ذکر ما یصیب فی الأرض و فی أنفسهم من المصائب لکون الکلام فیها.

قیل:إنما قید المصیبه بما فی الأرض و فی الأنفس لأن مطلق المصائب غیر مکتوبه فی اللوح لأن اللوح متناه و الحوادث غیر متناهیه و لا یکون المتناهی ظرفا لغیر المتناهی.

و الکلام مبنی علی أن المراد باللوح لوح فلزی أو نحوه منصوب فی ناحیه من نواحی الجو مکتوب فیه الحوادث بلغه من لغاتنا بخط یشبه خطوطنا،و قد مر کلام فی معنی اللوح و القلم و سیجیء له تتمه.

و قیل:المراد بالکتاب علمه تعالی و هو خلاف الظاهر إلا أن یراد به أن الکتاب المکتوب فیه الحوادث من مراتب علمه الفعلی.

و ختم الآیه بقوله:« إِنَّ ذٰلِکَ عَلَی اللّٰهِ یَسِیرٌ »للدلاله علی أن تقدیر الحوادث قبل وقوعها و القضاء علیها بقضاء لا یتغیر لا صعوبه فیه علیه تعالی.

قوله تعالی:« لِکَیْلاٰ تَأْسَوْا عَلیٰ مٰا فٰاتَکُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاکُمْ »إلخ،تعلیل راجع إلی الآیه السابقه و هو تعلیل للإخبار عن کتابه الحوادث قبل وقوعها لا لنفس الکتابه، و الأسی الحزن،و المراد بما فات و ما آتی النعمه الفائته و النعمه المؤتاه.

و المعنی:أخبرناکم بکتابه الحوادث قبل حدوثها و تحققها لئلا تحزنوا بما فاتکم من النعم و لا تفرحوا بما أعطاکم الله منها لأن الإنسان إذا أیقن أن الذی أصابه مقدر کائن لا محاله لم یکن لیخطئه و أن ما أوتیه من النعم ودیعه عنده إلی أجل مسمی لم یعظم حزنه إذا فاته و لا فرحه إذا أوتیه.

قیل:إن اختلاف الإسناد فی قولیه:« مٰا فٰاتَکُمْ »و« بِمٰا آتٰاکُمْ »حیث أسند الفوت

إلی نفس الأشیاء و الإیتاء إلی الله سبحانه لأن الفوات و العدم ذاتی للأشیاء فلو خلیت و نفسها لم تبق بخلاف حصولها و بقائها فإنه لا بد من استنادهما إلی الله تعالی.

و قوله:« وَ اللّهُ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ » المختال من أخذته الخیلاء و هی التکبر عن تخیل فضیله تراءت له من نفسه-علی ما ذکره الراغب-و الفخور الکثیر الفخر و المباهاه و الاختیال و الفخر ناشئان عن توهم الإنسان أنه یملک ما أوتیه من النعم باستحقاق من نفسه،و هو مخالف لما هو الحق من استناد ذلک إلی تقدیر من الله لا لاستقلال من نفس الإنسان فهما من الرذائل و الله لا یحبها.

قوله تعالی:« اَلَّذِینَ یَبْخَلُونَ وَ یَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ »وصف لکل مختال فخور یفید تعلیل عدم حبه تعالی.و الوجه فی بخلهم الاحتفاظ للمال الذی یعتمد علیه اختیالهم و فخرهم و الوجه فی أمرهم الناس بالبخل أنهم یحبونه لأنفسهم فیحبونه لغیرهم،و لأن شیوع السخاء و الجود بین الناس و إقبالهم علی الإنفاق فی سبیل الله یوجب أن یعرفوا بالبخل المذموم.

و قوله:« وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ »أی و من یعرض عن الإنفاق و لم یتعظ بعظه الله و لا اطمأن قلبه بما بینه من صفات الدنیا و نعت الجنه و تقدیر الأمور فإن الله هو الغنی فلا حاجه له إلی إنفاقهم،و المحمود فی أفعاله.

و الآیات الثلاث أعنی قوله:« ما أَصابَ مِنْ مُصِیبَهٍ -إلی قوله- اَلْغَنِیُّ الْحَمِیدُ »کما تری حث علی الإنفاق و ردع عن البخل و الإمساک بتزهیدهم عن الأسی بما فاتهم و الفرح بما آتاهم لأن الأمور مقدره مقضیه مکتوبه فی کتاب معینه قبل أن یبرأها الله سبحانه.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،":فی قوله تعالی:« أَ لَمْ یَأْنِ »الآیه":أخرج ابن المبارک و عبد الرزاق و ابن المنذر عن الأعمش قال": لما قدم أصحاب رسول الله ص المدینه-فأصابوا من لین العیش ما أصابوا-بعد ما کان بهم من الجهد-فکأنهم فتروا عن بعض ما کانوا علیه-فعوتبوا فنزلت:

« أَ لَمْ یَأْنِ لِلَّذِینَ آمَنُوا ».

أقول:هذه أعدل الروایات فی نزول السوره و هناک

روایه عن ابن مسعود قال": ما

ص: ۱۶۸

كان بين إسلامنا و بين أن عاتبنا الله بهذه« أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ » إلا أربع سنين ،و ظاهره كون السوره مكيه،و فى معناه ما ورد أن عمر آمن بعد نزول هذه السوره و قد عرفت أن سياق آيات السوره تأبى إلا أن تكون مدنيه،و يمكن حمل روايه ابن مسعود على كون آيه« أَ لَمْ يَأْنِ »إلخ،أو هى و التى تتلوها مما نزل بمكه دون باقى آيات السوره.

و فى روايه عن النبى ص: استبطأ الله قلوب المهاجرين-بعد سبع عشره من نزول القرآن- فأنزل الله« أَ لَمْ يَأْنِ »الآيه ،و لازمه نزول السوره سنه أربع أو خمس من الهجره،و فى روايه أخرى عن ابن عباس قال":إن الله استبطأ قلوب المهاجرين-فعاتبهم على رأس ثلاث عشره سنه من نزول القرآن-فقال:« أَ لَمْ يَأْنِ »إلخ،و لازمه نزول السوره أيام الهجره، و الروايتان أيضا لا تلائمان سياق آياتها.

و فيه،أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال:سمعت رسول الله ص يقول: مؤمنوا أمتى شهداء،ثم تلا النبى ص:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ-وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ».

و فى تفسير العياشى،بإسناده عن منهال القصاب قال: لأبى عبد الله(ع):ادع الله أن يرزقنى الشهاده-فقال:إن المؤمن شهيد و قرأ هذه الآيه.

أقول:و فى معناه روايات أخرى و ظاهر بعضها كهذه الروايه تفسير الشهاده بالقتل فى سبيل الله.

فى تفسير القمى،بإسناده عن حفص بن غياث قال: قلت لأبى عبد الله(ع):جعلت فداك-فما حد الزهد فى الدنيا؟فقال:قد حده الله فى كتابه فقال عز و جل:« لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ».

و فى نهج البلاغه،قال(ع): الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى:« لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ »و من لم يأس على الماضى و لم يفرح بالآتى-فقد أخذ الزهد بطرفيه.

أقول:و الأساس الذى يبتنيان عليه عدم تعلق القلب بالدنيا،

و فى الحديث المعروف:

حب الدنيا رأس كل خطيئه.

[سوره الحديد (۵۷): الآيات ۲۵ الى ۲۹]

اشاره

لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ اَلْكِتابَ وَ اَلْمِيزانَ لِيَقُومَ اَلنّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا اَلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اَللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اَللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲۵) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا اَلنُّبُوَّةَ وَ اَلْكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (۲۶) ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ اَلْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنا فِي قُلُوبِ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبانِيَّةً اِبْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ اِبْتِغاءَ رِضْوانِ اَللّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنَا اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (۲۷) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اَللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۸) لِئَلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ اَلْكِتابِ أَلاّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اَللّهِ وَ أَنَّ اَلْفَضْلَ بِيَدِ اَللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ (۲۹)

(بيان)

ثم إنه تعالى إثر ما أشار إلى قسوه قلوب المؤمنين و تثاقلهم و فتورهم فى امتثال التكاليف الدينيه و خاصه فى الإنفاق فى سبيل الله،الذى به قوام أمر الجهاد و شبههم بأهل الكتاب

ص: ۱۷۰

حیث قست قلوبهم لما طال علیهم الأمد.

ذکر أن الغرض الإلهی من إرسال الرسل و إنزال الکتاب و المیزان معهم أن یقوم الناس بالقسط،و أن یعیشوا فی مجتمع عادل،و قد أنزل الحدید لیمتحن عباده فی الدفاع عن مجتمعهم الصالح و بسط کلمه الحق فی الأرض مضافا إلی ما فی الحدید من منافع ینتفعون بها.

ثم ذکر أنه أرسل نوحا و إبراهیم(ع)و جعل فی ذریتهما النبوه و الکتاب و أتبعهم بالرسول بعد الرسول فاستمر الأمر فی کل من الأمم علی إیمان بعضهم و اهتدائه و کثیر منهم فاسقون،ثم ختم الکلام فی السوره بدعوتهم إلی تکمیل إیمانهم لیؤتوا کفلین من الرحمه.

قوله تعالی:« لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَ الْمِیزانَ لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ »إلخ،استئناف یتبین به معنی تشریع الدین بإرسال الرسل و إنزال الکتاب و المیزان و أن الغرض من ذلک قیام الناس بالقسط و امتحانهم بذلک و بإنزال الحدید لیتمیز من ینصر الله بالغیب و یتبین أن أمر الرساله لم یزل مستمرا بین الناس و لم یزالوا یهتدی من کل أمه بعضهم و کثیر منهم فاسقون.

فقوله:« لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ »أی بالآیات البینات التی یتبین بها أنهم مرسلون من جانب الله سبحانه من المعجزات الباهره و البشارات الواضحه و الحجج القاطعه.

و قوله:« وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ »و هو الوحی الذی یصلح أن یکتب فیصیر کتابا، المشتمل علی معارف الدین من اعتقاد و عمل و هو خمسه:کتاب نوح و کتاب إبراهیم و التوراه و الإنجیل و القرآن.

و قوله:« وَ الْمِیزانَ لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ »فسروا المیزان بذی الکفتین الذی یوزن به الأثقال،و أخذوا قوله:« لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ »غایه متعلقه بإنزال المیزان و المعنی:

و أنزلنا المیزان لیقوم الناس بالعدل فی معاملاتهم فلا یخسروا باختلال الأوزان و النسب بین الأشیاء فقوام حیاه الإنسان بالاجتماع،و قوام الاجتماع بالمعاملات الدائره بینهم و المبادلات فی الأمتعه و السلع و قوام المعاملات فی ذوات الأوزان بحفظ النسب بینها و هو شأن المیزان.

و لا یبعد-و الله أعلم-أن یراد بالمیزان الدین فإن الدین هو الذی یوزن به عقائد أشخاص الإنسان و أعمالهم، و هو الذی به قوام حیاه الناس السعیده مجتمعین و منفردین، و هذا المعنی أکثر ملائمه للسیاق المتعرض لحال الناس من حیث خشوعهم و قسوه قلوبهم

و جدهم و مساهلتهم فى أمر الدين.و قيل:المراد بالميزان هنا العدل و قيل:العقل.

و قوله:« وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ »الظاهر أنه كقوله تعالى: «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ» :الزمر:۶،و قد تقدم فى تفسير الآيه أن تسميه الخلق فى الأرض إنزالا إنما هو باعتبار أنه تعالى يسمى ظهور الأشياء فى الكون بعد ما لم يكن إنزالا لها من خزائنه التى عنده و من الغيب إلى الشهاده قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» :الحجر:۲۱.

و قوله:« فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ » البأس هو الشده فى التأثير و يغلب استعماله فى الشده فى الدفاع و القتال،و لا تزال الحروب و المقاتلات و أنواع الدفاع ذات حاجه شديده إلى الحديد و أقسام الأسلحه المعموله منه منذ تنبه البشر له و استخرجه.

و أما ما فيه من المنافع للناس فلا يحتاج إلى البيان فله دخل فى جميع شعب الحياه و ما يرتبط بها من الصنائع.

و قوله:« وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ »غايه معطوفه على محذوف و التقدير و أنزلنا الحديد لكذا و ليعلم الله من ينصره إلخ،و المراد بنصره و رسله الجهاد فى سبيله دفاعا عن مجتمع الدين و بسطا لكلمه الحق،و كون النصر بالغيب كونه فى حال غيبته منهم أو غيبتهم منه،و المراد بعلمه بمن ينصره و رسله تميزهم ممن لا ينصر.

و ختم الآيه بقوله:« إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ »و كان وجهه الإشاره إلى أن أمره تعالى لهم بالجهاد إنما هو ليتميز الممتثل منهم من غيره لا لحاجه منه تعالى إلى ناصر ينصره أنه تعالى قوى لا سبيل للضعف إليه عزيز لا سبيل للذله إليه.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ »شروع فى الإشاره إلى أن الاهتداء و الفسق جاريان فى الأمم الماضيه حتى اليوم فلم تصلح أمه من الأمم بعامه أفرادها بل لم يزل كثير منهم فاسقين.

و ضمير« فَمِنْهُمْ »و« فَمِنْهُمْ »للذريه و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ » فى المجمع،: التقفيه جعل الشىء فى إثر شىء على الاستمرار فيه،و لهذا قيل لمقاطع الشعر قواف إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمره فى غيره على منهاجه.انتهى.

و ضمير« عَلى آثارِهِمْ »لنوح و إبراهيم و السابقين من ذريتهما،و الدليل عليه أنه لا نبى

بعد نوح إلا من ذريته لأن النسل بعده له.على أن عيسى من ذريه إبراهيم قال تعالى فى نوح: «وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ» :الصافات:٧٧،و قال: «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ -إلى أن قال- وَ عِيسى» :الأنعام:٨٥فالمراد بقوله:« ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا » إلخ،التقفيه باللاحقين من ذريتهما على آثارهما و السابقين من ذريتهما.

و فى قوله:« عَلى آثارِهِمْ »إشاره إلى أن الطريق المسلوك واحد يتبع فيه بعضهم أثر بعض.

و قوله:« وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً »الرأفه و الرحمه-على ما قالوا-مترادفان،و نقل عن بعضهم أن الرأفه يقال فى درء الشر و الرحمه فى جلب الخير.

و الظاهر أن المراد بجعل الرأفه و الرحمه فى قلوب الذين اتبعوه توفيقهم للرأفه و الرحمه فيما بينهم فكانوا يعيشون على المعاضده و المسالمه كما وصف الله سبحانه الذين مع النبى ص بالرحمه إذ قال: «رُحَماءُ بَيْنَهُمْ» :الفتح:٢٩،و قيل:المراد بجعل الرأفه و الرحمه فى قلوبهم الأمر بهما و الترغيب فيهما و وعد الثواب عليهما.

و قوله:« وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ » الرهبانيه من الرهبه و هى الخشيه، و يطلق عرفا على انقطاع الإنسان من الناس لعباده الله خشيه منه،و الابتداع إتيان ما لم يسبق إليه فى دين أو سنه أو صنعه،و قوله:« ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ »فى معنى الجواب عن سؤال مقدر كأنه قيل:ما معنى ابتداعهم لها؟فقيل:ما كتبناها عليهم.

و المعنى:أنهم ابتدعوا من عند أنفسهم رهبانيه من غير أن نشرعه نحن لهم.

و قوله:« إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها »استثناء منقطع معناه ما فرضناها عليهم لكنهم وضعوها من عند أنفسهم ابتغاء لرضوان الله و طلبا لمرضاته فما حافظوا عليها حق محافظتها بتعديهم حدودها.

و فيه إشاره إلى أنها كانت مرضيه عنده تعالى و إن لم يشرعها بل كانوا هم المبتدعين لها.

و قوله:« فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ »إشاره إلى أنهم كالسابقين من أمم الرسل منهم مؤمنون مأجورون على إيمانهم و كثير منهم فاسقون، و الغلبه للفسق.

قوله تعالى:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ »

إلـخ،أمر الذين آمنوا بالتقوى و الإيمان بالرسول مع أن الذين اسـتجابوا الدعوه فآمنوا بالله آمنوا برسوله أيضا دليل على أن المراد بالإيمـان بـالرسول الاتبـاع التـام و الطـاعه الكـامله لرسوله فيمـا يـأمر به و ينهى عنه سواء كـان مـا يـأمر به أو ينهى عنه حكما من الأحكـام الشـرعيه أو صـادرا عنه بمـا له من ولا ـيه أمور الأ ـمه كما قال تعالى: «فَلاَ وَ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» :النساء:۶۵.

فهـذا إيمان بعد إيمان و مرتبه فوق مرتبه الإيمان الذى ربما يتخلف عنه أثره فلا يترتب عليه لضـعفه،و بهذا يناسب قوله:« يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ »و الكفل الحظ و النصيب فله ثواب على ثواب كما أنه إيمان على إيمان.

و قيل:المراد بإيتاء كفلين من الرحمه إيتاؤهم أجرين كمؤمنى أهل الكتاب كأنه قيل:

يؤتكم مـا وعـد من آمن من أهـل الكتـاب من الأجرين لأنكم مثلهم فى الإيمان بالرسل المتقـدمين و بخاتمهم(ع)لا تفرقون بين أحد من رسله.

و قـوله:« وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ »قيـل:يعنى يـوم القيـامه و هو النور الـذى أشـير إليه بقوله:« يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ ».

و فيه أنه تقييد من غير دليل بل لهم نورهم فى الدنيا و هو المدلول عليه بقوله تعالى:

«أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها :الأنعام:۱۲۲،و نورهم فى الآخره و هو المدلول عليه بقوله: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ» XالآيهX:۱۲ من السوره و غيره.

ثم كمل تعالى وعده بإيتائهم كفلين من رحمته و جعل نور يمشون به بالمغفره فقال:

« وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

قوله تعالى:« لِئَلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلاّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ »ظاهر السياق أن فى الآيه التفاتا من خطاب المؤمنين إلى خطاب النبى ص،و المراد بالعلم مطلق الاعتقاد كالزعم،و« أَنَّ »مخففه من الثقيله،و ضـمير« يَقْدِرُونَ »للمؤمنين،و فى الكلام تعليل لمضمون الآيه السابقه.

و المعنى:إنمـا أمرنـاهم بالإيمـان بعـد الإيمـان و وعـدناهم كفلين من الرحمه و جعل النور و المغفره لئلا يعتقـد أهل الكتاب أن المؤمنين لا يقدرون على شىء من فضل الله بخلاف المؤمنين من أهل الكتاب حيث يؤتون أجرهم مرتين أن آمنوا.

و قیل:إن لِئَلّا فی« لِئَلّا یَعْلَمَ »زائده و ضمیر« یَقْدِرُونَ »لأهل الکتاب،و المعنی:

إنمـا وعـدنا المؤمنین بمـا وعـدنا لأن یعلم أهل الکتاب القائلون:إن من آمن منا بکتابکم فله أجران و من لم یؤمن فله أجر واحد لإیمانه بکتابنا،إنهم لا یقدرون علی شیء من فضل الله إن لم یؤمنوا،هذا و لا یخفی علیک ما فیه من التکلف.

و قوله:« وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ »معطوف علی ألا یعلم»، و المعنی:إنما وعـدنا بما وعدنا لأن کذا کذا و لأن الفضل بید الله و الله ذو الفضل العظیم.

و فی الآیه أقوال و احتمالات أخر لا جدوی فی إیرادها و البحث عنها.

(بحث روائی)

عن جوامع الجامع،روی: أن جبرئیل نزل بالمیزان فدفعه إلی نوح(ع)-و قال:مر قومک یزنوا به.

و فی الاحتجاج،عن علی(ع)فی حدیث و قال: « وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ » فإنزاله ذلک خلقه إیاه.

و فی المجمع،عن ابن مسعود قـال: کنت ردیف رسول الله علی الحمـار فقـال:یـا ابن أم عبـد- هـل تـدری من أین أحـدثت بنو إسرائیل الرهبانیه؟فقلت:الله و رسوله أعلم.فقال:

ظهرت علیهم الجبابره بعد عیسی(ع)-یعملون بمعاصی الله فغضب أهل الإیمان فقاتلوهم- فهزم أهل الإیمان ثلاث مرات فلم یبق منهم إلا القلیل.

فقـالوا:إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا-و لم یبق للـدین أحـد یـدعو إلیه فتعالوا نتفرق فی الأرض- إلی أن یبعث الله النبی الـذی وعـدنا به عیسی-یعنون محمدا ص-فتفرقوا فی غیران (۱)الجبال و أحـدثوا رهبانیه-فمنهم من تمسک بـدینه،و منهم من کفر.ثم تلا هـذه الآیه « وَ رَهْبانِیَّةً ابْتَدَعُوها-ما کَتَبْناها عَلَیْهِمْ »إلی آخرها.

ثم قال:یا ابن أم عبد أ تدری ما رهبانیه أمتی؟قلت:الله و رسوله أعلم.قال:

الهجره و الجهاد و الصلاه و الصوم و الحج و العمره.

و فی الکافی،بإسناده عن أبی الجارود قال: قلت لأبی جعفر(ع)لقد آتی الله

۱- ۱) جمع غار.

أهل الكتاب خيرا كثيرا.قال:و ما ذاک؟قلت:قول الله عز و جل:« اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ -إلی قوله- أُولئِکَ یُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَیْنِ بِما صَبَرُوا »قال:

فقال:آتاکم الله کما آتاهم ثم تلا:« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ-یُؤْتِکُمْ کِفْلَیْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ »یعنی إماما تأتمون به.

و فی المجمع،عن سعید بن جبیر: بعث رسول الله ص جعفرا-فی سبعین راکبا إلی النجاشی یدعوه-فقدم علیه و دعاه فاستجاب له و آمن به-فلما کان عند انصرافه-قال ناس ممن آمن به من أهل مملکته-و هم أربعون رجلا:ائذن لنا فنأتی هذا النبی فنسلم به.

فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمین من الخصاصه-استأذنوا رسول الله ص و قالوا:

یا نبی الله إن لنا أموالا-و نحن نری ما بالمسلمین من الخصاصه-فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا-فواسینا المسلمین بها فأذن لهم-فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمین-فأنزل الله فیهم:« اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ-هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ -إلی قوله- وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ »فکانت النفقه التی واسوا بها المسلمین.

فلما سمع أهل الکتاب ممن لم یؤمن به قوله:« أُولئِکَ یُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَیْنِ بِما صَبَرُوا » فخروا علی المسلمین فقالوا:یا معشر المسلمین-أما من آمن منا بکتابنا و کتابکم فله أجران، و من آمن منا بکتابنا فله أجر کأجورکم-فما فضلکم علینا؟فنزل قوله:« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ-وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ »الآیه،فجعل لهم أجرین و زادهم النور و المغفره-ثم قال:« لِئَلاّ یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتابِ ».

(۵۸) (سوره المجادله مدنیه، و هی اثنتان و عشرون آیه)(۲۲)

[سوره المجادله (۵۸): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ

قَدْ سَمِعَ اَللّهُ قَوْلَ اَلَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها وَ تَشْتَکِی إِلَی اَللّهِ وَ اَللّهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما إِنَّ اَللّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (۱) اَلَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اَللاّئِی وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَیَقُولُونَ مُنْکَراً مِنَ اَلْقَوْلِ وَ زُوراً وَ إِنَّ اَللّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (۲) وَ اَلَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ یَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسّا ذلِکُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اَللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۳) فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ شَهْرَیْنِ مُتَتابِعَیْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسّا فَمَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّینَ مِسْکِیناً ذلِکَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْکَ حُدُودُ اَللّهِ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ أَلِیمٌ (۴) إِنَّ اَلَّذِینَ یُحَادُّونَ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ کُبِتُوا کَما کُبِتَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنا آیاتٍ بَیِّناتٍ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ (۵) یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اَللّهُ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اَللّهُ وَ نَسُوهُ وَ اَللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (۶)

بیان

تتعرض السوره لمعان متنوعه من حکم و أدب و صفه فشطر منها فی حکم الظهار و النجوی و أدب الجلوس فی المجالس و شطر منها یصف حال الذین یحادون الله و رسوله، و الذین یوادون أعداء الدین و یصف الذین یتحرزون من موادتهم من المؤمنین و یعدهم وعدا جمیلا فی الدنیا و الآخره.

و السوره مدنیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها وَ تَشْتَکِی إِلَی اللّٰهِ وَ اللّٰهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما »إلخ،قال فی المجمع،: الاشتکاء إظهار ما بالإنسان من مکروه،و الشکایه إظهار ما یصنعه به غیره من المکروه.قال:و التحاور التراجع و هی المحاوره یقال:

حاوره محاوره أی راجعه الکلام و تحاورا.انتهی.

ص :۱۷۷

الآيات الأربع أو الست نزلت فی الظهار و كان من أقسام الطلاق عند العرب الجاهلی كان الرجل يقول لامرأته:أنت منی كظهر أمی فتنفصل عنه و تحرم عليه مؤبده و قد ظاهر بعض الأنصار من امرأته ثم ندم عليه فجاءت امرأته إلی رسول الله ص تسائله فيه لعلها تجد طريقا إلی رجوعه إليها و تجادله(ص)فی ذلک و تشتكی إلی الله فنزلت الآيات.

و المراد بالسمع فی قوله:« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ »استجابه الدعوه و قضاء الحاجه من باب الكنايه و هو شائع و الدليل عليه قوله:« تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ »الظاهر فی أنها كانت تتوخی طريقا إلی أن لا تنفصل عن زوجها،و أما قوله:« وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما »فالسمع فيه بمعناه المعروف.

و المعنی:قد استجاب الله للمرأه التی تجادلک فی زوجها-و قد ظاهر منها-و تشتكی غمها و ما حل بها من سوء الحال إلی الله و الله يسمع تراجعكما فی الكلام أن الله سميع للأصوات بصير بالمبصرات.

قوله تعالی:« اَلَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاّئِي وَلَدْنَهُمْ » إلخ،نفی لحكم الظهار المعروف عندهم و إلغاء لتأثيره بالطلاق و التحريم الأبدی بنفی أمومه الزوجه للزوج بالظهار فإن سنه الجاهليه تلحق الزوجه بالأم بسبب الظهار فتحرم علی زوجها حرمه الأم علی ولدها حرمه مؤبده.

فقوله:« ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ »أی بحسب اعتبار الشرع بأن يلحقن شرعا بهن بسبب الظهار فيحرمن عليهم أبدا ثم أكده بقوله:« إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاّئِي وَلَدْنَهُمْ »أی ليس أمهات أزواجهن إلا النساء اللاتی ولدنهم.

ثم أكد ذلک ثانيا بقوله:« وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً »بما فيه من سياق التأكيد أی و إن هؤلاء الأزواج المظاهرين ليقولون بالظهار منكرا من القول ينكره الشرع حيث لم يعتبره و لم يسنه،و كذبا باعتبار أنه لا يوافق الشرع كما لا يطابق الخارج الواقع فی الكون فأفادت الآيه أن الظهار لا يفيد طلاقا و هذا لا ينافی وجوب الكفاره عليه لو أراد المواقعه بعد الظهار فالزوجيه علی حالها و إن حرمت المواقعه قبل الكفاره.

و قوله:« وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ »لا يخلو من دلاله علی كونه ذنبا مغفورا لكن ذكر الكفاره فی الآيه التاليه مع تذييلها بقوله:« وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ »ربما دل علی أن المغفره مشروطه بالكفاره.

قوله تعالی:« وَ الَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا »إلخ،الکلام فی معنی الشرط و لذلک دخلت الفاء فی الخبر لأنه فی معنی الجزاء و المحصل:أن الذین ظاهروا منهن ثم أرادوا العود لما قالوا فعلیهم تحریر رقبه.

و فی قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا »دلاله علی أن الحکم فی الآیه لمن ظاهر ثم أراد الرجوع إلی ما کان علیه قبل الظهار و هو قرینه علی أن المراد بقوله:« يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا » إراده العود إلی نقض ما أبرموه بالظهار.

و المعنی:و الذین یظاهرون من نسائهم ثم یریدون أن یعودوا إلی ما تکلموا به من کلمه الظهار فینقضوها بالمواقعه فعلیهم تحریر رقبه من قبل أن یتماسا.

و قیل:المراد بعودهم لما قالوا ندمهم علی الظهار،و فیه أن الندم علیه یصلح أن یکون محصل المعنی لا أن یکون معنی الکلمه« يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا ».

و قیل:المراد بعودهم لما قالوا رجوعهم إلی ما تلفظوا به من کلمه الظهار بأن یتلفظوا بها ثانیا و فیه أن لازمه ترتب الکفاره دائما علی الظهار الثانی دون الأول و الآیه لا تفید ذلک و السنه إنما اعتبرت تحقق الظهار دون تعدده.

ثم ذیل الآیه بقوله:« ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »إیذانا بأن ما أمر به من الکفاره توصیه منه بها عن خبره بعملهم ذاک،فالکفاره هی التی ترتفع بها ما لحقهم من تبعه العمل.

قوله تعالی:« فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا »إلی آخر الآیه خصله ثانیه من الکفاره مترتبه علی الخصله الأولی لمن لا یتمکن منها و هی صیام شهرین متتابعین من قبل أن یتماسا،و قید ثانیا بقوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا »لدفع توهم اختصاص القید بالخصله الأولی.

و قوله:« فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعٰامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً »بیان للخصله الثالثه فمن لم یطق صیام شهرین متتابعین فعلیه إطعام ستین مسکینا و تفصیل الکلام فی ذلک کله فی الفقه.

و قوله:« ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ »أی ما جعلناه من الحکم و افترضناه من الکفاره فأبقینا علقه الزوجیه و وضعنا الکفاره لمن أراد أن یرجع إلی المواقعه جزاء بما أتی بسنه من سنن الجاهلیه کل ذلک لتؤمنوا بالله و رسوله و ترفضوا أباطیل السنن.

و قوله:« وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ » حد الشیء ما ینتهی إلیه و لا

يتعداه و أصله المنع،و المراد أن ما افترضناه من الخصال أو ما نضعها من الأحكام حدود الله فلا تتعدوها بالمخالفه و للكافرين بما حكمنا به فى الظهار أو بما شرعناه من الأحكام بالمخالفه و المحاده عذاب أليم.

و الظاهر أن المراد بالكفر رد الحكم و الأخذ بالظهار بما أنه سنه مؤثره مقبوله،و يؤيده قوله:« ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ »أى تذعنوا بأن حكم الله حق و أن رسوله صادق أمين فى تبليغه،و قد أكده بقوله:« وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ »إلخ،و يمكن أن يكون المراد بالكفر الكفر فى مقام العمل و هو العصيان.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَمٰا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »إلخ، المحاده الممانعه و المخالفه،و الكبت الإذلال و الإخزاء.

و الآيه و التى تتلوها و إن أمكن أن تكونا استئنافا يبين أمر محاده الله و رسوله من حيث تبعتها و أثرها لكن ظاهر السياق أن تكونا مسوقتين لتعليل ذيل الآيه السابقه الذى معناه النهى عن محاده الله و رسوله،و المعنى:إنما أمرناكم بالإيمان بالله و رسوله و نهيناكم عن تعدى حدود الله و الكفر بها لأن الذين يحادون الله و رسوله بالمخالفه أذلوا و أخزوا كما أذل و أخزى الذين من قبلهم.

ثم أكده بقوله:« وَ قَدْ أَنْزَلْنٰا آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ مُهِينٌ »أى لا ريب فى كونها منا و فى أن رسولنا صادق أمين فى تبليغها،و للكافرين بها الرادين لها عذاب مهين مخز.

قوله تعالى:« يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا »ظرف لقوله:« وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ »أى لهم أليم العذاب فى يوم يبعثهم الله و هو يوم الحساب و الجزاء فيخبرهم بحقيقه جميع ما عملوا فى الدنيا.

و قوله:« أَحْصٰاهُ اللّٰهُ وَ نَسُوهُ » الإحصاء الإحاطه بعدد الشىء من غير أن يفوت منه شىء،قال الراغب:الإحصاء التحصيل بالعدد يقال:أحصيت كذا،و ذلك من لفظ الحصى،و استعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه فى العد كاعتمادنا فيه على الأصابع.انتهى.

و قوله:« وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »تعليل لقوله:« أَحْصٰاهُ اللّٰهُ »و قد مر تفسير شهاده الله على كل شىء فى آخر سوره حم السجده.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن ماجه و ابن أبی حاتم و الحاکم و صححه و ابن مردویه و البیهقی عن عائشه قالت": تبارک الذی وسع سمعه کل شیء-إنی لأسمع کلام خوله بنت ثعلبه و یخفی علی بعضه-و هی تشتکی زوجها إلی رسول الله ص و هی تقول:یا رسول الله أکل شبابی و نثرت له بطنی-حتی إذا کبر سنی و انقطع ولدی ظاهر منی-اللهم إنی أشکو إلیک-فما برحت حتی نزل جبرئیل بهذه الآیات« قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِی تُجٰادِلُکَ فِی زَوْجِهٰا »-و هو أوس بن الصامت.

أقول:و الروایات من طرق أهل السنه فی هذا المعنی کثیره جدا،و اختلفت فی اسم المرأه و اسم أبیها و اسم زوجها و اسم أبیه و الأعرف أن اسمها خوله بنت ثعلبه و اسم زوجها أوس بن الصامت الأنصاری و أورد القمی إجمال القصه فی روایه،و له روایه أخری ستوافیک.

و فی المجمع،":فی قوله تعالی:« وَ الَّذِینَ یُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ-ثُمَّ یَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا »فأما ما ذهب إلیه أئمه الهدی-من آل محمد(ع)-فهو أن المراد بالعود إراده الوطء-و نقض القول الذی قاله-فإن الوطء لا یجوز له إلا بعد الکفاره،و لا یبطل حکم قوله الأول إلا بعد الکفاره.

و فی تفسیر القمی،حدثنا علی بن الحسین قال:حدثنا محمد بن أبی عبد الله عن الحسن بن محبوب عن أبی ولاد عن حمران عن أبی جعفر(ع)قال: إن امرأه من المسلمات أتت النبی ص-فقالت:یا رسول الله إن فلانا زوجی-و قد نثرت له بطنی و أعنته علی دنیاه و آخرته-لم تر منی مکروها أشکوه إلیک.قال:فیم تشکونیه؟قالت:إنه قال:أنت علی حرام کظهر أمی-و قد أخرجنی من منزلی فانظر فی أمری.فقال لها رسول الله ص:ما أنزل الله تبارک و تعالی کتابا-أقضی فیه بینک و بین زوجک-و أنا أکره أن أکون من المتکلفین،فجعلت تبکی و تشتکی ما بها إلی الله عز و جل-و إلی رسول الله ص و انصرفت.

قال:فسمع الله تبارک و تعالی مجادلتها لرسول الله ص-فی زوجها و ما شکت إلیه، و أنزل الله فی ذلک قرآنا« بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ، قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِی تُجٰادِلُکَ فِی

زَوْجِهٰا

-إلى قوله وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ».

قال:فبعث رسول الله ص إلى المرأه فأتته-فقال لها:جيئى بزوجك،فأتته فقال له:أ قلت لامرأتک هذه:أنت حرام على كظهر أمي؟فقال:قد قلت لها ذلك.فقال له رسول الله ص:قد أنزل الله تبارك و تعالى فيك و فى امرأتک قرآنا-و قرأ:« بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ- قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِي تُجٰادِلُكَ -إلى قوله- إِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ »، فضم إليک امرأتک-فإنك قد قلت منكرا من القول و زورا،و قد عفا الله عنك و غفر لک و لا تعد.

قال:فانصرف الرجل و هو نادم على ما قال لامرأته،و كره الله عز و جل ذلک للمؤمنين بعد و أنزل الله:« اَلَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا »يعنى لما قال الرجل لامرأته:أنت على كظهر أمى.

قال:فمن قالها بعد ما عفا الله و غفر للرجل الأول-فإن عليه« فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا »يعنى مجامعتها« ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ- فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا-فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعٰامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً »قال:فجعل الله عقوبه من ظاهر بعد النهى هذا.ثم قال:« ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ »قال:

هذا حد الظهار. الحديث.

أقول:الآيه بما لها من السياق و خاصه ما فى آخرها من ذكر العفو و المغفره أقرب انطباقا على ما سيق من القصه فى هذه الروايه،و لا بأس بها من حيث السند أيضا غير أنها لا تلائم ظاهر ما فى الآيه من قوله:« اَلَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا ».

[سوره المجادله (۵۸): الآيات ۷ الى ۱۳]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۷) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ نُهُوا عَنِ اَلنَّجْوىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنٰاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَةِ اَلرَّسُولِ وَ إِذٰا جٰاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمٰا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اَللّٰهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ يُعَذِّبُنَا اَللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۸) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا تَنٰاجَيْتُمْ فَلاٰ تَتَنٰاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَةِ اَلرَّسُولِ وَ تَنٰاجَوْا بِالْبِرِّ وَ اَلتَّقْوىٰ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ اَلَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۹) إِنَّمَا اَلنَّجْوىٰ مِنَ اَلشَّيْطٰانِ لِيَحْزُنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضٰارِّهِمْ شَيْئاً إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱۰) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي اَلْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اَللّٰهُ لَكُمْ وَ إِذٰا قِيلَ اُنْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۱) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نٰاجَيْتُمُ اَلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۲) أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقٰاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تٰابَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا

اَلزَّكٰاةَ وَ أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (١٣)

(بیان)

آیات فی النجوی و بعض آداب المجالسه.

قوله تعالی:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ »الاستفهام إنکاری، و المراد بالرؤیه العلم الیقینی علی سبیل الاستعاره،و الجمله تقدمه یعلل بها ما یتلوها من کونه تعالی مع أهل النجوی مشارکا لهم فی نجواهم.

قوله تعالی:« مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْویٰ ثَلاٰثَهٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَهٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ » إلی آخر الآیه النجوی مصدر بمعنی التناجی و هو المساره،و ضمائر الإفراد لله سبحانه، و المراد بقوله:« رٰابِعُهُمْ »و« سٰادِسُهُمْ »جاعل الثلاثه أربعه و جاعل الخمسه سته بمشارکته لهم فی العلم بما یتناجون فیه و معیته لهم فی الاطلاع علی ما یسارون فیه کما یشهد به ما احتف بالکلام من قوله فی أول الآیه:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ »إلخ،و فی آخرها من قوله:« إِنَّ اللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ ».

و قوله:« وَ لاٰ أَدْنیٰ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْثَرَ »أی و لا أقل مما ذکر من العدد و لا أکثر مما ذکر،و بهاتین الکلمتین یشمل الکلام عدد أهل النجوی أیا ما کان أما الأدنی من ذلک فالأدنی من الثلاثه الاثنان و الأدنی من الخمسه الأربعه،و أما الأکثر فالأکثر من خمسه السته فما فوقها.

و من لطف سیاق الآیه ترتب ما أشیر إلیه من مراتب العدد:الثلاثه و الأربعه و الخمسه و السته من غیر تکرار فلم یقل:من نجوی ثلاثه إلا هو رابعهم و لا أربعه إلا هو خامسهم و هکذا.

و قوله:« إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ مٰا کٰانُوا »المراد به المعیه من حیث العلم بما یتناجون به و المشارکه لهم فیه.

و بذلک یظهر أن المراد بکونه تعالی رابع الثلاثه المتناجین و سادس الخمسه المتناجین معیته لهم فی العلم و مشارکته لهم فی الاطلاع علی ما یسارون لا مماثلته لهم فی تتمیم العدد فإن کلا منهم شخص واحد جسمانی یکون بانضمامه إلی مثله عدد الاثنین و إلی مثلیه الثلاثه و الله سبحانه منزه عن الجسمیه بریء من المادیه.

و ذلک أن مقتضی السیاق أن المستثنی من قوله:« مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْویٰ »إلخ،معنی

واحد و هو أن الله لا ـ يخفى عليه نجوى فقوله:« إِلاّ ـ هُوَ رابِعُهُمْ »« إِلاّ ـ هُوَ سادِسُ ـهُمْ »فى معنى قوله:« إِلاّ ـ هُوَ مَعَهُمْ »و هو المعيه العلميه أى أنه يشاركهم فى العلم و يقارنهم فيه أو المعيه الوجوديه بمعنى أنه كلما فرض قوم يتناجون فالله سبحانه هناك سميع عليم.

و فى قوله:« أَيْنَ ما كانُوا »تعميم من حيث المكان إذ لما كانت معيته تعالى لهم من حيث العلم لا بالاقتران الجسمانى لم يتفاوت الحال و لم يختلف باختلاف الأمكنه بالقرب و البعد فالله سبحانه لا يخلو منه مكان و ليس فى مكان.

و بما تقدم يظهر أيضا أن-ما تفيده الآيه من معيته تعالى لأصحاب النجوى و كونه رابع الثلاثه منهم و سادس الخمسه منهم لا ينافى ما تقدم تفصيلا فى ذيل قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثَهٍ» :المائده:۷۳،من أن وحدته تعالى ليست وحده عدديه بل وحده أحديه يستحيل معها فرض غير معه يكون ثانيا له فالمراد بكونه معهم و رابعا للثلاثه منهم و سادسا للخمسه منهم أنه عالم بما يتناجون به و ظاهر مكشوف له ما يخفونه من غيرهم لا أن له وجودا محدودا يقبل العد يمكن أن يفرض له ثان و ثالث و هكذا.

و قوله:« ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَهِ أى يخبرهم بحقيقه ما عملوا من عمل و منه نجواهم و مسارتهم.

و قوله:« إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »تعليل لقوله:« ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ »إلخ،و تأكيد لما تقدم من علمه بما فى السماوات و ما فى الأرض،و كونه مع أصحاب النجوى.

و الآيه تصلح أن تكون توطئه و تمهيدا لمضمون الآيات التاليه و لا يخلو ذيلها من لحن شديد يرتبط بما فى الآيات التاليه من الذم و التهديد.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ »إلى آخر الآيه سياق الآيات يدل على أن قوما من المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض من المؤمنين كانوا قد أشاعوا بينهم النجوى محاده للنبى ص و المؤمنين يتناجون بينهم بالإثم و العدوان و معصيه الرسول و ليؤذوا بذلك المؤمنين و يحزنون و كانوا يصرون على ذلک من غير أن ينتهوا بنهى فنزلت الآيات.

فقوله:« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ »ذم و توبيخ غيابى لهم،و قد خاطب النبى ص و لم يخاطبهم أنفسهم مبالغه فى تحقير أمرهم و إبعادا لهم

عن شرف المخاطبه.

و المعنى:أ لم تنظر إلى الـذين نهوا عن التناجى بينهم بما يغم المؤمنين و يحزنهم ثم يعودون إلى التناجى الذى نهوا عنه عود بعد عـوده،و فى التعـبير بقوله:« يَعُودُونَ »دلاـله على الاسـتمرار،و فى العـدول عن ضـمير النجوى إلى الموصول و الصـله حيث قيـل:« يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ »و لم يقل يعودون إليها دلاله على سبب الذم و التوبيخ و مساءه العود لأنها أمر منهى عنه.

و قوله:« يَتَنٰاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَهِ الرَّسُولِ »المقابله بين الأمور الثلاثه:

الإثم و العدوان و معصـيه الرسول تفيد أن المراد بالإثم هو العمل الذى له أثر سـيئ لا يتعدى نفس عامله كشرب الخمر و الميسر و ترك الصـلاه مما يتعلق من المعاصـى بحقوق الله، و العدوان هو العمل الذى فيه تجاوز إلى الغير مما يتضرر به الناس و يتأذون مما يتعلق من المعاصـى بحقوق الناس،و القسمان أعنى الإثم و العدوان جميعا من معصيه الله،و معصيه الرسول مخالفته فى الأمور التى هى جائزه فى نفسها لا أمر و لا نهى من الله فيها لكن الرسول أمر بها أو نهى عنها لمصلحه الأمه بما له ولايه أمورهم و النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما نهاهم عن النجوى و إن لم يشتمل على معصيه.

كـان ما تقـدم من قوله:« اَلَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ »ذما و توبيخا لهم على نفس نجواهم بما أنها منهى عنها مع الغض عن كونها بمعصيه أو غيرها:

و هـذا الفصل أعنى قوله:« وَ يَتَنٰاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُـدْوٰانِ وَ مَعْصِـيَهِ الرَّسُولِ »ذم و توبيخ لهم بما يشـتمل عليه تناجيهم من المعصـيه بأنواعها و هؤلاء القوم هم المنافقون و مرضى القلوب كانوا يكثرون من النجوى بينهم ليغتم بها المؤمنون و يحزنوا و يتأذوا.

و قيـل:المنـافقون و اليهـود كـان ينـاجى بعضـهم بعضـا ليحزنـوا المؤمنين و يلقوا بينهم الوحشه و الفزع و يوهنوا عزمهم لكن فى شمول قوله:« اَلَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ »لليهود خفاء.

و قوله:« وَ إِذٰا جٰاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمٰا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ »فـإن الله حياه بالتسـليم و شـرع له ذلك تحيه من عنـد الله مباركه طيبه و هم كـانوا يحيونه بغيره.قـالوا:هؤلاـء هم اليهود كـانوا إذا أتوا النـبى ص قـالوا:السـام عليـك-و السـام هو الموت-و هم يوهمون أنهم يقولون:السلام عليك،و لا يخلو من شىء فإن الضمير فى« جٰاؤُكَ »و« حَيَّوْكَ »للموصول

فی قوله:« اَلَّذِینَ نُهُوا عَنِ النَّجْویٰ »و قد عرفت أن فی شموله للیهود خفاء.

و قوله:« وَ یَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ یُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ »معطوف علی« حَیَّوْکَ »أو حال و ظاهره أن ذلک منهم من حدیث النفس مضمرین ذلک فی قلوبهم،و هو تحضیض بداعی الطعن و التهکم فیکون من المنافقین إنکارا لرساله النبی ص علی طریق الکنایه و المعنی:أنهم یحیونک بما لم یحیک به الله و هم یحدثون أنفسهم بدلاله قولهم ذلک-و لو لا یعذبهم الله به-علی أنک لست برسول من الله و لو کنت رسوله لعذبهم بقولهم.

و قیل:المراد بقوله:« وَ یَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ »یقولون فیما بینهم بتحدیث بعض منهم لبعض و لا یخلو من بعد.

و قد رد الله علیهم احتجاجهم بقولهم:« لَوْ لاٰ یُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ »بقوله:« حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِیرُ »أی إنهم مخطئون فی نفیهم العذاب فهم معذبون بما أعد لهم من العذاب و هو جهنم التی یدخلونها و یقاسون حرها و کفی بها عذابا لهم.

و کان المنافقین و من یلحق بهم لما لم ینتهوا بهذه المناهی و التشدیدات نزل قوله تعالی:

«لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ الْمُنٰافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِی الْمَدِینَهِ لَنُغْرِیَنَّکَ بِهِمْ ثُمَّ لاٰ یُجٰاوِرُونَکَ فِیهٰا إِلاّٰ قَلِیلاً، مَلْعُونِینَ أَیْنَمٰا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِیلاً» :الآیات الأحزاب:۶۱.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا تَنٰاجَیْتُمْ فَلاٰ تَتَنٰاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِیَهِ الرَّسُولِ »إلخ،لا یخلو سیاق الآیات من دلاله علی أن الآیه نزلت فی رفع الخطر و قد خوطب فیها المؤمنون فأجیز لهم النجوی و اشترط علیهم أن لا یکون تناجیا بالإثم و العدوان و معصیه الرسول و أن یکون تناجیا بالبر و التقوی و البر و هو التوسع فی فعل الخیر یقابل العدوان،و التقوی مقابل الإثم ثم أکد الکلام بالأمر بمطلق التقوی بإنذارهم بالحشر بقوله:« وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ ».

قوله تعالی:« إِنَّمَا النَّجْویٰ مِنَ الشَّیْطٰانِ لِیَحْزُنَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَیْسَ بِضٰارِّهِمْ شَیْئاً إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ »إلخ،المراد بالنجوی-علی ما یفیده السیاق-هو النجوی الدائره فی تلک الأیام بین المنافقین و مرضی القلوب و هی من الشیطان فإنه الذی یزینها فی قلوبهم لیتوسل بها إلی حزنهم و یشوش قلوبهم لیوهمهم أنها فی نائبه حلت بهم و بلیه أصابتهم.

ثم طیب الله قلوب المؤمنین بتذکیرهم أن الأمر إلی الله سبحانه و أن الشیطان

أو التناجی لا- یضرهم شیئا إلا بإذن الله فلیتوکلوا علیه و لا یخافوا ضره و قد نص سبحانه فی قوله: «وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» :الطلاق:۳ إنه یکفی من توکل علیه،و استنهضهم علی التوکل بأنه من لوازم إیمان المؤمن فإن یکونوا مؤمنین فلیتوکلوا علیه فهو یکفیهم.

و هذا معنی قوله:« وَ لَیْسَ بِضٰارِّهِمْ شَیْئاً إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ عَلَی اللّٰهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ».

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا قِیلَ لَکُمْ تَفَسَّحُوا فِی الْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا یَفْسَحِ اللّٰهُ لَکُمْ »إلخ، التفسح الاتساع و کذا الفسح،و المجالس جمع مجلس اسم مکان،و الاتساع فی المجلس أن یتسع الجالس لیسع المکان غیره و فسح الله له أن یوسع له فی الجنه.

و الآیه تتضمن أدبا من آداب المعاشره،و یستفاد من سیاقها أنهم کانوا یحضرون مجلس النبی ص فیجلسون رکاما لا یدع لغیرهم من الواردین مکانا یجلس فیه فأدبوا بقوله:

« إِذٰا قِیلَ لَکُمْ تَفَسَّحُوا »إلخ،و الحکم عام و إن کان مورد النزول مجلس النبی ص.

و المعنی:یا أیها الذین آمنوا إذا قیل لکم توسعوا فی المجالس لیسع المکان معکم غیرکم فتوسعوا وسع الله لکم فی الجنه.

و قوله:« وَ إِذٰا قِیلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا »یتضمن أدبا آخر،و النشوز -کما قیل- الارتفاع عن الشیء بالذهاب عنه،و النشوز عن المجلس أن یقوم الإنسان عن مجلسه لیجلس فیه غیره إعظاما له و تواضعا لفضله.

و المعنی:و إذا قیل لکم قوموا لیجلس مکانکم من هو أفضل منکم فی علم أو تقوی فقوموا.

و قوله:« یَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ »لا ریب فی أن لازم رفعه تعالی درجه عبد من عباده مزید قربه منه تعالی،و هذا قرینه عقلیه علی أن المراد بهؤلاء الذین أوتوا العلم العلماء من المؤمنین فتدل الآیه علی انقسام المؤمنین إلی طائفتین:

مؤمن و مؤمن عالم،و المؤمن العالم أفضل و قد قال تعالی: «هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ» :الزمر:۹.

و یتبین بذلک أن ما ذکر من رفع الدرجات فی الآیه مخصوص بالذین أوتوا العلم و یبقی لسائر المؤمنین من الرفع الرفع درجه واحده و یکون التقدیر یرفع الله الذین آمنوا منکم درجه و یرفع الذین أوتوا العلم منکم درجات.

و فی الآیه من تعظیم أمر العلماء و رفع قدرهم ما لا یخفی.و أکد الحکم بتذییل الآیه

بقوله:« وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ».

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نٰاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقَةً » إلخ،أى إذا أردتم أن تناجوا الرسول فتصدقوا قبلها.

و قوله:« ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ »تعليل للتشريع نظير قوله: «وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» :البقره:۱۸۴،و لا شك أن المراد بكونها خيرا لهم و أطهر أنها خير لنفوسهم و أطهر لقلوبهم و لعل الوجه فى ذلك أن الأغنياء منهم كانوا يكثرون من مناجاه النبى ص يظهرون بذلك نوعا من التقرب إليه و الاختصاص به و كان الفقراء منهم يحزنون بذلك و ينكسر قلوبهم فأمروا أن يتصدقوا بين يدى نجواهم على فقرائهم بما فيها من ارتباط النفوس و إثاره الرحمه و الشفقه و الموده و صله القلوب بزوال الغيظ و الحنق.

و فى قوله:« ذٰلِكَ »التفات إلى خطاب النبى ص بين خطابين للمؤمنين و فيه تجليل لطيف له(ص)حيث إن حكم الصدقه مرتبط بنجواه(ص)و الالتفات إليه فيما يرجع إليه من الكلام مزيد عنايه به.

و قوله:« فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »أى فإن لم تجدوا شيئا تتصدقون به فلا يجب عليكم تقديمها و قد رخص الله لكم فى نجواه و عفا عنكم إنه غفور رحيم فقوله:

« فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »من وضع السبب موضع المسبب.

و فيه دلاله على رفع الوجوب عن المعدمين كما أنه قرينه على إراده الوجوب فى قوله:

« فَقَدِّمُوا »إلخ،و وجوبه على الموسرين.

قوله تعالى:« أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقٰاتٍ »إلخ،الآيه ناسخه لحكم الصدقه المذكور فى الآيه السابقه،و فيه عتاب شديد لصحابه النبى ص و المؤمنين حيث إنهم تركوا مناجاته(ص)خوفا من بذل المال بالصدقه فلم يناجه أحد منهم إلا على (ع)فإنه ناجاه عشر نجوات كلما ناجاه قدم بين يدى نجواه صدقه ثم نزلت الآيه و نسخت الحكم.

و الإشفاق الخشيه،و قوله:« أَنْ تُقَدِّمُوا »إلخ،مفعوله و المعنى:أ خشيتم التصدق و بذل المال للنجوى،و احتمل أن يكون المفعول محذوفا و التقدير أ خشيتم الفقر لأجل بذل المال.

قال بعضهم:جمع الصدقات لما أن الخوف لم يكن فى الحقيقه من تقديم صدقه واحده

لأنه ليس مظنه الفقر بل من استمرار الأمر و تقديم صدقات.

و قوله:« فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تٰابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ »إلـخ،أى فإذ لم تفعلوا ما كلفتم به و رجع الله إليكم العفو و المغفره فأثبتوا على امتثال سائر التكاليف من إقامه الصلاه و إيتاء الزكاه.

ففى قوله:« وَ تٰابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ »دلاله على كون ذلك منهم ذنبا و معصيه غير أنه تعالى غفر لهم ذلك.

و فى كون قوله:« فَأَقِيمُوا الصَّلاٰةَ »إلخ،متفرعا على قوله:« فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا »إلخ، دلاله على نسخ حكم الصدقه قبل النجوى.

و فى قوله:« وَ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ »تعميم لحكم الطاعه لسائر التكاليف بإيجاب الطاعه المطلقه،و فى قوله:« وَ اللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ »نوع تشديد يتأكد به حكم وجوب طاعه الله و رسوله.

(بحث روائى)

فى المجمع،":و قرأ حمزه و رويس عن يعقوب« ينتجون »و الباقون« يَتَنٰاجَوْنَ »و يشهد لقراءه حمزه

قول النبى ص فى على(ع)- لما قال له بعض أصحابه:أ تناجيه دوننا؟ ما أنا انتجيته بل الله انتجاه.

و فى الدر المنثور،أخرج أحمد و عبد بن حميد و البزار و ابن المنذر و الطبرانى و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان بسند جيد عن ابن عمر": أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ص:

سام عليك يريدون بذلك شتمه-ثم يقولون فى أنفسهم:« لَوْ لاٰ يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ »فنزلت هذه الآيه« وَ إِذٰا جٰاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمٰا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ ».

و فيه،أخرج عبد الرزاق و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس":فى هذه الآيه قال:

كان المنافقون يقولون لرسول الله ص:سام عليك فنزلت.

أقول:و هذه الروايه أقرب إلى التصديق من سابقتها لما تقدم فى تفسير الآيه،و فى روايه القمى فى تفسيره أنهم كانوا يحيونه بقولهم:أنعم صباحا و أنعم مساء،و هو تحيه أهل الجاهليه.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« يَرْفَعِ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ -وَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ »:

و قد ورد أيضا فی الحديث أنه(ص)قال: فضل العالم علی الشهيد درجه،و فضل الشهيد علی العابد درجه،و فضل النبی علی العالم درجه،و فضل القرآن علی سائر الكلام-كفضل الله علی سائر خلقه،و فضل العالم علی سائر الناس كفضلی علی أدناهم: رواه جابر بن عبد الله .

أقول:و ذيل الروايه لا يخلو من شیء فإن ظاهر رجوع الضمير فی«أدناهم»إلی الناس اعتبار مراتب فی الناس فمنهم الأعلی و منهم المتوسط،و إذا كان فضل العالم علی سائر الناس و فيهم الأعلی رتبه كفضل النبی علی أدنی الناس كان العالم أفضل من النبی و هو كما تری.

اللهم إلا أن يكون أدنی بمعنی الأقرب و المراد بأدناهم أقربهم من النبی و هو العالم كما يلوح من قوله:و فضل النبی علی العالم درجه،فيكون المفاد أن فضل العالم علی سائر الناس كفضلی علی أقربهم منی و هو العالم.

و فی الدر المنثور،أخرج سعيد بن منصور و ابن راهويه و ابن أبی شيبه و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردويه و الحاكم و صححه عن علی قال: إن فی كتاب الله لآيه ما عمل بها أحد قبلی-و لا يعمل بها بعدی-آيه النجوی« يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نٰاجَيْتُمُ اَلرَّسُولَ -فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقَةً »كان عندی دينار فبعته بعشره دراهم-فكنت كلما ناجيت النبی ص-قدمت بين يدی نجوای درهما-ثم نسخت فلم يعمل بها أحد-فنزلت « أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقٰاتٍ »الآيه.

و فی تفسير القمی،بإسناده عن أبی بصير عن أبی جعفر(ع) قال: سألته عن قول الله عز و جل:« إِذٰا نٰاجَيْتُمُ اَلرَّسُولَ -فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقَةً »قال:قدم علی بن أبی طالب(ع)بين يدی نجواه صدقه-ثم نسخها بقوله:« أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقٰاتٍ ».

أقول:و فی هذا المعنی روايات أخر من طرق الفريقين.

[سوره المجادله (۵۸): الآيات ۱۴ الی ۲۲]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ مٰا هُمْ مِنْكُمْ وَ لاٰ مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَی اَلْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴) أَعَدَّ اَللّٰهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۵) اِتَّخَذُوا أَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ فَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ (۱۶) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۱۷) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اَللّٰهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلیٰ شَيْءٍ أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ اَلْكٰاذِبُونَ (۱۸) اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ اَلشَّيْطٰانُ فَأَنْسٰاهُمْ ذِكْرَ اَللّٰهِ أُولٰئِكَ حِزْبُ اَلشَّيْطٰانِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اَلشَّيْطٰانِ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۱۹) إِنَّ اَلَّذِينَ يُحَادُّونَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي اَلْأَذَلِّينَ (۲۰) كَتَبَ اَللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اَللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲۱) لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِیرَتَهُمْ أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلْإِیمَانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ یُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا
رَضِیَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولٰئِکَ حِزْبُ اَللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۲۲)

ص: ۱۹۱

(بيان)

تـذكر الآيات قوما من المنافقين يتولون اليهود و يوادونهم و هم يحادون الله و رسوله و تـذمهم على ذلك و تهـددهم بالعذاب و الشقوه تهديدا شديدا،و تقطع بالآخره أن الإيمان

ص :192

بـالله و اليوم الآخر يمنع عن مواده من يحاد الله و رسوله كائنا من كان،و تمـدح المؤمنين المتبرئين من أعـداء الله و تعـدهم إيمانا مستقرا و روحا من الله و جنه و رضوانا.

قـوله تعـالى:« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ »إلـخ،القوم المغضوب عليهم هم اليهود،قـال تعـالى: «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنٰازِيرَ وَ عَبَدَ الطّٰاغُوتَ» :المائده:۶۰.

و قوله:« مٰا هُمْ مِنْكُمْ وَ لاٰ مِنْهُمْ »ضمير« عَلَيْهِمْ »للمنافقين و ضمير« مِنْهُمْ »لليهود، و المعنى:أن هؤلاء المنافقين لتذبذبهم بين الكفر و الإيمان ليسوا منكم و لا من اليهود،قال تعالى: «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لاٰ إِلىٰ هٰؤُلاٰءِ وَ لاٰ إِلىٰ هٰؤُلاٰءِ» :النساء:۱۴۳.

و هـذه صـفتهم بحسب ظـاهر حـالهم و أمـا بحسب الحقيقه فهم ملحقون بمن تولوهم،قال تعالى: «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» :المائده:۵۱،فلا منافاه بين قوله:« مٰا هُمْ مِنْكُمْ وَ لاٰ مِنْهُمْ »و قوله:« فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ».

و احتمـل بعضـهم أن ضـمير« عَلَيْهِمْ »للقوم و هم اليهود و ضـمير« مِنْهُمْ »للموصول و هم المنـافقون،و المعنى:تولوا اليهود الـذين ليسوا منكم و أنتم مؤمنون و لا من هؤلاء المنافقين أنفسهم بل أجنبيون برآء من الطائفتين،و فيه نوع من الذم،و هو بعيد.

و قـوله:« وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ »أي يحلفون لكم على الكـذب أنهم منكم مؤمنون أمثـالكم و هم يعلمون أنهم كاذبون في حلفهم.

قوله تعالى:« أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ » الإعـداد التهيئه، و قوله:« إِنَّهُمْ سٰاءَ »إلخ،تعليل للإعداد،و في قوله:« كٰانُوا يَعْمَلُونَ »دلاله على أنهم كانوا مستمرين في عملهم مداومين عليه.

و المعنى:هيأ الله لهم عذابا شديدا لاستمرارهم على عملهم السيئ.

قوله تعـالى:« اِتَّخَذُوا أَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ فَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ » الأيمان جمع يمين و هو الحلف،و الجنه الستره التي يتقى بها الشر كالترس،و المهين اسم فاعل من الإهانه بمعنى الإذلال و الإخزاء.

و المعنى:اتخـذوا أيمـانهم ستره يـدفعون بهـا عن نفوسـهم التهمه و الظنه كلمـا ظهر منهم أمر يريب المؤمنين فصـرفوا أنفسـهم و غيرهم عن سبيل الله و هو الإسلام فلهم-لأجل ذلك-

عذاب مذل مخز.

قوله تعالى:« لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ »أى إن الذى دعاهم إلى ما هم عليه متاع الحياه الدنيا الذى هو الأموال و الأولاد لكنهم فى حاجه إلى التخلص من عذاب خالد لا يقضيها لهم إلا الله سبحانه فهم فى فقر إليه لا يغنيهم عنه أموالهم و لا أولادهم شيئا فليؤمنوا به و ليعبدوه.

قوله تعالى:« يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ »إلخ،ظرف لما تقدم من قوله:« أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً »أو لقوله:« أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ »و قوله:« فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ »أى يحلفون لله يوم البعث كما يحلفون لكم فى الدنيا.

و قد قدمنا فى تفسير قوله تعالى: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا وَ اللّهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ» :الأنعام:٢٣ أن حلفهم على الكذب يوم القيامه مع ظهور حقائق الأمور يومئذ من ظهور ملكاتهم هناك لرسوخها فى نفوسهم فى الدنيا فقد اعتادوا فيها على إظهار الباطل على الحق بالأيمان الكاذبه و كما يعيشون يموتون و كما يموتون يبعثون.

و من هذا القبيل سؤالهم الرد إلى الدنيا يومئذ،و الخروج من النار و خصامهم فى النار و غير ذلك مما يقصه القرآن الكريم،و هم يشاهدون مشاهده عيان أن لا سبيل إلى شىء من ذلك و اليوم يوم جزاء لا يوم عمل.

و أما قوله:« وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ »أى مستقرون على شىء يصلح أن يستقر عليه و يتمكن فيه فيمكنهم الستر على الحق و المنع عن ظهور كذبهم بمثل الإنكار و الحلف الكاذب.

فيمكن أن يكون قيدا لقوله:« كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ »فيكون إشاره إلى وصفهم فى الدنيا و أنهم يحسبون أن حلفهم لكم ينفعهم و يرضيكم،و يكون قوله:« أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ »قضاء منه تعالى فى حقهم بأنهم كاذبون فلا يصغى إلى ما يهذون به و لا يعتنى بما يحلفون به.

و يمكن أن يكون قيدا لقوله:« فَيَحْلِفُونَ لَهُ »فيكون من قبيل ظهور الملكات يومئذ كما تقدم فى معنى حلفهم آنفا،و يكون قوله:« أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ »حكما منه تعالى بكذبهم يوم القيامه أو مطلقا.

قوله تعالى:« اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ » الاستحواذ الاستيلاء و الغلبه،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ »تعليل لكونهم هم الخاسرين أى إنما كانوا خاسرين لأنهم يحادون الله و رسوله بالمخالفه و المعانده و المحادون لله و رسوله فى جمله الأذلين من خلق الله تعالى.

قيل:إنما كانوا فى الأذلين لأن ذله أحد المتخاصمين على مقدار عزه الآخر و إذ كانت العزه لله جميعا فلا يبقى لمن حاده إلا الذله محضا.

قوله تعالى:« كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » الكتابه هى القضاء منه تعالى.

و ظاهر إطلاق الغلبه شمولها للغلبه من حيث الحجه و من حيث التأييد الغيبى و من حيث طبيعه الإيمان بالله و رسوله.

أما من حيث الحجه فإن الإنسان مفطور على صلاحيه إدراك الحق و الخضوع له فلو بين له الحق من السبيل التى يألفها لم يلبث دون أن يعقله و إذا عقله اعترفت له فطرته و خضعت له طويته و إن لم يخضع له عملا اتباعا لهوى أو أى مانع يمنعه عن ذلك.

و أما الغلبه من حيث التأييد الغيبى و القضاء للحق على الباطل فيكفى فيها أنواع العذاب التى أنزلها الله تعالى على مكذبى الأمم الماضين كقوم نوح و هود و صالح و لوط و شعيب و على آل فرعون و غيرهم ممن يشير تعالى إليهم بقوله: «ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» :المؤمنون:۴۴،و على ذلك جرت السنه الإلهيه و قد أجمل ذكرها فى قوله: «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ :يونس:۴۷.

و أما الغلبه من حيث طبيعه الإيمان بالله و رسوله فإن إيمان المؤمن يدعوه إلى الدفاع و الذب عن الحق و المقاومه تجاه الباطل مطلقا و هو يرى أنه إن قتل فاز و إن قتل فاز فثباته على الدفاع غير مقيد بقيد و لا محدود بحد و هذا بخلاف من يدافع لا عن الحق بما هو حق بل عن شىء من المقاصد الدنيويه فإنه إنما يدافع لأجل نفسه فلو شاهد نفسه مشرفه على هلكه أو راكبه مخاطره تولى منهزما فهو إنما يدافع على شرط و إلى حد و هو سلامه النفس و عدم الإشراف على الهلكه و من الضرورى أن العزيمه المطلقه تغلب العزيمه المقيده

بقيـد المحـدوده بحد و من الشاهد عليه غزوات رسول الله ص بما أدت إليه من الفتح و الظفر فى عين أنها كانت سـجالا لكن لم تنته إلا إلى تقدم المسلمين و غلبتهم.

و لم تقف الفتوحات الإسـلاميه و لا تفرقت جموع المسـلمين أيادى سـبإ إلا بفساد نياتهم و تبديل سيره التقوى و الإخلاص لله و بسط الدين الحق من بسط السـلطه و توسـعه المملكه « ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهٰا عَلىٰ قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ » (۱)و قـد اشـترط الله عليهـم حين أكمـل دينهم و أمنهم من عـدوهم أن يخشـوه إذ قـال:« اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاٰ تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ ».

و يكفى فى تسـجيل هـذه الغلبه قوله تعـالى فيمـا يخـاطب المؤمنين: «وَ لاٰ تَهِنُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» :آل عمران:۱۳۹.

قوله تعـالى:« لاٰ تَجِدُ قَوْمـاً يُؤْمِنُونَ بِـاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ »إلـخ،نفى وجدان قوم على هذه الصـفه كنايه عن أن الإيمان الصادق بالله و اليوم الآخر لا يجامع مواده أهل المحاده و المعانـده من الكفـار و لو قـارن أى سـبب من أسـباب الموده كالأـبوه و البنوه و الأخوه و سائر أقسام القرابه فبين الإيمان و مواده أهل المحاده تضاد لا يجتمعان لذلك.

و قد بان أن قوله:« وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ »إلخ،إشاره إلى أسـباب الموده مطلقا و قد خصت موده النسب بالذكر لكونه أقوى أسـباب الموده من حيث ثباته و عدم تغيره.

و قوله:« أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ »الإشاره إلى القوم بما ذكر لهم من الصفه، و الكتابه الإثبات بحيث لا يتغير و لا يزول و الضمير لله و فيه نص على أنهم مؤمنون حقا.

و قوله:« وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » التأييد التقويه،و ضمير الفاعل فى« أَيَّدَهُمْ »لله تعالى و كذا ضمير مِنْهُ و من ابتدائيه،و المعنى:و قواهم الله بروح من عنده تعالى، و قيل:الضمير للإيمان،و المعنى:و قواهم الله بروح من جنس الإيمان يحيى بها قلوبهم، و لا بأس به.

و قيل:المراد بالروح جبرائيل،و قيل:القرآن،و قيل:المراد بها الحجه و البرهان، و هذه وجوه ضعيفه لا شاهد لها من جهه اللفظ.

۱- ۱) الأنفال:۵۳.

ثم الروح -على ما يتبادر من معناها-هى مبدأ الحياه التى تترشح منها القدره و الشعور فإبقاء قوله:« وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ »على ظاهره يفيد أن للمؤمنين وراء الروح البشريه التى يشترك فيها المؤمن و الكافر روحا أخرى تفيض عليهم حياه أخرى و تصاحبها قدره و شعور جديدان،و إلى ذلک يشير قوله تعالى: «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها» :الأنعام:١٢٢،و قوله:

«مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً» :النحل:٩٧.

و ما فى الآيه من طيب الحياه يلازم طيب أثرها و هو القدره و الشعور المتفرع عليهما الأعمال الصالحه،و هما المعبر عنهما فى آيه الأنعام المذكوره آنفا بالنور و نظيرها قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ» :الحديد:٢٨.

و هذه حياه خاصه كريمه لها آثار خاصه ملازمه لسعاده الإنسان الأبديه وراء الحياه المشتركه بين المؤمن و الكافر التى لها آثار مشتركه فلها مبدأ خاص و هو روح الإيمان التى تذكرها الآيه وراء الروح المشتركه بين المؤمن و الكافر.

و على هذا فلا موجب لما ذكروا أن المراد بالروح نور القلب و هو نور العلم الذى يحصل به الطمأنينه و أن تسميته روحا مجاز مرسل لأنه سبب للحياه الطيبه الأبديه أو من الاستعاره لأنه فى ملازمته وجوه العلم الفائض على القلب-و العلم حياه القلب كما أن الجهل موته- يشبه الروح المفيض للحياه.انتهى.

و قوله:« وَ يُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها »وعد جميل و وصف لحياتهم الآخره الطيبه.

و قوله:« رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ »استئناف يعلل قوله:« وَ يُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ » إلخ،و رضا الله سبحانه عنهم رحمته لهم لإخلاصهم الإيمان له و رضاهم عنه و ابتهاجهم بما رزقهم من الحياه الطيبه و الجنه.

و قوله:« أُولئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »تشريف لهؤلاء المخلصين فى إيمانهم بأنهم حزبه تعالى كما أن أولئک المنافقين الموالين لأعداء الله حزب الشيطان و هؤلاء مفلحون كما أن أولئک خاسرون.

و فی قوله:« أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ »وضع الظاهر موضع الضمیر لیجری الکلام مجری المثل السائر.

(بحث روائی)

فی المجمع،": فی قوله تعالی:« کَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِی »روی أن المسلمین قالوا-لما رأوا ما یفتح الله علیهم من القری:لیفتحن الله علینا الروم و فارس-فقال المنافقون:أ تظنون أن فارس و الروم-کبعض القری التی غلبتم علیها؟فأنزل الله هذه الآیه.

أقول:الظاهر أنه من قبیل تطبیق الآیه علی القصه و نظائره کثیره،و لذا

ورد": فی قوله تعالی:« لاٰ تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ »إنه نزل فی أبی عبیده بن الجراح قتل أباه یوم بدر ،

و فی بعضها": أنه نزل فی أبی بکر سب النبی ص-فصکه أبو بکر صکه سقط علی الأرض فنزلت الآیه.و فی عبد الرحمن بن ثابت بن قیس بن الشماس-استأذن النبی ص أن یزور خاله من المشرکین فأذن له-فلما قدم قرأ علیه النبی ص-و من حوله من المسلمین الآیه.

و هذه روایات لا یلائمها ما فی الآیات من الاتصال الظاهر.

و فی الدر المنثور،أخرج الطیالسی و ابن أبی شیبه عن البراء بن عازب قال:قال رسول الله ص: أوثق عری الإیمان الحب فی الله و البغض فی الله.

و فی الکافی،بإسناده إلی أبان بن تغلب عن أبی عبد الله(ع) قال: ما من مؤمن إلا و لقلبه أذنان فی جوفه:أذن ینفث فیها الوسواس الخناس-و أذن ینفث فیها الملک-فیؤید الله المؤمن بالملک-فذلک قوله:« وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ».

أقول:لیس معناه تفسیر الروح بالملک بل الملک یصاحب الروح و یعمل به،قال تعالی:

«یُنَزِّلُ الْمَلاٰئِکَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» :النحل:۲.

و فیه،بإسناده إلی ابن بکیر قال: قلت لأبی جعفر(ع):فی قول رسول الله ص- إذا زنا الرجل فارقه روح الإیمان.قال:هو قوله:« وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ »ذلک الذی یفارقه.

و فیه،بإسناده إلی محمد بن سنان عن أبی خدیجه قال: دخلت علی أبی الحسن(ع) فقال لی:إن الله تبارک و تعالی أید المؤمن بروح-تحضره فی کل وقت یحسن فیه و یتقی-

و تغیب عنه فی کل وقت یذنب فیه و یعتدی-فهی معه تهتز سرورا عند إحسانه-و تسیخ فی الثری عند إساءته،فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحکم أنفسکم-تزدادوا یقینا و تربحوا نفیسا ثمینا،رحم الله امرءا هم بخیر فعمله أو هم بشر فارتدع عنه.ثم قال:نحن نؤید الروح بالطاعه لله و العمل له.

أقول:قد تبین مما تقدم فی ذیل الآیه أن هذه الروح من مراتب الروح الإنسانی ینالها المؤمن عند ما یستکمل الإیمان فلیست مفارقه له کما أن الروح النباتیه و الحیوانیه و الإنسانیه المشترکه بین المؤمن و الکافر من مراتب روحه غیر مفارقه له غیر أنها تبتدئ هیئه حسنه فی النفس ربما زالت لعروض هیئه سیئه تضادها ثم ترجع إذا زالت الموانع المضاده حتی إذا استقرت و رسخت و تصورت النفس بها ثبتت و لم تتغیر.

و بذلک یظهر أن المراد بقوله(ع):بروح تحضره،و قوله:فهی معه،حضور صورتها حضور الهیأه العارضه القابله للزوال،و بقوله:تسیخ فی الثری زوال الهیأه علی طریق الاستعاره،و کذا قوله(ص)فی الروایه السابقه:فارقه روح الإیمان

(۵۹) (سوره الحشر مدنیه و هی أربع و عشرون آیه)(۲۴)

[سوره الحشر (۵۹): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱) هُوَ اَلَّذِی أَخْرَجَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ مِنْ دِیٰارِهِمْ لِأَوَّلِ اَلْحَشْرِ مٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مٰانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ فَأَتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلرُّعْبَ یُخْرِبُونَ بُیُوتَهُمْ بِأَیْدِیهِمْ وَ أَیْدِی اَلْمُؤْمِنِینَ فَاعْتَبِرُوا یٰا أُولِی اَلْأَبْصٰارِ (۲) وَ لَوْ لاٰ أَنْ کَتَبَ اَللّٰهُ عَلَیْهِمُ اَلْجَلاٰءَ لَعَذَّبَهُمْ فِی اَلدُّنْیٰا وَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ عَذٰابُ اَلنّٰارِ (۳) ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ یُشَاقِّ اَللّٰهَ فَإِنَّ اَللّٰهَ شَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۴) مٰا قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَهٍ أَوْ تَرَکْتُمُوهٰا قٰائِمَهً عَلیٰ أُصُولِهٰا فَبِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ لِیُخْزِیَ اَلْفٰاسِقِینَ (۵) وَ مٰا أَفٰاءَ اَللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمٰا أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لاٰ رِکٰابٍ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۶) مٰا أَفٰاءَ اَللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْقُریٰ فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی اَلْقُرْبیٰ وَ اَلْیَتٰامیٰ وَ اَلْمَسٰاکِینِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِیلِ کَیْ لاٰ یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ اَلْأَغْنِیٰاءِ مِنْکُمْ وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ شَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۷) لِلْفُقَرٰاءِ اَلْمُهٰاجِرِینَ اَلَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اَللّٰهِ وَ رِضْوٰاناً وَ یَنْصُرُونَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِکَ هُمُ اَلصّٰادِقُونَ (۸) وَ اَلَّذِینَ تَبَوَّؤُا اَلدّٰارَ وَ اَلْإِیمٰانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لاٰ یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حٰاجَهً مِمّٰا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۹) وَ اَلَّذِینَ جٰاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اِغْفِرْ لَنٰا وَ لِإِخْوٰانِنَا اَلَّذِینَ سَبَقُونٰا بِالْإِیمٰانِ وَ لاٰ تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنٰا غِلاًّ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنٰا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱۰)

(بیان)

تشیر السوره إلی قصه إجلاء بنی النضیر من الیهود لما نقضوا العهد بینهم و بین المسلمین، و إلی وعد المنافقین لهم بالنصر و الملازمه ثم غدرهم و ما یلحق بذلک من حکم فیئهم.

و من غرر الآیات فیها الآیات السبع فی آخرها یأمر الله سبحانه عباده فیها بالاستعداد للقائه من طریق المراقبه و المحاسبه،و یذکر عظمه قوله و جلاله قدره بوصف عظمه قائله عز من قائل بما له من الأسماء الحسنی و الصفات العلیا.و السوره مدنیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »افتتاح مطابق لما فی مختتم السوره من قوله:« یُسَبِّحُ لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ » .

و إنما افتتح بالتنزیه لما وقع فی السوره من الإشاره إلی خیانه الیهود و نقضهم العهد ثم وعد المنافقین لهم بالنصر غدرا کمثل الذین کانوا من قبلهم قریبا ذاقوا وبال أمرهم، و بالنظر إلی ما أذاقهم الله من وبال کیدهم،و کون ذلک علی ما یقتضیه الحکمه و المصلحه ذیل الآیه بقوله:« وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ ».

قوله تعالی:« هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ مِنْ دِیٰارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ » تأیید لما ذکر فی الآیه السابقه من تنزهه تعالی و عزته و حکمته،و المراد بإخراج الذین کفروا من أهل الکتاب إجلاء بنی النضیر حی من أحیاء الیهود کانوا یسکنون خارج المدینه و کان بینهم و بین النبی ص عهد أن لا یکونوا له و لا علیه ثم نقضوا العهد فأجلاهم النبی ص و ستأتی قصتهم فی البحث الروائی التالی إن شاء الله.

و الحشر إخراج الجماعه بإزعاج،و« لِأَوَّلِ الْحَشْرِ »من إضافه الصفه إلی الموصوف، و اللام بمعنی فی کقوله: «أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ» :إسراء:۷۸.

و المعنی:الله الذی أخرج بنی النضیر من الیهود من دیارهم فی أول إخراجهم من جزیره العرب.

ثم أشار تعالی إلی أهمیه إخراجهم بقوله:« مٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا »لما کنتم تشاهدون فیهم من القوه و الشده و المنعه« وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مٰانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللّٰهِ »فلن یغلبهم الله و هم متحصنون فیها و عد حصونهم بحسب ظنهم مانعه من الله لا من المسلمین لما أن إخراجهم

منها منسوب فی الآیه السابقه إلیه تعالی و کذا إلقاء الرعب فی قلوبهم فی ذیل الآیه،و فی الکلام دلاله علی أنه کانت لهم حصون متعدده.

ثم ذکر فساد ظنهم و خبطهم فی مزعمتهم بقوله:« فَأَتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا » و المراد به نفوذ إرادته تعالی فیهم لا من طریق احتسبوه و هو طریق الحصون و الأبواب بل من طریق باطنهم و هو طریق القلوب« وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ »و الرعب الخوف الذی یملأ القلب« يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ »لئلا تقع فی أیدی المؤمنین بعد خروجهم و هذه من قوه سلطانه تعالی علیهم حیث أجری ما أراده بأیدی أنفسهم« وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ » حیث أمرهم بذلک و وفقهم لامتثال أمره و إنفاذ إرادته« فَاعْتَبِرُوا »و خذوا بالعظه« يٰا أُولِي الْأَبْصٰارِ »بما تشاهدون من صنع الله العزیز الحکیم بهم قبال مشاقتهم له و لرسوله.

و قیل:کانوا یخربون البیوت لیهربوا و یخربها المؤمنون لیصلوا.

و قیل:المراد بتخریب البیوت اختلال نظام حیاتهم فقد خربوا بیوتهم بأیدیهم حیث نقضوا الموادعه،و بأیدی المؤمنین حیث بعثوهم علی قتالهم.

و فیه أن ظاهر قوله:« يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ »إلخ أنه بیان لقوله:« فَأَتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا »إلخ،من حیث أثره فهو متأخر عن نقض الموادعه.

قوله تعالی:« وَ لَوْ لاٰ أَنْ كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاٰءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيٰا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذٰابُ النّٰارِ » الجلاء ترک الوطن و کتابه الجلاء علیهم قضاؤه فی حقهم،و المراد بعذابهم فی الدنیا عذاب الاستئصال أو القتل و السبی.

و المعنی:و لو لا أن قضی الله علیهم الخروج من دیارهم و ترک وطنهم لعذبهم فی الدنیا بعذاب الاستئصال أو القتل و السبی کما فعل ببنی قریظه و لهم فی الآخره عذاب النار.

قوله تعالی:« ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللّٰهَ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ » المشاقه المخالفه بالعناد،و الإشاره بذلک إلی ما ذکر من إخراجهم و استحقاقهم العذاب لو لم یکتب علیهم الجلاء،و فی تخصیص مشاقتهم بالله فی قوله:« وَ مَنْ يُشَاقِّ اللّٰهَ »بعد تعمیمه لله و رسوله فی قوله:« شَاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ »تلویح إلی أن مشاقه الرسول مشاقه الله و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« مٰا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهٰا قٰائِمَةً عَلىٰ أُصُولِهٰا فَبِإِذْنِ اللّٰهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفٰاسِقِينَ »ذکر الراغب أن اللینه النخله الناعمه من دون اختصاص منه بنوع منها دون

نوع،

رووا: أن النبى ص أمر بقطع نخيلهم-فلما قطع بعضها نادوه:يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض-فما بال النخيل تقطع فنزلت الآيه-فأجيب عن قولهم بأن ما قطعوا من نخله-أو تركوها قائمه على أصولها فبإذن الله-و لله فى حكمه هذا غايات حقه و حكم بالغه-منها إخزاء الفاسقين و هم بنو النضير.

فقوله:« وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ »اللام فيه للتعليل و هو معطوف على محذوف و التقدير:

القطع و الترك بإذن الله ليفعل كذا و كذا و ليخزى الفاسقين فهو كقوله: «وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» :الأنعام:۷۵.

قوله تعالى:« وَ مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمٰا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لاٰ رِكٰابٍ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ »إلخ، الإفاءه الإرجاع من الفىء بمعنى الرجوع، و ضمير« مِنْهُمْ »لبنى النضير و المراد من أموالهم.

و إيجاف الدابه تسييرها بإزعاج و إسراع و الخيل الفرس،و الركاب الإبل و« مِنْ خَيْلٍ وَ لاٰ رِكٰابٍ »مفعول« فَمٰا أَوْجَفْتُمْ »و مِنْ زائده للاستغراق.

و المعنى:و الذى أرجعه الله إلى رسوله من أموال بنى النضير-خصه به و ملكه وحده إياه-فلم تسيروا عليه فرسا و لا إبلا بالركوب حتى يكون لكم فيه حق بل مشيتم إلى حصونهم مشاه لقربها من المدينه،و لكن الله يسلط رسله على من يشاء و الله على كل شىء قدير و قد سلط النبى ص على بنى النضير فله فيئهم يفعل فيه ما يشاء.

قوله تعالى:« مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرىٰ فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ وَ الْمَسٰاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ »إلخ،ظاهره أنه بيان لموارد مصرف الفىء المذكور فى الآيه السابقه مع تعميم الفىء لفىء أهل القرى أعم من بنى النضير و غيرهم.

و قوله:« فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ »أى منه ما يختص بالله و المراد به صرفه و إنفاقه فى سبيل الله على ما يراه الرسول و منه ما يأخذه الرسول لنفسه و لا يصغى إلى قول من قال:إن ذكره تعالى مع أصحاب السهام لمجرد التبرك.

و قوله:« وَ لِذِي الْقُرْبىٰ »إلخ،المراد بذى القربى قرابه النبى ص،و لا معنى لحمله على قرابه عامه المؤمنين و هو ظاهر،و المراد باليتامى الفقراء منهم كما يشعر به السياق و إنما أفرد و قدم على« اَلْمَسٰاكِينِ »مع شموله له اعتناء بأمر اليتامى.

و قد ورد عن أئمه أهل البيت(ع)أن المراد بذى القربى أهل البيت و اليتامى

و المساكين و ابن السبيل منهم.

و قوله:« كَيْ لاٰ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيٰاءِ مِنْكُمْ »أی إنما حكمنا فی الفیء بما حكمنا كیلا یكون دوله بین الأغنیاء منكم و الدوله ما یتداول بین الناس و یدور یدا بید.

و قوله:« وَ مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »أی ما أعطاكم الرسول من الفیء فخذوه كما أعطی منه المهاجرین و نفرا من الأنصار،و ما نهاكم عنه و منعكم فانتهوا و لا تطلبوا،و فیه إشعار بأنهم سألوا النبی ص أن یقسم الفیء بینهم جمیعا فأرجعه إلی نبیه و جعل موارد مصرفه ما ذكره فی الآیه و جعل للنبی ص أن ینفقه فیها علی ما یری.

و الآیه مع الغض عن السیاق عامه تشمل كل ما آتاه النبی من حكم فأمر به أو نهی عنه.

و قوله:« وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ »تحذیر لهم عن مخالفه النبی ص تأكیدا لقوله:« وَ مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ »إلخ.

قوله تعالی:« لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَ رِضْوٰاناً »إلخ،قیل:إن قوله:« لِلْفُقَرٰاءِ »بدل من قوله:« لِذِي الْقُرْبىٰ »و ما بعده و ذكر الله لمجرد التبرك فیكون الفیء مختصا بالرسول و الفقراء من المهاجرین،و قد وردت الروایه أن النبی ص قسم فیء بنی النضیر بین المهاجرین و لم یعط منه الأنصار شیئا إلا رجلین من فقرائهم أو ثلاثه.

و قیل:إنه بدل من الیتامی و المساكین و ابن السبیل فیكون ذوو السهام هم النبی ص و ذا القربی غنیهم و فقیرهم و الفقراء من المهاجرین یتاماهم و مساكینهم و أبناء السبیل منهم، و لعل هذا مراد من قال:إن قوله:« لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ »بیان المساكین فی الآیه السابقه.

و الأنسب لما تقدم نقله عن أئمه أهل البیت(ع)أن یكون قوله:« لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ »إلخ،بیان مصداق لصرف سبیل الله الذی أشیر إلیه بقوله:« فَلِلّٰهِ »لا بأن یكون الفقراء المهاجرون أحد السهماء فی الفیء بل بأن یكون صرفه فیهم و إعطاؤهم إیاه صرفا له فی سبیل الله.

و محصل المعنی علی هذا:أن الله سبحانه أفاء الفیء و أرجعه إلی النبی ص فله أن یتصرف فیه كیف یشاء ثم دله علی موارد صرفه و هی سبیل الله و الرسول و ذو القربی

و يتاماهم و مساكينهم و ابن السبيل منهم ثم أشار إلى مصداق الصرف فى السبيل أو بعض مصاديقه و هم الفقراء المهاجرون إلخ،ينفق منه الرسول لهم على ما يرى.

و على هذا ينبغى أن يحمل ما ورد أن النبى ص قسم فىء بنى النضير بين المهاجرين و لم يعط الأنصار شيئا إلا ثلاثه من فقرائهم:أبا دجانه سماك بن خرشه و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمه فقد صرف فيهم بما أنه صرف فى سبيل الله لا بما أنهم سهماء فى الفىء.

و كيف كان فقوله:« لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ »المراد بهم من هاجر من المسلمين من مكه إلى المدينه قبل الفتح و هم الذين أخرجهم كفار مكه بالاضطرار إلى الخروج فتركوا ديارهم و أموالهم و هاجروا إلى مدينه الرسول.

و قوله:« يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَ رِضْوٰاناً »الفضل الرزق أى يطلبون من الله رزقا فى الدنيا و رضوانا فى الآخره.

و قوله:« وَ يَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ »أى ينصرونه و رسوله بأموالهم و أنفسهم،و قوله:

« أُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ »تصديق لصدقهم فى أمرهم و هم على هذه الصفات.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ وَ الْإِيمٰانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَيْهِمْ »إلخ، قيل:إنه استئناف مسوق لمدح الأنصار لتطيب بذلك قلوبهم إذ لم يشركوا فى الفىء، « وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا »-و المراد بهم الأنصار-مبتدأ خبره« يُحِبُّونَ »إلخ،و المراد بتبوى الدار و هو تعميرها بناء مجتمع دينى يأوى إليه المؤمنون على طريق الكنايه،و الإيمان معطوف على« اَلدّٰارَ »و تبوى الإيمان و تعميره رفع نواقصه من حيث العمل بحيث يستطاع العمل بما يدعو إليه من الطاعات و القربات من غير حجر و منع كما كان بمكه.

و احتمل أن يعطف« اَلْإِيمٰانَ »على تبوؤا و قد حذف الفعل العامل فيه،و التقدير:

و آثروا الإيمان.

و قيل:إن قوله:« وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا »إلخ،معطوف على قوله:« اَلْمُهٰاجِرِينَ »و على هذا يشارك الأنصار المهاجرين فى الفىء،و الإشكال عليه بأن المروى أن النبى ص قسمه بين المهاجرين و لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثه من فقرائهم مدفوع بأن الروايه من شواهد العطف دون الاستئناف إذ لو لم يجز إعطاؤه للأنصار لم يجز لا-للثلاثه و لا للواحد فإعطاء بعضهم منه دليل على مشاركتهم لهم غير أن الأمر لما كان راجعا إلى النبى ص كان له أن يصرفه كيف يشاء فرجح أن يقسمه بينهم على تلك الوتيره.

و الأنسب لما تقدم من کون« لِلْفُقَرٰاءِ »إلخ،بیانا لمصادیق سهم السبیل هو عطف « وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا »إلخ،و کذا قوله الآتی:« وَ الَّذِینَ جٰاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ »علی قوله:

« اَلْمُهٰاجِرِینَ »إلخ،دون الاستئناف.

بل ما ورد من إعطائه(ص)للثلاثه یؤید هذا الوجه بعینه إذ لو کان السهیم فیه الفقراء المهاجرین فحسب لم یعط الأنصار و لا لثلاثه منهم،و لو کان للفقراء من الأنصار کالمهاجرین فیه سهم-و ظاهر الآیه أن جمعا منهم کانوا فقراء بهم خصاصه و التاریخ یؤیده -لأعطی غیر الثلاثه من فقراء الأنصار کما أعطی فقراء المهاجرین و استوعبهم.

فقوله:« وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ وَ الْإِیمٰانَ مِنْ قَبْلِهِمْ »ضمیر« مِنْ قَبْلِهِمْ » للمهاجرین و المراد من قبل مجیئهم و هجرتهم إلی المدینه.

و قوله:« یُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَیْهِمْ »أی یحبون من هاجر إلیهم لأجل هجرتهم من دار الکفر إلی دار الإیمان و مجتمع المسلمین.

و قوله:« وَ لاٰ یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا »ضمیرا« یَجِدُونَ »و« صُدُورِهِمْ » للأنصار،و ضمیر« أُوتُوا »للمهاجرین،و المراد بالحاجه ما یحتاج إلیه و من تبعیضیه و قیل:بیانیه و المعنی:لا یخطر ببالهم شیء مما أعطیه المهاجرون فلا یضیق نفوسهم من تقسیم الفیء بین المهاجرین دونهم و لا یحسدون.

و قیل:المراد بالحاجه ما یؤدی إلیه الحاجه و هو الغیظ.

و قوله:« وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَةٌ »إیثار الشیء اختیاره و تقدیمه علی غیره،و الخصاصه الفقر و الحاجه،قال الراغب: خصاص البیت فرجه و عبر عن الفقر الذی لم یسد بالخصاصه کما عبر عنه بالخله انتهی.

و المعنی:و یقدمون المهاجرین علی أنفسهم و لو کان بهم فقر و حاجه،و هذه الخصیصه أغزر و أبلغ فی مدحهم من الخصیصه السابقه فالکلام فی معنی الإضراب کأنه قیل:إنهم لا یطمحون النظر فیما بأیدی المهاجرین بل یقدمونهم علی أنفسهم فیما بأیدیهم أنفسهم فی عین الفقر و الحاجه.

و قوله:« وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »قال الراغب: الشح بخل مع حرص فیما کان عاده انتهی. و«یوق»فعل مضارع مجهول من الوقایه بمعنی الحفظ، و المعنی:و من یحفظ-أی یحفظه الله-من ضیق نفسه من بذل ما بیده من المال أو من

وقوع مال فی ید غیره فأولئک هم المفلحون.

قوله تعالی:« وَ الَّذِینَ جٰاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنٰا وَ لِإِخْوٰانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونٰا بِالْإِیمٰانِ »استئناف أو عطف نظیر ما تقدم فی قوله:« وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ وَ الْإِیمٰانَ(مِنْ قَبْلِهِمْ)یُحِبُّونَ » و علی الاستئناف فالموصول مبتدأ خبره قوله:« یَقُولُونَ رَبَّنَا »إلخ.

و المراد بمجیئهم بعد المهاجرین و الأنصار إیمانهم بعد انقطاع الهجره بالفتح و قیل:

المراد أنهم خلفوهم.

و قولهم:« رَبَّنَا اغْفِرْ لَنٰا وَ لِإِخْوٰانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونٰا بِالْإِیمٰانِ »دعاء لأنفسهم و السابقین من المؤمنین بالمغفره،و فی تعبیرهم عنهم بإخواننا إشاره إلی أنهم یعدونهم من أنفسهم کما قال الله تعالی: «بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ» :النساء:۲۵،فهم یحبونهم کما یحبون أنفسهم و یحبون لهم ما یحبون لأنفسهم.

و لذلک عقبوه بقولهم:« وَ لاٰ تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنٰا غِلاًّ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنٰا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ » فسألوا أن لا یجعل الله فی قلوبهم غلا للذین آمنوا و الغل العداوه.

و فی قوله:« لِلَّذِینَ آمَنُوا »تعمیم لعامه المؤمنین منهم و ممن سبقهم و تلویح إلی أنه لا بغیه لهم إلا الإیمان.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ-مِنْ دِیٰارِهِمْ »الآیه،قال:سبب ذلک أنه کان بالمدینه ثلاثه أبطن من الیهود:بنی النضیر و قریظه و قینقاع،و کان بینهم و بین رسول الله ص عهد و مده فنقضوا عهدهم.

و کان سبب ذلک بنی النضیر فی نقض عهدهم-أنه أتاهم رسول الله ص یستسلفهم دیه رجلین-قتلهما رجل من أصحابه غیله،یعنی یستقرض،و کان بینهم کعب بن الأشرف-فلما دخل علی کعب قال:مرحبا یا أبا القاسم و أهلا-و قام کأنه یصنع له الطعام-و حدث نفسه أن یقتل رسول الله ص و یتبع أصحابه،فنزل جبرئیل فأخبره بذلک.

فرجع رسول الله ص إلی المدینه-و قال لمحمد بن مسلمه الأنصاری:اذهب إلی بنی النضیر فأخبرهم-إن الله عز و جل قد أخبرنی بما هممتم به من الغدر-فإما أن تخرجوا من

بلدنا و إما أن تأذنوا بحرب،فقالوا:نخرج من بلادك.

فبعث إليهم عبد الله بن أبى:لا تخرجوا و تقيموا و تنابذوا محمدا الحرب-فإنى أنصركم أنا و قومى و حلفائى-فإن خرجتم خرجت معكم و إن قاتلتم قاتلت معكم،فأقاموا و أصلحوا بينهم حصونهم و تهيئوا للقتال-و بعثوا إلى رسول الله ص أنا لا نخرج-فاصنع ما أنت صانع.

فقام رسول الله ص و كبر و كبر أصحابه-و قال لأمير المؤمنين:تقدم على بنى النضير-فأخذ أمير المؤمنين الرايه و تقدم،و جاء رسول الله ص و أحاط بحصنهم-و غدر بهم عبد الله بن أبى.

و كان رسول الله ص إذا ظهر بمقدم بيوتهم-حصنوا ما يليهم و خربوا ما يليه،و كان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خربه،و قد كان رسول الله ص أمر بقطع نخلهم- فجزعوا من ذلك و قالوا:يا محمد إن الله يأمرك بالفساد؟إن كان لك هذا فخذه و إن كان لنا فلا تقطعه.

فلما كان بعد ذلك قالوا:يا محمد نخرج من بلادك-فأعطنا مالنا،فقال:لا و لكن تخرجون-و لكم ما حملت الإبل،فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياما ثم قالوا:نخرج و لنا ما حملت الإبل،فقال:لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئا،فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه.

فخرجوا على ذلك و وقع منهم قوم إلى فدك و وادى القرى-و خرج قوم منهم إلى الشام.

فأنزل الله فيهم« هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا -إلى قوله- فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِیدُ الْعِقٰابِ » و أنزل الله عليه فيما عابوه من قطع النخل« مٰا قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَهٍ أَوْ تَرَکْتُمُوهٰا قٰائِمَهً عَلیٰ أُصُولِهٰا- فَبِإِذْنِ اللّٰهِ -إلى قوله- رَبَّنٰا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ ».

و أنزل الله عليه فى عبد الله بن أبى و أصحابه« أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ نٰافَقُوا -إلى قوله- ثُمَّ لاٰ یُنْصَرُونَ ».

و فى المجمع،عن ابن عباس": كان النبى ص حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ-فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم-و أن يخرجهم من أرضهم و أوطانهم-و أن يسيرهم إلى أذرعات بالشام-و جعل لكل ثلاثه منهم بعيرا و سقاء.

فخرجوا إلى أذرعات بالشام و أريحا إلا أهل بيتين-منهم آل أبى الحقيق و آل حيى بن أخطب-فإنهم لحقوا بخيبر و لحقت طائفه منهم بالحيره.

و فیه،عن محمد بن مسلمه: أن رسول الله ص بعثه إلی بنی النضیر-و أمره أن یؤجلهم فی الجلاء ثلاث لیال.

و فیه،عن محمد بن إسحاق":کان إجلاء بنی النضیر مرجع النبی ص من أحد،و کان فتح قریظه مرجعه من الأحزاب،و کان الزهری یذهب إلی أن إجلاء بنی النضیر-کان قبل أحد علی رأس سته أشهر من وقعه بدر.

و فیه،عن ابن عباس":نزل قوله تعالی:« مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُریٰ »الآیه- فی أموال کفار أهل القری-و هم قریظه و بنو النضیر و هما بالمدینه،و فدک و هی من المدینه علی ثلاثه أمیال،و خیبر و قری عرینه و ینبع-جعلها الله لرسوله یحکم فیها ما أراد-و أخبر أنها کلها له فقال أناس:فهلا قسمها فنزلت الآیه.

و فیه،عن ابن عباس قال:قال رسول الله ص یوم بنی النضیر للأنصار:إن شئتم قسمتم للمهاجرین من أموالکم و دیارکم-و تشارکونهم فی هذه الغنیمه،و إن شئتم کانت لکم دیارکم و أموالکم-و لم یقسم لکم شیء من الغنیمه-فقال الأنصار:بل نقسم لهم من دیارنا و أموالنا-و نؤثرهم بالغنیمه و لا نشارکهم فیها-فنزلت:« وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ »الآیه.

أقول:و روی فی إیثارهم و نزول الآیه فیه قصص أخری،و الظاهر أن ذلک من قبیل تطبیق الآیه علی القصه،و قد روی المعانی السابقه فی الدر المنثور بطرق کثیره مختلفه.

و فی التوحید،عن علی(ع): و قد سئل عما اشتبه علی السائل من الآیات-قال فی قوله تعالی:« فَأَتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا »یعنی أرسل علیهم عذابا.

و فی التهذیب،بإسناده عن الحلبی عن أبی عبد الله(ع)قال: « مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمٰا أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ »الآیه-قال الفیء ما کان من أموال لم یکن فیها هراقه دم أو قتل- و الأنفال مثل ذلک و هو بمنزلته.

و فی المجمع،روی المنهال بن عمر عن علی بن الحسین(ع): قلت:قوله:« وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتٰامیٰ-وَ الْمَسٰاکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ »قال:هم قربانا و مساکیننا و أبناء سبیلنا.

أقول:و روی هذا المعنی فی التهذیب،عن سلیم بن قیس عن أمیر المؤمنین(ع)، و قال فی المجمع،بعد نقل الروایه السابقه:و قال جمیع الفقهاء:هم یتامی الناس عامه و کذلک المساکین و أبناء السبیل و قد روی ذلک أیضا عنهم(ع).

ص :۲۰۹

و فی الکافی،بإسناده عن زراره أنه سمع أبا جعفر و أبا عبد الله(ع)یقولان:

إن الله عز و جل فوض إلی نبیه ص أمر خلقه-لینظر کیف طاعتهم ثم تلا (1)هـذه الآیه- «مٰا آتٰاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ».

أقول:و الروایات عنهم(ع)فی هـذا المعنی کثیره و المراد بتفویضه أمر خلقه کما یظهر من الروایات إمضاؤه تعالی ما شرعه النبی ص لهم و افتراض طاعته فی ذلک،و ولایته أمر الناس و أما التفویض بمعنی سلبه تعالی ذلک عن نفسه و تقلیده(ص) لذلک فمستحیل.

و فیه،بإسناده عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث: الإیمان بعضه من بعض و هو دار- و کذلک الإسلام دار و الکفر دار.

و فی المحاسن،بإسناده عن أبی عبیده عن أبی جعفر(ع)فی حدیث قال: یا زیاد ویحک و هل الدین إلا الحب.أ لا تری إلی قول الله:« إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللّٰهُ-وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ »أ و لا ترون إلی قول الله لمحمد ص:« حَبَّبَ إِلَیْکُمُ الْإِیمٰانَ وَ زَیَّنَهُ فِی قُلُوبِکُمْ »و قال:« یُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَیْهِمْ »و قال:الدین هو الحب و الحب هو الدین.

و فی المجمع،و فی الحدیث: لا یجتمع الشح و الإیمان فی قلب رجل مسلم،و لا یجتمع غبار فی سبیل الله-و دخان جهنم فی جوف رجل مسلم.

و فی الفقیه،روی الفضل بن أبی قره السمندی قال:قال لی أبو عبد الله(ع): أ تدری من الشحیح؟قلت:هو البخیل.قال:الشح أشد من البخل إن البخیل یبخل بما فی یده- و الشحیح یشح بما فی أیدی الناس و علی ما فی یده-حتی لا یری فی أیدی الناس شیئا-إلا تمنی أن یکون له بالحل و الحرام،و لا یقنع بما رزقه الله عز و جل.

[سوره الحشر (59): الآیات 11 الی 17]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِینَ نٰافَقُوا یَقُولُونَ لِإِخْوٰانِهِمُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَکُمْ وَ لاٰ نُطِیعُ فِیکُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّکُمْ وَ اَللّٰهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکٰاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لاٰ یَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لاٰ یَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَیُوَلُّنَّ اَلْأَدْبٰارَ ثُمَّ لاٰ یُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِی صُدُورِهِمْ مِنَ اَللّٰهِ ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ یَفْقَهُونَ (13) لاٰ یُقٰاتِلُونَکُمْ جَمِیعاً إِلاّٰ فِی قُریً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرٰاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَیْنَهُمْ شَدِیدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِیعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتّٰی ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ یَعْقِلُونَ (14) کَمَثَلِ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِیباً ذٰاقُوا وَبٰالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (15) کَمَثَلِ اَلشَّیْطٰانِ إِذْ قٰالَ لِلْإِنْسٰانِ اُکْفُرْ فَلَمّٰا کَفَرَ قٰالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکَ إِنِّی أَخٰافُ اَللّٰهَ رَبَّ اَلْعٰالَمِینَ (16) فَکٰانَ عٰاقِبَتَهُمٰا أَنَّهُمٰا فِی اَلنّٰارِ خٰالِدَیْنِ فِیهٰا وَ ذٰلِکَ جَزٰاءُ اَلظّٰالِمِینَ (17)

1- 1) تلیا،ظ.

(بيان)

إشاره إلى حال المنافقين و وعدهم لبنى النضير بالنصر إن قوتلوا و الخروج معهم إن أخرجوا و تكذيبهم فيما وعدوا.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » إلخ،الإخوان كالأخوه جمع أخ و الأخوه الاشتراك فى الانتساب إلى أب و يتوسع فيه فيستعمل فى المشتركين فى اعتقاد أو صداقه و نحو ذلك،و يكثر استعمال الأخوه فى المشتركين فى النسبه إلى أب و استعمال الإخوان فى المشتركين فى اعتقاد و نحوه على ما قيل.

و الاستفهام فى الآيه للتعجيب،و المراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبى و أصحابه،و المراد بإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بنو النضير على ما يؤيده السياق فإن مفاد الآيات

ص :۲۱۱

أنهم كانوا قوما من أهل الكتاب دار أمرهم بين الخروج و القتال بعد قوم آخر كذلك و ليس إلا بنى النضير بعد بنى قينقاع.

و قوله:« لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لاٰ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ » مقول قول المنافقين،و اللام فى« لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ »للقسم أى نقسم لئن أخرجكم المسلمون من دياركم لنخرجن من ديارنا معكم ملازمين لكم و لا نطيع فيكم أى فى شأنكم أحدا يشير علينا بمفارقتكم أبدا،و إن قاتلكم المسلمون لننصرنكم عليهم.

و قوله:« وَ اللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ »تكذيب لوعد المنافقين،و تصريح بأنهم لا يفون بوعدهم.

قوله تعالى:« لَئِنْ أُخْرِجُوا لاٰ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لاٰ يَنْصُرُونَهُمْ »تكذيب تفصيلى لوعدهم بعد تكذيبه الإجمالى بقوله:« وَ اللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ »و قد كرر فيه لام القسم،و المعنى:أقسم لئن أخرج بنو النضير لا يخرج معهم المنافقون،و أقسم لئن قوتلوا لا ينصرونهم.

قوله تعالى:« وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبٰارَ ثُمَّ لاٰ يُنْصَرُونَ »إشاره إلى أن نصرهم على تقدير وقوعه منهم-و لن يقع أبدا-لا يدوم و لا ينفعهم بل يولون الأدبار فرارا ثم لا ينصرون بل يهلكون من غير أن ينصرهم أحد.

قوله تعالى:« لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللّٰهِ »إلخ،ضمائر الجمع للمنافقين، و الرهبه الخشيه،و الآيه فى مقام التعليل لقوله:« وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبٰارَ »أى ذلك لأنهم يرهبونكم أشد من رهبتهم لله فلا يقاومونكم لو قاتلتم و لا يثبتون لكم.

و علل ذلك بقوله:« ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ »و الإشاره بذلك إلى كون رهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله أى رهبتهم لكم كذلك لأنهم قوم لا يفهمون حق الفهم و لو فقهوا حقيقه الأمر بأن لهم أن الأمر إلى الله تعالى و ليس لغيره من الأمر شىء سواء فى ذلك المسلمون و غيرهم،و لا يقوى غيره تعالى على عمل خير أو شر أو نافع أو ضار إلا بحول منه تعالى و قوه فلا ينبغى أن يرهب إلا هو عز و جل.

قوله تعالى:« لاٰ يُقٰاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاّٰ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرٰاءِ جُدُرٍ »بيان لأثر رهبتهم و جبنهم جميعا و المعنى:لا يقاتلكم بنو النضير و المنافقون جميعا بأن يبرزوا بل فى قرى حصينه محكمه أو من وراء جدر من غير بروز.

و قوله:« بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ »أی هم فيما بينهم شديد البطش غير أنهم إذا برزوا لحربكم و شاهدوكم يجبنون بما ألقى الله فی قلوبهم من الرعب.

و قوله:« تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتّٰى »أی تظن أنهم مجتمعون فی ألفه و اتحاد و الحال أن قلوبهم متفرقه غير متحده و ذلك أقوى عامل فی الخزی و الخذلان.ذلک بأنهم قوم لا يعقلون و لو عقلوا لاتحدوا و وحدوا الكلمه.

قوله تعالى:« كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذٰاقُوا وَبٰالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ » الوبال العاقبه السيئه و قوله:« قَرِيباً »قائم مقام الظروف منصوب على الظرفيه أی فی زمان قريب.

و قوله:« كَمَثَلِ »إلخ،خبر مبتدإ محذوف و التقدير«مثلهم كمثل»إلخ،و المعنى:

مثلهم أی مثل بنی النضير من اليهود فی نقضهم العهد و وعد المنافقين لهم بالنصر كذبا ثم الجلاء مثل الذين من قبلهم فی زمان قريب و هم بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينه نقضوا العهد بعد غزوه بدر فأجلاهم رسول الله ص إلى أذرعات و قد كان وعدهم المنافقون أن يكلموا النبی ص فيهم و يمنعوه من إجلائهم فغدروا بهم فذاق بنو قينقاع وبال أمرهم و لهم فی الآخره عذاب أليم و قيل:المراد بالذين من قبلهم كفار مكه يوم بدر و ما تقدم أنسب للسياق.

و المثل على أی حال مثل لبنی النضير لا للمنافقين على ما يعطيه السياق.

قوله تعالى:« كَمَثَلِ الشَّيْطٰانِ إِذْ قٰالَ لِلْإِنْسٰانِ اكْفُرْ فَلَمّٰا كَفَرَ قٰالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكَ » إلخ،ظاهر السياق أنه مثل للمنافقين فی غرورهم بنی النضير بوعد النصر ثم خذلانهم عند الحاجه.

و ظاهر سياق يفيد أن المراد بالشيطان و الإنسان الجنس و الإشاره إلى غرور الشيطان للإنسان بدعوته إلى الكفر بتزيين أمتعه الحياه له و تسويل الإعراض عن الحق بمواعيده الكاذبه و الأمانی السرابيه حتى إذا طلعت له طلائع الآخره و عاين أن ما اغتر به من أمانی الحياه الدنيا لم يكن إلا سرابا يغره و خيالا يلعب به تبرأ منه الشيطان و لم يف بما وعده و قال:إنی بریء منك إنی أخاف الله رب العالمين.

و بالجمله مثل المنافقين فی دعوتهم بنی النضير إلى مخالفه النبی ص و وعدهم النصر ثم الغدر بهم و خلف الوعد كمثل هذا الشيطان فی دعوه الإنسان إلى الكفر بمواعيده الكاذبه

ثم تبريه منه بعد الكفر عند الحاجه.

و قيل:المراد بالتمثيل الإشاره إلى قصه برصيصا العابد الذى زين له الشيطان الفجور ففجر بامرأه ثم كفر و سيأتى القصه فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

و قيل:المثل السابق المذكور فى قوله:« كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً »مثل كفار مكه يوم بدر-كما تقدم-و المراد بالإنسان فى هذا المثل أبو جهل و بقول الشيطان له اكفر ما قصه الله تعالى بقوله فى القصه: «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَ إِنِّى جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّى أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ» :الأنفال:۴۸.

و على هذا الوجه فقول الشيطان:« إِنِّى أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ »قول جدى لأنه كان يخاف تعذيب الملائكه النازلين لنصره المؤمنين ببدر و أما على الوجهين الأولين فهو نوع من الاستهزاء و الإخزاء.

قوله تعالى:« فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِى النّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ »الظاهر أن ضمائر التثنيه للشيطان و الإنسان المذكورين فى المثل ففى الآيه بيان عاقبه الشيطان فى غروره الإنسان و إضلاله و الإنسان فى اغتراره به و ضلاله،و إشاره إلى أن ذلك عاقبه المنافقين فى وعدهم لبنى النضير و غدرهم بهم و عاقبه بنى النضير فى اغترارهم بوعدهم الكاذب و إصرارهم على المشاقه و المخالفه،و معنى الآيه ظاهر.

(بحث روائى)

فى الدر المنثور،أخرج ابن إسحاق و ابن المنذر و أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس": أن رهطا من بنى عوف بن الحارث-منهم عبد الله بن أبى بن سلول-و وديعه بن مالك و سويد و داعس-بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا و تمنعوا-فإنا لا نسلمكم و إن قوتلتم قاتلنا معكم، و إن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم-فلم يفعلوا و قذف الله الرعب فى قلوبهم.

فسألوا رسول الله ص أن يجليهم و يكف عن دمائهم-على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقه-ففعل فكان الرجل منهم يهدم بيته-فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به

فخرجوا إلى خيبر و منهم من سار إلى الشام.

أقول:و الروايه تخالف ما فى عده من الروايات: أن النبى ص هو الذى عرض لهم أن يخرجوا-بما تحمله الإبل من الأموال فلم يقبلوا-ثم رضوا بذلك بعد أيام فلم يقبل النبى ص-إلا أن يخرجوا بأنفسهم و أهليهم -من غير أن يحملوا شيئا فخرجوا كذلك- و جعل النبى ص لكل ثلاثه منهم بعيرا و سقاء.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن ابن عباس":« أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ نٰافَقُوا »قال:عبد الله بن أبى بن سلول-و رفاعه بن تابوت و عبد الله بن نبتل و أوس بن قيظى.و« لِإِخْوٰانِهِمُ »بنو النضير.

أقول:المراد به عد بعضهم فلا ينافى ما فى الروايه السابقه.

و فيه،أخرج ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعه الدارمى يبلغ به النبى ص قال: كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جاريه-فخنقها فألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب-فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها-فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده.

فأتاه الشيطان فوسوس له و زين له-فلم يزل به حتى وقع عليها-فلما حملت وسوس له الشيطان فقال:الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها-فإن أتوك فقل:ماتت فقتلها و دفنها- فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم-و ألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها-فأتاه أهلها فسألوه فقال:ماتت فأخذوه.

فأتاه الشيطان فقال:أنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها،و أنا الذى أوقعتك فى هذا- فأطعنى تنج و اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين-فهو الذى قال الله:« كَمَثَلِ اَلشَّيْطٰانِ إِذْ قٰالَ لِلْإِنْسٰانِ اكْفُرْ »الآيه.

أقول:و القصه مشهوره رويت مختصره و مفصله فى روايات كثيره.

[سوره الحشر (۵۹): الآيات ۱۸ الى ۲۴]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۱۸) وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اَللّٰهَ فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۱۹) لاٰ يَسْتَوِي أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ وَ أَصْحٰابُ اَلْجَنَّةِ أَصْحٰابُ اَلْجَنَّةِ هُمُ اَلْفٰائِزُونَ (۲۰) لَوْ أَنْزَلْنٰا هٰذَا اَلْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اَللّٰهِ وَ تِلْكَ اَلْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۲۱) هُوَ اَللّٰهُ اَلَّذِي لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عٰالِمُ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَةِ هُوَ اَلرَّحْمٰنُ اَلرَّحِيمُ (۲۲) هُوَ اَللّٰهُ اَلَّذِي لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْمَلِكُ اَلْقُدُّوسُ اَلسَّلاٰمُ اَلْمُؤْمِنُ اَلْمُهَيْمِنُ اَلْعَزِيزُ اَلْجَبّٰارُ اَلْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ (۲۳) هُوَ اَللّٰهُ اَلْخٰالِقُ اَلْبٰارِئُ اَلْمُصَوِّرُ لَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۲۴)

(بیان)

الـذی تتضـمنه الآیات الکریمه کالنتیجه المأخوذه مما تقـدم من آیات السوره فقـد أشـیر فیها إلی مشاقه بنی النضـیر من الیهود و نقضـهم العهـد و ذاک الـذی أوقعهم فی خسـران دنیاهم و أخراهم،و تحریض المنافقین لهم علی مشاقه الله و رسوله و هو الـذی أهلکهم،و حقیقه السـبب فی ذلـک أنهم لم یراقبوا الله فی أعمـالهم و نسوه فأنسـاهم أنفسـهم فلم یختـاروا مـا فیه خیر أنفسـهم و صلاح عاجلهم و آجلهم فتاهوا و هلکوا.

فعلی من آمن بالله و رسوله و الیوم الآخر أن یـذکر ربه و لا ینساه و ینظر فیما یقـدمه من العمل لیوم الرجوع إلی ربه فإن ما عمله محفوظ علیه یحاسبه به الله یومئذ فیجازیه علیه جزاء لازما لا یفارقه.

و هـذا هو الذی یرومه قوله:« یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ »الآیات فتندب المؤمنین إلی أن یذکروا الله سبحانه و لا ینسوه و ینظروا فی أعمالهم

التی علی صلاحها و طلاحها یدور رحی حیاتهم الآخره فیراقبوا أعمالهم أن تکون صالحه خالصه لوجهه الکریم مراقبه مستمره ثم یحاسبوا أنفسهم فیشکروا الله علی ما عملوا من حسنه و یوبخوها و یزجروها علی ما اقترفت من سیئه و یستغفروا.

و ذکر الله تعالی بما یلیق بساحه عظمته و کبریائه من أسمائه الحسنی و صفاته العلیا التی بینها القرآن الکریم فی تعلیمه هو السبیل الوحید الذی ینتهی بسالکه إلی کمال العبودیه و لا کمال للإنسان فوقه.

و ذلک أن الإنسان عبد محض و مملوک طلق لله سبحانه فهو مملوک من کل جهه مفروضه لا استقلال له من جهه کما أنه تعالی مالکه من کل جهه مفروضه له الاستقلال من کل جهه، و کمال الشیء محوضته فی نفسه و آثاره فکمال الإنسان فی أن یری نفسه مملوکا لله من غیر استقلال و أن یتصف من الصفات بصفات العبودیه کالخضوع و الخشوع و الذله و الاستکانه و الفقر بالنسبه إلی ساحه العظمه و العزه و الغنی و أن تجری أعماله و أفعاله علی ما یریده الله لا ما یهواه نفسه من غیر غفله فی شیء من هذه المراحل الذات و الصفات و الأفعال.

و لا یتم له النظر إلی ذاته و صفاته و أفعاله بنظره التبعیه المحضه و المملوکیه الطلقه إلا مع التوجه الباطنی إلی ربه الذی هو علی کل شیء شهید و بکل شیء محیط و هو القائم علی کل نفس بما کسبت من غیر أن یغفل عنه أو ینساه.

و عندئذ یطمئن قلبه کما قال تعالی: «أَلاٰ بِذِکْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» :الرعد:۲۸، و یعرف الله سبحانه بصفات کماله التی تتضمنها أسماؤه الحسنی،و یظهر منه قبال ذلک صفات عبودیته و جهات نقصه من خضوع و خشوع و ذله و فقر و حاجه.

و یتعقب ذلک أعماله الصالحه بدوام الحضور و استمرار الذکر،قال تعالی: «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصٰالِ وَ لاٰ تَکُنْ مِنَ الْغٰافِلِینَ إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ» :الأعراف:۲۰۶ و قال: «فَإِنِ اسْتَکْبَرُوا فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهٰارِ وَ هُمْ لاٰ یَسْأَمُونَ» :حم السجده:۳۸.

و إلی ما ذکرنا من معرفته تعالی بصفات کماله و معرفه النفس بما یقابلها من صفات النقص و الحاجه یشیر بمقتضی السیاق قوله:« لَوْ أَنْزَلْنٰا هٰذَا الْقُرْآنَ »إلی آخر الآیات.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ »إلی آخر

الآیه،أمر للمؤمنین بتقوی الله و بأمر آخر و هو النظر فی الأعمال التی قدموها لیوم الحساب أ هی صالحه فلیرج بها ثواب الله أو طالحه فلیخش عقاب الله علیها و یتدارک بالتوبه و الإنابه و هو محاسبه النفس.

أما التقوی و قد فسر فی الحدیث بالورع عن محارم الله فحیث تتعلق بالواجبات و المحرمات جمیعا کانت هی الاجتناب عن ترک الواجبات و فعل المحرمات.

و أما النظر فیما قدمت النفس لغد فهو أمر آخر وراء التقوی نسبته إلی التقوی کنسبه النظر الإصلاحی ثانیا من عامل فی عمله أو صانع فیما صنعه لتکمیله و رفع نواقصه التی غفل عنها أو أخطأ فیها حین العمل و الصنع.

فعلی المؤمنین جمیعا أن یتقوا الله فیما وجه إلیهم من التکالیف فیطیعوه و لا یعصوه ثم ینظروا فیما قدموه من الأعمال التی یعیشون بها فی غد بعد ما حوسبوا بها أ صالح فیرجی ثوابه أم طالح فیخاف عقابه فیتوبوا إلی الله و یستغفروه.

و هذا تکلیف عام یشمل کل مؤمن لحاجه الجمیع إلی إصلاح العمل و عدم کفایه نظر بعضهم عن نظر الآخرین غیر أن القائم به من أهل الإیمان فی نهایه القله بحیث یکاد یلحق بالعدم و إلی ذلک یلوح لفظ الآیه« وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ».

فقوله:« وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ »خطاب عام لجمیع المؤمنین لکن لما کان المشتغل بهذا النظر من بین أهل الإیمان بل من بین أهل التقوی منهم فی غایه القله بل یکاد یلحق بالعدم لاشتغالهم بأعراض الدنیا و استغراق أوقاتهم فی تدبیر المعیشه و إصلاح أمور الحیاه ألقی الخطاب فی صوره الغیبه و علقه بنفس ما منکره فقال:« وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ » و فی هذا النوع من الخطاب مع کون التکلیف عاما بحسب الطبع عتاب و تقریع للمؤمنین مع التلویح إلی قله من یصلح لامتثاله منهم.

و قوله:« مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ »استفهام من ماهیه العمل الذی قدمت لغد و بیان للنظر، و یمکن أن تکون« مٰا »موصوله و هی و صلتها متعلقا بالنظر.

و المراد بغد یوم القیامه و هو یوم حساب الأعمال و إنما عبر عنه بغد للإشاره إلی قربه منهم کقرب الغد من أمسه،قال تعالی: «إِنَّهُمْ یَرَوْنَهُ بَعِیداً وَ نَرٰاهُ قَرِیباً» :المعارج:۷.

و المعنی:یا أیها الذین آمنوا اتقوا الله بطاعته فی جمیع ما یأمرکم به و ینهاکم عنه، و لتنظر نفس منکم فیما عملته من عمل و لتر ما الذی قدمته من عملها لیوم الحساب أ هو

عمل صالح أو طالح و هل عملها الصالح صالح مقبول أو مردود.

و قوله:« وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ »أمر بـالتقوى ثانيـا و« إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ » إلـخ،تعليل له و تعليل هـذه التقوى بكونه تعالى خبيرا بالأعمـال يعطى أن المراد بهـذه التقوى المـأمور بهـا ثانيا هى التقوى فى مقام المحاسبه و النظر فيها من حيث إصـلاحها و إخلاصها لله سبحانه و حفظها عما يفسدها،و أما قوله فى صدر الآيه:« اِتَّقُوا اللّٰهَ »فالمراد به التقوى فى أصل إتيان الأعمال بقصرها فى الطاعات و تجنب المعاصى.

و من هنـا تبين أن المراد بـالتقوى فى الموضـعين مختلف فالأـولى هى التقوى فى أصـل إتيـان الأعمـال،و الثـانيه هى التقوى فى الأعمال المأتيه من حيث إصلاحها و إخلاصها.

و ظهر أيضا أن قول بعضـهم:إن الأولى للتوبه عما مضـى من الـذنوب و الثانيه لاتقاء المعاصـى فى المسـتقبل غير سديد و مثله ما قيل:إن الأولى فى أداء الواجبات و الثانيه فى ترك المحرمات،و مثله ما قيل:إن الأمر الثانى لتأكيد الأمر الأول فحسب.

قوله تعـالى:« وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَهُمْ »إلـخ، النسـيان زوال صوره المعلوم عن النفس بعـد حصولها فيها مع زوال مبدئه و يتوسع فيه مطلق على مطلق الإعراض عن الشـىء بعدم ترتيب الأثر عليه قال تعالى: «وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْسٰاكُمْ كَمٰا نَسِيتُمْ لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا وَ مَأْوٰاكُمُ النّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ» :الجاثيه:٣۴.

و الآيه بحسب لب معناها كالتأكيد لمضمون الآيه السابقه كأنه قيل:قدموا ليوم الحساب و الجزاء عملا صالحا تحيى به أنفسكم و لا تنسوه.ثم لما كان سـبب نسـيان النفس نسـيان الله تعالى إذ بنسـيانه تعالى تنسـى أسـماؤه الحسنى و صفاته العليا التى ترتبط بها صفات الإنسان الذاتيه من الذله و الفقر و الحاجه فيتوهم الإنسان نفسه مستقله فى الوجود و يخيل إليه أن له لنفسه حياه و قدره و علما و سائر ما يتراءى له من الكمال و نظراؤه فى الاستقلال سائر الأسباب الكونيه الظاهريه تؤثر فيه و تتأثر عنه.

و عنـد ذلك يعتمـد على نفسه و كان عليه أن يعتمـد على ربه و يرجو و يخاف الأسـباب الظاهريه و كان عليه أن يرجو و يخاف ربه،يطمئن إلى غير ربه و كان عليه أن يطمئن إلى ربه.

و بالجمله ينسـى ربه و الرجوع إليه و يعرض عنه بالإقبال إلى غيره،و يتفرع عليه أن ينسـى نفسه فإن الذى يخيل إليه من نفسه أنه موجود مستقل الوجود يملك ما ظهر فيه

ص :٢١٩

من کمالات الوجود و إليه تدبير أمره مستمدا مما حوله من الأسباب الكونيه و ليس هذا هو الإنسان بل الإنسان موجود متعلق الوجود جهل كله عجز كله ذله كله فقر كله و هكذا، و ما له من الكمال كالوجود و العلم و القدره و العزه و الغنى و هكذا فلربه و إلى ربه انتهاؤه و نظراؤه فی ذلک سائر الأسباب الكونيه.

و الحاصل لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى حول النهی عن نسيان النفس فی الآيه إلى النهی عن نسيانه تعالى لأن انقطاع المسبب بانقطاع سببه أبلغ و آكد،و لم يقنع بمجرد النهی الكلی عن نسيانه بأن يقال:و لا تنسوا الله فينسيكم أنفسكم بل جری بمثل إعطاء الحكم بالمثال ليكون أبلغ فی التأثير و أقرب إلى القبول فنهاهم أن يكونوا كالذين نسوا الله مشيرا به إلى من تقدم ذكرهم من يهود بنی النضير و بنی قينقاع و من حاله حالهم فی مشاقه الله و رسوله.

فقال:« وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ »ثم فرع عليه قوله:« فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَهُمْ » تفريع المسبب على سببه ثم عقبه بقوله:« أُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ »فدل على أنهم فاسقون حقا خارجون عن زی العبوديه.

و الآيه و إن كانت تنهی عن نسيانه تعالى المتفرع عليه نسيان النفس لكنها بورودها فی سياق الآيه السابقه تأمر بذكر الله و مراقبته.

فقد بان من جميع ما تقدم فی الآيتين أن الآيه الأولى تأمر بمحاسبه النفس و الثانيه تأمر بالذكر و المراقبه.

قوله تعالى:« لاٰ يَسْتَوِی أَصْحٰابُ النّٰارِ وَ أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ هُمُ الْفٰائِزُونَ » قال الراغب: الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامه انتهى.و السياق يشهد بأن المراد بأصحاب النار هم الناسون لله و بأصحاب الجنه هم الذاكرون لله المراقبون.

و الآيه حجه تامه على وجوب اللحوق بالذاكرين لله المراقبين له دون الناسين،تقريرها أن هناک قبيلين لا ثالث لهما و هما الذاكرون لله و الناسون له لا بد للإنسان أن يلحق بأحدهما و ليسا بمساويين حتى يتساوى اللحوقان و لا يبالی الإنسان بأيهما لحق؟بل هناک راجح و مرجوح يجب اختيار الراجح على المرجوح و الرجحان لقبيل الذاكرين لأنهم الفائزون لا غير فالترجيح لجانبهم فمن الواجب لكل نفس أن يختار اللحوق بقبيل الذاكرين.

قوله تعالى:« لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ » إلخ،فى المجمع،: التصدع التفرق بعد التلاؤم و مثله التفطر انتهى.

و الكلام مسوق سوق المثل مبنى على التخييل و الدليل عليه قوله فى ذيل الآيه:« وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ »إلخ.

و المراد تعظيم أمر القرآن بما يشتمل عليه من حقائق المعارف و أصول الشرائع و العبر و المواعظ و الوعد و الوعيد و هو كلام الله العظيم،و المعنى:لو كان الجبل مما يجوز أن ينزل عليه القرآن فأنزلناه عليه لرأيته-مع ما فيه من الغلظه و القسوه و كبر الجسم و قوه المقاومه قبال النوازل-متأثرا متفرقا من خشيه الله فإذا كان هذا حال الجبل بما هو عليه فالإنسان أحق بأن يخشع لله إذا تلاه أو تلى عليه،و ما أعجب حال أهل المشاقه و العناد لا تلين قلوبهم له و لا يخشعون و لا يخشون.

و الالتفات من التكلم مع الغير إلى الغيبه فى قوله:« مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ »للدلاله على عله الحكم فإنما يخشع و يتصدع الجبل بنزول القرآن لأنه كلام الله عز اسمه.

و قوله:« وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »من وضع الحكم الكلى موضع الجزئى للدلاله على أن الحكم ليس ببدع فى مورده بل جار سار فى موارد أخرى كثيره.

فقوله:« لَوْ أَنْزَلْنٰا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ »إلخ،مثل ضربه الله للناس فى أمر القرآن لتقريب عظمته و جلاله قدره بما أنه كلام الله تعالى و بما يشتمل عليه من المعارف رجاء أن يتفكر فيه الناس فيتلقوا القرآن بما يليق به من التلقى و يتحققوا بما فيه من الحق الصريح و يهتدوا إلى ما يهدى إليه من طريق العبوديه التى لا طريق إلى كمالهم و سعادتهم وراءها، و من ذلك ما ذكر فى الآيات السابقه من المراقبه و المحاسبه.

قوله تعالى:« هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ » هذه الآيه و الآيتان بعدها و إن كانت مسوقه لتعداد قبيل من أسمائه تعالى الحسنى و الإشاره إلى تسميته تعالى بكل اسم أحسن و تنزهه بشهاده ما فى السماوات و الأرض لكنها بانضمامها إلى ما مر من الأمر بالذكر تفيد أن على الذاكرين أن يذكروه بأسمائه الحسنى فيعرفوا أنفسهم بما يقابلها من أسماء النقص،فافهم ذلك.

و بانضمامها إلى الآيه السابقه و ما فيها من قوله:« مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ »تفيد تعليل خشوع الجبل و تصدعه من خشيه الله كأنه قيل:و كيف لا و هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب

و الشهاده،إلی آخر الآیات.

و قوله:« هُوَ اللّٰهُ الَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ »یفید الموصول و الصله معنی اسم من أسمائه و هو وحدانیته تعالی فی ألوهیته و معبودیته،و قد تقدم بعض ما یتعلق بالتهلیل فی تفسیر قوله تعالی: «وَ إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ» :البقره:۱۶۳.

و قوله:« عٰالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهٰادَهِ » الشهاده هی المشهود الحاضر عند المدرک و الغیب خلافها و هما معنیان إضافیان فمن الجائز أن یکون شیء شهاده بالنسبه إلی شیء و غیبا بالنسبه إلی آخر و یدور الأمر مدار نوع من الإحاطه بالشیء حسا أو خیالا أو عقلا أو وجودا و هو الشهاده و عدمها و هو الغیب،و کل ما فرض من غیب أو شهاده فهو من حیث هو محاط له تعالی معلوم فهو تعالی عالم الغیب و الشهاده و غیره لا علم له بالغیب لمحدودیه وجوده و عدم إحاطته إلا ما علمه تعالی کما قال: «عٰالِمُ الْغَیْبِ فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّٰ مَنِ ارْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ» :الجن:۲۷،و أما هو تعالی فغیب علی الإطلاق لا سبیل إلی الإحاطه به لشیء أصلا کما قال:« وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً ».

و قوله:« هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِیمُ »قد تقدم الکلام فی معنی الاسمین فی تفسیر سوره الفاتحه.

قوله تعالی:« هُوَ اللّٰهُ الَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْمَلِکُ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَیْمِنُ الْعَزِیزُ الْجَبّٰارُ الْمُتَکَبِّرُ »إلخ، الملک هو المالک لتدبیر أمر الناس و الحکم فیهم،و القدوس مبالغه فی القدس و هو النزاهه و الطهاره،و السلام من یلاقیک بالسلام و العافیه من غیر شر و ضر،و المؤمن الذی یعطی الأمن،و المهیمن الفائق المسیطر علی الشیء.

و العزیز الغالب الذی لا یغلبه شیء أو من عنده ما عند غیره من غیر عکس،و الجبار مبالغه من جبر الکسر أو الذی تنفذ إرادته و یجبر علی ما یشاء،و المتکبر الذی تلبس بالکبریاء و ظهر بها.

و قوله:« سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا یُشْرِکُونَ »ثناء علیه تعالی کما فی قوله: «وَ قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ» :البقره:۱۱۶.

قوله تعالی:« هُوَ اللّٰهُ الْخٰالِقُ الْبٰارِئُ الْمُصَوِّرُ »إلی آخر الآیه، الخالق هو الموجد للأشیاء عن تقدیر،و الباریء المنشیء للأشیاء ممتازا بعضها من بعض،و المصور المعطی لها صورا یمتاز بها بعضها من بعض،و الأسماء الثلاثه تتضمن معنی الإیجاد باعتبارات مختلفه و بینها ترتب فالتصویر فرع البرء و البرء فرع الخلق و هو ظاهر.

ص :۲۲۲

و إنما صدر الآيتين السابقتين بقوله:« اَلَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ »فوصف به« اَللّٰهُ » و عقبه بالأسماء بخلاف هذه الآیه إذ قال:« هُوَ اللّٰهُ الْخٰالِقُ »إلخ.

لأن الأسماء الكريمه المذكوره فی الآيتين السابقتين و هی أحد عشر اسما من لوازم الربوبيه و مالكيه التدبير التی تتفرع عليها الألوهيه و المعبوديه بالحق و هی علی نحو الأصاله و الاستقلال لله سبحانه وحده لا شريک له فی ذلک فاتصافه تعالی وحده بها يستوجب اختصاص الألوهيه و استحقاق المعبوديه به تعالی.

فالأسماء الكريمه بمنزله التعليل لاختصاص الألوهيه به تعالی كأنه قيل لا إله إلا هو لأنه عالم الغيب و الشهاده هو الرحمن الرحيم،و لذا أيضا ذيل هذه الأسماء بقوله ثناء عليه:

« سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ »ردا علی القول بالشركاء كما يقوله المشركون.

و أما قوله:« هُوَ اللّٰهُ الْخٰالِقُ الْبٰارِئُ الْمُصَوِّرُ »فالمذكور فيه من الأسماء يفيد معنی الخلق و الإيجاد و اختصاص ذلک به تعالی لا يستوجب اختصاص الألوهيه به كما يدل عليه أن الوثنيين قائلون باختصاص الخلق و الإيجاد به تعالی و هم مع ذلک يدعون من دونه أربابا و آلهه و يثبتون له شركاء.

و أما وقوع اسم الجلاله فی صدر الآيات الثلاث جميعا فهو علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال يرتبط به و يجری عليه جميع الأسماء و فی التكرار مزيد تأكيد و تثبيت للمطلوب.

و قوله:« لَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ »إشاره إلی بقيه الأسماء الحسنی عن آخرها لكون الأسماء جمعا محلی باللام و هو يفيد العموم.

و قوله:« يُسَبِّحُ لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »أی جميع ما فی العالم من المخلوقات حتی نفس السماوات و الأرض و قد تقدم توضيح معنی الجمله مرارا.

ثم ختم الآيات بقوله:« وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »أی الغالب غير المغلوب الذی فعله متقن لا مجازفه فيه فلا يعجزه فيما شرعه و دعا إليه معصيه العاصين و لا مشاقه المعاندين و لا يضيع عنده طاعه المطيعين و أجر المحسنين.

و العنايه إلی ختم الكلام بالاسمين و الإشاره بذلک إلی كون القرآن النازل من عنده كلام عزيز حكيم هو الذی دعا إلی تكرار اسمه العزيز و ذكره مع الحكيم مع تقدم ذكره بين الأسماء.

و قد وصف القرآن أيضا بالعزه و الحكمه كما قال: «وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ» :حم السجده:

۴۱،و قال: «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» :يس:۲.

(بحث روائى)

فى المجمع،: فى قوله تعالى:« عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَهِ »:عن أبى جعفر(ع)قال:الغيب ما لم يكن و الشهاده ما قد كان.

أقول:و هو تفسير ببعض المصاديق،و قد أوردنا أحاديث عنهم(ع)فى معنى اسم الجلاله و الاسمين الرحمن الرحيم فى ذيل تفسير البسمله من سوره الفاتحه.

و فى التوحيد،بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر(ع)فى حديث: لم يزل حيا بلا حياه و ملكا قادرا-قبل أن ينشئ شيئا و ملكا جبارا-بعد إنشائه للكون.

أقول:قوله:لم يزل حيا بلا حياه أى بلا حياه زائده على الذات، و قوله:لم يزل ملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا إرجاع للملك و هو من صفات الفعل إلى القدره و هى من صفات الذات ليستقيم تحققه قبل الإيجاد.

و فى الكافى،بإسناده عن هشام الجواليقى قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله:

« سُبْحٰانَ اللّٰهِ »ما يعنى به؟قال:تنزيه.

و فى نهج البلاغه،: و الخالق لا بمعنى حركه و نصب.

أقول:و قد أوردنا عده من الروايات فى الأسماء الحسنى و إحصائها فى البحث عن الأسماء الحسنى فى الجزء الثامن من الكتاب.

و فى النبوى المشهور: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا-و زنوا قبل أن توزنوا و تجهزوا للغرض الأكبر.

و فى الكافى،بإسناده إلى أبى الحسن الماضى(ع)قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم-فإن عمل حسنا ازداد لله شكرا- و إن عمل سيئا استغفر الله و تاب إليه.

أقول:و فيما يقرب من هذا المعنى روايات أخر،و قد أوردنا روايات عنهم(ع) فى معنى ذكر الله فى ذيل تفسير قوله تعالى: «فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ» Xالآيه X:البقره:

۱۵۲،و قوله: «يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْراً كَثِيراً» :الأحزاب:۲۱،فليراجعها من شاء.

(۶۰) (سوره الممتحنه مدنیه و هی ثلاث عشره آیه)(۱۳)

[سوره الممتحنه (۶۰): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ تُلْقُونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ قَدْ کَفَرُوا بِمٰا جٰاءَکُمْ مِنَ اَلْحَقِّ یُخْرِجُونَ اَلرَّسُولَ وَ
إِیّٰاکُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّکُمْ إِنْ کُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهٰاداً فِی سَبِیلِی وَ اِبْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِی تُسِرُّونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمٰا أَخْفَیْتُمْ وَ مٰا
أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ یَفْعَلْهُ مِنْکُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ اَلسَّبِیلِ (۱) إِنْ یَثْقَفُوکُمْ یَکُونُوا لَکُمْ أَعْدٰاءً وَ یَبْسُطُوا إِلَیْکُمْ أَیْدِیَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ
وَدُّوا لَوْ تَکْفُرُونَ (۲) لَنْ تَنْفَعَکُمْ أَرْحٰامُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ یَفْصِلُ بَیْنَکُمْ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۳) قَدْ کٰانَتْ لَکُمْ
أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ فِی إِبْرٰاهِیمَ وَ اَلَّذِینَ مَعَهُ إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْکُمْ وَ مِمّٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ کَفَرْنٰا بِکُمْ وَ بَدٰا بَیْنَنٰا وَ بَیْنَکُمُ
اَلْعَدٰاوَهُ وَ اَلْبَغْضٰاءُ أَبَداً حَتّٰی تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ إِلاّٰ قَوْلَ إِبْرٰاهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَ مٰا أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ رَبَّنٰا عَلَیْکَ
تَوَکَّلْنٰا وَ إِلَیْکَ أَنَبْنٰا وَ إِلَیْکَ اَلْمَصِیرُ (۴) رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا وَ اِغْفِرْ لَنٰا رَبَّنٰا إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۵) لَقَدْ کٰانَ
لَکُمْ فِیهِمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ کٰانَ یَرْجُوا اَللّٰهَ وَ اَلْیَوْمَ اَلْآخِرَ وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۶) عَسَی اَللّٰهُ أَنْ یَجْعَلَ بَیْنَکُمْ وَ
بَیْنَ اَلَّذِینَ عٰادَیْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّهً وَ اَللّٰهُ قَدِیرٌ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۷) لاٰ یَنْهٰاکُمُ اَللّٰهُ عَنِ اَلَّذِینَ لَمْ یُقٰاتِلُوکُمْ فِی اَلدِّینِ وَ لَمْ یُخْرِجُوکُمْ
مِنْ دِیٰارِکُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَیْهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلْمُقْسِطِینَ (۸) إِنَّمٰا یَنْهٰاکُمُ اَللّٰهُ عَنِ اَلَّذِینَ قٰاتَلُوکُمْ فِی اَلدِّینِ وَ أَخْرَجُوکُمْ
مِنْ دِیٰارِکُمْ وَ ظٰاهَرُوا عَلیٰ إِخْرٰاجِکُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۹)

ص: ۲۲۵

(بیان)

تـذکر السوره موالاه المؤمنین لأعداء الله من الکفار و موادتهم و تشدد النهی عن ذلک تفتتح به و تختتم و فیها شـیء من أحکام النساء المهاجرات و بیعه المؤمنات،و کونها مدنیه ظاهر.

قوله تعالی:«یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ تُلْقُونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ » إلـخ،سیاق الآیات یدل علی أن بعض المؤمنین من المهـاجرین کـانوا یسـرون المواده إلی المشـرکین بمکه لیحموا بـذلک من بقی من أرحـامهم و أولادهم بمکه بعد خروجهم أنفسـهم منهـا بالمهـاجره إلی المـدینه فنزلت الآیـات و نهـاهم الله عن ذلـک،و یتأیـد بهـذا ما ورد أن الآیات نزلت فی حاطب بن أبی بلتعه أسـر کتابا إلی المشـرکین بمکه یخبرهم فیه بعزم رسول الله ص علی الخروج إلیها لفتحها،فعل ذلک لیکون یـدا له علیهم یقی بها من کان بمکه من أرحامه و أولاده فأخبر الله بذلک نبیه ص و نزلت،و سـتوافیک قصـته فی البحث الروائی التالی إن شاء الله تعالی.

فقوله:«یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ »العـدو معروف و یطلق علی الواحد و الکثیر و المراد فی الآیه هو الکثیر بقرینه قوله: أَوْلِیٰاءَ و إِلَیْهِمْ و غیر

ص: ۲۲۶

ذلك،و هم المشركون بمكه،و كونهم عدوه من جهه اتخاذهم له شركاء يعبدونهم و لا يعبدون الله و يردون دعوته و يكذبون رسوله،و كونهم أعداء للمؤمنين لإيمانهم بالله و تفديتهم أموالهم و أنفسهم فى سبيله فمن يعادى الله يعاديهم.

و ذكر عداوتهم للمؤمنين مع كفايه ذكر عداوتهم لله فى سوق النهى لتأكيد التحذير و المنع كأنه قيل:من كان عدوا لله فهو عدو لكم فلا تتخذوه وليا.

و قوله:« تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ »بالموده مفعول« تُلْقُونَ »و الباء زائده كما فى قوله:

«وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» :البقره:١٩٥،و المراد بإلقاء الموده إظهارها أو إيصالها،و الجمله صفه أو حال من فاعل« لاٰ تَتَّخِذُوا ».

و قوله:« وَ قَدْ كَفَرُوا بِمٰا جٰاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ »هو الدين الحق الذى يصفه كتاب الله و يدعو إليه النبى ص،و الجمله حاليه.

و قوله:« يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيّٰاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ »الجمله حاليه و المراد بإخراج الرسول و إخراجهم اضطرارهم الرسول و المؤمنين إلى الخروج من مكه و المهاجره إلى المدينه،و« أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ »بتقدير اللام متعلق بيخرجون،و المعنى:يجبرون الرسول و إياكم على المهاجره من مكه لإيمانكم بالله ربكم.

و توصيف الله بقوله:« رَبِّكُمْ »للإشاره إلى أنهم يؤاخذونهم على أمر حق مفروض ليس بجرم فإن إيمان الإنسان بربه مفروض عليه و ليس من الجرم فى شىء.

و قوله:« إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهٰاداً فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِي »متعلق بقوله:« لاٰ تَتَّخِذُوا »و جزاء الشرط محذوف يدل عليه المتعلق،و« جِهٰاداً »مصدر مفعول له، و« اِبْتِغٰاءَ »بمعنى الطلب و «المرضاه»مصدر كالرضا،و المعنى:لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء إن كنتم هاجرتم للمجاهده فى سبيلى و لطلب رضاى.

و تقييد النهى عن ولائهم و اشتراطه بخروجهم للجهاد و ابتغائهم مرضاته من باب اشتراط الحكم بأمر محقق الوقوع تأكيدا له و إيذانا بالملازمه بين الشرط و الحكم كقول الوالد لولده:

إن كنت ولدى فلا تفعل كذا.

و قوله:« تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمٰا أَخْفَيْتُمْ وَ مٰا أَعْلَنْتُمْ »أسررت إليه حديثا أى أفضيت إليه فى خفيه فمعنى« تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ »تطلعونهم على ما تسرون من مودتهم-على ما قاله الراغب-و الإعلان خلاف الإخفاء،و« أَنَا أَعْلَمُ »إلخ،حال من

فاعل« تُسِرُّونَ »و« أَعْلَمُ »اسم تفضيل،و احتمل بعضهم أن يكون فعل المتكلم وحده من المضارع متعديا بالباء لأن العلم ربما يتعدى بها.

و جمله:« تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ »إلخ،استئناف بيانيه كأنه قيل بعد استماع النهى السابق:

ما ذا فعلنا فأجيب:تطلعونهم سرا على مودتكم لهم و أنا أعلم بما أخفيتم و ما أظهرتم أى أنا أعلم بقولكم و فعلكم علما يستوى بالنسبه إليه إخفاؤكم و إظهاركم.

و منه يعلم أن قوله:« بِمٰا أَخْفَيْتُمْ وَ مٰا أَعْلَنْتُمْ »معا يفيدان معنى واحدا و هو استواء الإخفاء و الإعلان عنده تعالى لإحاطته بما ظهر و ما بطن فلا يرد أن ذكر« بِمٰا أَخْفَيْتُمْ »يغنى عن ذكر« مٰا أَعْلَنْتُمْ »لأن العالم بما خفى عالم بما ظهر بطريق أولى.

و قوله:« وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ »الإشاره بذلك إلى إسرار الموده إليهم و هو الموالاه،و« سَوٰاءَ السَّبِيلِ »من إضافه الصفه إلى الموصوف أى السبيل السوى و الطريق المستقيم و هو مفعول« ضَلَّ »أو منصوب بنزع الخافض و التقدير فقد ضل عن سواء السبيل،و السبيل سبيل الله تعالى.

قوله تعالى:« إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدٰاءً »إلخ،قال الراغب: الثقف -بالفتح فالسكون-الحذق فى إدراك الشىء و فعله.قال:و يقال:ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق فى النظر ثم يتجوز به فيستعمل فى الإدراك و إن لم يكن معه ثقافه.انتهى.

و فسره غيره بالظفر و لعله بمعونه مناسبه المقام،و المعنيان متقاربان.

و الآيه مسوقه لبيان أنه لا ينفعهم الإسرار بالموده للمشركين فى جلب محبتهم و رفع عداوتهم شيئا و أن المشركين على الرغم من إلقاء الموده إليهم أن يدركوهم و يظفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغير ما فى قلوبهم من العداوه.

و قوله:« وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ »بمنزله عطف التفسير لقوله:« يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدٰاءً »و بسط الأيدى بالسوء كنايه عن القتل و السبى و سائر أنحاء التعذيب و بسط الألسن بالسوء كنايه عن السب و الشتم.

و الظاهر أن قوله:« وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ »عطف على الجزاء و الماضى بمعنى المستقبل كما يقتضيه الشرط و الجزاء، و المعنى:أنهم يبسطون إليكم الأيدى و الألسن بالسوء و يودون بذلك لو تكفرون كما كانوا يفتنون المؤمنين بمكه و يعذبونهم يودون بذلك أن يرتدوا عن دينهم.و الله أعلم.

قوله تعالی:« لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحٰامُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ »دفع لما ربما یمکن أن یتوهم عذرا لإلقاء الموده إلیهم إن فی ذلک صیانه لأرحامهم و أولادهم الذین ترکوهم بمکه بین المشرکین من أذاهم.

و الجواب أن أمامکم یوما تجازون فیه علی معصیتکم و طالح عملکم و منه موالاه الکفار و لا ینفعکم الیوم أرحامکم و لا أولادکم الذین قدمتم صیانتهم من أذی الکفار علی صیانه أنفسکم من عذاب الله بترک موالاه الکفار.

و قوله:« يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ »أی یفصل الله یوم القیامه بینکم بتقطع الأسباب الدنیویه کما قال تعالی: «فَإِذٰا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ» :المؤمنون:۱۰۱،و ذلک أن القرابه و هی انتهاء إنسانین أو أکثر إلی رحم واحده إنما تؤثر آثارها من الرحمه و الموده و الألفه و المعاونه و المعاضده و العصبیه و الخدمه و غیر ذلک من الآثار فی ظرف الحیاه الاجتماعیه التی تسوق الإنسان إلیه حاجته إلیها بالطبع بحسب الآراء و العقائد الاعتباریه التی أوجدها فیه فهمه الاجتماعی،و لا خبر عن هذه الآراء فی الخارج عن ظرف الحیاه الاجتماعیه.

و إذا برزت الحقائق و ارتفع الحجاب و انکشف الغطاء یوم القیامه ضلت عن الإنسان هذه الآراء و المزاعم و انقطعت روابط الاستقلال بین الأسباب و مسبباتها کما قال تعالی:

«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مٰا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» :الأنعام:۹۴،و قال: «وَ رَأَوُا الْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ» :البقره:۱۶۶.

فیومئذ تتقطع رابطه الأنساب و لا ینتفع ذو قرابه من قرابته شیئا فلا ینبغی للإنسان أن یخون الله و رسوله بموالاه أعداء الدین لأجل أرحامه و أولاده فلیسوا یغنونه عن الله یومئذ.

و قیل:المراد أنه یفرق الله بینکم یوم القیامه بما فیه من الهول الموجب لفرار کل منکم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالی: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» :عبس:۳۷،و الوجه السابق أنسب للمقام.

و قیل:المراد أنه یمیز بعضکم یومئذ من بعض فیدخل أهل الإیمان و الطاعه الجنه، و أهل الکفر و المعصیه النار و لا یری القریب المؤمن فی الجنه قریبه الکافر فی النار.

و فیه أنه و کان لا بأس به فی نفسه لکنه غیر مناسب للمقام إذ لا دلاله فی المقام علی

كفر أرحامهم و أولادهم.

و قيل:المراد بالفصل فصل القضاء و المعنى:أن الله يقضى بينكم يوم القيامه.

و فيه ما فى سابقه من عدم المناسبه للمورد فإن فصل القضاء إنما يناسب الاختلاف كما فى قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّکَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» :السجده:

۲۰، و لا ارتباط فى الآيه بذلک.

و قوله:« وَ اللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »متمم لقوله:« لَنْ تَنْفَعَكُمْ »كالمؤكد له و المعنى:

لن تنفعكم أرحامكم و لا أولادكم يوم القيامه فى رفع تبعه هذه الخيانه و أمثالها و الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه ما هى هذه الخيانه فيؤاخذكم عليها لا محاله.

قوله تعالى:« قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ »إلى آخر الآيتين، و الخطاب للمؤمنين،و الأسوه الاتباع و الاقتداء،و فى قوله:« وَ الَّذِينَ مَعَهُ »بظاهره دلاله على أنه كان معه من آمن به غير زوجته و لوط.

و قوله:« إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »أى إنا بريئون منكم و من أصنامكم بيان لما فيه الأسطوره و الاقتداء.

و قوله:« كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ »بيان لمعنى البراءه بأثرها و هو الكفر بهم و عداوتهم ما داموا مشركين حتى يوحدوا الله سبحانه.

و المراد بالكفر بهم الكفر بشركهم بدليل قوله:« حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ »، و الكفر بشركهم مخالفتهم فيه عملا كما أن العداوه بينونه و مخالفه قلبا.

فقد فسروا براءتهم منهم بأمور ثلاثه:مخالفتهم لشركهم عملا،و العداوه و البغضاء بينهم قلبا،و استمرار ذلک ما داموا على شركهم إلا أن يؤمنوا بالله وحده.

و قوله:« إِلاّ قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَ ما أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ »، استثناء مما تدل عليه الجمل المتقدمه أن إبراهيم و الذين معه تبرءوا من قومهم المشركين قولا مطلقا.و قطعوا أى رابطه تربطهم بالقوم و تصل بينهم إلا ما قال إبراهيم لأبيه:

« لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ »إلخ.

و لم يكن قوله:« لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ »توليا منه بل وعدا وعده إياه رجاء أن يتوب عن الشرک و يؤمن بالله وحده كما يدل عليه قوله تعالى: «وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ

عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَهٰا إِيّٰاهُ فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ» :التوبه:۱۱۴،حيث يفيد أنه (ع)إنما وعده لأنه لم يتبين له بعد أنه عدو لله راسخ فی عداوته ثابت فی شركه فكان يرجو أن يرجع عن شركه و يطمع فی أن يتوب و يؤمن فلما تبين له رسوخ عداوته و يئس من إيمانه تبرأ منه.

على أن قوله تعالی فی قصه محاجته أباه فی سوره مريم: «قٰالَ سَلاٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّی إِنَّهُ كٰانَ بِی حَفِيًّا وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ» :مريم:۴۸،يتضمن وعده أباه بالاستغفار و إخباره بالاعتزال و لو كان وعده الاستغفار توليا منه لأبيه لكان من الحری أن يقول:و اعتزل القوم،لا أن يقول:و أعتزلكم فيدخل أباه فيمن يعتزلهم و ليس الاعتزال إلا التبری.

فالاستثناء استثناء متصل من أنهم لم يكلموا قومهم إلا بالتبری و المحصل من المعنی:

أنهم إنما ألقوا إليهم القول بالتبری إلا قول إبراهيم لأبيه:لأستغفرن لك فلم يكن تبريا و لا توليا بل وعدا وعده أباه رجاء أن يؤمن بالله.

و هاهنا شیء و هو أن مؤدی آيه التوبه« فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ »أن تبريه الجازم إنما كان بعد الوعد و بعد تبين عداوته لله، و قوله تعالی فی الآيه التی نحن فيها:« إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْكُمْ »إخبار عن تبريهم الجازم القاطع فيكون ما وقع فی الاستثناء من قول إبراهيم لأبيه وعدا واقعا قبل تبريه الجازم و من غير جنس المستثنی منه فيكون الاستثناء منقطعا لا متصلا.

و على تقدير كون الاستثناء منقطعا يجوز أن يكون الاستثناء من قوله:« قَدْ كٰانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْرٰاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ »بما أنه مقيد بقوله:« إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْكُمْ »،و المعنی:قد كان لكم اقتداء حسن بتبری إبراهيم و الذين معه من قومهم إلا أن إبراهيم قال لأبيه كذا و كذا وعدا.

و أما على تقدير كون الاستثناء متصلا فالوجه ما تقدم،و أما كون المستثنی منه هو قوله:« قَدْ كٰانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْرٰاهِيمَ »،و المعنی:لكم فی إبراهيم أسوه فی جميع خصاله إلا فی قوله لأبيه:« لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ »فلا أسوه فيه.

ففيه أن قوله:« لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْرٰاهِيمَ »إلخ،غير مسوق لإيجاب التأسی بإبراهيم(ع)فی جميع خصاله حتی يكون الوعد بالاستغفار أو نفس الاستغفار-و ذلك

من خصاله-مستثنى منها بل إنما سيق لإيجاب التأسى به فى تبريه من قومه المشركين، و الوعد بالاستغفار رجاء للتوبه و الإيمان ليس من التبرى و إن كان ليس توليا أيضا.

و قوله:« وَ مٰا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ »تتمه قول إبراهيم(ع)،و هو بيان لحقيقه الأمر من أن سؤاله المغفره و طلبها من الله ليس من نوع الطلب الذى يملك فيه الطالب من المطلوب منه ما يطلبه،و إنما هو سؤال يدعو إليه فقر العبوديه و ذلتها قبال غنى الربوبيه و عزتها فله تعالى أن يقبل بوجهه الكريم فيستجيب و يرحم،و له أن يعرض و يمسك الرحمه فإنه لا يملك أحد منه تعالى شيئا و هو المالك لكل شيء،قال تعالى: «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً» :المائده:١٧.

و بالجمله قوله:« مٰا أَمْلِكُ »إلخ،نوع اعتراف بالعجز استدراكا لما يستشعر من قوله:

« لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ »من شائبه إثبات القدره لنفسه نظير قول شعيب(ع):« وَ مٰا تَوْفِيقِي إِلاّٰ بِاللّٰهِ »استدراكا لما يشعر به قوله لقومه: «إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ» :هود:

٨٨،من إثبات القوه و الاستطاعه لنفسه بالأصاله و الاستقلال.

و قوله:« رَبَّنٰا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنٰا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنٰا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ »إلخ،من تمام القول المنقول عن إبراهيم و الذين معه المندوب إلى التأسى بهم فيه،و هو دعاء منهم لربهم و ابتهال إليه إثر ما تبرءوا من قومهم ذاك التبرى العنيف ليحفظهم من تبعاته و يغفر لهم فلا يخيبهم فى إيمانهم.

و قد افتتحوا دعاءهم بتقدمه يذكرون فيها حالهم فيما هم فيه من التبرى من أعداء الله فقالوا:« رَبَّنٰا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنٰا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنٰا »يعنون به أنا كنا فى موقف من الحياه تتمكن فيه أنفسنا و ندبر فيه أمورنا أما أنفسنا فأنبنا و رجعنا بها إليك و هو الإنابه،و أما أمورنا التى كان علينا تدبيرها فتركناها لك و جعلنا مشيتك مكان مشيتنا فأنت وكيلنا فيها تدبرها بما تشاء و كيف تشاء و هو التوكل.

ثم قالوا:« وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ »يعنون به أن مصير كل شيء من فعل أو فاعل فعل إليك فقد جرينا فى توكلنا عليك و إنابتنا إليك مجرى ما عليه حقيقه الأمر من مصير كل شيء إليك حيث هاجرنا بأنفسنا إليك و تركنا تدبير أمورنا لك.

و قوله:« رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنٰا رَبَّنٰا »متن دعائهم يسألونه تعالى أن يعيذهم من تبعه تبريهم من الكفار و يغفر لهم.

ص :٢٣٢

و الفتنه ما یمتحن به،و المراد بجعلهم فتنه للذین کفروا تسلیط الکفار علیهم لیمتحنهم فیخرجوا ما فی وسعهم من الفساد فیؤذوهم بأنواع الأذی أن آمنوا بالله و رفضوا آلهتهم و تبرءوا منهم و مما یعبدون.

و قد کرروا نداءه تعالی-ربنا-فی دعائهم مره بعد مره لإثاره الرحمه الإلهیه.

و قوله:« إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »أی غالب غیر مغلوب متقن لأفعاله لا یعجز أن یستجیب دعاءهم فیحفظهم من کید أعدائه و یعلم بأی طریق یحفظ.

و للمفسرین فی تفسیر الآیتین أنظار مختلفه أخری أغمضنا عن إیرادها رعایه للاختصار من أرادها فلیراجع المطولات.

قوله تعالی:« لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِیهِمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ »إلخ، تکرار حدیث الأسوه لتأکید الإیجاب و لبیان أن هذه الأسوه لمن کان یرجو الله و الیوم الآخر،و أیضا أنهم کما یتأسی بهم فی تبریهم من الکفار کذلک یتأسی بهم فی دعائهم و ابتهالهم.

و الظاهر أن المراد برجائه تعالی رجاء ثوابه بالإیمان به و برجاء الیوم الآخر رجاء ما وعد الله و أعد للمؤمنین من الثواب،و هو کنایه عن الإیمان.

و قوله:« وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ »استغناء منه تعالی عن امتثالهم لأمره بتبریهم من الکفار و أنهم هم المنتفعون بذلک و الله سبحانه غنی فی ذاته عنهم و عن طاعتهم حمید فیما یأمرهم و ینهاهم إذ لیس فی ذلک إلا صلاح حالهم و سعاده حیاتهم.

قوله تعالی:« عَسَی اللّهُ أَنْ یَجْعَلَ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَ الَّذِینَ عادَیْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّهً وَ اللّهُ قَدِیرٌ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ »ضمیر« مِنْهُمْ »للکفار الذین أمروا بمعاداتهم و هم کفار مکه،و المراد بجعل الموده بین المؤمنین و بینهم جعلها بتوفیقهم للإسلام کما وقع ذلک لما فتح الله لهم مکه،و لیس المراد به نسخ حکم المعاداه و التبری.

و المعنی:مرجو من الله أن یجعل بینکم معشر المؤمنین و بین الذین عادیتم من الکفار و هم کفار مکه موده بتوفیقهم للإسلام فتنقلب المعاداه موده و الله قدیر و الله غفور لذنوب عباده رحیم بهم إذا تابوا و أسلموا فعلی المؤمنین أن یرجوا من الله أن یبدل معاداتهم موده بقدرته و مغفرته و رحمته.

قوله تعالی:« لا یَنْهاکُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ لَمْ یُخْرِجُوکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ أَنْ

تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ

»إلخ،فی هذه الآیه و التی تتلوها توضیح للنهی الوارد فی أول السوره،و المراد بالذین لم یقاتلوا المؤمنین فی الدین و لم یخرجوهم غیر أهل مکه ممن لم یقاتلوهم و لم یخرجوهم من دیارهم من المشرکین من أهل المعاهده،و البر و الإحسان، و الأقساط المعامله بالعدل،و« أَنْ تَبَرُّوهُمْ »بدل من« اَلَّذِینَ »إلخ،و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ »تعلیل لقوله:« لاٰ یَنْهٰاکُمُ اللّٰهُ »إلخ.

و المعنی:لا ینهاکم الله بقوله:« لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ »عن أن تحسنوا و تعاملوا بالعدل الذین لم یقاتلوکم فی الدین و لم یخرجوکم من دیارکم لأن ذلک منکم أقساط و الله یحب المقسطین.

قیل:إن الآیه منسوخه بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» :التوبه:۵، و فیه أن الآیه التی نحن فیها لا تشمل بإطلاقها إلا أهل الذمه و أهل المعاهده و أما أهل الحرب فلا،و آیه التوبه إنما تشمل أهل الحرب من المشرکین دون أهل المعاهده فکیف تنسخ ما لا یزاحمها فی الدلاله.

قوله تعالی:« إِنَّمٰا یَنْهٰاکُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِینَ قٰاتَلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ أَخْرَجُوکُمْ مِنْ دِیٰارِکُمْ وَ ظٰاهَرُوا عَلیٰ إِخْرٰاجِکُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ »إلخ،المراد بالذین قاتلوکم إلخ،مشرکو مکه،و المظاهره علی الإخراج المعاونه و المعاضده علیه،و قوله:« أَنْ تَوَلَّوْهُمْ »بدل من« اَلَّذِینَ قٰاتَلُوکُمْ »إلخ.

و قوله:« وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِکَ هُمُ الظّٰالِمُونَ »قصر إفراد أی المتولون لمشرکی مکه و من ظاهرهم علی المسلمین هم الظالمون المتمردون عن النهی دون مطلق المتولین للکفار أو تأکید للنهی عن تولیهم.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا-لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ » الآیه:نزلت فی حاطب بن أبی بلتعه،و لفظ الآیه عام و معناها خاص-و کان سبب ذلک

أن حاطب بن أبی بلتعه قد أسلم-و هاجر إلی المدینه و کان عیاله بمکه،و کانت قریش تخاف أن یغزوهم رسول الله ص- فصاروا إلی عیال حاطب-و سألوهم أن یکتبوا إلی حاطب و یسألوه عن خبر محمد هل یرید أن یغزو مکه؟.

فکتبوا إلی حاطب یسألونه عن ذلک-فکتب إلیهم حاطب-أن رسول الله ص یرید ذلک،و دفع الکتاب إلی امرأه تسمی صفیه-فوضعته فی قرونها و مرت-فنزل جبرئیل علی رسول الله ص و أخبره بذلک.

فبعث رسول الله ص أمیر المؤمنین-و الزبیر بن العوام فی طلبها فلحقوها-فقال لها أمیر المؤمنین(ع):أین الکتاب؟فقالت:ما معی شیء ففتشاها فلم یجدا معها شیئا- فقال الزبیر:ما نری معها شیئا-فقال أمیر المؤمنین(ع):و الله ما کذبنا رسول الله ص،و لا کذب رسول الله ص علی جبرئیل،و لا کذب جبرئیل علی الله جل ثناؤه- و الله لتظهرن الکتاب-أو لأردن رأسک إلی رسول الله ص-فقالت:تنحیا عنی حتی أخرجه-فأخرجت الکتاب من قرونها-فأخذه أمیر المؤمنین و جاء به إلی رسول الله ص.

و قال رسول الله ص:یا حاطب ما هذا؟فقال حاطب:و الله یا رسول الله ما نافقت و لا غیرت و لا بدلت،و إنی أشهد أن لا إله إلا الله،و أنک رسول الله حقا-و لکن أهلی و عیالی کتبوا إلی بحسن صنیع قریش إلیهم-فأحببت أن أجازی قریشا بحسن معاشرتهم،فأنزل الله علی رسول الله ص:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ -إلی قوله- وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ ».

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و الحمیدی و عبد بن حمید و البخاری و مسلم و أبو داود و الترمذی و النسائی و أبو عوانه و ابن حبان و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه و البیهقی و أبو نعیم معا فی الدلائل عن علی قال: بعثنی رسول الله ص أنا و الزبیر و المقداد-فقال:انطلقوا حتی تأتوا روضه (۱)خاخ-فإن بها ظعینه (۲)معها کتاب فخذوه منها و أتونی به.

فخرجنا حتی أتینا الروضه فإذا نحن بالظعینه-فقلنا:أخرجی الکتاب.قالت:ما معی کتاب-قلنا:لتخرجن الکتاب أو لتلقین الثیاب-فأخرجته من عقاصها.

فأتینا به النبی ص-فإذا فیه من حاطب بن أبی بلتعه-إلی أناس من المشرکین بمکه، یخبرهم ببعض أمر النبی ص-فقال النبی ص:ما هذا یا حاطب؟قال:لا تعجل علی یا رسول الله-إنی کنت امرءا ملصقا من قریش و لم أکن من أنفسها-و کان من معک من

۱- ۱) موضع فی طریق مکه.

۲- ۲) الظعینه:المسافره.

المهاجرين لهم قرابات-يحمون بها أهليهم و أموالهم بمكه-فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم-أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتى-و ما فعلت ذلك كفرا و لا ارتدادا عن دينى- فقال النبى ص صدق.

فقال عمر:دعنى يا رسول الله فأضرب عنقه-فقال:إنه شهد بدرا و ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر-فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم-و نزلت فيه«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا-لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ-تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ».:

أقول:و هذا المعنى مروى فى عده من الروايات عن نفر من الصحابه كأنس و جابر و عمر و ابن عباس و جمع من التابعين كحسن و غيره .

و الروايه من حيث متنها لا تخلو من بحث:

أما أولا:فلأن ظاهرها بل صريحها أن حاطب بن أبى بلتعه كان يستحق بصنعه ما صنع القتل أو جزاء دون ذلك،و إنما صرف عنه ذلك كونه بدريا فالبدرى لا يؤاخذ بما أتى به من معصيه كما يصرح به قوله(ص)لعمر فى هذه الروايه:«أنه شهد بدرا»و فى روايه الحسن:أنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر أنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر أنهم أهل بدر فاجتنب أهل بدر.

و يعارضه ما فى قصه الإفك أن النبى ص بعد ما نزلت براءه عائشه حد مسطح بن أثاثه و كان من الآفكين،و كان مسطح بن أثاثه هذا من السابقين الأولين من المهاجرين و ممن شهد بدرا كما فى صحيحى البخارى و مسلم و حده النبى ص كما نطقت به الروايات الكثيره الوارده فى تفسير آيات الإفك.

و أما ثانيا:فلأن ما يشتمل عليه من خطابه تعالى لأهل بدر«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»الدال على كون كل ما أتوا به من ذنب مغفورا لهم لا يتم بالبداهه إلا بارتفاع عامه التكاليف الدينيه عنهم من واجب أو حرام أو مستحب أو مكروه،و لا معنى لتعلق التكليف المولوى بأمر مع إلغاء تبعه مخالفته و تسويه الفعل و الترك بالنسبه إلى المكلف كما يدل عليه قوله:«اعملوا ما شئتم»على بداهه ظهوره فى الإباحه العامه.

و لازم ذلك:

أولا:شمول المغفره من المعاصى لما يحكم بداهه العقل على عدم شمول العفو له لو لا التوبه كعباده الأصنام و الرد على الله و رسوله و تكذيب النبى و الافتراء على الله و رسوله و الاستهزاء

بالـدين و أحكامه الثابته بالضـروره،فإن الآيات المتعرضه لها الناهيه عنها تأبى شـمول المغفره لها من غير توبه،و مثلها قتل النفس المحترمه ظلما و الفساد فى الأرض و إهلاك الحرث و النسل،و استباحه الدماء و الأعراض و الأموال.

و من المعلوم أن المحذور إمكان تعلق المغفره بأمثال هذه المعاصـى و الذنوب لا فعليه تعلقها بها فلا يدفع بأن الله سبحانه يحفظ هذا المكلف المغفور له من اقتراف أمثال هذه المعاصى و الذنوب و إن كان غفر له لو اقترف.

و ثانيا:أن يخصـص قوله:اعملوا ما شئتم عمومات جميع الأحكام الشرعيه من عبادات و معاملات من حيث المتعلق فلا يعم شيء منها البدريين و لا يتعلق بهم،و لو كان كذلك لكان معروفا عند الصـحابه مسلما لهم أن هؤلاء العصابه محررون من كل تكليف دينى مطلقـون من قيـد وظـائف العبوديه و كـان البـدريون أنفسـهم أحق برعـايه معنى التحرير فيمـا بينهم أنفسـهم على مـا له من الأـهميه،و لا شاهـد يشـهد بـذلك فى المروى من أخبارهم و المحفوظ من آثارهم بل المسـتفاد من سـيرهم و خاصه فى خلال الفتن الواقعه بعد رحله النبى ص خلاف ذلك بما لا يسع لأحد إنكاره.

على أن تحرير قوم ذوى عـدد من الناس و إطلاقهم من قيد التكليف لهم أن يفعلوا ما يشاءون و أن لا يبالوا بمخالفه الله و رسوله و إن عظمت ما عظمت يناقض مصـلحه الـدعوه الـدينيه و فريضه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و بث المعارف الإلهيه التى جـاء بهـا الرسول بالروايه عنه إذ لا يبقى للناس بهم وثوق فيما يقولون و يروون من حكم الله و رسوله أن لا ضـير عليهم و لو أتوا بكل كذب افتراء أو اقترفوا كل منكر و فحشاء و الناس يعلمون منهم ذلك.

و يجرى ذلك فى النبى ص و هو سـيد أهل بـدر و قد أرسـله (۱)الله شاهدا و مبشـرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سـراجا منيرا فكيف تطمئن القلوب إلى دعوه من يجوز تلبسه بكـل كـذب و افتراء و منكر و فحشـاء؟و أنى تسـلم النفوس له الاتصـاف بتلك الصـفات الكريمه التى مدحه الله بها؟بل كيف يجوز فى حكمته تعالى أن يقلد الشـهاده و الدعوه من لا يؤمن فى حال أو مقال،و يعده سراجا منيرا و هو تعالى قد أباح له أن يحيى الباطل كما

۱- ۱) الآيه ۴۵-۴۶ من سوره الأحزاب.

ینیر الحق و أذن له فی أن یضل الناس و قد بعثه لیهدیهم و الآیات المتعرضه لعصمه الأنبیاء و حفظ الوحی تأبی ذلک کله.

علی أن ذلک یفسد استقامه الخطاب فی کثیر من الآیات التی فیها عتاب الصحابه و المؤمنین علی بعض تخلفاتهم کالآیات النازله فی وقعه أحد و الأحزاب و حنین و غیرها المعاتبه لهم علی انهزامهم و فرارهم من الزحف و قد أوعد الله علیه النار.

و من أوضح الآیات فی ذلک آیات الإفک و فی أهل الإفک مسطح بن أثاثه البدری و فیها قوله تعالی:« لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ »و لم یستثن أحدا منهم،و قوله:

« وَ هُوَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِیمٌ »و قوله:« یَعِظُکُمُ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ ».

و من أوضح الآیات فی عدم ملاءمه معناها للروایه نفس هذه الآیات التی تذکر الروایه سبب نزولها:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ تُلْقُونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ » الآیات و فیها مثل قوله تعالی:« وَ مَنْ یَفْعَلْهُ مِنْکُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِیلِ »و قوله:« وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِکَ هُمُ الظّٰالِمُونَ ».

فمن المعلوم أن الآیات إنما وجهت الخطاب و العتاب إلی عامه الذین آمنوا و تنسب إلقاء الموده و إسرار موده الکفار إلی المؤمنین بما أن بعضهم و هو حاطب بن أبی بلتعه اتخذ الکفار أولیاء و خان الإسلام و المسلمین فنسبت الآیات فعل البعض إلی الکل و وجهت العتاب و التهدید إلی الجمیع.

فلو کان حاطب و هو بدری محرر مرفوع عنه القلم مخاطبا بمثل قوله:اعمل ما شئت فقد غفرت لک لا إثم علیه فیما یفعل و لا ضلال فی حقه و لا یتصف بظلم و لا یتعلق به عتاب و لا تهدید فأی وجه لنسبه فعل البعض بما له من الصفات غیر المرضیه إلی الکل و لا صفه غیر مرضیه لفعل هذا البعض علی الفرض.

فیئول الأمر إلی فرض أن یأتی البعض بفعل مأذون له فیه لا عتاب علیه و لا لوم یعتریه و یعاتب الکل و یهددوا علیه و بعباره أخری أن یؤذن لفاعل فی معصیه ثم یعاتب علیها غیره و لا صنع له فیها و یجل کلامه تعالی عن مثل ذلک.

و فیه،أخرج البخاری و ابن المنذر و النحاس و البیهقی فی شعب الإیمان عن أسماء بنت أبی بکر قالت: أتتنی أمی راغبه و هی مشرکه فی عهد قریش-إذ عاهدوا رسول الله ص- فسألت النبی ص أ أصلها؟فأنزل الله« لاٰ یَنْهٰاکُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقٰاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ »

فقال:نعم صلی.

و فیه،أخرج أبو داود فی تاریخه و ابن المنذر عن قتاده":« لاٰ یَنْهٰاکُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقٰاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ »نسختها« فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ».

أقول:قد عرفت الکلام فیه.

و فی الکافی،بإسناده عن سعید الأعرج عن أبی عبد الله(ع)قال: من أوثق عری الإیمان أن تحب فی الله و تبغض فی الله-و تعطی فی الله و تمنع فی الله جل و عز.

و فی تفسیر القمی،بإسناده إلی إسحاق بن عمار عن أبی عبد الله(ع)قال: کل من لم یحب علی الدین-و لم یبغض علی الدین فلا دین له.

[سوره الممتحنه (۶۰): الآیات ۱۰ الی ۱۳]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا جٰاءَکُمُ اَلْمُؤْمِنٰاتُ مُهٰاجِرٰاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِیمٰانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنٰاتٍ فَلاٰ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَی اَلْکُفّٰارِ لاٰ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لاٰ هُمْ یَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ مٰا أَنْفَقُوا وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ أَنْ تَنْکِحُوهُنَّ إِذٰا آتَیْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لاٰ تُمْسِکُوا بِعِصَمِ اَلْکَوٰافِرِ وَ سْئَلُوا مٰا أَنْفَقْتُمْ وَ لْیَسْئَلُوا مٰا أَنْفَقُوا ذٰلِکُمْ حُکْمُ اَللّٰهِ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۰) وَ إِنْ فٰاتَکُمْ شَیْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِکُمْ إِلَی اَلْکُفّٰارِ فَعٰاقَبْتُمْ فَآتُوا اَلَّذِینَ ذَهَبَتْ أَزْوٰاجُهُمْ مِثْلَ مٰا أَنْفَقُوا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ اَلَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۱۱) یٰا أَیُّهَا اَلنَّبِیُّ إِذٰا جٰاءَکَ اَلْمُؤْمِنٰاتُ یُبٰایِعْنَکَ عَلیٰ أَنْ لاٰ یُشْرِکْنَ بِاللّٰهِ شَیْئاً وَ لاٰ یَسْرِقْنَ وَ لاٰ یَزْنِینَ وَ لاٰ یَقْتُلْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ وَ لاٰ یَأْتِینَ بِبُهْتٰانٍ یَفْتَرِینَهُ بَیْنَ أَیْدِیهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لاٰ یَعْصِینَکَ فِی مَعْرُوفٍ فَبٰایِعْهُنَّ وَ اِسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۲) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اَللّٰهُ عَلَیْهِمْ قَدْ یَئِسُوا مِنَ اَلْآخِرَهِ کَمٰا یَئِسَ اَلْکُفّٰارُ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْقُبُورِ (۱۳)

(بيان)

قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ »الآيه، سياق الآيه يعطى أنها نزلت بعد صلح الحديبيه،و كان فى العهد المكتوب بين النبى ص و بين أهل مكه أنه إن لحق من أهل مكه رجل بالمسلمين ردوه إليهم و إن لحق من المسلمين رجل بأهل مكه لم يردوه إليهم ثم إن بعض نساء المشركين أسلمت و هاجرت إلى المدينه فجاء زوجها يستردها فسأل النبى ص أن يردها إليه فأجابه النبى ص أن الذى شرطوه فى العهد رد الرجل دون النساء و لم يردها إليهم و أعطاه ما أنفق عليها من المهر و هو الذى تدل عليه الآيه مع ما يناسب ذلك من أحكامهن.

فقوله:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ »سماهن مؤمنات قبل امتحانهن و العلم بإيمانهن لتظاهرهن بذلك.

و قوله:« فَامْتَحِنُوهُنَّ »أى اختبروا إيمانهن بما يظهر به ذلك من شهاده و حلف يفيد العلم و الوثوق،و فى قوله:« اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ »إشاره إلى أنه يجزى فى ذلك العلم العادى و الوثوق دون اليقين بحقيقه الإيمان الذى هو تعالى أعلم به علما لا يتخلف عنه معلومه.

و قوله:« فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ »ذكرهم بوصف الإيمان للإشاره إلى أنه السبب للحكم و انقطاع علقه الزوجيه بين المؤمنه و الكافر.

و قوله:« لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ »مجموع الجملتين كنايه عن انقطاع علقه الزوجيه،و ليس من توجيه الحرمه إليهن و إليهم فى شىء.

و قوله:« وَ آتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا »أى أعطوا الزوج الكافر ما أنفق عليها من المهر.

ص: ۲۴۰

و قوله:« وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذٰا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ »رفع المانع من نكاح المؤمنات المهاجرات إذا أوتين أجورهن و الأجر المهر.

و قوله:« وَ لاٰ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوٰافِرِ » العصم جمع عصمه و هى النكاح الدائم يعصم المرأه و يحصنها،و إمساك العصمه إبقاء الرجل-بعد ما أسلم-زوجته الكافره على زوجيتها فعليه بعد ما أسلم أن يخلى عن سبيل زوجته الكافره سواء كانت مشركه أو كتابيه.

و قد تقدم فى تفسير قوله: «وَ لاٰ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ» :البقره:۲۲۱، و قوله: «وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» :المائده:۵،أن لا نسخ بين الآيتين و بين الآيه التى نحن فيها.

و قوله:« وَ سْئَلُوا مٰا أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا مٰا أَنْفَقُوا »ضمير الجمع فى« وَ سْئَلُوا »للمؤمنين و فى« لْيَسْئَلُوا »للكفار أى إن لحقت امرأه منكم بالكفار فاسألوهم ما أنفقتم لها من مهر و لهم أن يسألوا مهر من لحقت بكم من نسائهم.

ثم تمم الآيه بالإشاره إلى أن ما تضمنته الآيه حكم الله الذى شرع لهم فقال:« ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ».

قوله تعالى:« وَ إِنْ فٰاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ إِلَى الْكُفّٰارِ فَعٰاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوٰاجُهُمْ مِثْلَ مٰا أَنْفَقُوا »إلخ،قال الراغب: الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه،قال تعالى:« وَ إِنْ فٰاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ إِلَى الْكُفّٰارِ ».انتهى.و فسر المعاقبه و العقاب بمعنى الوصول و الانتهاء إلى عقبى الشيء،و المراد عاقبتم من الكفار أى أصبتم منهم غنيمه و هى عقبى الغزو،و قيل:عاقب بمعنى عقب،و قيل:عاقب مأخوذ من العقبه بمعنى النوبه.

و الأقرب أن يكون المراد بالشيء المهر و« مِنْ »فى« مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ »لابتداء الغايه و« إِلَى الْكُفّٰارِ »متعلق بقوله:« فٰاتَكُمْ »و المراد بالذين ذهبت أزواجهم،بعض المؤمنين و إليهم يعود ضمير« أَنْفَقُوا ».

و المعنى:و إن ذهب و انفلت منكم إلى الكفار مهر من أزواجكم بلحوقهن بهم و عدم ردهم ما أنفقتم من المهر إليكم فأصبتم منهم بالغزو غنيمه فأعطوا المؤمنين الذين ذهبت أزواجهم إليهم مما أصبتم من الغنيمه مثل ما أنفقوا من المهر.

و فسرت الآیه بوجوه أخری بعیده عن الفهم أغمضنا عنها.

و قوله:« وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ »أمر بالتقوی،و توصیفه تعالی بالموصول و الصله لتعلیل الحکم فإن من مقتضی الإیمان بالله تقواه.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذٰا جٰاءَکَ الْمُؤْمِنٰاتُ یُبٰایِعْنَکَ »إلخ،تتضمن الآیه حکم بیعه النساء المؤمنات للنبی ص،و قد شرطت علیهن فی« عَلیٰ أَنْ لاٰ یُشْرِکْنَ »إلخ،أمورا منها ما هو مشترک بین الصنفین:الرجال و النساء کالتحرز من الشرک و من معصیه الرسول فی معروف و منها ما هو أمس بهن من حیث إن تدبیر المنزل بحسب الطبع إلیهن و هن السبیل إلی حفظ عفه البیت و الحصول علی الأنسال و طهاره موالیدهم،و هی التجنب من السرقه و الزنا و قتل الأولاد و إلحاق غیر أولاد أزواجهن بهم،و إن کانت هذه الأمور بوجه من المشترکات.

فقوله:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذٰا جٰاءَکَ الْمُؤْمِنٰاتُ یُبٰایِعْنَکَ »شرط جوابه قوله:« فَبٰایِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّٰهَ ».

و قوله:« عَلیٰ أَنْ لاٰ یُشْرِکْنَ بِاللّٰهِ شَیْئاً »أی من الأصنام و الأوثان و الأرباب،و هذا شرط لا غنی عنه لإنسان فی حال.

و قوله:« وَ لاٰ یَسْرِقْنَ »أی لا من أزواجهن و لا من غیرهم و خاصه من أزواجهن کما یفیده السیاق،و قوله:« وَ لاٰ یَزْنِینَ »أی باتخاذ الأخدان و غیر ذلک و قوله:« وَ لاٰ یَقْتُلْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ »بالوأد و غیره و إسقاط الأجنه.

و قوله:« وَ لاٰ یَأْتِینَ بِبُهْتٰانٍ یَفْتَرِینَهُ بَیْنَ أَیْدِیهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ »و ذلک بأن یحملن من الزنا ثم یضعنه و ینسبنه إلی أزواجهن فإلحاقهن الولد کذلک بأزواجهن و نسبته إلیهم کذبا بهتان یفترینه بین أیدیهن و أرجلهن لأن الولد إذا وضعته أمه سقط بین یدیها و رجلیها، و لا یغنی عن هذا الشرط شرط الاجتناب عن الزنا لأنهما متغایران و کل مستقل بالنهی و التحریم.

و قوله:« وَ لاٰ یَعْصِینَکَ فِی مَعْرُوفٍ »نسب المعصیه إلی النبی ص دون الله مع أنها تنتهی إلیه تعالی لأن المراد أن لا یتخلفن بالمعصیه عن السنه التی یستنها النبی ص و ینفذها فی المجتمع الإسلامی فیکون ما سنه هو المعروف عند المسلمین و فی المجتمع الإسلامی.

و من هنا يظهر أن المعصيه فی المعروف أعم من ترک المعروف کترک الصلاه و الزکاه و فعل المنکر کتبرجهن تبرج الجاهلیه الأولی.

و فی قوله:« إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »بيان لمقتضی المغفره و تقويه للرجاء.

قوله تعالی:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ »إلخ،المراد بهم اليهود المغضوب عليهم و قد تکرر فی کلامه تعالی فيهم «وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ» :البقره:

۶۱،و يشهد بذلک ذيل الآيه فإن الظاهر أن المراد بالقوم غير الکفار.

و قوله:« يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَهِ كَمٰا يَئِسَ الْكُفّٰارُ مِنْ أَصْحٰابِ الْقُبُورِ »المراد بالآخره ثوابها،و المراد بالکفار الکافرون بالله المنکرون للبعث،و قيل:المراد مشرکو مکه و اللام للعهد،و« مِنَ »فی« مِنْ أَصْحٰابِ الْقُبُورِ »لابتداء الغايه.

و الجمله بيان لشقائهم الخالد و هلاکهم المؤبد ليحذر المؤمنون من موالاتهم و موادتهم و الاختلاط بهم و المعنی:قد يئس اليهود من ثواب الآخره کما يئس منکرو البعث من الموتی المدفونين فی القبور.

و قيل:المراد بالکفار الذين يدفنون الموتی و يوارونهم فی الأرض-من الکفر بمعنی الستر-.

و قيل:المراد بهم کفار الموتی و« مِنَ »بيانيه و المعنی:يئسوا من ثواب الآخره کما يئس الکفار المدفونون فی القبور منه لقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَهُ اللّٰهِ» :البقره:۱۶۱.

(بحث روائی)

فی المجمع،عن ابن عباس": صالح رسول الله ص بالحديبيه مشرکی مکه-علی أن من أتاه من أهل مکه رده عليهم،و من أتی أهل مکه من أصحاب رسول الله ص-فهو لهم و لم يردوه عليه-و کتبوا بذلک کتابا و ختموا عليه.

فجاءت سبيعه بنت الحارث الأسلميه مسلمه-بعد الفراغ من الکتاب و النبی ص بالحديبيه-فأقبل زوجها مسافر من بنی مخزوم-و قال مقاتل:هو صيفی بن الراهب- فی طلبها و کان کافرا-فقال:يا محمد اردد علی امرأتی-فإنک قد شرطت لنا أن ترد علينا

من أتاک منا-و هـذه طینه الکتاب لم تجف بعـد فنزلت الآیه« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ -من دار الکفر إلی دار الإسلام فَامْتَحِنُوهُنَّ ».

قال ابن عباس:امتحانهن أن یستحلفن ما خرجت من بغض زوج،و لا رغبه عن أرض إلی أرض،و لا التماس دنیا،و ما خرجت إلا حبا لله و لرسوله-فاستحلفها رسول الله ص ما خرجت بغضا لزوجها،و لا عشقا لرجل منا،و ما خرجت إلا رغبه فی الإسلام فحلفت بـالله الـذی لاـ إله إلاـ هو علی ذلـک-فـأعطی رسول الله ص زوجهـا مهرهـا و مـا أنفق علیهـا-و لم یردهـا علیه فتزوجهـا عمر بن الخطاب.

فکان رسول الله ص یرد من جاءه من الرجال -و یحبس من جاءه من النساء إذا امتحن و یعطی أزواجهن مهورهن.

قـال:قـال الزهری:و لمـا نزلت هـذه الآـیه و فیهـا قوله:« وَ لاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ » طلق عمر بن الخطاب امرأتین کانتا له بمکه مشرکتین:قریبه (۱)بنت أبی أمیه بن المغیره- فتزوجها بعده معاویه بن أبی سـفیان-و هما علی شرکهما بمکه،و الأخری أم کلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعیه-أم عبد الله بن عمر-فتزوجها أبو جهم بن حذاقه بن غانم-رجل من قومها و هما علی شرکهما.

و کـانت عنـد طلحه بـن عبیـد الله-أروی بنـت ربیعـه بن الحـارث بن عبـد المطلب-ففرق بینهمـا الإسـلام حین نهی القرآن-عن التمسک بعصم الکوافر،و کان طلحه قد هاجر و هی بمکه عند قومها کافره-ثم تزوجها فی الإسلام بعد طلحه-خالد بن سعید بن العاص بن أمیه و کانت ممن فرت إلی رسول الله ص-من نساء الکفار فحبسها و زوجها خالدا.

و أمیه بنت بشـر کانت عنـد الثابت بن الدحـداحه-ففرت منه-و هو یومئذ کافر- إلی رسول الله ص-فزوجها رسول الله ص سـهل بن حنیف-فولدت عبد الله بن سهل.

قال:قال الشعبی:و کانت زینب بنت رسول الله ص-امرأه أبی العاص بن الربیع- فأسـلمت و لحقت بالنبی ص فی المـدینه-و أقام أبو العاص مشرکا بمکه-ثم أتی المدینه فأمنته زینب ثم أسلم-فردها علیه رسول الله ص.

قال:و قال الجبائی:لم یدخل فی شرط صلح الحدیبیه-إلا رد الرجال دون النساء-و لم

۱- ۱) قریبه خ.

يجز للنساء ذكر،و إن أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط-جاءت مسلمه مهاجره من مكه- فجاء أخواها إلى المدينه-فسألا رسول الله ص ردها عليهما-فقال رسول الله ص:أن الشرط بيننا فى الرجال-لا فى النساء فلم يردها عليهما.

أقول:و هذه المعانى مرويه فى روايات أخرى من طرق أهل السنه أورد كثيرا منها السيوطى فى الدر المنثور،و روى امتحان المهاجرات كما تقدم ثم عدم ردهن على الكفار و إعطاءهم المهر القمى فى تفسيره.

و فيه،و قال الزهرى": فكان جميع من لحق بالمشركين-من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام-ست نسوه:أم الحكم بنت أبى سفيان-كانت تحت عياض بن شداد الفهرى،و فاطمه بنت أبى أميه بن المغيره أخت أم سلمه-كانت تحت عمر بن الخطاب-فلما أراد عمر أن يهاجر أبت و ارتدت،و بروع بنت عقبه كانت تحت شماس بن عثمان،و عبده بنت عبد العزى بن فضله-و زوجها عمرو بن عبد ود،و هند بنت أبى جهل بن هشام-كانت تحت هشام بن العاص بن وائل،و كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر-فأعطاهم رسول الله ص مهور نسائهم من الغنيمه.

و فى الكافى،بإسناده عن زراره عن أبى جعفر(ع)قال: لا ينبغى نكاح أهل الكتاب- قلت:جعلت فداك و أين تحريمه؟قال:قوله:« وَ لاٰ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوٰافِرِ ».

أقول:و الروايه مبنيه على عموم الإمساك بالعصم للنكاح الدائم إحداثا و إبقاء.

و فيه،بإسناده أيضا إلى زراره عن أبى جعفر(ع): عن قول الله تعالى:« وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »فقال:هذه منسوخه بقوله:« وَ لاٰ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوٰافِرِ ».

أقول:و لعل المراد بنسخ آيه الإمساك بالعصم لآيه حليه محصنات أهل الكتاب اختصاص آيه الممتحنه بالنكاح الدائم و تخصص آيه المائده بالنسبه إلى النكاح الدائم بها، و اختصاص ما تدل عليه من الحليه بالنكاح المنقطع،و ليس المراد به النسخ المصطلح كيف؟و آيه الممتحنه سابقه نزولا على آيه المائده و لا وجه لنسخ السابق للاحق.على أن آيه المائده مسوقه سوق الامتنان،و ما هذا شأنه يأبى النسخ.

و فى المجمع،:فى قوله تعالى:« وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ »:و

روى أبو الجارود عن أبى جعفر(ع): أنه منسوخ بقوله:« وَ لاٰ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ »و بقوله:

« وَ لاٰ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوٰافِرِ ».

أقول:و يضعف الروايه-مضافا إلى ضعف راويها-أن قوله:« وَ لاٰ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰاتِ »إلخ،إنما يشمل المشركات من الوثنيين،و قوله:« وَ الْمُحْصَنٰاتُ »إلخ،يفيد حليه نكاح أهل الكتاب فلا تدافع بين الآيتين حتى تنسخ إحداهما الأخرى،و قد تقدم آنفا الكلام فى نسخ آيه الممتحنه لقوله:« وَ الْمُحْصَنٰاتُ »إلخ،و قد تقدم فى تفسير قوله:

«وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» :المائده:۵،ما ينفع فى هذا المقام.

و فى تفسير القمى،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): « وَ إِنْ فٰاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ »فلحقن بالكفار من أهل عهدكم-فاسألوهم صداقها،و إن لحقن بكم من نسائهم شىء-فأعطوهم صداقها ذلكم حكم الله يحكم بينكم.

أقول:ظاهره تفسير« شَيْءٌ »بالمرأه.

و فى الكافى،بإسناده عن أبان عن أبى عبد الله(ع)قال: لما فتح رسول الله ص مكه بايع الرجال-ثم جاءت النساء يبايعنه فأنزل الله عز و جل:« يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذٰا جٰاءَكَ الْمُؤْمِنٰاتُ يُبٰايِعْنَكَ »إلى آخر الآيه.

قالت هند:أما الولد فقد ربيناهم صغارا و قتلتهم كبارا،و قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام-و كانت عند عكرمه بن أبى جهل:يا رسول الله ما ذاك المعروف الذى أمرنا الله-أن لا نعصيك فيه؟قال:لا تلطمن خدا،و لا تخمشن وجها،و لا تنتفن شعرا، و لا تشققن جيبا،و لا تسودن ثوبا،و لا تدعين بويل،فبايعهن رسول الله ص على هذا.

فقالت:يا رسول الله كيف نبايعك؟قال:إننى لا أصافح النساء-فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها-فقال:أدخلن أيديكن فى هذا الماء.

أقول:و الروايات مستفيضه فى هذه المعانى من طرق الشيعه و أهل السنه.

و فى تفسير القمى،بإسناده عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله:« وَ لاٰ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ »قال:هو ما فرض الله عليهن من الصلاه و الزكاه- و ما أمرهن به من خير.

أقول:و الروايه تشهد بأن ما ورد فى الروايات من تفسير المعروف بمثل قوله:لا تلطمن خدا إلخ،و فى بعضها أن لا تتبرجن تبرج الجاهليه الأولى من قبيل الإشاره إلى بعض المصاديق.

(۶۱) (سوره الصف مدنیه و هی أربع عشره آیه)(۱۴)

[سوره الصف (۶۱): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ (۲) کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ
اَللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ (۳) إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلَّذِینَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا کَأَنَّهُمْ بُنْیٰانٌ مَرْصُوصٌ (۴) وَ إِذْ قٰالَ مُوسیٰ لِقَوْمِهِ یٰا قَوْمِ
لِمَ تُؤْذُونَنِی وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اَللّٰهِ إِلَیْکُمْ فَلَمّٰا زٰاغُوا أَزٰاغَ اَللّٰهُ قُلُوبَهُمْ وَ اَللّٰهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْفٰاسِقِینَ (۵) وَ إِذْ قٰالَ عِیسَی اِبْنُ
مَرْیَمَ یٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اَللّٰهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ اَلتَّوْرٰاهِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اِسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ
بِالْبَیِّنٰاتِ قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِینٌ (۶) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ اَلْکَذِبَ وَ هُوَ یُدْعیٰ إِلَی اَلْإِسْلاٰمِ وَ اَللّٰهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِینَ
(۷) یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکٰافِرُونَ (۸) هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ
عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ (۹)

(بیان)

السوره ترغب المؤمنین و تحرضـهم علی أن یجاهـدوا فی سبیـل الله و یقـاتلوا أعـداء دینه، و تنبئهم أن هـذا الـدین نور سـاطع لله سبحـانه یریـد الکفـار من أهـل الکتـاب أن یطفئـوه بـأفواههم و الله متمه و لـو کره الکـافرون،و مظهره علی الـدین کله و لو کره المشرکون.

و أن هذا النبی الذی آمنوا به رسول من الله أرسله بالهدی و دین الحق،و بشر به عیسی بن مریم(ع)بنی إسرائیل.

فعلی المؤمنین أن یشدوا العزم علی طاعته و امتثال ما یأمرهم به من الجهاد و نصـره الله فی دینه حتی یسـعدهم الله فی آخرتهم و ینصرهم و یفتح لهم فی دنیاهم و یؤیدهم علی أعدائهم.

و علیهم أن لا یقولوا ما لا یفعلون و لا ینکصوا فیما یعـدون فإن ذلک یسـتوجب مقتا من الله تعالی و إیذاء الرسول و فیه خطر أن یزیغ الله قلوبهم کما فعل بقوم موسی(ع)لما آذوه و هم یعلمون أنه رسول الله إلیهم و الله لا یهدی القوم الظالمین.

و السوره مدنیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعـالی:« سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »تقـدم تفسـیره،و افتتاح الکلام بالتسبیـح لما فیها من توبیخ المؤمنین بقولهم ما لا یفعلون و إنذارهم بمقت الله و إزاغته قلوب الفاسقین.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ »« لِمَ »مخفف لما،و«ما» استفهامیه،و اللام للتعلیل،و الکلام مسوق للتوبیخ ففیه توبیخ المؤمنین علی قولهم ما لا یفعلون و لا یصغی إلی قول بعض المفسرین:أن المراد بالذین آمنوا هم المنافقون و التوبیخ لهم دون المؤمنین لجلاله قدرهم.

و ذلـک لوفور الآیـات المتضـمنه لتوبیخهم و معاتبتهم و خاصه فی الآیات النازله فی الغزوات و ما یلحق بها کأحـد و الأحزاب و حنین و صلح الحدیبیه و تبوک و الإنفاق فی سبیل الله و غیر ذلک،و الصالحون من هؤلاء المؤمنین إنما صلحوا نفسا و جلوا قدرا بالتربیه الإلهیه التی تتضمنها أمثال هذه التوبیخات و العتابات المتوجهه إلیهم تدریجا و لم یتصفوا بذلک من عند أنفسهم.

و مورد التوبیخ و إن کان بحسب ظاهر لفظ الآیه مطلق تخلف الفعل عن القول و خلف

الوعد و نقض العهد و هو كذلك لكونه من آثار مخالفه الظاهر للباطن و هو النفاق لكن سياق الآيات و فيها قوله:« إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا »و ما سيأتى من قوله:

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ »إلخ،و غير ذلك يفيد أن متعلق التوبيخ كان هو تخلف بعضهم عما وعده من الثبات فى القتال و عدم الانهزام و الفرار أو تثاقلهم أو تخلفهم عن الخروج أو عدم الإنفاق فى تجهز أنفسهم أو تجهيز غيرهم.

قوله تعالى:« كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ » المقت البغض الشديد، و الآيه فى مقام التعليل لمضمون الآيه السابقه فهو تعالى يبغض من الإنسان أن يقول ما لا يفعله لأنه من النفاق،و أن يقول الإنسان ما لا يفعله غير أن لا يفعل ما يقوله فالأول من النفاق و الثانى من ضعف الإراده و وهن العزم و هو رذيله منافيه لسعاده النفس الإنسانيه فإن الله بنى سعاده النفس الإنسانيه على فعل الخير و اكتساب الحسنه من طريق الاختيار و مفتاحه العزم و الإراده،و لا تأثير إلا للراسخ من العزم و الإراده،و تخلف الفعل عن القول معلول وهن العزم و ضعف الإراده و لا يرجى للإنسان مع ذلك خير و لا سعاده.

قوله تعالى:« إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ » الصف جعل الأشياء على خط مستو كالناس و الأشجار.كذا قاله الراغب،و هو مصدر بمعنى اسم الفاعل و لذا لم يجمع،و هو حال من ضمير الفاعل فى« يُقاتِلُونَ »،و المعنى:يقاتلون فى سبيله حال كونهم صافين.

و البنيان هو البناء،و المرصوص من الرصاص،و المراد به ما أحكم من البناء بالرصاص فيقاوم ما يصادمه من أسباب الانهدام.

و الآيه تعلل خصوص المورد-و هو أن يعدوا الثبات فى القتال ثم ينهزموا-بالالتزام كما أن الآيه السابقه تعلل التوبيخ على مطلق أن يقولوا ما لا يفعلون،و ذلك أن الله سبحانه إذا أحب الذين يقاتلون فيلزمون مكانهم و لا يزولون كان لازمه أن يبغض الذين يعدون أن يثبتوا ثم ينهزمون إذا حضروا معركه القتال.

قوله تعالى:« وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ »إلخ،فى الآيه إشاره إلى إيذاء بنى إسرائيل رسولهم موسى(ع)و لجاجهم حتى آل إلى إزاغه الله قلوبهم.و فى ذلك نهى التزامى للمؤمنين عن أن يؤذوا رسول الله ص فيئول أمرهم إلى ما آل إليه أمر قوم موسى من إزاغه القلوب و قد قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ

يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِیناً» :الأحزاب:۵۷.

و الآیه بما فیها من النهی الالتزامی فی معنی قوله: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسی فَبَرَّأَهُ اللّهُ مِمّا قالُوا وَ کانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِیهاً یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِیداً» :الأحزاب:۷۰.

و سیاق الآیتین و ذکر تبرئه موسی(ع)یدل علی أن المراد بإیذائه بما برأه الله منه لیس معصیتهم لأوامره و خروجهم عن طاعته إذ لا معنی حینئذ لتبرئته بل هو أنهم وقعوا فیه(ع) و قالوا فیه ما فیه عار و شین فتأذی فبرأه الله مما قالوا و نسبوا إلیه،و قوله فی الآیه التالیه:« اِتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِیداً »یؤید هذا الذی ذکرناه.

و یؤید ذلک إشارته تعالی إلی بعض مصادیق إیذاء النبی ص بقول أو فعل فی قوله:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلاّ أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ إِلی طَعامٍ غَیْرَ ناظِرِینَ إِناهُ وَ لکِنْ إِذا دُعِیتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِینَ لِحَدِیثٍ إِنَّ ذلِکُمْ کانَ یُؤْذِی النَّبِیَّ X-إلی أن قال-X وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ X-إلی أن قال-X وَ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَنْ تَنْکِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِکُمْ کانَ عِنْدَ اللّهِ عَظِیماً» :الأحزاب:۵۳.

فتحصل أن فی قوله:« وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ »إلخ،تلویحا إلی النهی عن إیذاء النبی ص بقول أو فعل علی علم بذلک کما أن فی ذیل الآیه تخویفا و إنذارا أنه فسق ربما أدی إلی إزاغته تعالی قلب من تلبس به.

و قوله:« فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ » الزیغ المیل عن الاستقامه و لازمه الانحراف عن الحق إلی الباطل.

و إزاغته تعالی إمساک رحمته و قطع هدایته عنهم کما یفیده التعلیل بقوله:« وَ اللّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ »حیث علل الإزاغه بعدم الهدایه،و هی إزاغه علی سبیل المجازاه و تثبیت للزیغ الذی تلبسوا به أولا بسبب فسقهم المستدعی للمجازاه کما قال تعالی: «یُضِلُّ بِهِ کَثِیراً وَ یَهْدِی بِهِ کَثِیراً وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِینَ» :البقره:۲۶،و لیس بإزاغه بدئیه و إضلال ابتدائی لا یلیق بساحه قدسه تعالی.

و من هنا یظهر فساد ما قیل:إنه لا یجوز أن یکون المراد بقوله:« أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ » الإزاغه عن الإیمان لأن الله تعالی لا یجوز أن یزیغ أحدا عن الإیمان،و أیضا کون المراد

به الإزاغه عن الإيمان يخرج الكلام عن الفائده لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد صاروا كفارا فلا معنى لقوله:أزاغهم الله عن الإيمان.

وجه الفساد أن قوله:لا يجوز له تعالى أن يزيغ أحدا عن الإيمان ممنوع بإطلاقه فإن الملاك فيه لزوم الظلم و إنما يلزم فيما كان من الإزاغه و الإضلال ابتدائيا و أما ما كان على سبيل المجازاه و حقيقته إمساك الرحمه و قطع الهدايه لتسبيب العبد لذلك بفسقه و إعراضه عن الرحمه و الهدايه فلا دليل على منعه لا عقلا و لا نقلا.

و أما قوله:إن الكلام يخرج بذلك عن الفائده فيدفعه أن الذى ينسب من الزيغ إلى العبد و يحصل معه الكفر تحقق ما له بالفسق و الذى ينسب إليه تعالى تثبيت الزيغ فى قلب العبد و الطبع عليه به فزيغ العبد عن الإيمان بسبب فسقه و حصول الكفر بذلك لا يغنى عن تثبيت الله الزيغ و الكفر فى قلبه على سبيل المجازاه.

قوله تعالى:« وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاهِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ »تقدم فى صدر الكلام أن هذه الآيه و التى قبلها و الآيات الثلاث بعدها مسوقه لتسجيل أن النبى ص رسول معلوم الرساله عند المؤمنين أرسله الله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون من أهل الكتاب،و ما جاء به من الدين نور ساطع من عند الله يريد المشركون ليطفئوه بأفواههم و الله متم نوره و لو كره المشركون.

فعلى المؤمنين أن لا يؤذوه(ص)و هم يعلمون أنه رسول الله إليهم،و أن ينصروه و يجاهدوا فى سبيل ربهم لإحياء دينه و نشر كلمته.

و من ذلك يعلم أن قوله:« وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ »إلخ،كالتوطئه لما سيذكر من كون النبى ص رسولا مبشرا به من قبل أرسله الله بالهدى و دين الحق و دينه نوره تعالى يهتدى به الناس.

و الذى حكاه تعالى عن عيسى بن مريم(ع)أعنى قوله:« يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاهِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ » ملخص دعوته و قد آذن بأصل دعوته بقوله:« إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ »فأشار إلى أنه لا شأن له إلا أنه حامل رساله من الله إليهم،ثم بين متن ما أرسل إليهم لأجل تبليغه فى رسالته بقوله:« مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاهِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ »إلخ.

فقوله:« مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرٰاهِ »بیان أن دعوته لا تغایر دین التوراه و لا تناقض شریعتها بل تصدقها و لم تنسخ من أحکامها إلا یسیرا و النسخ بیان انتهاء أمد الحکم و لیس بإبطال، و لذا جمع(ع)بین تصدیق التوراه و نسخ بعض أحکامها فیما حکاه الله تعالی من قوله: «وَ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرٰاهِ وَ لِأُحِلَّ لَکُمْ بَعْضَ الَّذِی حُرِّمَ عَلَیْکُمْ» :آل عمران:۵۰،و لم یبین لهم إلا بعض ما یختلفون فیه کما فی قوله المحکی: «قَدْ جِئْتُکُمْ بِالْحِکْمَهِ وَ لِأُبَیِّنَ لَکُمْ بَعْضَ الَّذِی تَخْتَلِفُونَ فِیهِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ» :الزخرف:۶۳.

و قوله:« وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ »إشاره إلی الشطر الثانی من رسالته(ع)و قد أشار إلی الشطر الأول بقوله:« مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرٰاهِ ».

و من المعلوم أن البشری هی الخبر الذی یسر المبشر و یفرحه و لا یکون إلا بشیء من الخیر یوافیه و یعود إلیه،و الخیر المترقب من بعثه النبی و دعوته هو انفتاح باب من الرحمه الإلهیه علی الناس فیه سعاده دنیاهم و عقباهم من عقیده حقه أو عمل صالح أو کلیهما، و البشری بالنبی بعد النبی و بالدعوه الجدیده بعد حلول دعوه سابقه و استقرارها و الدعوه الإلهیه واحده لا تبطل بمرور الدهور و تقضی الأزمنه و اختلاف الأیام و اللیالی-إنما تتصور إذا کانت الدعوه الجدیده أرقی فیما تشتمل علیه من العقائد الحقه و الشرائع المعدله لأعمال المجتمع و أشمل لسعاده الإنسان فی دنیاه و عقباه.

و بهذا البیان یظهر أن معنی قوله(ع):« وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی »إلخ، یفید کون ما أتی به النبی أحمد(ص)أرقی و أکمل مما تضمنته التوراه و بعث به عیسی (ع)و هو(ع)متوسط رابط بین الدعوتین.

و یعود معنی کلامه:« إِنِّی رَسُولُ اللّٰهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً »إلخ،إلی أنی رسول من الله إلیکم أدعو إلی شریعه التوراه و منهاجها-و لأحل لکم بعض الذی حرم علیکم-و هی شریعه سیکملها الله ببعث نبی یأتی من بعدی اسمه أحمد.

و هو کذلک فإمعان التأمل فی المعارف الإلهیه التی یدعو إلیها الإسلام یعطی أنها أدق مما فی غیره من الشرائع السماویه السابقه و خاصه ما یندب إلیه من التوحید الذی هو أصل الأصول الذی یبتنی علیه کل حکم و یعود إلیه کل من المعارف الحقیقیه و قد تقدم شطر من الکلام فیه فی المباحث السابقه من الکتاب.

و کذا الشرائع و القوانین العملیه التی لم تدع شیئا مما دق و جل من أعمال الإنسان

الفرديه و الاجتماعيه إلا عدلته و حدت حدوده و قررته على أساس التوحيد و وجهته إلى غرض السعاده.

و إلى ذلك الإشاره بقوله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» :الأعراف:١٥٧، و آيات أخرى يصف القرآن.

و الآيه أعنى قوله:« وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي »و إن كانت مصرحه بالبشاره لكنها لا تدل على كونها مذكوره فى كتابه(ع)غير أن آيه الأعراف المنقوله آنفا:

« يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ »و كذا قوله فى صفه النبى ص: «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» XالآيهX:الفتح:٢٩،يدلان على ذلك.

و قوله:« اِسْمُهُ أَحْمَدُ »دلاله السياق على تعبير عيسى(ع)عنه(ص)بأحمد و على كونه اسما له يعرف به عند الناس كما كان يسمى بمحمد ظاهره لا ستره عليها.

و يدل عليه قول حسان:

صلى الإله و من يحف بعرشه

و الطيبون على المبارك أحمد

و من أشعار أبى طالب قوله:

و قالوا لأحمد أنت امرؤ

خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم

بحق و لم يأتهم بالكذب

و قوله مخاطبا للعباس و حمزه و جعفر و على يوصيهم بنصر النبى ص:

كونوا فدى لكم أمى و ما ولدت

فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

و من شعره فيه(ص)و قد سماه باسمه الآخر محمد:

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمدا

نبيا كموسى خط فى أول الكتب

و يستفاد من البيت أنهم عثروا على وجود البشاره به(ص)فى الكتب السماويه التى كانت عند أهل الكتاب يومئذ ذاك.

و يؤيـده أيضا إيمان جماعه من أهل الكتاب من اليهود و النصارى و فيهم قوم من علمائهم كعبد الله بن سـلام و غيره و قد كانوا يسمعون هذه الآيات القرآنيه التى تذكر البشاره

ص :۲۵۳

به(ص)و ذکره فی التوراه و الإنجیل فتلقوه بالقبول و لم یکذبوه و لا أظهروا فیه شیئا من الشک و الترديد.

و أما خلو الأناجیل الدائره الیوم عن بشاره عیسی بما فیها من الصراحه فالقرآن- و هو آیه معجزه باقیه-فی غنی عن تصدیقها،و قد تقدم البحث عن سندها و اعتبارها فی الجزء الثالث من الکتاب.

و قوله:« فَلَمّا جاءَهُمْ بِالْبَیِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِینٌ »ضمیر«جاء»لأحمد(ص)، و ضمیر« جاءَهُمْ »لبنی إسرائیل أو لهم و لغیرهم،و المراد بالبینات البشاره و معجزه القرآن و سائر آیات النبوه.

و المعنی:فلما جاء أحمد المبشر به بنی إسرائیل أو أتاهم و غیرهم بالآیات البینه التی منها بشاره عیسی(ع)قالوا هذا سحر مبین،و قرئ هذا ساحر مبین.

و قیل:ضمیر«جاء»لعیسی(ع)،و السیاق لا یلائمه.

قوله تعالی:« وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللّهِ الْکَذِبَ وَ هُوَ یُدْعی إِلَی الْإِسْلامِ »إلخ، الاستفهام للإنکار و هو رد لقولهم:« هذا سِحْرٌ مُبِینٌ »فإن معناه أن النبی ص لیس برسول و أن ما بلغه من دین الله لیس منه تعالی.

و المراد بالإسلام الدین الذی یدعو إلیه رسول الله بما أنه تسلیم لله فیما یریده و یأمر به من اعتقاد و عمل،و لا ریب أن مقتضی ربوبیته و ألوهیته تعالی تسلیم عباده له تسلیما مطلقا فلا ریب أن الدین الذی هو الإسلام لله دینه الحق الذی یجب أن یدان به فدعوی أنه باطل لیس من الله افتراء علی الله.

و من هنا یظهر أن قوله:« وَ هُوَ یُدْعی إِلَی الْإِسْلامِ »یتضمن الحجه علی کون قولهم:

« هذا سِحْرٌ مُبِینٌ »افتراء علی الله.

و الافتراء ظلم لا یرتاب العقل فی کونه ظلما و ینهی عنه الشرع و یعظم الظلم بعظمه من وقع علیه فإذا کان هو الله سبحانه کان أعظم الظلم فلا أظلم ممن افتری علی الله الکذب.

و المعنی:و لا أظلم ممن افتری علی الله الکذب-بنفی نسبه دین الله إلیه-و الحال أنه یدعی إلی دین الإسلام الذی لا یتضمن إلا التسلیم لله فیما أراد و لا ریب أنه من الله، و الله لا یهدی القوم الظالمین.

ص:۲۵۴

قوله تعالى:« يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ »إلخ، إطفاء النور إبطاله و إذهاب شروقه،و إطفاء النور بالأفواه إنما هو بالنفخ بها.

و قد وقعت الآيه فى سوره التوبه و فيها:« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ »قال الراغب:قال تعالى:« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ »« يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ »و الفرق بين الموضعين أن فى قوله:« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا »يقصدون إطفاء نور الله،و فى قوله:

« لِيُطْفِؤُا »يقصدون أمرا يتوصلون به إلى إطفاء نور الله.انتهى و محصله أن متعلق الإراده فى قوله:« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ »نفس الإطفاء،و فى قوله:« يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ »السبب الموصل إلى الإطفاء و هو النفخ بالأفواه و الإطفاء غرض و غايه.

و الآيه و ما يتلوها كالشارح لمعنى ما تقدم فى الآيه السابقه من ظلمهم برمى الدعوه بالسحر و عدم هدايته تعالى لهم بما أنهم ظالمون،و المحصل أنهم يريدون إطفاء نور الله بنفخه أفواههم لكن الله لا يهديهم إلى مقصدهم بل يتم نوره و يظهر دينه على الدين كله.

فقوله:« يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ »أى بالنفخ بالأفواه كما يطفأ الشمعه بالنفخه كنايه عن أنهم زعموا أن نور الله و هو دينه نور ضعيف كنور الشمعه يطفأ بأدنى نفخه فرموه بالسحر و انقطاع نسبته إلى الله.

و قد أخطئوا فى مزعمتهم فهو نور الله الذى لا يطفأ و قد شاء أن يتمه و لو كره الكافرون و الله بالغ أمره،و هو قوله:« وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ».

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »الإضافه فى« دِينِ الْحَقِّ »بيانيه كما قيل،و الظاهر أنها فى الأصل إضافه لاميه بعنايه لطيفه هى أن لكل من الحق و الباطل دينا يقتضيه و يختص به،و قد ارتضى الله تعالى الدين الذى للحق-و هو الحق تعالى-فأرسل رسوله.

و إظهار شىء على غيره نصرته و تغليبه عليه،و المراد بالدين كله كل سبيل مسلوك غير سبيل الله الذى هو الإسلام و الآيه فى مقام تعليل قوله فى الآيه السابقه:« وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ »، و المعنى:و الله متم نوره لأنه هو الذى أرسل رسوله بنوره الذى هو الهدى و دين الحق ليجعله غالبا على جميع الأديان و لو كره المشركون من أهل الأوثان.

و يستفاد من الآيتين أن دين الحق نور الله فى الأرض كما يستفاد ذلك من قوله: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاهٍ فِيها مِصْباحٌ» Xالآيه X:النور:٣۵،و قد تقدم فى تفسير الآيه.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا-کَأَنَّهُمْ بُنْیانٌ مَرْصُوصٌ »قال:یصطفون کالبنیان الذی لا یزول.

و فی المجمع،":فی قوله تعالی:« وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ-یا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِی وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ »

روی فی قصه قارون أنه دس إلیه امرأه-و زعم أنه زنی بها، و رموه بقتل هارون.

و فی تفسیر القمی،": فی قوله تعالی:« وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ-یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ »الآیه- قال:و سأل بعض الیهود لعنهم الله رسول الله ص:لم سمیت أحمد و محمدا و بشیرا و نذیرا؟فقال:أما محمد فإنی فی الأرض محمود،و أما أحمد فإنی فی السماء أحمد منی فی الأرض،و أما البشیر فأبشر من أطاع الله بالجنه،و أما النذیر فأنذر من عصی الله بالنار.

و فی الدر المنثور،فی الآیه أخرج ابن مردویه عن العریاض بن ساریه سمعت رسول الله ص یقول: إنی عبد الله فی أم الکتاب و خاتم النبیین-و إن آدم لمنجدل فی طینته-و سوف أنبئکم تأویل ذلک،أنا دعوه إبراهیم،و بشاره عیسی قومه-و رؤیا أمی التی رأت أنه خرج منها نور-أضاء له قصور الشام.

و فی العیون،بإسناده إلی صفوان بن یحیی صاحب السابری قال: سألنی أبو قره صاحب الجاثلیق أن أوصله إلی الرضا(ع) -فاستأذنته فی ذلک،قال:أدخله علی-فلما دخل علیه قبل بساطه و قال:هکذا علینا فی دیننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا.

ثم قال:أصلحک الله ما تقول فی فرقه ادعت دعوی-فشهدت لهم فرقه أخری معدلون؟قال:الدعوی لهم،قال:فادعت فرقه أخری دعوی-فلم یجدوا شهودا من غیرهم؟قال:لا شیء لهم.

قال:فإنا نحن ادعینا أن عیسی روح الله و کلمته-فوافقنا علی ذلک المسلمون،و ادعی المسلمون أن محمدا نبی فلم نتابعهم علیه،و ما أجمعنا علیه خیر مما افترقنا فیه.

فقال أبو الحسن(ع)ما اسمک؟قال:یوحنا،قال:یا یوحنا إنا آمنا بعیسی روح الله و کلمته-الذی کان یؤمن بمحمد و یبشر به-و یقر علی نفسه أنه عبد مربوب-فإن کان عیسی الذی هو عندک روح الله و کلمته-لیس هو الذی آمن بمحمد و بشر به-و لا هو

الذی أقر لله بالعبودیه-فنحن منه براء فأین اجتمعنا؟فقام و قال لصفوان بن یحیی:قم فما کان أغنانا عن هذا المجلس.

أقول:کأنه یرید بقوله:قم فما کان أغنانا عن هذا المجلس،أن دخوله(ع)لم یفده فائده حیث لم ینجح ما أتی به من الحجه.

و فی کمال الدین،بإسناده إلی یعقوب بن شعیب عن أبی عبد الله(ع)قال: کان بین عیسی و محمد ص-خمس مائه عام منها-مائتان و خمسون عاما لیس فیها نبی و لا عالم ظاهر،قلت: فما کانوا؟قال:کانوا متمسکین بدین عیسی(ع)،قلت:فما کانوا؟قال:کانوا مؤمنین.ثم قال:و لا یکون إلا و فیها عالم.

أقول:المراد بالعالم الإمام الذی هو الحجه،و هناک روایات وارده فی قوله تعالی:

« یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ »،و قوله:« هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ الْحَقِّ »تذکر أن النور و الهدی و دین الحق ولایه أمیر المؤمنین(ع)و هی من الجری و التطبیق أو من البطن و لیست بمفسره،و عد الفصل بین المسیح و بین محمد ص خمس مائه عام یخالف ما علیه مشهور التاریخ لکن المحققین ذکروا أن فی التاریخ المیلاد اختلالا و قد مرت إشاره ما إلی ذلک فی الجزء الثالث من الکتاب.

[سوره الصف (۶۱): الآیات ۱۰ الی ۱۴]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلیٰ تِجٰارَهٍ تُنْجِیکُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِیمٍ (۱۰) تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۱) یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ یُدْخِلْکُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ وَ مَسٰاکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّٰاتِ عَدْنٍ ذٰلِکَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۱۲) وَ أُخْریٰ تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِیبٌ وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۳) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا أَنْصٰارَ اَللّٰهِ کَمٰا قٰالَ عِیسَی اِبْنُ مَرْیَمَ لِلْحَوٰارِیِّینَ مَنْ أَنْصٰارِی إِلَی اَللّٰهِ قٰالَ اَلْحَوٰارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصٰارُ اَللّٰهِ فَآمَنَتْ طٰائِفَهٌ مِنْ بَنِی إِسْرٰائِیلَ وَ کَفَرَتْ طٰائِفَهٌ فَأَیَّدْنَا اَلَّذِینَ آمَنُوا عَلیٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظٰاهِرِینَ (۱۴)

(بيان)

دعوه للمؤمنين إلى الإيمان بالله و رسوله و الجهاد فى سبيل الله و وعد جميل بالمغفره و الجنه فى الآخره و بالنصر و الفتح فى الدنيا،و دعوه لهم إلى أن يثبتوا على نصرهم لله و وعد جميل بالتأييد.

و المعنيان هما الغرض الأقصى فى السوره و الآيات السابقه كالتوطئه و التمهيد بالنسبه إليهما.

قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ » الاستفهام للعرض و هو فى معنى الأمر.

و التجاره -على ما ذكره الراغب-التصرف فى رأس المال طلبا للربح،و لا يوجد فى كلام العرب تاء بعده جيم إلا هذه اللفظه.

فقد أخذ الإيمان و الجهاد فى الآيه تجاره رأس مالها النفس و ربحها النجاه من عذاب أليم،و الآيه فى معنى قوله: «إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ X-إلى أن قال-X فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بٰايَعْتُمْ بِهِ» :التوبه:١١١.

و قد فخم تعالى أمر هذه التجاره حيث قال:« عَلىٰ تِجٰارَةٍ »أى تجاره جليله القدر عظيمه الشأن،و جعل الربح الحاصل منها النجاه من عذاب أليم لا يقدر قدره.

و مصداق هذه النجاه الموعوده المغفره و الجنه،و لذا بدل ثانيا النجاه من العذاب من قوله:« يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ »إلخ،و أما النصر و الفتح الموعودان فهما خارجان عن النجاه الموعوده،و لذا فصلهما عن المغفره و الجنه فقال:« وَ أُخْرىٰ تُحِبُّونَهٰا

نَصْرٌ مِنَ اللّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ

»فلا تغفل.

قوله تعالى:« تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِی سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ » إلخ،استئناف بيانی يفسر التجاره المعروضه عليهم كأنه قيل:ما هذه التجاره؟فقيل:

« تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ »إلخ،و قد أخذ الإيمان بالرسول مع الإيمان بالله للدلاله على وجوب طاعته فيما أمر به و إلا فالإيمان لا يعد إيمانا بالله إلا مع الإيمان برساله الرسول قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهِ وَ رُسُلِهِ X-إلى أن قال-X أُولٰئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا» :النساء:۱۵۱.

و قوله:« ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »أی ما ذكر من الإيمان و الجهاد خير لكم إن كنتم من أهل العلم و أما الجهله فلا يعتد بأعمالهم.

و قيل:المراد تعلمون خيريه ذلك إن كنتم من أهل العلم و الفقه.

قوله تعالى:« يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ »إلخ، جواب للشرط المقدر المفهوم من الآيه السابقه أی إن تؤمنوا بالله و رسوله و تجاهدوا فی سبيله يغفر لكم،إلخ.

و قد أطلقت الذنوب المتعلقه بها المغفره فالمغفور جميع الذنوب و الاعتبار يساعده إذ هذه المغفره مقدمه الدخول فی جنه الخلد و لا معنى لدخولها مع بقاء بعض الذنوب على حاله،و لعله للإشاره إلى هذه النكته عقبها بقوله:« وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ » أی جنات ثبات و استقرار فكونها محل ثبات و موضع قرار يلوح أن المغفره تتعلق بجميع الذنوب.

مضافا إلى ما فيه من مقابله النفس المبذوله و هی متاع قليل معجل بجنات عدن التی هی خالده فتطيب بذلك نفس المؤمن و تقوى إرادته لبذل النفس و تضحيتها و اختيار البقاء على الفناء.

ثم زاد فی تأكيد ذلك بقوله:« ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

قوله تعالى:« وَ أُخْرىٰ تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ »إلخ،عطف على قوله:

« يَغْفِرْ لَكُمْ »إلخ،و« أُخْرىٰ »وصف قائم مقام الموصوف و هو خبر لمبتدء محذوف، و قوله:« نَصْرٌ مِنَ اللّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ »بيان لأخرى،و التقدير و لكم نعمه أو خصله أخرى تحبونها و هی نصر من الله و فتح قريب عاجل.

ص :۲۵۹

و قوله:« وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ »معطوف على الأمر المفهوم من سابق الكلام كأنه قيل:

«قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم»إلخ،و بشر المؤمنين.

و تحاذى هذه البشرى ما فى قوله: «إِنَّ اللّهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ X-إلى أن قال-X فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ» :التوبه:١١١،و به يظهر أن الذى أمر أن يبشروا به مجموع ما يؤتيهم الله من الأجر فى الآخره و الدنيا لا خصوص النصر و الفتح.

هذا كله ما يعطيه السياق فى معنى الآيه و إعراب أجزائها،و قد ذكر فيها أمور أخرى لا يساعد عليها السياق تلك المساعده أغمضنا عن ذكرها،و احتمل أن يكون قوله:« وَ بَشِّرِ »إلخ استئنافا.

قوله تعالى:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ »إلخ،أى اتسموا بهذه السمه و دوموا و اثبتوا عليها فالآيه فى معنى الترقى بالنسبه إلى قوله السابق:« هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجارَهٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ »و مآل المعنى:اتجروا بأنفسكم و أموالكم فانصروا الله بالإيمان و الجهاد فى سبيله و دوموا و اثبتوا على نصره.

و المراد بنصرتهم لله أن ينصروا نبيه فى سلوك السبيل الذى يسلكه إلى الله على بصيره كما قال: «قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللّهِ عَلىٰ بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِى» :يوسف:١٠٨.

و الدليل على هذا المعنى تنظيره تعالى قوله:« كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ »بقوله بعده:« كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ »فكون الحواريين أنصار الله معناه كونهم أنصارا لعيسى بن مريم(ع)فى سلوكه سبيل الله و توجهه إلى الله و هو التوحيد و إخلاص العباده لله سبحانه فمحاذاه قولهم:« نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ »لقوله:« مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللّهِ »و مطابقته له تقتضى اتحاد معنى الكلمتين بحسب المراد فكون هؤلاء المخاطبين بقوله:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ » أنصارا لله معناه كونهم أنصارا للنبى ص فى نشر الدعوه و إعلاء كلمه الحق بالجهاد، و هو الإيمان بالنبى ص و طاعته فيما يأمر و ينهى عن قول جازم و عمل صادق-كما هو مؤدى سياق آيات السوره.

و قوله:« فَآمَنَتْ طائِفَهٌ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَهٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ »إشاره إلى ما جرى عليه و انتهى إليه أمر استنصار عيسى

و تلبیه الحواریین حیث تفرق الناس إلی طائفه مؤمنه و أخری کافره فأید الله المؤمنین علی عدوهم و هم الکفار فأصبحوا ظاهرین بعد ما کانوا مستخفین مضطهدین.

و فیه تلویح إلی أن أمه النبی ص یجری فیهم ما جری فی أمه عیسی(ع)تؤمن منهم طائفه و تکفر طائفه فإن أجاب المؤمنون استنصاره-و قد قام هو تعالی مقامه فی الاستنصار إعظاما لأمره و إعزازا له-أیدهم الله علی عدوهم فیصبحون ظاهرین کما ظهر أنصار عیسی و المؤمنون به.

و قد أشار تعالی إلی هذه القصه فی آخر قصص عیسی(ع)من سوره آل عمران حیث قال: «فَلَمّا أَحَسَّ عِیسی مِنْهُمُ الْکُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللّهِ قالَ الْحَوارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ» :آل عمران:۵۲،إلی تمام ست آیات،و بالتدبر فیها یتضح معنی الآیه المبحوث عنها.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا-هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی تِجارَهٍ تُنْجِیکُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِیمٍ »فقالوا:لو نعلم ما هی لنبذلن فیه- الأموال و الأنفس و الأولاد، فقال الله:« تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ-وَ تُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ بِأَمْوالِکُمْ -إلی قوله- ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ .

أقول:و هذا المعنی مروی من طرق أهل السنه أیضا.

و فیه،":فی قوله تعالی:« وَ أُخْری تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللّهِ وَ فَتْحٌ قَرِیبٌ »یعنی فی الدنیا بفتح القائم(ع)،و أیضا قال:فتح مکه.

فی الاحتجاج،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث: و لم یخل أرضه من عالم بما یحتاج الخلیقه إلیه-و متعلم علی سبیل نجاه- أولئک هم الأقلون عددا،و قد بین الله ذلک من أمم الأنبیاء،و جعلهم مثلا لمن تأخر مثل قوله فی حواریی عیسی-حیث قال لسائر بنی إسرائیل:

« مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللّهِ-قالَ الْحَوارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ آمَنّا بِاللّهِ-وَ اشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ »یعنی مسلمون لأهل الفضل فضلهم-و لا یستکبرون عن أمر ربهم-فما أجابه منهم إلا الحواریون.

أقول:الروایه و إن وردت فی تفسیر آیه آل عمران لکنها مفیده فیما نحن فیه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن إسحاق و ابن سعد عن عبد الله بن أبی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم قال:قال رسول الله ص للنفر الذین لاقوه بالعقبه:أخرجوا إلی اثنی عشر رجلا منکم-یکونوا کفلاء علی قومهم-کما کفلت الحواریون لعیسی بن مریم.

(۶۲)(سوره الجمعه مدنیه و هی إحدی عشره آیه)(۱۱)

[سوره الجمعه (۶۲): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

یُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ اَلْمَلِکِ اَلْقُدُّوسِ اَلْعَزِیزِ اَلْحَکِیمِ (۱) هُوَ اَلَّذِی بَعَثَ فِی اَلْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ إِنْ کٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۲) وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمّٰا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۳) ذٰلِکَ فَضْلُ اَللّٰهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِیمِ (۴) مَثَلُ اَلَّذِینَ حُمِّلُوا اَلتَّوْرٰاهَ ثُمَّ لَمْ یَحْمِلُوهٰا کَمَثَلِ اَلْحِمٰارِ یَحْمِلُ أَسْفٰاراً بِئْسَ مَثَلُ اَلْقَوْمِ اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِینَ (۵) قُلْ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ هٰادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّکُمْ أَوْلِیٰاءُ لِلّٰهِ مِنْ دُونِ اَلنّٰاسِ فَتَمَنَّوُا اَلْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۶) وَ لاٰ یَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ بِالظّٰالِمِینَ (۷) قُلْ إِنَّ اَلْمَوْتَ اَلَّذِی تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاٰقِیکُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلیٰ عٰالِمِ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸)

ص: ۲۶۲

(بيان)

غرض السوره هو الحث البالغ على الاهتمام بأمر صلاه الجمعه و القيام بواجب أمرها فهى من شعائر الله المعظمه التى فى تعظيمها و الاهتمام بأمرها صلاح أخراهم و دنياهم،و قد سلك تعالى إلى بيان أمره بافتتاح الكلام بتسبيحه و الثناء عليه بما من على قوم أميين برسول منهم أمى يتلو عليهم آياته و يزكيهم بصالحات الأعمال و الزاكيات من الأخلاق و يعلمهم الكتاب و الحكمه فيحملهم كتاب الله و معارف دينه أحسن التحميل هم و من يلحق بهم أو يخلفهم من بعدهم من المؤمنين فليحملوا ذلك أحسن الحمل،و ليحذروا أن يكونوا كاليهود حملوا التوراه ثم لم يحملوا معارفها و أحكامها فكانوا مثل الحمار يحمل أسفارا.

ثم تخلص إلى الأمر بترك البيع و السعى إلى ذكر الله إذا نودى للصلاه من يوم الجمعه، و قرعهم على ترك النبى ص قائما يخطب و الانفضاض و الانسلال إلى التجاره و اللهو، و ذلك آيه عدم تحملهم ما حملوا من معارف كتاب الله و أحكام،و السوره مدنيه.

قوله تعالى:« يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » التسبيح تنزيه الشىء و نسبته إلى الطهاره و النزاهه من العيوب و النقائص،و التعبير بالمضارع للدلاله على الاستمرار،و الملك هو الاختصاص بالحكم فى نظام المجتمع،و القدوس مبالغه فى القدس و هو النزاهه و الطهاره،و العزيز هو الذى لا يغلبه غالب،و الحكيم هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف.

و فى الآيه توطئه و تمهيد برهانى لما يتضمنه قوله:« هُوَ الَّذِي بَعَثَ »إلخ،من بعثه الرسول لتكميل الناس و إسعادهم و هدايتهم بعد إذ كانوا فى ضلال مبين.

و ذلك أنه تعالى يسبحه و ينزهه الموجودات السماويه و الأرضيه بما عندهم من النقص الذى هو متممه و الحاجه التى هو قاضيها فما من نقيصه أو حاجه إلا و هو المرجو فى تمامها و قضائها فهو المسبح المنزه عن كل نقص و حاجه فله أن يحكم فى نظام التكوين بين خلقه بما شاء،و فى نظام التشريع فى عباده بما أراد،كيف لا؟و هو ملك له أن يحكم فى أهل مملكته و عليهم أن يطيعوه.

و إذا حكم و شرع بينهم دينا لم يكن ذلك منه لحاجه إلى تعبيدهم و نقص فيه يتممه بعبادتهم لأنه قدوس منزه عن كل نقص و حاجه.

ثم إذا حكم و شرع و بلغه إياهم عن غنى منه و دعاهم إليه بوساطه رسله فلم يستجيبوا دعوته و تمردوا عن طاعته لم يكن ذلك تعجيزا منهم له تعالى لأنه العزيز لا يغلبه فيما يريده غالب.

ثم إن الذى حكم و شرعه من الدين بما أنه الملك القدوس العزيز ليس يذهب لغى لا أثر له لأنه حكيم على الإطلاق لا يفعل ما يفعل إلا لمصلحه و لا يريد منهم ما يريد إلا لنفع يعود إليهم و خير ينالونه فيستقيم به حالهم فى دنياهم و أخراهم.

و بالجمله فتشريعه الدين و إنزاله الكتاب ببعث رسول يبلغهم ذلك بتلاوه آياته،و يزكيهم و يعلمهم من منه تعالى و فضل كما قال:« هُوَ الَّذِی بَعَثَ »إلخ.

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ »إلخ، الأميون جمع أمى و هو الذى لا يقرأ و لا يكتب،و المراد بهم-كما قيل-العرب لقله من كان منهم يقرأ و يكتب و قد كان الرسول ص منهم أى من جنسهم و هو غير كونه مرسلا إليهم فقد كان منهم و كان مرسلا إلى الناس كافه.

و احتمل أن يكون المراد بالأميين غير أهل الكتاب كما قال اليهود-على ما حكى الله عنهم-: «لَیْسَ عَلَیْنٰا فِی الْأُمِّیِّینَ سَبِیلٌ» :آل عمران:۷۵.

و فيه أنه لا يناسب قوله فى ذيل الآيه:« یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِهِ »إلخ،فإنه(ص)لم يخص غير العرب و غير أهل الكتاب بشىء من الدعوه لم يلقه إليهم.

و احتمل أن يكون المراد بالأميين أهل مكه لكونهم يسمونها أم القرى.

و فيه أنه لا يناسب كون السوره مدنيه لإيهامه كون ضمير« یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ »راجعا إلى المهاجرين و من أسلم من أهل مكه بعد الفتح و أخلافهم و هو بعيد من مذاق القرآن.

و لا منافاه بين كونه(ص)من الأميين مبعوثا فيهم و بين كونه مبعوثا إليهم و إلى غيرهم و هو ظاهر،و تلاوته عليهم آياته و تزكيته و تعليمه لهم الكتاب و الحكمه لنزوله بلغتهم و هو أول مراحل دعوته و لذا لما استقرت الدعوه بعض الاستقرار أخذ(ص) يدعو اليهود و النصارى و المجوس و كاتب العظماء و الملوك.

و كذا دعوه إبراهيم و إسماعيل(ع)على ما حكى الله تعالى: «رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَیْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنٰا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ -Xإلى أن قالX- رَبَّنٰا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتٰابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ» :البقره:۱۲۹، تشمل جميع آل

إسماعيل من عرب مضر أعم من أهل مكه و غيرهم،و لا ينافى كونه(ص)مبعوثا إليهم و إلى غيرهم.

و قوله:« يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ »أى آيات كتابه مع كونه أميا.صفه للرسول.

و قوله:« وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ » التزكيه تفعيل من الزكاه بمعنى النمو الصالح الذى يلازم الخير و البركه فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضله و الأعمال الصالحه فيكملون بذلك فى إنسانيتهم فيستقيم حالهم فى دنياهم و آخرتهم يعيشون سعداء و يموتون سعداء.

و تعليم الكتاب بيان ألفاظ آياته و تفسير ما أشكل من ذلك،و يقابله تعليم الحكمه و هى المعارف الحقيقيه التى يتضمنها القرآن،و التعبير عن القرآن تاره بالآيات و تاره بالكتاب للدلاله على أنه بكل من هذه العناوين نعمه يمتن بها-كما قيل-.

و قد قدم التزكيه هاهنا على تعليم الكتاب و الحكمه بخلاف ما فى دعوه إبراهيم(ع) لأن هذه الآيه تصف تربيته(ص)لمؤمنى أمته،و التزكيه مقدمه فى مقام التربيه على تعليم العلوم الحقه و المعارف الحقيقيه و أما ما فى دعوه إبراهيم(ع)فإنها دعاء و سؤال أن يتحقق فى ذريته هذه الزكاه و العلم بالكتاب و الحكمه،و العلوم و المعارف أقدم مرتبه و أرفع درجه فى مرحله التحقق و الاتصاف من الزكاه الراجعه إلى الأعمال و الأخلاق.

و قوله:« وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ »« إِنْ »مخففه من الثقيله و المراد أنهم كانوا من قبل بعثه الرسول ص فى ضلال مبين،و الآيه تحميد بعد تسبيح و مسوقه للامتنان كما سيأتى.

قوله تعالى:« وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »عطف على الأميين و ضمير« مِنْهُمْ »راجع إليهم و«من»للتبعيض و المعنى:بعث فى الأميين و فى آخرين منهم لم يلحقوا بهم بعد و هو العزيز الذى لا يغلب فى إرادته الحكيم الذى لا يلغو و لا يجازف فى فعله.

قوله تعالى:« ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »الإشاره بذلك إلى بعث الرسول ص-و قد فخم أمره بالإشاره البعيده-فهو(ص)المخصوص بالفضل،و المعنى:ذلك البعث و كونه يتلو آيات الله و يزكى الناس و يعلمهم الكتاب و الحكمه من فضل الله و عطائه يعطيه من تعلقت به مشيته و قد شاء أن يعطيه محمد ص و الله ذو

الفضل العظیم کذا قال المفسرون.

و من الممکن أن تکون الإشاره بذلک إلی البعث بما له من النسبه إلی أطرافه من المرسل و المرسل إلیهم،و المعنی:ذلک البعث من فضل الله یؤتیه من یشاء و قد شاء أن یخص بهذا الفضل محمدا ص فاختاره رسولا،و أمته فاختارهم لذلک فجعله منهم و أرسله إلیهم.

و الآیه و الآیتان قبلها أعنی قوله:« هُوَ الَّذِی بَعَثَ -إلی قوله- اَلْعَظِیمِ »مسوقه سوق الامتنان.

قوله تعالی:« مَثَلُ الَّذِینَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاهَ ثُمَّ لَمْ یَحْمِلُوهٰا کَمَثَلِ الْحِمٰارِ یَحْمِلُ أَسْفٰاراً » إلخ،قال الراغب: السفر -بالفتح فالسکون- کشف الغطاء و یختص ذلک بالأعیان نحو سفر العمامه عن الرأس و الخمار عن الوجه-إلی أن قال-و السفر-بالکسر فالسکون- الکتاب الذی یسفر عن الحقائق قال تعالی: « کَمَثَلِ الْحِمٰارِ یَحْمِلُ أَسْفٰاراً »انتهی.

و المراد بتحمیل التوراه تعلیمها، و المراد بحملها العمل بها علی ما یؤیده السیاق و یشهد به ما فی ذیل الآیه من قوله:« بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِ اللّٰهِ »،و المراد بالذین حملوا التوراه ثم لم یحملوها الیهود الذین أنزل الله التوراه علی رسولهم موسی(ع)فعلمهم ما فیها من المعارف و الشرائع فترکوها و لم یعملوا بها فحملوها و لم یحملوها فضرب الله لهم مثل الحمار یحمل أسفارا و هو لا یعرف ما فیها من المعارف و الحقائق فلا یبقی له من حملها إلا التعب بتحمل ثقلها.

و وجه اتصال الآیه بما قبلها أنه تعالی لما افتتح الکلام بما من به علی المسلمین من بعث نبی أمی من بین الأمیین یتلو علیهم آیات کتابه و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمه فیخرجهم من ظلمات الضلال إلی نور الهدی و من حضیض الجهل إلی أوج العلم و الحکمه و سیشیر تعالی فی آخر السوره إشاره عتاب و توبیخ إلی ما صنعوه من الانفضاض و الانسلال إلی اللهو و التجاره و النبی ص قائم یخطبهم یوم الجمعه و هو من الاستهانه بما هو من أعظم المناسک الدینیه و یکشف أنهم لم یقدروها حق قدرها و لا نزلوها منزلتها.

فاعترض الله سبحانه بهذا المثل و ذکرهم بحال الیهود حیث حملوا التوراه ثم لم یحملوها فکانوا کالحمار یحمل أسفارا و لا ینتفع بما فیها من المعرفه و الحکمه،فعلیهم أن یهتموا بأمر الدین و یراقبوا الله فی حرکاتهم و سکناتهم و یعظموا رسوله ص و یوقروه و لا یستهینوا

بما جاء به،و ليحذروا أن يحل بهم من سخطه تعالى ما حل باليهود حيث لم يعملوا بما علموا فعدهم الله جهله ظالمين و شبههم بالحمار يحمل أسفارا.

و فى روح المعانى،:وجه ارتباط الآيه بما قبلها تضمنها الإشاره إلى أن ذلك الرسول المبعوث قد بعثه الله تعالى بما نعته به فى التوراه و على السنه أنبياء بنى إسرائيل كأنه قيل:

هو الذى بعث المبشر به فى التوراه المنعوت فيها بالنبى الأمى المبعوث إلى أمه أميين، مثل من جاءه نعته فيها و علمه ثم لم يؤمن به مثل الحمار.انتهى.

و أنت خبير بأنه تحكم لا دليل عليه من جهه السياق.

قوله تعالى:« قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »احتجاج على اليهود يظهر به كذبهم فى دعواهم أنهم أولياء الله و أحباؤه،و قد حكى الله تعالى ما يدل على ذلك عنهم بقوله: «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» :المائده:١٨،و قوله: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ» :البقره:٩۴،و قوله: «وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً» :البقره:١١١.

و محصل المعنى:قل لليهود مخاطبا لهم يا أيها الذين تهودوا إن كنتم اعتقدتم أنكم أولياء لله من دون الناس إن كنتم صادقين فى دعواكم فتمنوا الموت لأن الولى يحب لقاء وليه و من أيقن أنه ولى لله وجبت له الجنه و لا حاجب بينه و بينها إلا الموت أحب الموت و تمنى أن يحل به فيدخل دار الكرامه و يتخلص من هذه الحياه الدنيه التى ما فيها إلا الهم و الغم و المحنه و المصيبه.

قيل:و فى قوله:« أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ »من غير إضافه إشاره إلى أنه دعوى منهم من غير حقيقه.

قوله تعالى:« وَ لاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »أخبر تعالى نبيه ص أنهم لا يتمنونه أبدا بعد ما أمره أن يعرض عليهم تمنى الموت.

و قد علل عدم تمنيهم الموت بما قدمت أيديهم و هو كنايه عن الظلم و الفسوق،فمعنى الآيه:و لا يتمنون الموت أبدا بسبب ما قدمته أيديهم من الظلم فكانوا ظالمين و الله عليم بالظالمين يعلم أنهم لا يحبون لقاءه لأنهم أعداؤه لا ولايه بينه و بينهم و لا محبه.

و الآيتان فى معنى قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ

بِالظّٰالِمِينَ» :البقره:۹۵.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »الفاء فى قوله:« فَإِنَّهُ مُلاٰقِيكُمْ »فى معنى جواب الشرط، و فيه وعيد لهم بأن الموت الذى يكرهونه كراهه أن يؤاخذوا بوبال أعمالهم فإنه سيلاقيهم لا محاله ثم يردون إلى ربهم الذى خرجوا من زى عبوديته بمظالمهم و عادوه بأعمالهم و هو عالم بحقيقه أعمالهم ظاهرها و باطنها فإنه عالم الغيب و الشهاده فينبؤهم بحقيقه أعمالهم و تبعاتها السيئه و هى أنواع العذاب.

ففى الآيه إيذانهم أولا:أن فرارهم من الموت خطأ منهم فإنه سيدركهم و يلاقيهم، و ثانيا:أن كراهتهم لقاء الله خطأ آخر فإنهم مردودون إليه محاسبون على أعمالهم السيئه، و ثالثا:أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ظاهرها و باطنها و لا يحيق به مكرهم فإنه عالم الغيب و الشهاده.

ففى الآيه إشاره أولا:إلى أن الموت حق مقضى كما قال: «كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ» :الأنبياء:۳۵،و قال: «نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» :الواقعه:۶۰.

و ثانيا:أن الرجوع إلى الله لحساب الأعمال حق لا ريب فيه.

و ثالثا:أنهم سيوقفون على حقيقه أعمالهم فيوفونها.

و رابعا:أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم و للإشاره إلى ذلك بدل اسم الجلاله من قوله:« عٰالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَهِ ».

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ »:

عن أبيه عن ابن أبى عمير عن معاويه بن عمار عن أبى عبد الله(ع): فى الآيه قال: كانوا يكتبون-و لكن لم يكن معهم كتاب من عند الله-و لا بعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين.

و فيه،":فى قوله تعالى:« وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّٰا يَلْحَقُوا بِهِمْ »قال:دخلوا الإسلام بعدهم.

و فى المجمع،و روى: أن النبى ص قرأ هذه الآيه-فقيل له:من هؤلاء؟فوضع يده على كتف سلمان و قال:لو كان الإيمان بالثريا لنالته رجال من هؤلاء.

أقول:و رواه فى الدر المنثور،عن عده من جوامع الحديث منها صحيح البخارى

و مسلم و الترمذی و النسائی عن أبی هریره عن النبی ص،و فیه: فوضع یده علی رأس سلمان الفارسی و قال:و الذی نفسی بیده لو کان العلم بالثریا-لناله رجال من هؤلاء.

و روی أیضا عن سعید بن منصور و ابن مردویه عن قیس بن سعد بن عباده:أن رسول الله ص قال: لو أن الإیمان بالثریا-لناله رجال من أهل فارس.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« مَثَلُ الَّذِینَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ-ثُمَّ لَمْ یَحْمِلُوها کَمَثَلِ الْحِمارِ » قال:الحمار یحمل الکتب و لا یعلم ما فیها-و لا یعمل به-کذلک بنو إسرائیل قد حملوا مثل الحمار-لا یعلمون ما فیه و لا یعملون.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی شیبه و الطبرانی عن ابن عباس قال:قال رسول الله ص: من تکلم یوم الجمعه و الإمام یخطب-فهو کالحمار یحمل أسفارا -و الذی یقول له:أنصت لیس له جمعه.

أقول:و فیه تأیید لما قدمناه فی وجه اتصال الآیه بما قبلها.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« قُلْ یا أَیُّهَا الَّذِینَ هادُوا »الآیه،قال:إن فی التوراه مکتوب:أولیاء الله یتمنون الموت.

و فی الکافی،بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبی عبد الله(ع)قال*: جاء رجل إلی أبی ذر فقال:یا أبا ذر ما لنا نکره الموت؟فقال:لأنکم عمرتم الدنیا و خربتم الآخره- فتکرهون أن تنقلوا من عمران إلی خراب

کلام فی معنی تعلیم الحکمه

لا محیص للإنسان فی حیاته المحدوده التی یعمرها فی هذه النشأه من سنه یستن بها فیما یرید و یکره،و یجری علیها فی حرکاته و سکناته و بالجمله جمیع مساعیه فی الحیاه.

و تتبع هذه السنه فی نوعها ما عند الإنسان من الرأی فی حقیقه الکون العام و حقیقه نفسه و ما بینهما من الربط،و یدل علی ذلک ما نجد من اختلاف السنن و الطرائق فی الأمم باختلاف آرائهم فی حقیقه نشأه الوجود و الإنسان الذی هو جزء منها.

فمن لا یری لما وراء الماده وجودا،و یقصر الوجود فی المادی،و ینهی الوجود إلی الاتفاق،و یری الإنسان مرکبا مادیا محدود الحیاه بین التولد و الموت لا یری لنفسه من

السعاده إلا سعاده الماده و لا غايه له فى أعماله إلا المزايا الماديه من مال و ولد و جاه و غير ذلک، و لا بغيه له إلا التمتع بأمتعه الدنيا و الظفر بلذائذها الماديه أو ما يرجع إليها و تنتهى جميعا إلى الموت الذى هو عنده انحلال للتركيب و بطلان.

و من يرى كينونه العالم عن سبب فوقه منزه عن الماده،و أن وراء الدار دارا و بعد الدنيا آخره نجده يخالف فى سنته و طريقته الطائفه المتقدم ذكرها فيتوخى فى أعماله وراء سعاده الدنيا سعاده الأخرى و يختلف صور أعمالهم و غاياتهم و آراؤهم مع الطائفه الأولى.

و يختلف سنن هؤلاء باختلافهم أنفسهم فيما بينهم كاختلاف سنن الوثنيين من البرهميين و البوذيين و غيرهم و المليين من المجوسيه و الكليميه و المسيحيه و المسلمين فلكل وجهه هو موليها.

و بالجمله الملى يراعى فى مساعيه جانب ما يراه لنفسه من الحياه الخالده المؤبده و يذعن من الآراء بما يناسب ذلک كادعائه أنه يجب على الإنسان أن يمهد لعالم البقاء و أن يتوجه إلى ربه،و أن لا يفرط فى الاشتغال بعرض الحياه الدنيا الفانيه و غير الملى الخاضع للماده يلوى إلى خلاف ذلک،هذا كله مما لا ريب فيه.

غير أن الإنسان لما كان بحسب طبعه المادى رهينا للماده مترددا بين الأسباب الظاهريه فاعلا بها منفعلا عنها لا يزال يدفعه سبب إلى سبب لا فراغ له من ذلک،يرى-بحسب ما يخيل إليه-أن الأصاله لحياته الدنيويه المنقطعه،و أنها و ما تنتهى إليه من المقاصد و المزايا هى الغايه الأخيره و الغرض الأقصى من وجوده الذى يجب عليه أن يسعى لتحصيل سعادته.

فالحياه الدنيا هى الحياه و ما عند أهلها من القنيه و النعمه و المنيه و القوه و العزه هى هى بحقيقه معنى الكلمه،و ما يعدونه فقرا و نقمه و حرمانا و ضعفا و ذله و رزيه و مصيبه و خسرانا هى هى و بالجمله كل ما تهواه النفس من خير معجل أو نفع مقطوع فهو عندهم خير مطلق و نفع مطلق،و كل ما لا تهواه فهو شر أو ضر.

فمن كان منهم من غير أهل المله جرى على هذه الآراء و لا خبر عنده عما وراء ذلک، و من كان منهم من أهل المله جرى عليها عملا-و هو معترف بخلافها قولا فلا يزال فى تدافع بين قوله و فعله قال تعالى: «كُلَّمٰا أَضٰاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذٰا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قٰامُوا» :البقره:۲۰.

و الذى تندب إليه الدعوه الإسلاميه من الاعتقاد و العمل هو ما يطابق مقتضى الفطره

الإنسانيه التى فطر عليها الإنسان و تثبت عليه خلقته كما قال: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» :الروم:۳۰.

و من المعلوم أن الفطره لا تهتدى علما و لا تميل عملا إلا إلى ما فيه كمالها الواقعى و سعادتها الحقيقيه فما تهتدى إليه من الاعتقادات الأصليه فى المبدأ و المعاد و ما يتفرع عليها من الآراء و العقائد الفرعيه علوم و آراء حقه لا تتعدى سعاده الإنسان و كذا ما تميل إليه من الأعمال.

و لذا سمى الله تعالى هذا الدين المبنى على الفطره بدين الحق فى مواضع من كلامه كقوله: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ» :الصف:۹.و قال فى القرآن المتضمن لدعوته: «يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ» :الأحقاف:۳۰.

و ليس الحق إلا الرأى و الاعتقاد الذى يطابقه الواقع و يلازمه الرشد من غير غى، و هذا هو الحكمه-الرأى الذى أحكم فى صدقه فلا يتخلله كذب،و فى نفعه فلا يعقبه ضرر-و قد أشار تعالى إلى اشتمال الدعوه على الحكمه بقوله: «وَ أَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ» :النساء:۱۱۳،و وصف كلامه المنزل بها فقال: «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» :يس:۲، و عد رسوله ص معلما للحكمه فى مواضع من كلامه كقوله: «وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ» :الجمعه:۲.

فالتعليم القرآنى الذى تصداه الرسول ص المبين لما نزل من عند الله من تعليم الحكمه و شأنه بيان ما هو الحق فى أصول الاعتقادات الباطله الخرافيه التى دبت فى أفهام الناس من تصور عالم الوجود و حقيقه الإنسان الذى هو جزء منه-كما تقدمت الإشاره إليه-و ما هو الحق فى الاعتقادات الفرعيه المترتبه على تلك الأصول مما كان مبدأ للأعمال الإنسانيه و عناوين لغاياتها و مقاصدها.

فالناس-مثلا-يرون أن الأصاله لحياتهم الماديه حتى قال قائلهم: «ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا» :الجاثيه:۲۴،و القرآن ينبههم بقوله: «وَ ما هٰذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» :العنكبوت:۶۴،و يرون أن العلل و الأسباب هى المولده للحوادث الحاكمه فيها من حياه و موت و صحه و مرض و غنى و فقر و نعمه و نقمه و رزق و حرمان «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» :سبأ:۳۳،و القرآن يذكرهم بقوله:

«أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» :الأعراف:۵۴،و قوله: «إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ» :يوسف:۶۷،

و غیر ذلک من آیات الحکمه، و یرون أن لهم الاستقلال فی المشیه یفعلون ما یشاءون و القرآن یخطئهم بقوله: «وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّ أَنْ یَشٰاءَ اللّٰهُ» :الإنسان:۳۰،و یرون أن لهم أن یطیعوا و یعصوا و یهدوا و یهتدوا و القرآن ینبئهم بقوله: «إِنَّکَ لاٰ تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ» :القصص:۵۶.

و یرون أن لهم قوه و القرآن ینکر ذلک بقوله: «أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّٰهِ جَمِیعاً» :البقره:۱۶۵.

و یرون أن لهم عزه بمال و بنین و أنصار و القرآن یحکم بخلافه بقوله: «أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّٰهِ جَمِیعاً» :النساء:۱۳۹.و قوله: «وَ لِلّٰهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ» :المنافقون:۸.

و یرون أن القتل فی سبیل الله موت و انعدام و القرآن یعده حیاه إذ یقول: «وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ یُقْتَلُ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتٌ بَلْ أَحْیٰاءٌ وَ لٰکِنْ لاٰ تَشْعُرُونَ» :البقره:۱۵۴،إلی غیر ذلک من التعالیم القرآنیه التی أمر النبی ص أن یدعو بها الناس قال: «ادْعُ إِلیٰ سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ» :النحل:۱۲۵.

و هی علوم و آراء جمه صورت الحیاه الدنیا خلافها فی نفوس الناس و زینه فنبه تعالی لها فی کتابه و أمر بتعلیمها رسوله و ندب المؤمنین أن یتواصوا بها کما قال: «إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَفِی خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ» :العصر:۳،و قال: «یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشٰاءُ وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً وَ مٰا یَذَّکَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ» :البقره:۲۶۹.

فالقرآن بالحقیقه یقلب الإنسان فی قالب من حیث العلم و العمل حدیث و یصوغه صوغا جدیدا فیحیی حیاه لا یتعقبها موت أبدا،و إلیه الإشاره بقوله تعالی: «اسْتَجِیبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاکُمْ لِمٰا یُحْیِیکُمْ» :الأنفال:۲۴،و قوله: «أَ وَ مَنْ کٰانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النّٰاسِ کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُمٰاتِ لَیْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا» :الأنعام:۱۲۲.

و قد بینا وجه الحکمه فی کل من آیاتها عند التعرض لتفسیرها علی قدر مجال البحث فی الکتاب.

و مما تقدم یتبین فساد قول من قال:إن تفسیر القرآن تلاوته،و إن التعمق فی مدالیل آیات القرآن من التأویل الممنوع فما أبعده من قول.

[سوره الجمعه (۶۲): الآيات ۹ الى ۱۱]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاٰهِ مِنْ يَوْمِ اَلْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اَللّٰهِ وَ ذَرُوا اَلْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۹) فَإِذَا قُضِيَتِ اَلصَّلاٰهُ فَانْتَشِرُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ اِبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ وَ اُذْكُرُوا اَللّٰهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰) وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَهً أَوْ لَهْواً اِنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اَللّٰهِ خَيْرٌ مِنَ اَللَّهْوِ وَ مِنَ اَلتِّجَارَهِ وَ اَللّٰهُ خَيْرُ اَلرَّازِقِينَ (۱۱)

بيان

تأكيد إيجاب صلاه الجمعه و تحريم البيع عند حضورها و فيها عتاب لمن انفض إلى اللهو و التجاره عند ذلك و استهجان لفعلهم.

قوله تعالى:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاٰهِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ »إلخ،المراد بالنداء للصلاه من يوم الجمعه الأذان كما فى قوله: «وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاٰهِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَ لَعِباً» :المائده:۵۸.

و الجمعه بضمتين أو بالضم فالسكون أحد أيام الأسبوع و كان يسمى أولا-يوم العروبه ثم غلب عليه اسم الجمعه،و المراد بالصلاه من يوم الجمعه صلاه الجمعه المشرعه يومها، و السعى هو المشى بالإسراع،و المراد بذكر الله الصلاه كما فى قوله: «وَ لَذِكْرُ اللّٰهِ أَكْبَرُ» :العنكبوت:۴۵،على ما قيل و قيل:المراد به الخطبه قبل الصلاه و قوله:« وَ ذَرُوا الْبَيْعَ »أمر بتركه،و المراد به على ما يفيده السياق النهى عن الاشتغال بكل عمل يشغل عن صلاه الجمعه سواء كان بيعا أو غيره و إنما علق النهى بالبيع لكونه من أظهر مصاديق ما يشغل عن الصلاه.

و المعنی:یا أیها الذین آمنوا إذا أذن لصلاه الجمعه یومها فجدوا فی المشی إلی الصلاه و اترکوا البیع و کل ما یشغلکم عنها.

و قوله:« ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »حث و تحریض لهم لما أمر به من الصلاه و ترک البیع.

قوله تعالی:« فَإِذٰا قُضِیَتِ الصَّلاٰهُ فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ »إلخ، المراد بقضاء الصلاه إقامه صلاه الجمعه،و الانتشار فی الأرض التفرق فیها،و ابتغاء فضل الله طلب الرزق نظرا إلی مقابلته ترک البیع فی الآیه السابقه لکن تقدم أن المراد ترک کل ما یشغل عن صلاه الجمعه،و علی هذا فابتغاء فضل الله طلب مطلق عطیته فی التفرق لطلب رزقه بالبیع و الشری،و طلب ثوابه بعیاده مریض و السعی فی حاجه مسلم و زیاره أخ فی الله،و حضور مجلس علم و نحو ذلک.

و قوله:« فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ »أمر واقع بعد الحظر فیفید الجواز و الإباحه دون الوجوب و کذا قوله:« وَ ابْتَغُوا ، وَ اذْکُرُوا ».

و قوله:« وَ اذْکُرُوا اللّٰهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ »المراد بالذکر أعم من الذکر اللفظی فیشمل ذکره تعالی قلبا بالتوجه إلیه باطنا،و الفلاح النجاه من کل شقاء،و هو فی المورد بالنظر إلی ما تقدم من حدیث التزکیه و التعلیم و ما فی الآیه التالیه من التوبیخ و العتاب الشدید،الزکاه و العلم و ذلک أن کثره الذکر یفید رسوخ المعنی المذکور فی النفس و انتقاشه فی الذهن فتنقطع به منابت الغفله و یورث التقوی الدینی الذی هو مظنه الفلاح قال تعالی:

«وَ اتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ» :آل عمران:۲۰۰.

قوله تعالی:« وَ إِذٰا رَأَوْا تِجٰارَهً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَیْهٰا وَ تَرَکُوکَ قٰائِماً »إلخ، الانفضاض -علی ما ذکره الراغب-استعاره عن الانفضاض بمعنی انکسار الشیء و تفرق بعضه من بعض.

و قد اتفقت روایات الشیعه و أهل السنه علی أنه ورد المدینه عیر معها تجاره و ذلک یوم الجمعه و النبی ص قائم یخطب فضربوا بالطبل و الدف لإعلام الناس فانفض أهل المسجد إلیهم و ترکوا النبی ص قائما یخطب فنزلت الآیه.فالمراد باللهو استعمال المعازف و آلات الطرب لیجتمع الناس للتجاره،و ضمیر« إِلَیْهٰا »راجع إلی التجاره لأنها کانت المقصوده فی نفسها و اللهو مقصود لأجلها،و قیل:الضمیر لأحدهما کأنه قیل:انفضوا

إليه و انفضوا إليها و ذلك أن كلا منهما سبب لانفضاض الناس إليه و تجمعهم عليه،و لذا ردد بينهما و قال:« تِجارَةً أَوْ لَهْواً »و لم يقل:تجاره و لهوا و الضمير يصلح للرجوع إلى كل منهما لأن اللهو فى الأصل مصدر يجوز فيه الوجهان التذكير و التأنيث.

و لذا أيضا عد« ما عِنْدَ اللّهِ »خيرا من كل منهما بحياله فقال:« مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَهِ »و لم يقل:من اللهو و التجاره.

و قوله:« قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَهِ وَ اللّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ »أمر للنبى أن ينبههم على خطئهم فيما فعلوا-و ما أفظعه-و المراد بما عند الله الثواب الذى يستعقبه سماع الخطبه و الموعظه.

و المعنى قل لهم:ما عند الله من الثواب خير من اللهو و من التجاره لأن ثوابه تعالى خير حقيقى دائم غير منقطع،و ما فى اللهو و التجاره من الخير أمر خيالى زائل باطل و ربما استتبع سخطه تعالى كما فى اللهو.

و قيل:خير مستعمل فى الآيه مجردا عن معنى التفضيل كما فى قوله تعالى: «أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ» :يوسف:۳۹،و هو شائع فى الاستعمال.

و فى الآيه أعنى قوله:« وَ إِذا رَأَوْا »التفات من الخطاب إلى الغيبه،و النكته فيه تأكيد ما يفيده السياق من العتاب و استهجان الفعل بالإعراض عن تشريفهم بالخطاب و تركهم فى مقام الغيبه لا يواجههم ربهم بوجهه الكريم.

و يلوح إلى هذا الإعراض قوله:« قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ »حيث لم يشر إلى من يقول له، و لم يقل:قل لهم كما ذكرهم بضميرهم أولا من غير سبق مرجعه فقال:« وَ إِذا رَأَوْا » و اكتفى بدلاله السياق.

و خير الرازقين من أسمائه تعالى الحسنى كالرزاق و قد تقدم الكلام فى معنى الرزق فيما تقدم.

بحث روائی

فى الفقيه،روى: أنه كان بالمدينه إذا أذن المؤذن يوم الجمعه-نادى مناد:حرم البيع لقول الله عز و جل:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاهِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ-فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ».

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن ابن أبی شیبه و عبد بن حمید و ابن المنذر عن میمون بن مهران و لفظه *کان بالمدینه إذا أذن المؤذن من یوم الجمعه-ینادون فی الأسواق:حرم البیع حرم البیع.

و تفسیر القمی،":و قوله:« فَاسْعَوْا إِلی ذِکْرِ اللّهِ »قال:الإسراع فی المشی،

و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی الآیه یقال:فاسعوا أی امضوا،و یقال:اسعوا اعملوا لها و هو قص الشارب-و نتف الإبط و تقلیم الأظفار و الغسل-و لبس أنظف الثیاب و التطیب للجمعه فهو السعی-یقول الله:« وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَهَ وَ سَعی لَها سَعْیَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ».

أقول:یرید أن السعی لیس هو الإسراع فی المشی فحسب.

و فی المجمع،و روی أنس عن النبی ص قال: فی قوله:« فَإِذا قُضِیَتِ الصَّلاهُ فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ »الآیه-لیس بطلب الدنیا و لکن عیاده مریض-و حضور جنازه و زیاره أخ فی الله:.

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن ابن جریر عن أنس عن النبی ص و عن ابن مردویه عن ابن عباس عنه(ص) .

و فیه،و روی عن أبی عبد الله(ع)أنه قال: الصلاه یوم الجمعه و الانتشار یوم السبت.

أقول:و فی هذا المعنی روایات أخر.

و فیه،و روی عمر بن یزید عن أبی عبد الله(ع) قال: إنی لأرکب فی الحاجه التی کفاها الله-ما أرکب فیها إلا التماس أن یرانی الله-أضحی فی طلب الحلال-أ ما تسمع قول الله عز اسمه:« فَإِذا قُضِیَتِ الصَّلاهُ فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ-وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ ».؟ أ رأیت لو أن رجلا دخل بیتا و طین علیه بابه-ثم قال:رزقی ینزل علی أ کان یکون هذا؟أما أنه أحد الثلاثه الذین لا یستجاب لهم.

قال:قلت:من هؤلاء؟قال:رجل یکون عنده المرأه فیدعو علیها فلا یستجاب له- لأن عصمتها فی یده لو شاء أن یخلی سبیلها،و الرجل یکون له الحق علی الرجل فلا یشهد علیه-فیجحده حقه فیدعو علیه فلا یستجاب له-لأنه ترک ما أمر به،و الرجل یکون عنده الشیء فیجلس فی بیته-و لا ینتشر و لا یطلب و لا یلتمس حتی یأکله-ثم یدعو فلا یستجاب له.

و فیه،قال جابر بن عبد الله": أقبل عیر و نحن نصلی مع رسول الله ص-فانفض الناس إلیها-فما بقی غیر اثنی عشر رجلا أنا فیهم-فنزلت الآیه« وَ إِذا رَأَوْا تِجارَهً أَوْ لَهْواً ».

و عن عوالى اللئالى،روى مقاتل بن سليمان قال: بينا رسول الله ص يخطب يوم الجمعه- إذ قدم دحيه الكلبى من الشام بتجاره،و كان إذا قدم لم يبق فى المدينه عاتق (1)إلا أتته، و كان يقدم-إذا قدم-بكل ما يحتاج إليه الناس-من دقيق و بر و غيره-ثم ضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه-فيخرج الناس فيبتاعون منه.

فقدم ذات جمعه،و كان قبل أن يسلم،و رسول الله ص يخطب على المنبر فخرج الناس-فلم يبق فى المسجد إلا اثنا عشر-فقال النبى ص:لو لا هؤلاء لسومت عليهم الحجاره من السماء-و أنزل الله الآيه فى سوره الجمعه.

أقول:و القصه مرويه بطرق كثيره من طرق الشيعه و أهل السنه و اختلفت الأخبار فى عدد من بقى منهم فى المسجد بين سبعه إلى أربعين.

و فيه« اِنْفَضُّوا »أى تفرقوا،

و روى عن أبى عبد الله(ع)أنه قال: انصرفوا إليها و تركوك قائما تخطب على المنبر.

قال جابر بن سمره": ما رأيت رسول الله ص يخطب إلا و هو قائم-فمن حدثك أنه خطب و هو جالس فكذبه.

أقول:و هو مروى أيضا فى روايات أخرى.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى شيبه عن طاووس قال*: خطب رسول الله ص قائما و أبو بكر و عمر و عثمان،و إن أول من جلس على المنبر معاويه بن أبى سفيان.

(٦٣)سوره المنافقون مدنيه ،و هى إحدى عشره آيه(١١)

[سوره المنافقون (٦٣): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

إِذٰا جٰاءَکَ اَلْمُنٰافِقُونَ قٰالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اَللّٰهُ یَشْهَدُ إِنَّ اَلْمُنٰافِقِینَ لَکٰاذِبُونَ (١) اِتَّخَذُوا أَیْمٰانَهُمْ جُنَّهً فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (٢) ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا فَطُبِعَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ یَفْقَهُونَ (٣) وَ إِذٰا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسٰامُهُمْ وَ إِنْ یَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌ یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍ عَلَیْهِمْ هُمُ اَلْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قٰاتَلَهُمُ اَللّٰهُ أَنّٰی یُؤْفَکُونَ (۴) وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اَللّٰهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ (۵) سَوٰاءٌ عَلَیْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ یَغْفِرَ اَللّٰهُ لَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْفٰاسِقِینَ (۶) هُمُ اَلَّذِینَ یَقُولُونَ لاٰ تُنْفِقُوا عَلیٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اَللّٰهِ حَتّٰی یَنْفَضُّوا وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لٰکِنَّ اَلْمُنٰافِقِینَ لاٰ یَفْقَهُونَ (٧) یَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنٰا إِلَی اَلْمَدِینَهِ لَیُخْرِجَنَّ اَلْأَعَزُّ مِنْهَا اَلْأَذَلَّ وَ لِلّٰهِ اَلْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لٰکِنَّ اَلْمُنٰافِقِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ (٨)

۱- ۱) العاتق:الجاریه أوائل ما أدرکت.

بیان

تصف السوره المنافقین و تسمهم بشده العداوه و تأمر النبی ص أن یحذرهم و تعظ المؤمنین أن یتحرزوا من خصائص النفاق فلا یقعوا فی مهلکته و لا یجرهم إلی النار، و السوره مدنیه.

قوله تعالی:« إِذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّهِ وَ اللّهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اللّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِینَ لَکاذِبُونَ » المنافق اسم فاعل من النفاق و هو فی عرف القرآن إظهار الإیمان و إبطان الکفر.

ص :۲۷۸

و الکـذب خلاف الصـدق و هو عـدم مطابقه الخبر للخارج فهو وصف الخبر کالصـدق و ربما اعتبرت مطابقه الخبر و لا مطابقته بالنسـبه إلی اعتقاد المخبر فیکون مطابقته لاعتقاد المخبر صـدقا منه و عـدم مطابقته له کذبا فیقال:فلان کاذب إذا لم یطابق خبره الخارج و فلان کاذب إذا أخبر بما یخالف اعتقاده و یسمی النوع الأول صدقا و کذبا خبریین،و الثانی صدقا و کذبا مخبریین.

فقوله:« إِذٰا جٰاءَکَ الْمُنٰافِقُونَ قٰالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّٰهِ »حکایه لإظهارهم الإیمان بالشـهاده علی الرساله فإن فی الشـهاده علی الرساله إیمانا بما جاء به الرسول ص و یتضمن الإیمان بوحدانیته تعالی و بالمعاد،و هو الإیمان الکامل.

و قوله:« وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ »تثبیت منه تعـالی لرسـالته(ص)،و إنمـا أورده مع أن وحی القرآن و مخاطبته(ص)کان کافیا فی تثبیت رسـالته،لیکون قرینه مصـرحه بـأنهم کـاذبون من حیث عـدم اعتقـادهم بمـا یقولون و إن کـان قولهم فی نفسه صادقـا فهم کاذبون فی قولهم کذبا مخبریا لا خبریا فقوله:« وَ اللّٰهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنٰافِقِینَ لَکٰاذِبُونَ »أرید به الکذب المخبری لا الخبری.

قوله تعالی:« اِتَّخَذُوا أَیْمٰانَهُمْ جُنَّهً فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ »إلخ، الأیمان جمع یمین بمعنی القسم،و الجنه الترس و المراد بها ما یتقی به من باب الاسـتعاره،و الصد یجیء بمعنی الإعراض و علیه فالمراد إعراضهم أنفسهم عن سبیل الله و هو الدین و بمعنی الصرف و علیه فالمراد صرفهم العامه من الناس عن الدین و هم فی وقایه من إیمانهم الکاذبه.

و المعنی:اتخذوا أیمانهم الکاذبه التی یحلفون وقایه لأنفسـهم فأعرضوا عن سبیل الله و دینه-أو فصـرفوا العامه من الناس عن دین الله بما یستطیعونه من الصرف بتقلیب الأمور و إفساد العزائم.

و قوله:« إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ »تقبیح لأعمالهم التی استمروا علیها منذ نافقوا إلی حین نزول السوره.

قوله تعـالی:« ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا فَطُبِعَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ یَفْقَهُونَ »الظـاهر أن الإشـاره بـذلک إلی سوء مـا عملوا کما قیل،و قیل:الإشاره إلی جمیع ما تقدم من کذبهم و استجنانهم بالأیمان الفاجره و صدهم عن سبیل الله و مساءه أعمالهم.

و المراد بإیمانهم-علی ما قیل-إیمانهم بألسنتهم ظاهرا بشهاده أن لا إله إلا الله و أن

محمدا رسوله ثم كفرهم بخلو باطنهم عن الإيمان كما قال تعالى فيهم: «وَ إِذٰا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلَوْا إِلىٰ شَيٰاطِينِهِمْ قٰالُوا إِنّٰا مَعَكُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ» :البقره:۱۴.

و لا يبعد أن يكون فيهم من آمن حقيقه ثم ارتد و كتم ارتداده فلحق بالمنافقين يتربص بالنبى ص و بالمؤمنين الدوائر كما يظهر من بعض آيات سوره التوبه كقوله: «فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمٰا أَخْلَفُوا اللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ» :التوبه:۷۷،و قد عبر تعالى عمن لم يدخل الإيمان فى قلبه منهم بمثل قوله: «وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاٰمِهِمْ» :التوبه:۷۴.

فالظاهر أن المراد بقوله:« آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا »إظهارهم للشهادتين أعم من أن يكون عن ظهر القلب أو بظاهر من القول ثم كفرهم بإتيان أعمال تستصحب الكفر كالاستهزاء بالدين و رد بعض الأحكام.

و قوله:« فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ »تفريع عدم الفقه على طبع القلوب دليل على أن الطبع ختم على القلب يستتبع عدم قبوله لورود كلمه الحق فيه فهو آيس من الإيمان محروم من الحق.

و الطبع على القلب جعله بحيث لا يقبل الحق و لا يتبعه فلا محاله يتبع الهوى كما قال تعالى: «طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ» :سوره محمد:۱۶،فلا يفقه و لا يسمع و لا يعلم كما قال تعالى: «وَ طُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ» :التوبه:۸۷،و قال: «وَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ» :الأعراف:۱۰۰،و قال: «وَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ» :التوبه:۹۳،و الطبع على أى حال لا يكون منه تعالى إلا مجازاه لأنه إضلال و الذى ينسب إليه تعالى من الإضلال إنما هو الإضلال على سبيل المجازاه دون الإضلال الابتدائى و قد مر مرارا.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسٰامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ »إلخ،الظاهر أن الخطاب فى« رَأَيْتَهُمْ »و« تَسْمَعْ »خطاب عام يشمل كل من رآهم و سمع كلامهم لكونهم فى أزياء حسنه و بلاغه من الكلام،و ليس خطابا خاصا بالنبى ص،و المراد أنهم على صباحه من المنظر و تناسب من الأعضاء إذا رآهم الرائى أعجبته أجسامهم،و فصاحه و بلاغه من القول إذا سمع السامع كلامهم مال إلى الإصغاء إلى قولهم لحلاوه ظاهره و حسن نظمه.

و قوله:« كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ »ذم لهم بحسب باطنهم و الخشب بضمتين جمع خشبه،

و التسنيد نصب الشیء معتمدا علی شیء آخر کحائط و نحوه.

و الجمله مسوقه لذمهم و هی متممه لسابقتها،و المراد أن لهم أجساما حسنه معجبه و قولا رائعا ذا حلاوه لکنهم کالخشب المسنده أشباح بلا أرواح لا خیر فیها و لا فائده تعتریها لکونهم لا یفقهون.

و قوله:« یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍ عَلَیْهِمْ »ذم آخر لهم أی إنهم لإبطانهم الکفر و کتمانهم ذلک من المؤمنین یعیشون علی خوف و وجل و وحشه یخافون ظهور أمرهم و اطلاع الناس علی باطنهم و یظنون أن کل صیحه سمعوها فهی کائنه علیهم و أنهم المقصودون بها.

و قوله:« هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ »أی هم کاملون فی العداوه بالغون فیها فإن أعدی أعدائک من یعادیک و أنت تحسبه صدیقک.

و قوله:« قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنّٰی یُؤْفَکُونَ »دعاء علیهم بالقتل و هو أشد شدائد الدنیا و کان استعمال المقاتله دون القتل للدلاله علی الشده.

و قیل:المراد به الطرد و الإبعاد من الرحمه،و قیل:المراد به الإخبار دون الدعاء، و المعنی:أن شمول اللعن و الطرد لهم مقرر ثابت،و قیل:الکلمه مفیده للتعجب کما یقال:

قاتله الله ما أشعره، و الظاهر من السیاق ما تقدم من الوجه.

و قوله:« أَنّٰی یُؤْفَکُونَ »مسوق للتعجب أی کیف یصرفون عن الحق؟و قیل:هو توبیخ و تقریع و لیس باستفهام.

قوله تعالی:« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللّٰهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ »إلخ، التلویه تفعیل من لوی یلوی لیا بمعنی مال.

و المعنی:و إذا قیل لهم تعالوا یستغفر لکم رسول الله-و ذلک عند ما ظهر منهم بعض خیاناتهم و فسوقهم-أمالوا رءوسهم إعراضا و استکبارا و رآهم الرائی یعرضون عن القائل و هم مستکبرون عن إجابه قوله.

قوله تعالی:« سَوٰاءٌ عَلَیْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ یَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ »إلخ، أی یتساوی الاستغفار و عدمه فی حقهم و تساوی الشیء و عدمه کنایه عن أنه لا یفید الفائده المطلوبه منه،فالمعنی:لا یفیدهم استغفارک و لا ینفعهم.

و قوله:« لَنْ یَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ »دفع دخل کان سائلا یسأل:لما ذا یتساوی الاستغفار لهم و عدمه؟فأجیب:لن یغفر الله لهم.

و قوله:« إِنَّ اللّهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ »تعليل لقوله:« لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ »، و المعنى:لن يغفر الله لهم لأن مغفرته لهم هدايه لهم إلى السعاده و الجنه و هم فاسقون خارجون عن زى العبوديه لإبطانهم الكفر و الطبع على قلوبهم و الله لا يهدى القوم الفاسقين.

قوله تعالى:« هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاٰ تُنْفِقُوا عَلىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حَتّٰى يَنْفَضُّوا »إلخ، الانفضاض التفرق،و المعنى:المنافقون هم الذين يقولون:لا تنفقوا أموالكم على المؤمنين الفقراء الذين لازموا رسول الله و اجتمعوا عنده لنصرته و إنفاذ أمره و إجراء مقاصده حتى يتفرقوا عنه فلا يتحكم علينا.

و قوله:« وَ لِلّهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »جواب عن قولهم: لاٰ تُنْفِقُوا إلخ،أى إن الدين دين الله و لا حاجه له إلى إنفاقهم فله خزائن السماوات و الأرض ينفق منها و يرزق من يشاء كيف يشاء فلو شاء لأغنى الفقراء من المؤمنين لكنه تعالى يختار ما هو الأصلح فيمتحنهم بالفقر و يتعبدهم بالصبر ليوجرهم أجرا كريما و يهديهم صراطا مستقيما و المنافقون فى جهل من ذلك.

و هذا معنى قوله:« وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَفْقَهُونَ »أى لا يفقهون وجه الحكمه فى ذلك و احتمل أن يكون المعنى أن المنافقين لا يفقهون أن خزائن العالم بيد الله و هو الرازق لا رازق غيره فلو شاء لأغناهم لكنهم يحسبون أن الغنى و الفقر بيد الأسباب فلو لم ينفقوا على أولئك الفقراء من المؤمنين لم يجدوا رازقا يرزقهم.

قوله تعالى:« يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنٰا إِلَى الْمَدِينَهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ »القائل هو عبد الله بن أبى بن سلول،و كذا قائل الجمله السابقه:لا تنفقوا إلخ،و إنما عبر بصيغه الجمع تشريكا لأصحابه الراضين بقوله معه.

و مراده بالأعز نفسه و بالأذل رسول الله ص و يريد بهذا القول تهديد النبى ص بإخراجه من المدينه بعد المراجعه إليها و قد رد الله عليه و على من يشاركه فى نفاقه بقوله:

« وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ »فقصر العزه فى نفسه و رسوله و المؤمنين فلا يبقى لغيرهم إلا الذله و نفى عن المنافقين العلم فلم يبق لهم إلا الذله و الجهاله.

ص :۲۸۲

بحث روائی

فی المجمع،": نزلت الآیات فی عبد الله بن أبی المنافق و أصحابه-و ذلک أن رسول الله ص بلغه-أن بنی المصطلق یجتمعون لحربه-و قائدهم الحارث بن أبی ضرار-أبو جویریه زوج النبی ص.

فلما سمع بهم رسول الله ص خرج إلیهم-حتی لقیهم علی ماء من میاههم یقال له المریسیع-من ناحیه قدید إلی الساحل-فتزاحف الناس و اقتتلوا-فهزم الله بنی المصطلق و قتل منهم من قتل-و نفل رسول الله ص أبناءهم و نساءهم و أموالهم.

فبینا الناس علی ذلک الماء إذ وردت وارده الناس-و مع عمر بن الخطاب أجیر له من بنی غفار-یقال له جهجاه بن سعید یقود له فرسه-فازدحم جهجاه و سنان الجهنی-من بنی عوف بن خزرج علی الماء-فاقتتلا- فصرخ الجهنی یا معشر الأنصار-و صرخ الغفاری یا معشر المهاجرین-فأعان الغفاری رجل من المهاجرین-یقال له:جعال و کان فقیرا-فقال عبد الله بن أبی لجعال:إنک لهتاک-فقال:و ما یمنعنی أن أفعل ذلک؟و اشتد لسان جعال علی عبد الله.فقال عبد الله:و الذی یحلف به لأزرنک و یهمک غیر هذا.

و غضب ابن أبی و عنده رهط من قومه-فیهم زید بن أرقم حدیث السن-فقال ابن أبی قد نافرونا و کاثرونا فی بلادنا،و الله ما مثلنا و مثلهم إلا- کما قال القائل:سمن کلبک یأکلک- أما و الله لئن رجعنا إلی المدینه-لیخرجن الأعز منها الأذل یعنی بالأعز نفسه-و بالأذل رسول الله ص-ثم أقبل علی من حضره من قومه فقال:هذا ما جعلتم بأنفسکم-أحللتموهم بلادکم و قاسمتموهم أموالکم-أما و الله لو أمسکتم عن جعال و ذویه فضل الطعام-لم یرکبوا رقابکم و لأوشکوا أن یتحولوا من بلادکم-و یلحقوا بعشائرهم و موالیهم.

فقال زید بن أرقم:أنت و الله الذلیل-القلیل المبغض فی قومک-و محمد ص فی عز من الرحمن و موده من المسلمین-و الله لا أحبک بعد کلامک هذا-فقال عبد الله:اسکت فإنما کنت ألعب.

فمشی زید بن أرقم إلی رسول الله ص-و ذلک بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر- فأمر رسول الله ص بالرحیل-و أرسل إلی عبد الله فأتاه فقال:ما هذا الذی بلغنی عنک؟فقال عبد الله و الذی أنزل علیک الکتاب-ما قلت شیئا من ذلک قط-و إن زیدا

لکاذب،و قال من حضر من الأنصار:یا رسول الله-شیخنا و کبیرنا لا تصدق علیه کلام غلام من غلمان الأنصار-عسی أن یکون هذا الغلام وهم فی حدیثه.

فعذره رسول الله ص و فشت الملامه من الأنصار لزید.

و لما استقل رسول الله ص-فسار لقیه أسید بن الحضیر فحیاه بتحیه النبوه-ثم قال:

یا رسول الله لقد رحت فی ساعه منکره-ما کنت تروح فیها،فقال رسول الله ص:

أ و ما بلغک ما قال صاحبکم؟ زعم أنه إن رجع إلی المدینه-أخرج الأعز منها الأذل.فقال أسید:فأنت و الله یا رسول الله تخرجه إن شئت.هو و الله الذلیل و أنت العزیز.ثم قال:

یا رسول الله ارفق به-فو الله لقد جاء الله بک-و إن قومه لینظمون له الخرز لیتوجوه-و إنه لیری أنک قد استلبته ملکا.

و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبی ما کان من أمر أبیه-فأتی رسول الله ص فقال:

یا رسول الله إنه قد بلغنی أنک ترید قتل أبی-فإن کنت لا بد فاعلا فمرنی به فأنا أحمل إلیک رأسه-فو الله لقد علمت الخزرج-ما کان بها رجل أبر بوالدیه منی-و إنی أخشی أن تأمر به غیری فیقتله-فلا تدعنی نفسی أن أنظر إلی قاتل عبد الله بن أبی-أن یمشی فی الناس فأقتله- فأقتل مؤمنا بکافر فأدخل النار،فقال(ص):بل ترفق به و تحسن صحبته ما بقی معنا.

قالوا:و سار رسول الله ص بالناس یومهم ذلک-حتی أمسی و لیلتهم حتی أصبح- و صدر یومهم ذلک حتی آذتهم الشمس-ثم نزل بالناس-فلم یکن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نیاما،إنما فعل ذلک لیشغل الناس-عن الحدیث الذی خرج من عبد الله بن أبی.

ثم راح بالناس حتی نزل علی ماء بالحجاز-فویق البقیع یقال له:بقعاء-فهاجت ریح شدیده آذتهم و تخوفوها-و ضلت ناقه رسول الله ص و ذلک لیلا-فقال:مات الیوم منافق عظیم النفاق بالمدینه-قیل:من هو؟قال:رفاعه.فقال رجل من المنافقین:کیف یزعم أنه یعلم الغیب-و لا یعلم مکان ناقته؟أ لا یخبره الذی یأتیه بالوحی؟فأتاه جبریل فأخبره بقول المنافق و بمکان الناقه،و أخبر رسول الله ص بذلک أصحابه و قال:ما أزعم أنی أعلم الغیب و ما أعلمه-و لکن الله تعالی أخبرنی بقول المنافق و بمکان ناقتی.هی فی الشعب فإذا هی کما قال-فجاءوا بها و آمن ذلک المنافق.

فلما قدموا المدینه وجدوا رفاعه بن زید-فی التابوت أحد بنی قینقاع-و کان من عظماء الیهود مات ذلک الیوم.

قال زید بن أرقم:فلما وافی رسول الله ص المدینه-جلست فی البیت لما بی من الهم و الحیاء-فنزلت سوره المنافقون فی تصدیق زید-و تکذیب عبد الله بن أبی.ثم أخذ رسول الله ص بأذن زید-فرفعه عن الرحل ثم قال:یا غلام صدق فوک،و وعت أذناک، و وعی قلبک،و قد أنزل الله فیما قلت قرآنا.

و کان عبد الله بن أبی بقرب المدینه-فلما أراد أن یدخلها-جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبی-حتی أناخ علی مجامع طرق المدینه-فقال:ما لک ویلک؟فقال:و الله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله-و لتعلمن الیوم من الأعز؟و من الأذل؟فشکا عبد الله ابنه إلی رسول الله ص-فأرسل إلیه أن خل عنه یدخل فقال:أما إذا جاء أمر رسول الله ص فنعم فدخل-فلم یلبث إلا أیاما قلائل حتی اشتکی و مات.

فلما نزلت هذه الآیات و بان کذب عبد الله-قیل له:نزل فیک آی شداد-فاذهب إلی رسول الله ص یستغفر لک-فلوی رأسه ثم قال:أمرتمونی أن أؤمن فقد آمنت-و أمرتمونی أن أعطی زکاه مالی فقد أعطیت-فما بقی إلا أن أسجد لمحمد-فنزل:« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللّٰهِ-لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ -إلی قوله- لاٰ یَعْلَمُونَ ».

أقول:ما أورده من القصه مأخوذ من روایات مختلفه مرویه عن زید بن أرقم و ابن عباس و عکرمه و محمد بن سیرین و ابن إسحاق و غیرهم دخل حدیث بعضهم فی بعض.

و فی تفسیر القمی،": فی قوله تعالی:« إِذٰا جٰاءَکَ الْمُنٰافِقُونَ »الآیه-قال:قال:نزلت فی غزوه المریسیع-و هی غزوه بنی المصطلق فی سنه خمس من الهجره،و کان رسول الله ص خرج إلیها-فلما رجع منها نزل علی بئر و کان الماء قلیلا فیها.

و کان أنس بن سیار حلیف الأنصار،و کان جهجاه بن سعید الغفاری أجیرا لعمر بن الخطاب-فاجتمعوا علی البئر فتعلق دلو سیار بدلو جهجاه-فقال سیار:دلوی و قال جهجاه:

دلوی-فضرب جهجاه علی وجه سیار فسال منه الدم-فنادی سیار بالخزرج و نادی جهجاه بقریش-و أخذ الناس السلاح و کاد أن تقع الفتنه.

فسمع عبد الله بن أبی النداء فقال:ما هذا؟فأخبروه بالخبر فغضب غضبا شدیدا-ثم قال:قد کنت کارها لهذا المسیر إنی لأذل العرب-ما ظننت أنی أبقی إلی أن أسمع مثل هذا-فلا یکن عندی تغییر.

ثم أقبل علی أصحابه فقال:هذا عملکم-أنزلتموهم منازلکم و واسیتموهم بأموالکم-

و وقيتموهم بأنفسكم و أبرزتم نحوركم للقتل-فأرمل نساؤكم و أيتم صبيانكم-و لو أخرجتموهم لكانوا عيالا على غيركم.ثم قال:لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجن الأعز منها الأذل.

و كان فى القوم زيد بن أرقم و كان غلاما قد راهق،و كان رسول الله ص فى ظل شجره فى وقت الهاجره-و عنده قوم من أصحابه من المهاجرين و الأنصار-فجاء زيد فأخبره بما قال عبد الله بن أبى-فقال رسول الله ص:لعلك وهمت يا غلام،قال:لا و الله ما وهمت.قال:فلعلك غضبت عليه؟قال:لا و الله ما غضبت عليه،قال:فلعله سفه عليك،فقال:لا و الله.

فقال رسول الله لشقران مولاه:أحدج فأحدج راحلته و ركب و تسامع الناس بذلك- فقالوا:ما كان رسول الله ص ليرحل فى مثل هذا الوقت،فرحل الناس و لحقه سعد بن عباده فقال:السلام عليك يا رسول الله و رحمه الله و بركاته،فقال:و عليك السلام، فقال:ما كنت لترحل فى مثل هذا الوقت،فقال:أ و ما سمعت قولا قال صاحبكم؟قال:

و أى صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟قال:عبد الله بن أبى زعم أنه إن رجع إلى المدينه- ليخرجن الأعز منها الأذل،فقال:يا رسول الله فإنك و أصحابك الأعز-و هو و أصحابه الأذل.

فسار رسول الله ص يومه كله لا يكلمه أحد-فأقبلت الخزرج على عبد الله بن أبى يعذلونه-فحلف عبد الله أنه لم يقل شيئا من ذلك-فقالوا:فقم بنا إلى رسول الله-حتى نعتذر إليه فلوى عنقه.

فلما جن الليل سار رسول الله ص ليله كله-فلم ينزلوا إلا للصلاه-فلما كان من الغد نزل رسول الله ص و نزل أصحابه-و قد أمهدهم (۱)الأرض من السفر الذى أصابهم-فجاء عبد الله بن أبى إلى رسول الله ص-فحلف عبد الله له أنه لم يقل ذلك،و أنه يشهد أن لا إله إلا الله و أنك لرسول الله-و إن زيدا قد كذب على،فقبل رسول الله ص منه- و أقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه-و يقولون له:كذبت على عبد الله سيدنا.

فلما رحل رسول الله ص كان زيد معه-يقول:اللهم إنك لتعلم-أنى لم أكذب على عبد الله بن أبى-فما سار إلا قليلا حتى أخذ رسول الله ص-ما كان يأخذه من البرحاء (۲)

۱- ۱) أمهدهم الأرض:أى صارت لهم مهادا فناموا.

۲- ۲) البرحاء:حاله شبه الإغماء كانت تأخذ النبى ص عند نزول الوحى.

عند نزول الوحی -فثقل حتی کادت ناقته أن تبرک من ثقل الوحی-فسری عن رسول الله ص و هو یسکب العرق عن جبهته-ثم أخذ بأذن زید بن أرقم فرفعه من الرحل-ثم قال:

یا غلام صدق قولک و وعی قلبک-و أنزل الله فیما قلت قرآنا.

فلما نزل جمع أصحابه و قرأ علیهم سوره المنافقین:« بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ إِذٰا جٰاءَکَ الْمُنٰافِقُونَ -إلی قوله- وَ لٰکِنَّ الْمُنٰافِقِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ »ففضح الله عبد الله بن أبی.

و فی تفسیر القمی أیضا،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله:« کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌ »یقول:لا یسمعون و لا یعقلون« یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍ عَلَیْهِمْ »یعنی کل صوت- « هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنّٰی یُؤْفَکُونَ ».

فلما أنبأ الله رسوله خبرهم مشی إلیهم عشائرهم-و قالوا افتضحتم ویلکم-فأتوا رسول الله یستغفر لکم-فلووا رءوسهم و زهدوا فی الاستغفار،یقول الله:« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللّٰهِ-لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ ».

و فی الکافی،بإسناده إلی سماعه عن أبی عبد الله(ع)قال: إن الله تبارک و تعالی فوض إلی المؤمن أموره کلها،و لم یفوض إلیه أن یذل نفسه-أ لم تر قول الله سبحانه و تعالی هاهنا- « لِلّٰهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ »و المؤمن ینبغی أن یکون عزیزا و لا یکون ذلیلا:.

أقول:و روی هذا المعنی بإسناده عن داود الرقی و الحسن الأحمسی و بطریق آخر عن سماعه .

و فیه،بإسناده عن مفضل بن عمر قال*:قال أبو عبد الله(ع): لا ینبغی للمؤمن أن یذل نفسه.قلت:بما یذل نفسه؟قال:یدخل فیما یعتذر منه.

کلام حول النفاق فی صدر الإسلام

یهتم القرآن بأمر المنافقین اهتماما بالغا و یکر علیهم کره عنیفه بذکر مساوی أخلاقهم و أکاذیبهم و خدائعهم و دسائسهم و الفتن التی أقاموها علی النبی ص و علی المسلمین،و قد تکرر ذکرهم فی السور القرآنیه کسوره البقره و آل عمران و النساء و المائده و الأنفال و التوبه و العنکبوت و الأحزاب و الفتح و الحدید و الحشر و المنافقون و التحریم.

و قد أوعدهم الله فی کلامه أشد الوعید ففی الدنیا بالطبع علی قلوبهم و جعل الغشاوه

على سمعهم و على أبصارهم و إذهاب نورهم و تركهم فى ظلمات لا يبصرون و فى الآخره بجعلهم فى الدرك الأسفل من النار.

و ليس ذلک إلا لشده المصائب التى أصابت الإسلام و المسلمين من كيدهم و مكرهم و أنواع دسائسهم فلم ينل المشركون و اليهود و النصارى من دين الله ما نالوه،و ناهيک فيهم قوله تعالى لنبيه(ص)يشير إليهم: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ» :المنافقون:۴.

و قد ظهر آثار دسائسهم و مكائدهم أوائل ما هاجر النبى ص إلى المدينه فورد ذكرهم فى سوره البقره و قد نزلت-على ما قيل-على رأس سته أشهر من الهجره ثم فى السور الأخرى النازله بعد بالإشاره إلى أمور من دسائسهم و فنون من مكائدهم كانسلالهم من الجند الإسلامى يوم أحد و هم ثلثهم تقريبا،و عقدهم الحلف مع اليهود و استنهاضهم على المسلمين و بنائهم مسجد الضرار و إشاعتهم حديث الإفک،و إثارتهم الفتنه فى قصه السقايه و قصه العقبه إلى غير ذلک مما تشير إليه الآيات حتى بلغ أمرهم فى الإفساد و تقليب الأمور على النبى ص إلى حيث هددهم الله بمثل قوله: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَهِ لَنُغْرِيَنَّکَ بِهِمْ ثُمَّ لاٰ يُجَاوِرُونَکَ فِيهٰا إِلاّٰ قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمٰا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً» :الأحزاب:۶۱.

و قد استفاضت الأخبار و تكاثرت فى أن عبد الله بن أبى بن سلول و أصحابه من المنافقين و هم الذين كانوا يقلبون الأمور على النبى ص و يتربصون به الدوائر و كانوا معروفين عند المؤمنين يقربون من ثلث القوم و هم الذين خذلوا المؤمنين يوم أحد فانمازوا منهم و رجعوا إلى المدينه قائلين لو نعلم قتالا لاتبعناكم و هم عبد الله بن أبى و أصحابه.

و من هنا ذكر بعضهم أن حركه النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينه و استمرت إلى قرب وفاه النبى ص.

هذا ما ذكره جمع منهم لكن التدبر فى حوادث زمن النبى ص و الإمعان فى الفتن الواقعه بعد الرحله و الاعتناء بطبيعه الاجتماع الفعاله يقضى عليه بالنظر:

أما أولا فلا دليل مقنعا على عدم تسرب النفاق فى متبعى النبى ص المؤمنين بمكه قبل الهجره، و قول القائل:إن النبى ص و المسلمين بمكه قبل الهجره لم يكونوا من القوه و نفوذ الأمر و سعه الطول بحيث يهابهم الناس و يتقوهم أو يرجوا منهم خيرا حتى يظهروا لهم الإيمان ظاهرا و يتقربوا منهم بالإسلام،و هم مضطهدون مفتنون معذبون

بأیدی صنادید قریش و مشرکی مکه المعادین لهم المعاندین للحق بخلاف حال النبی ص بالمدینه بعد الهجره فإنه(ص)هاجر إلیها و قد کسب أنصارا من الأوس و الخزرج و استوثق من أقویاء رجالهم أن یدفعوا عنه کما یدفعون عن أنفسهم و أهلیهم،و قد دخل الإسلام فی بیوت عامتهم فکان مستظهرا بهم علی العده القلیله الذین لم یؤمنوا به و بقوا علی شرکهم و لم یکن یسعهم أن یعلنوا مخالفتهم و یظهروا شرکهم فتوقوا الشر بإظهار الإسلام فآمنوا به ظاهرا و هم علی کفرهم باطنا فدسوا الدسائس و مکروا ما مکروا.

غیر تام،فما القدره و القوه المخالفه المهیبه و رجاء الخیر بالفعل و الاستدرار المعجل عله منحصره للنفاق حتی یحکم بانتفاء النفاق لانتفائها فکثیرا ما نجد فی المجتمعات رجالا-یتبعون کل داع و یتجمعون إلی کل ناعق و لا-یعبئون بمخالفه القوی المخالفه القاهره الطاحنه، و یعیشون علی خطر مصرین علی ذلک رجاء أن یوفقوا یوما لإجراء مرامهم و یتحکموا علی الناس باستقلالهم بإداره رحی المجتمع و العلو فی الأرض و قد کان النبی ص یذکر فی دعوته لقومه أن لو آمنوا به و اتبعوه کانوا ملوک الأرض.

فمن الجائز عقلا-أن یکون بعض من آمن به یتبعه فی ظاهر دینه طمعا فی البلوغ بذلک إلی أمنیته و هی التقدم و الرئاسه و الاستعلاء،و الأثر المترتب علی هذا النوع من النفاق لیس هو تقلیب الأمور و تربص الدوائر علی الإسلام و المسلمین و إفساد المجتمع الدینی بل تقویته بما أمکن و تفدیته بالمال و الجاه لینتظم بذلک الأمور و یتهیأ لاستفادته منه و استدراره لنفع شخصه.نعم یمکر مثل هذا المنافق بالمخالفه و المضاده فیما إذا لاح من الدین مثلا ما یخالف أمنیه تقدمه و تسلطه إرجاعا للأمر إلی سبیل ینتهی إلی غرضه الفاسد.

و أیضا من الممکن أن یکون بعض المسلمین یرتاب فی دینه فیرتد و یکتم ارتداده کما مرت الإشاره إلیه فی قوله تعالی:« ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا »الآیه،و کما یظهر من لحن مثل قوله تعالی: «یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّٰهُ بِقَوْمٍ» :المائده:۵۴.

و أیضا الذین آمنوا من مشرکی مکه یوم الفتح لا یؤمن أکثرهم أن لا یؤمنوا إیمان صدق و إخلاص و من البدیهی عند من تدبر فی حوادث سنی الدعوه أن کفار مکه و ما والاها و خاصه صنادید قریش ما کانوا لیؤمنوا بالنبی ص لو لا سواد جنود غشیتهم و بریق

سیوف مسلطه فوق رءوسهم یوم الفتح و کیف یمکن مع ذلک القضاء بأنه حدث فی قلوبهم و الظرف هذا الظرف نور الإیمان و فی نفوسهم الإخلاص و الیقین فآمنوا بالله طوعا عن آخرهم و لم یدب فیهم دبیب النفاق أصلا.

و أما ثانیا:فلأن استمرار النفاق إلی قرب رحله النبی ص و انقطاعه عند ذلک ممنوع نعم انقطع الخبر عن المنافقین بالرحله و انعقاد الخلافه و انمحی أثرهم فلم یظهر منهم ما کان یظهر من الآثار المضاده و المکائد و الدسائس المشئومه.

فهل کان ذلک لأن المنافقین وفقوا للإسلام و أخلصوا الإیمان عن آخرهم برحله النبی ص و تأثرت قلوبهم من موته ما لم یتأثر بحیاته؟أو أنهم صالحوا أولیاء الحکومه الإسلامیه علی ترک المزاحمه بأن یسمح لهم ما فیه أمنیتهم مصالحه سریه بعد الرحله أو قبلها؟أو أنه وقع هناک تصالح اتفاقی بینهم و بین المسلمین فوردوا جمیعا فی مشرعه سواء فارتفع التصاک و التصادم.؟ و لعل التدبر الکافی فی حوادث آخر عهد النبی ص و الفتن الواقعه بعد رحلته یهدی إلی الحصول علی جواب شاف لهذه الأسئله.

و الذی أوردناه فی هذا الفصل إشاره إجمالیه إلی سبیل البحث.

[سوره المنافقون (۶۳): الآیات ۹ الی ۱۱]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۹) وَ أَنْفِقُوا مِنْ مٰا رَزَقْنٰاکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ أَحَدَکُمُ اَلْمَوْتُ فَیَقُولَ رَبِّ لَوْ لاٰ أَخَّرْتَنِی إِلیٰ أَجَلٍ قَرِیبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَکُنْ مِنَ اَلصّٰالِحِینَ (۱۰) وَ لَنْ یُؤَخِّرَ اَللّٰهُ نَفْساً إِذٰا جٰاءَ أَجَلُهٰا وَ اَللّٰهُ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۱۱)

بيان

تنبيه للمؤمنين أن يتجنبوا عن بعض الصفات التى تورث النفاق و هو التلهى بالمال و الأولاد و البخل.

قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ »إلخ، الإلهاء الإشغال،و المراد بالهاء الأموال و الأولاد عن ذكر الله إشغالها القلب بالتعلق بها بحيث يوجب الإعراض عن التوجه إلى الله بما أنها زينه الحياه الدنيا،قال تعالى: «الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» :الكهف:۴۶،و الاشتغال بها يوجب خلو القلب عن ذكر الله و نسيانه تعالى فلا يبقى له إلا القول من غير عمل و تصديق قلبى و نسيان العبد لربه يستعقب نسيانه تعالى له،قال تعالى: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» :التوبه:۶۷،و هو الخسران المبين،قال تعالى فى صفه المنافقين: «أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» :البقره:۱۶.

و إليه الإشاره بما فى ذيل الآيه من قوله:« وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ».

و الأصل هو نهى المؤمنين عن التلهى بالأموال و الأولاد و تبديله من نهى الأموال و الأولاد عن إلهائهم للتلويح إلى أن من طبعها الإلهاء فلا ينبغى لهم أن يتعلقوا بها فتلهيهم عن ذكر الله سبحانه فهو نهى كنائى آكد من التصريح.

قوله تعالى:« وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ »إلخ،أمر بالإنفاق فى البر أعم من الإنفاق الواجب كالزكاه و الكفارات أو المندوب،و تقييده بقوله:« مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ »للإشعار بأن أمره هذا ليس سؤالا لما يملكونه دونه،و إنما هو شىء هو معطيه لهم و رزق هو رازقه و ملك هو ملكهم إياه من غير أن يخرج عن ملكه يأمرهم بإنفاق شىء منه فيما يريد فله المنه عليهم فى كل حال.

و قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ »أى فينقطع أمد استطاعته من التصرف فى ماله بالإنفاق فى سبيل الله.

و قوله:« فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لاَ أَخَّرْتَنِي إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ »عطف على قوله:« أَنْ يَأْتِيَ » إلخ،و تقييد الأجل بالقريب للإشعار بأنه قانع بقليل من التمديد-و هو مقدار ما يسع

الإنفاق من العمر-ليسهل إجابته،و لأن الأجل أيا ما كان فهو قريب،و من كلامه (ص):كل ما هو آت قريب.

و قوله:« فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ »نصب« فَأَصَّدَّقَ »لكونه فى جواب التمنى، و جزم« أَكُنْ »لكونه فى معنى جزاء الشرط،و التقدير إن أتصدق أكن من الصالحين.

قوله تعالى:« وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها »إياس لهم من استجابه دعاء من يسأل تأخير الأجل بعد حلوله و الموت بعد نزوله و ظهور آيات الآخره،و قد تكرر فى كلامه تعالى أن الأجل المسمى من مصاديق القضاء المحتوم كقوله: «إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» :يونس:۴۹.

و قوله:« وَ اللّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ »حال من ضمير« أَحَدَكُمُ »أو عطف على أول الكلام و يفيد فائده التعليل،و المعنى:لا تتلهوا و أنفقوا فإن الله عليم بأعمالكم يجازيكم بها.

بحث روائى

فى الفقيه،: و سئل عن قول الله تعالى:« فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ »قال:« فَأَصَّدَّقَ » من الصدقه،و« أَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ »أحج.

أقول:الظاهر أن ذيل الحديث من قبيل الإشاره إلى بعض المصاديق.

و فى المجمع،عن ابن عباس قال": ما من أحد يموت و كان له مال فلم يؤد زكاته-و أطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعه عند الموت.

قالوا:يا ابن عباس اتق الله-فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعه-فقال:أنا أقرأ به عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآيه-يعنى قوله:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ إلى قوله- مِنَ الصّالِحِينَ »قال:الصلاح هنا الحج:، و روى ذلك عن أبى عبد الله(ع).أقول:و رواه فى الدر المنثور،عن عده من أرباب الجوامع عن ابن عباس .

و فى تفسير القمى،بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر(ع) *فى قول الله:« وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها »قال:إن عند الله كتبا موقوفه يقدم منها ما يشاء-و يؤخر ما يشاء-فإذا كان ليله القدر أنزل الله فيها-كل شيء يكون إلى مثلها-فذلك قوله:« وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها »إذا نزله الله و كتبه كتاب السماوات-و هو الذى لا يؤخر.

(۶۴) سوره التغابن مدنیه و هی ثمانی عشره آیه(۱۸)

[سوره التغابن (۶۴): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ لَهُ اَلْمُلْكُ وَ لَهُ اَلْحَمْدُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱) هُوَ اَلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كٰافِرٌ وَ
مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲) خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ اَلْمَصِيرُ (۳) يَعْلَمُ مٰا
فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (۴) أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذٰاقُوا
وَبٰالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۵) ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كٰانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَقٰالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنٰا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اِسْتَغْنَى اَللّٰهُ وَ
اَللّٰهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۶) زَعَمَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلىٰ وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمٰا عَمِلْتُمْ وَ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيرٌ (۷) فَآمِنُوا
بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِي أَنْزَلْنٰا وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۸) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ اَلْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ اَلتَّغٰابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ يَعْمَلْ
صٰالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (۹) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا
بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۱۰)

ص: ۲۹۳

بیان

السوره شبیهه بسوره الحدید فی سیاق کسیاقها و نظم کنظمها کأنها ملخصه منها و غرضها تحریض المؤمنین و ترغیبهم فی الإنفاق فی سبیل الله و رفع ما یهجس فی قلوبهم و یدب فی نفوسهم من الأسی و الأسف علی المصائب التی تهجم علیهم فی تحمل مشاق الإیمان بالله و الجهاد فی سبیل الله و الإنفاق فیها بأن ذلک کله بإذن الله.

و الآیات التی أوردناها من صدر السوره تقدمه و تمهید لبیان الغرض المذکور تبین أن أسماءه تعالی الحسنی و صفاته العلیا تقضی بالبعث و رجوع الکل إلیه تعالی رجوعا یساق فیه أهل الإیمان و العمل الصالح إلی جنه خالده،و أهل الکفر و التکذیب إلی نار مؤبده فهی تمهید للأمر بطاعه الله و رسوله و الصبر علی المصائب و الإنفاق فی سبیل الله من غیر تأثر من منع مانع و لا خوف من لومه لائم.

و السوره مدنیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« یُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْکُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »تقدم الکلام فی معنی التسبیح و الملک و الحمد و القدره،و أن المراد بما فی السماوات و الأرض یشمل نفس السماوات و الأرض و من فیها و ما فیها.

و قوله:« لَهُ الْمُلْکُ »مطلق یفید إطلاق الملک و عدم محدودیته بحد و لا تقیده بقید أو شرط فلا حکم نافذا إلا حکمه،و لا حکم له إلا نافذا علی ما أراد.

و کذا قوله:« وَ لَهُ الْحَمْدُ »مطلق یفید رجوع کل حمد من کل حامد-و الحمد هو الثناء علی الجمیل الاختیاری-إلیه تعالی لأن الخلق و الأمر إلیه فلا ذات و لا صفه و لا فعل جمیلا محمودا إلا منه و إلیه.

و کذا قوله:« وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »بما یدل علیه من عموم متعلق القدره غیر محدوده و لا مقیده بقید أو شرط.

و إذ كانت الآيات-كما تقدمت الإشاره إليه-مسوقه لإثبات المعاد كانت الآيه كالمقدمه الأولى لإثباته،و تفيد أن الله منزه عن كل نقص و شين فى ذاته و صفاته و أفعاله يملك الحكم على كل شىء و التصرف فيه كيفما شاء و أراد،-و لا يتصرف إلا جميلا-و قدرته تسع كل شىء فله أن يتصرف فى خلقه بالإعاده كما تصرف فيهم بالإيذاء-الإحداث و الإبقاء-فله أن يبعثهم إن تعلقت به إرادته و لا تتعلق إلا بحكمه.

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِی خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » الفاء فى« فَمِنْكُمْ »تدل على مجرد ترتب الكفر و الإيمان على الخلق فلا دلاله فى التفريع على كون الكفر و الإيمان مخلوقين لله تعالى أو غير مخلوقين،و إنما المراد انشعابهم فرقتين:

بعضهم كافر و بعضهم مؤمن،و قدم ذكر الكافر لكثره الكفار و غلبتهم.

و«من»فى قوله:« فَمِنْكُمْ »و« فَمِنْكُمْ »للتبعيض أى فبعضكم كافر و بعضكم مؤمن.

و قد نبه بقوله:« وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »على أن انقسامهم قسمين و تفرقهم فرقتين حق كما ذكر،و هم متميزون عنده لأن الملاك فى ذلك أعمالهم ظاهرها و باطنها و الله بما يعملون بصير لا تخفى عليه و لا تشتبه.

و تتضمن الآيه مقدمه أخرى لإثبات المعاد و تنجزه و هى أن الناس مخلوقون له تعالى متميزون عنده بالكفر و الإيمان و صالح العمل و طالحه.

قوله تعالى:« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ » المراد بالحق خلاف الباطل و هو خلقها من غير غايه ثابته و غرض ثابت كما قال: «لَوْ أَرَدْنٰا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا» :الأنبياء:١٧،و قال: «وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ مٰا خَلَقْنٰاهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ» :الدخان:٣٩.

و قوله:« وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ »المراد بالتصوير إعطاء الصوره و صوره الشىء قوامه و نحو وجوده كما قال: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» :التين:۴،و حسن الصوره تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض و المجموع لغايه وجودها،و ليس هو الحسن بمعنى صباحه المنظر و ملاحته بل الحسن العام السارى فى الأشياء كما قال تعالى: «الَّذِی أَحْسَنَ كُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ» :الم السجده:٧.

و لعل اختصاص حسن صورهم بالذكر للتنبيه على أنها ملائمه للغايه التى هى الرجوع إلى الله فتكون الجمله من جمله المقدمات المسوقه لإثبات المعاد على ما تقدمت الإشاره إليه.

و بهـذه الآـيه تتم المقـدمات المنتجه للزوم البعث و رجوع الخلق إليه تعـالى فـإنه تعـالى لمـا كان ملكا قادرا على الإطلاق له أن يحكم بما شاء و يتصرف كيف أراد و هو منزه عن كل نقص و شين محمود فى أفعاله،و كان الناس مختلفين بالكفر و الإيمان و هو بصـير بأعمـالهم، و كـانت الخلقه لغـايه من غير لغو و جزاف كان من الواجب أن يبعثوا بعـد نشأتهم الـدنيا لنشأه أخرى دائمه خالده فيعيشوا فيها عيشه باقيه على ما يقتضيه اختلافهم بالكفر و الإيمان و هو الجزاء الذى يسعد به مؤمنهم و يشقى به كافرهم.

و إلى هذه النتيجه يشير بقوله:« وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ».

قوله تعـالى:« يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »دفع شـبهه لمنكرى المعاد مبنيه على الاستبعاد و هى أنه كيف يمكن إعاده الموجودات و هى فانيه بائده و حوادث العالم لا تحصى و الأعمال و الصفات لا تعـد،منهـا ظـاهره علنيه و منهـا باطنه سـريه و منها مشـهوده و منها مغيبه،فأجيب بأن الله يعلم ما فى السـماوات و الأرض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون.

و قوله:« وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »قيل:إنه اعتراض تذييلى مقرر لشـمول علمه تعالى بما يسـرون و ما يعلنون و المعنى:أنه تعالى محيط علما بالمضرات المستكنه فى صدور الناس مما لا يفارقها أصلا فكيف يخفى عليه شىء مما تسرونه و ما تعلنونه.

و فى قوله:« وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ »إلـخ،وضع الظاهر موضع الضـمير و الأصل«و هو عليم»إلـخ و النكته فيه الإشاره إلى عله الحكم،و ليكون ضابطا يجرى مجرى المثل.

قوله تعـالى:« أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذٰاقُوا وَبٰالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ » وبال الأمر تبعته السيئه و المراد بأمرهم كفرهم و ما تفرع عليه من فسوقهم.

لما كان مقتضـى أسـمائه الحسنى و صفاته العليا المعدوده فى الآيات السابقه وجوب معاد الناس و مصيرهم إلى ربهم للحساب و الجزاء فمن الواجب إعلامهم بمـا يجب عليهم أن يـأتوا به أو يجتنبوا عنه و هو الشـرع،و الطريق إلى ذلـك الرساله فمن الواجب إرسال رسول على أساس الإنذار و التبشير بعقاب الآخره و ثوابها و سخطه تعالى و رضاه.

ساق تعالى الكلام بالإنـذار بالإشاره إلى نبأ الـذين كفروا من قبل و أنهم ذاقوا وبال أمرهم و لهم فى الآخره عذاب أليم ثم انتقل إلى بيان سبب كفرهم و هو تكذيب الرساله ثم إلى سبب ذلك و هو إنكار البعث و المعاد.

ثم استنتج من ذلک کله وجوب إیمانهم بالله و رسوله و الدین الذی أنزله علیه و ختم التمهید المذکور بالتبشیر و الإنذار بالإشاره إلی ما هیئ للمؤمنین الصالحین من جنه خالده و لغیرهم من الکفار المکذبین من نار مؤبده.

فقوله:« أَ لَمْ یَأْتِکُمْ نَبَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَبْلُ »الخطاب للمشرکین و فیه إشاره إلی قصص الأمم السالفه الهالکه کقوم نوح و عاد و ثمود و غیرهم،ممن أهلکهم الله بذنوبهم، و قوله:« فَذٰاقُوا وَبٰالَ أَمْرِهِمْ »إشاره إلی ما نزل علیهم من عذاب الاستئصال و قوله:

« وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ »إشاره إلی عذابهم الأخروی.

قوله تعالی:« ذٰلِکَ بِأَنَّهُ کٰانَتْ تَأْتِیهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَقٰالُوا أَ بَشَرٌ یَهْدُونَنٰا »إلخ، بیان لسبب ما ذکر من تعذیبهم بعذاب الاستئصال و عذاب الآخره،و لذلک جیء بالفصل دون العطف کأنه جواب لسؤال مقدر کان سائلا یسأل فیقول:لم أصابهم ما أصابهم من العذاب؟فقیل:« ذٰلِکَ بِأَنَّهُ کٰانَتْ »إلخ،و الإشاره بذلک إلی ما ذکر من العذاب.

و فی التعبیر عن إتیان الرسل و دعوتهم بقوله:« کٰانَتْ تَأْتِیهِمْ »الدال علی الاستمرار، و عن کفرهم و قولهم بقوله:« فَقٰالُوا و فَکَفَرُوا و تَوَلَّوْا »الدال بالمقابله علی المره دلاله علی أنهم قالوا ما قالوا کلمه واحده قاطعه لا معدل عنها و ثبتوا علیها و هو العناد و اللجاج فتکون الآیه فی معنی قوله تعالی: «تِلْکَ الْقُریٰ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰائِهٰا وَ لَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَمٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمٰا کَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِ الْکٰافِرِینَ» :الأعراف:۱۰۱،و قوله: «ثُمَّ بَعَثْنٰا مِنْ بَعْدِهِ X(أی بعد نوح)X رُسُلاً إِلیٰ قَوْمِهِمْ فَجٰاؤُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَمٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمٰا کَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ کَذٰلِکَ نَطْبَعُ عَلیٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِینَ» :یونس:۷۴.

و قوله:« فَقٰالُوا أَ بَشَرٌ یَهْدُونَنٰا »یطلق البشر علی الواحد و الجمع و المراد به الثانی بدلیل قوله:« یَهْدُونَنٰا »و التنکیر للتحقیر،و الاستفهام للإنکار أی قالوا علی سبیل الإنکار:

أ آحاد من البشر لا فضل لهم علینا یهدوننا.؟ و هذا القول منهم مبنی علی الاستکبار،علی أن أکثر هؤلاء الأمم الهالکه کانوا وثنیین و هم منکرون للنبوه و هو أساس تکذیبهم لدعوه الأنبیاء،و لذلک فرع تعالی علی قولهم:

« أَ بَشَرٌ یَهْدُونَنٰا »قوله:« فَکَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا »أی بنوا علیه کفرهم و إعراضهم.

و قوله:« وَ اسْتَغْنَی اللّٰهُ » الاستغناء طلب الغنی و هو من الله سبحانه-و هو غنی بالذات- إظهار الغنی و ذلک أنهم کانوا یرون أن لهم من العلم و القوه و الاستطاعه ما یدفع عن جمعهم

الفناء و يضمن لهم البقاء كأنه لا غنى للوجود عنهم كما حكى الله سبحانه عن قائلهم:

«قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً» :الكهف:۳۵،و قال: «وَ لَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذَا لِي وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» :حم السجده:۵۰.

و مآل هذا الظن بالحقيقه إلى أن لله سبحانه حاجه إليهم و فيهم-و هو الغنى بالذات- فإهلاكه تعالى لهم و إفناؤهم إظهار منه لغناه عن وجودهم،و على هذا فالمراد بقوله:

« وَ اسْتَغْنَى اللّٰهُ »استئصالهم المدلول عليه بقوله:« فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ».

على أن الإنسان معجب بنفسه بالطبع يرى أن له على الله كرامه كان من الواجب عليه أن يحسن إليه أينما كان كان لله سبحانه حاجه إلى إسعاده و الإحسان إليه كما يشير إليه قوله تعالى: «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنىٰ» :حم السجده:

۵۰،و قوله: «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً» :الكهف:۳۶.

و مآل هذا الزعم بالحقيقه إلى أن من الواجب على الله سبحانه أن يسعدهم كيفما كان كأن له إليهم حاجه فإذاقته لهم وبال أمرهم و تعذيبهم في الآخره إظهار منه تعالى لغناه عنهم،فالمراد باستغنائه تعالى عنهم مجموع ما أفيد بقوله:« فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ».

فهذان وجهان في معنى قوله تعالى:« وَ اسْتَغْنَى اللّٰهُ »و الثاني منهما أشمل،و في الكلمه على أي حال من سطوع العظمه و القدره ما لا يخفى،و هو في معنى قوله: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ» :المؤمنون:۴۴.

و قيل:المراد و استغنى الله بإقامه البرهان و إتمام الحجه عليهم عن الزياده على ذلك بإرشادهم و هدايتهم إلى الإيمان.

و قيل:المراد و استغنى الله عن طاعتهم و عبادتهم أزلا و أبدا لأنه غني بالذات، و الوجهان كما ترى.

و قوله:« وَ اللّٰهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ »في محل التعليل لمضمون الآيه،و المعنى:و الله غني في ذاته محمود فيما فعل،فما فعل بهم من إذاقتهم وبال أمرهم و تعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم و توليهم من غناه و عدله لأنه مقتضى عملهم المردود إليهم.

قوله تعالى:« زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلىٰ وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمٰا عَمِلْتُمْ وَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ »ذكر ركن آخر من أركان كفر الوثنيين و هو إنكارهم الدين السماوى بإنكار المعاد إذ لا يبقى مع انتفاء المعاد أثر للدين المبنى على الأمر و النهى و الحساب و الجزاء و يصلح تعليلا لإنكار الرساله إذ لا معنى حينئذ للتبليغ و الوعيد.

و المراد بالذين كفروا عامه الوثنيين و منهم من عاصر النبى ص منهم كأهل مكه و ما والاها،و قيل:المراد أهل مكه خاصه.

و قوله:« قُلْ بَلىٰ وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمٰا عَمِلْتُمْ »أمر النبى ص أن يجيب عن زعمهم أن لن يبعثوا،بإثبات ما نفوه بما فى الكلام من أصناف التأكيد بالقسم و اللام و النون.

و« ثُمَّ »فى« ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ »للتراخى بحسب رتبه الكلام،و فى الجمله إشاره إلى غايه البعث و هو الحساب و قوله:« وَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ »أى ما ذكر من البعث و الإنباء بالأعمال يسير عليه تعالى غير عسير،و فيه رد لإحالتهم أمر البعث على الله سبحانه استبعادا،و قد عبر عنه فى موضع آخر من كلامه بمثل قوله: «وَ هُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» :الروم:۲۷.

و الدليل عليه ما عده فى صدر الآيات من أسمائه تعالى و صفاته من الخلق و الملك و العلم و أنه مسبح محمود،و يجمع الجميع أنه الله المستجمع لجميع صفات الكمال.

و يظهر من هنا أن التصريح باسم الجلاله فى الجمله أعنى قوله:« وَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ » للإيماء إلى التعليل،و المفاد أن ذلك يسير عليه تعالى لأنه الله،و الكلام حجه برهانيه لا دعوى مجرده.

و ذكروا أن الآيه ثالثه الآيات التى أمر الله نبيه ص أن يقسم بربه على وقوع المعاد و هى ثلاث:إحداها قوله: «وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَ رَبِّى» :يونس:۵۳، و الثانيه قوله: «وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَأْتِينَا السّٰاعَةُ قُلْ بَلىٰ وَ رَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ» :سبأ:۳، و الثالثه الآيه التى نحن فيها.

قوله تعالى:« فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنٰا وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »تفريع على مضمون الآيه السابقه أى إذا كنتم مبعوثين لا محاله منبئين بما عملتم وجب عليكم أن تؤمنوا بالله و رسوله و النور الذى أنزله على رسوله و هو القرآن الذى يهدى بنوره الساطع إلى مستقيم الصراط،و يبين شرائع الدين.

و فی قوله:« وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنٰا »التفات من الغیبه إلی التکلم مع الغیر و لعل النکته فیه تتمیم الحجه بالسلوک من طریق الشهاده و هی أقطع للعذر فکم فرق بین قولنا:

و النور الذی أنزل و هو إخبار،و قوله:« وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنٰا »ففیه شهاده منه تعالی علی أن القرآن کتاب سماوی نازل من عنده تعالی،و الشهاده آکد من الإخبار المجرد.

لا یقال:ما ذا ینفع ذلک و هم ینکرون کون القرآن کلامه تعالی النازل من عنده و لو صدقوا ذلک کفاهم ما مر من الحجه علی المعاد و أغنی عن التمسک بذیل الالتفات المذکور.

لأنه یقال:کفی فی إبطال إنکارهم کونه کلام الله ما فی القرآن من آیات التحدی المثبته لکونه کلام الله،و الشهاده علی أی حال آکد و أقوی من الإخبار و إن کان مدللا.

و قوله:« وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ »تذکره بعلمه تعالی بدقائق أعمالهم لیتأکد به الأمر فی قوله:« فَآمِنُوا »و المعنی:آمنوا و جدوا فی إیمانکم فإنه علیم بدقائق أعمالکم لا یغفل عن شیء منها و هو مجازیکم بها لا محاله.

قوله تعالی:« یَوْمَ یَجْمَعُکُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِکَ یَوْمُ التَّغٰابُنِ »إلخ،« یَوْمَ »ظرف لقوله السابق:« لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ »إلخ،و المراد بیوم الجمع یوم القیامه الذی یجمع فیه الناس لفصل القضاء بینهم قال تعالی: «وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَجَمَعْنٰاهُمْ جَمْعاً» :الکهف:۹۹،و قد تکرر فی القرآن الکریم حدیث الجمع لیوم القیامه،و یفسره أمثال قوله تعالی: «إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» :الجاثیه:۱۷،و قوله: «فَاللّٰهُ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» :البقره:۱۱۳،و قوله: «إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» :السجده:۲۵،فالآیات تشیر إلی أن جمعهم للقضاء بینهم.

و قوله:« ذٰلِکَ یَوْمُ التَّغٰابُنِ »قال الراغب: الغبن أن تبخس صاحبک فی معامله بینک و بینه بضرب من الإخفاء.قال:و یوم التغابن یوم القیامه لظهور الغبن فی المعامله المشار إلیها بقوله:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ »و بقوله:« إِنَّ اللّٰهَ اشْتَریٰ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ »الآیه،و بقوله:« اَلَّذِینَ یَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَ أَیْمٰانِهِمْ ثَمَناً قَلِیلاً »فعلموا أنهم غبنوا فیما ترکوا من المبایعه و فیما تعاطوه من ذلک جمیعا.

و سئل بعضهم عن یوم التغابن فقال:تبدو الأشیاء لهم بخلاف مقادیرهم فی الدنیا.

انتهی موضع الحاجه.

و ما ذکره أولا مبنی علی تفسیر التغابن بسریان المغبونیه بین الکفار بأخذهم لمعامله

خاسره و ترکهم معامله رابحه،و هو معنی حسن غیر أنه لا یلائم معنی باب التفاعل الظاهر فی فعل البعض فی البعض.

و ما نقله عن بعضهم وجه ثان لا یخلو من دقه،و یؤیده مثل قوله تعالی: «فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ» :الم السجده:۱۷،و قوله: «لَهُمْ مٰا یَشٰاؤُنَ فِیهٰا وَ لَدَیْنٰا مَزِیدٌ» :ق:۳۵،و قوله: «وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ» :الزمر:۴۷.

و مقتضی هذا الوجه عموم التغابن لجمیع أهل الجمع من مؤمن و کافر أما المؤمن فلما أنه لم یعمل لآخرته أکثر مما عمل،و أما الکافر فلأنه لم یعمل أصلا،و الوجه المشترک بینهما أنهما لم یقدرا الیوم حق قدره.

و یرد علی هذا الوجه ما یرد علی سابقه.

و هناک وجه ثالث و هو أن یعتبر التغابن بین أهل الضلال متبوعیهم و تابعیهم فالمتبوعون و هم المستکبرون یغبنون تابعیهم و هم الضعفاء حیث یأمرونهم بأخذ الدنیا و ترک الآخره فیضلون،و التابعون یغبنون المتبوعین حیث یعینونهم فی استکبارهم باتباعهم فیضلون، فکل من الفریقین غابن لغیره و مغبون من غیره.

و هناک وجه رابع وردت به الروایه و هو أن لکل عبد منزلا فی الجنه لو أطاع الله لدخله،و منزلا فی النار لو عصی الله لدخله و یوم القیامه یعطی منازل أهل النار فی الجنه لأهل الجنه،و یعطی منازل أهل الجنه فی النار لأهل النار فیکون أهل الجنه و هم المؤمنون غابنین لأهل النار و هم الکفار و الکفار هم المغبونون.

و قال بعض المفسرین بعد إیراد هذا الوجه:و قد فسر التغابن قوله ذیلا:« وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللّٰهِ -إلی قوله- وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ »انتهی.و لیس بظاهر ذاک الظهور.

و قوله:« وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ یَعْمَلْ صٰالِحاً -إلی قوله- وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ »تقدم تفسیره مرارا.

بحث روائی

فی صحیح البخاری،عن أبی هریره عن النبی ص قال*: ما من عبد یدخل الجنه إلا أری مقعده من النار-لو أساء لیزداد شکرا.و ما من عبد یدخل النار إلا أری مقعده من الجنه-لو أحسن لیزداد حسره.

أقول:و فی هذا المعنی روایات کثیره من طرق العامه و الخاصه و قد تقدم بعضها فی تفسیر أول سوره المؤمنون.

و فی تفسیر البرهان،عن ابن بابویه بإسناده عن حفص بن غیاث عن أبی عبد الله(ع) قال*:یوم التلاق یوم یلتقی أهل السماء و الأرض،و یوم التناد یوم ینادی أهل النار أهل الجنه« أَفِیضُوا عَلَیْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَکُمُ اللّهُ »و یوم التغابن یوم یغبن أهل الجنه أهل النار،و یوم الحسره یوم یؤتی بالموت فیذبح.

أقول:و فی ذیل آیات صدر السوره المبحوث عنها عده من الروایات توجه الآیات بشئون الولایه کالذی ورد أن الإیمان و الکفر هما الإیمان و الکفر بالولایه یوم أخذ المیثاق، و ما ورد أن المراد بالبینات الأئمه،و ما ورد أن المراد بالنور الإمام و هی جمیعا ناظره إلی بطن الآیات و لیست بمفسره البته.

[سوره التغابن (۶۴): الآیات ۱۱ الی ۱۸]

اشاره

ما أَصابَ مِنْ مُصِیبَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اَللّهِ وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللّهِ یَهْدِ قَلْبَهُ وَ اَللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۱۱) وَ أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَإِنَّما عَلی رَسُولِنَا اَلْبَلاغُ اَلْمُبِینُ (۱۲) اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ عَلَی اَللّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱۳) یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِکُمْ وَ أَوْلادِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۴) إِنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ وَ اَللّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِیمٌ (۱۵) فَاتَّقُوا اَللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِیعُوا وَ أَنْفِقُوا خَیْراً لِأَنْفُسِکُمْ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۱۶) إِنْ تُقْرِضُوا اَللّهَ قَرْضاً حَسَناً یُضاعِفْهُ لَکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اَللّهُ شَکُورٌ حَلِیمٌ (۱۷) عالِمُ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهادَهِ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱۸)

بيان

شروع فيما هو الغرض من السوره بعد ما مر من التمهيد و التوطئه و هو الندب إلى الإنفاق فى سبيل الله و الصبر على ما يصيبهم من المصائب فى خلال المجاهده فى الله سبحانه.

و قدم ذكر المصيبه و الإشاره إلى الصبر عليها ليصفو المقام لما سيندب إليه من الإنفاق و ينقطع العذر.

قوله تعالى:« مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » المصيبه صفه شاع استعمالها فى الحوادث السوء التى تصحب الضر،و الإذن الاعلام بالرخصه و عدم المانع و يلازم علم الإذن بما أذن فيه،و ليس هو العلم كما قيل.

فظهر بما تقدم أولا- أن إذنه تعالى فى عمل سبب من الأسباب هو التخليه بينه و بين مسببه برفع الموانع التى تتخلل بينه و بين مسببه فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببيته كالنار تقتضى إحراق القطن مثلا لو لا الفصل بينهما و الرطوبه فرفع الفصل بينهما و الرطوبه من القطن مع العلم بذلك إذن فى عمل النار فى القطن بما تقتضيه ذاتها أعنى الإحراق.

و قد كان استعمال الإذن فى العرف العام مختصا بما إذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الاعلام فى مفهومه فيقال:أذنت لفلان أن يفعل كذا و لا يقال:أذنت للنار أن تحرق،و لا أذنت للفرس أن يعدو،لكن القرآن الكريم يستعمله فيما يعم العقلاء و غيرهم بالتحليل كقوله: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ» :النساء:۶۴،و قوله: «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبٰاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» :الأعراف:۵۸،و لا يبعد أن يكون هذا التعميم مبنيا على ما يفيده القرآن من سريان العلم و الإدراك فى الموجودات كما قدمناه فى تفسير قوله: «قٰالُوا أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» :حم السجده:۲۱.

و كيف كان فلا يتم عمل من عامل و لا تأثير من مؤثر إلا بإذن من الله سبحانه فما كان من الأسباب غير تام له موانع لو تحققت منعت من تأثيره فإذنه تعالى له فى أن يؤثر رفعه

الموانع،و ما كان منها تاما لا مانع له يمنعه فإذنه له عدم جعله له شيئا من الموانع فتأثيره يصاحب الإذن من غير انفكاك.

و ثانيا:أن المصائب و هى الحوادث التى تصيب الإنسان فتؤثر فيه آثارا سيئه مكروهه إنما تقع بإذن من الله سبحانه كما أن الحسنات كذلك لاستيعاب إذنه تعالى صدور كل أثر من كل مؤثر.

و ثالثا:أن هذا الإذن إذن تكوينى غير الإذن التشريعى الذى هو رفع الحظر عن الفعل فإصابه المصيبه تصاحب إذنا من الله فى وقوعها و إن كانت من الظلم الممنوع فإن كون الظلم ممنوعا غير مأذون فيه إنما هو من جهه التشريع دون التكوين.

و لذا كانت بعض المصائب غير جائزه الصبر عليها و لا مأذونا فى تحملها و يجب على الإنسان أن يقاومها ما استطاع كالمظالم المتعلقه بالأعراض و النفوس.

و من هنا يظهر أن المصائب التى ندب إلى الصبر عندها هى التى لم يؤمر المصاب عندها بالذب و الامتناع عن تحملها كالمصائب العامه الكونيه من موت و مرض مما لا شأن لاختيار الإنسان فيها،و أما ما للاختيار فيها دخل كالمظالم المتعلقه نوع تعلق بالاختيار من المظالم المتوجهه إلى الأعراض فلإنسان أن يتوقاها ما استطاع.

و قوله:« وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ »كان ظاهر سياق قوله:« مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَهٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ »يفيد أن لله سبحانه فى الحوادث التى تسوء الإنسان علما و مشيه فليست تصيبه مصيبه إلا بعد علمه تعالى و مشيته فليس لسبب من الأسباب الكونيه أن يستقل بنفسه فيما يؤثره فإنما هو نظام الخلقه لا رب يملكه إلا خالقه فلا تحدث حادثه و لا تقع واقعه إلا بعلم منه و مشيه فلم يكن ليخطئه ما أصابه و لم يكن ليصيبه ما أخطأه.

و هذه هى الحقيقه التى بينها بلسان آخر فى قوله: «مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَهٍ فِى الْأَرْضِ وَ لاٰ فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاّٰ فِى كِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ» :الحديد:٢٢.

فالله سبحانه رب العالمين و لازم ربوبيته العامه أنه وحده يملك كل شىء لا مالك بالحقيقه سواه،و النظام الجارى فى الوجود مجموع من أنحاء تصرفاته فى خلقه فلا يتحرك متحرك و لا يسكن ساكن إلا عن إذن منه،و لا يفعل فاعل و لا يقبل قابل إلا عن علم سابق منه و مشيه لا يخطئ علمه و مشيته و لا يرد قضاؤه.

فالإذعان بكونه تعالى هو الله يستعقب اهتداء النفس إلى هذه الحقائق و اطمئنان

ص :٣٠۴

القلب و سكونه و عدم اضطرابه و قلقه من جهه تعلقه بالأسباب الظاهريه و إسناده المصائب و النوائب المره إليها دون الله سبحانه.

و هذا معنى قوله تعالى:« وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ».

و قيل:معنى الجمله:و من يؤمن بتوحيد الله و يصبر لأمر الله يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول:إنا لله و إنا إليه راجعون،و فيه إدخال الصبر فى معنى الإيمان.

و قيل:المعنى:و من يؤمن بالله يهد قلبه إلى ما عليه أن يفعل فإن ابتلى صبر و إن أعطى شكر و إن ظلم غفر،و هذا الوجه قريب مما قدمناه.

و قوله:« وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »تأكيد للاستثناء المتقدم،و يمكن أن يكون إشاره إلى ما يفيده قوله: «مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا» :الحديد:٢٢.

قوله تعالى:« وَ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمٰا عَلىٰ رَسُولِنَا الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ » ظاهر تكرار« أَطِيعُوا »دون أن يقال:أطيعوا الله و الرسول اختلاف المراد بالإطاعه،فالمراد بإطاعه الله تعالى الانقياد له فيما شرعه لهم من شرائع الدين و المراد بإطاعه الرسول الانقياد له و امتثال ما يأمر به بحسب ولايته للأمه على ما جعلها الله له.

و قوله:« فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمٰا عَلىٰ رَسُولِنَا الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ » التولى الإعراض،و البلاغ التبليغ، و المعنى:فإن أعرضتم عن إطاعه الله فيما شرع من الدين أو عن إطاعه الرسول فيما أمركم به بما أنه ولى أمركم،فلم يكرهكم رسولنا على الطاعه فإنه لم يؤمر بذلك،و إنما أمر بالتبليغ و قد بلغ.

و من هنا يظهر أن أمر النبى ص فيما وراء الأحكام و الشرائع من تبليغ رساله الله فأمره و نهيه فيما توليه من أمر الله و نهيه،و طاعته فيهما من طاعه الله تعالى كما يدل عليه إطلاق قوله تعالى: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ» :النساء:۶۴.الظاهر فى أن طاعه الرسول فيما يأمر و ينهى مطلقا مأذون فيه بإذن الله،و إذنه فى طاعته يستلزم علمه و مشيته لطاعته،و إراده طاعه الأمر و النهى إراده لنفس الأمر و النهى فأمر النبى ص و نهيه من أمر الله و نهيه و إن كان فيما وراء الأحكام و الشرائع المجعوله له تعالى.

و لما تقدم من رجوع طاعه الرسول إلى طاعه الله التفت من الغيبه إلى الخطاب فى قوله:

« رَسُولِنَا »و فيه مع ذلك شيء من شائبه التهديد.

قوله تعالى:« اَللّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »فى مقام التعليل لوجوب إطاعه الله على ما تقدم أن طاعه الرسول من طاعه الله،توضيح ذلك أن الطاعه بمعنى الانقياد و الائتمار للأمر و الانتهاء عن النهى من شئون العبوديه حيث لا أثر لملك المولى رقبه عبده إلا مالكيته لإرادته و عمله فلا يريد إلا ما يريد المولى أن يريده و لا يعمل إلا ما يريد المولى أن يعمله فالطاعه نحو من العبوديه كما يشير إليه قوله: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ» :يس:۶۰،يعاتبهم بعباده الشيطان و إنما أطاعوه.

فطاعه المطيع بالنسبه إلى المطاع نوع عباده له،و إذ لا معبود إلا الله فلا طاعه إلا لله عز اسمه أو من أمر بطاعته فالمعنى:أطيعوا الله سبحانه إذ لا طاعه إلا لمعبود و لا معبود بالحق إلا الله فيجب عليكم أن تعبدوه و لا تشركوا به بطاعه غيره و عبادته كالشيطان و هوى النفس و هذا معنى كون الجمله فى مقام التعليل.

و بما مر يظهر وجه تخصيص صفه الألوهيه التى تفيد معنى المعبوديه،بالذكر دون صفه الربوبيه فلم يقل:الله لا رب غيره.

و قوله:« وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »تأكيد لمعنى الجمله السابقه أعنى قوله:« اَللّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ ».

توضيحه:أن التوكيل إقامه الإنسان غيره مقام نفسه فى إداره أموره و لازم ذلك قيام إرادته مقام إراده موكله و فعله مقام فعله فينطبق بوجه على الإطاعه فإن المطيع يجعل إرادته و عمله تبعا لإراده المطاع فتقوم إراده المطاع مقام إرادته و يعود عمله متعلقا لإراده المطاع صادرا منها اعتبارا فترجع الإطاعه توكيلا بوجه كما أن التوكيل إطاعه بوجه.

فإطاعه العبد لربه اتباع إرادته لإراده ربه و الإتيان بالفعل على هذا النمط و بعباره أخرى إيثار إرادته و ما يتعلق بها من العمل على إراده نفسه و ما يتعلق بها من العمل.

فطاعته تعالى فيما شرع لعباده و ما يتعلق بها نوع تعلق من التوكل عليه،و طاعته واجبه لمن عرفه و آمن به فعلى الله فليتوكل المؤمنون و إياه فليطيعوا،و أما من لم يعرفه و لم يؤمن به فلا تتحقق منه طاعه.

و قد بان بما تقدم أن الإيمان و العمل الصالح نوع من التوكل على الله تعالى.

قوله تعالى:« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ »إلخ

« مِنْ »فی« أَزْوٰاجِکُمْ »للتبعیض،و سیاق الخطاب بلفظ« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا »و تعلیق العداوه بهم یفید التعلیل أی إنهم یعادونهم بما أنهم مؤمنون،و العداوه من جهه الإیمان لا تتحقق إلا باهتمامهم أن یصرفوهم عن أصل الإیمان أو عن الأعمال الصالحه کالإنفاق فی سبیل الله و الهجره من دار الکفر أو أن یحملوهم علی الکفر أو المعاصی الموبقه کالبخل عن الإنفاق فی سبیل الله شفقه علی الأولاد و الأزواج و الغصب و اکتساب المال من غیر طریق حله.

فالله سبحانه یعد بعض الأولاد و الأزواج عدوا للمؤمنین فی إیمانهم حیث یحملونهم علی ترک الإیمان بالله أو ترک بعض الأعمال الصالحه أو اقتراف بعض الکبائر الموبقه و ربما أطاعوهم فی بعض ذلک شفقه علیهم و حبا لهم فأمرهم الله بالحذر منهم.

و قوله:« وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ »قال الراغب: العفو القصد لتناول الشیء یقال:عفاه و اعتفاه أی قصده متناولا ما عنده-إلی أن قال- و عفوت عنه قصدت إزاله ذنبه صارفا عنه،و قال: الصفح ترک التثریب و هو أبلغ من العفو،و لذلک قال تعالی:« فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّٰی یَأْتِیَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ »و قد یعفو الإنسان و لا یصفح،و قال: الغفر البأس ما یصونه عن الدنس،و منه قیل:اغفر ثوبک فی الوعاء و اصبغ ثوبک فإنه أغفر للوسخ،و الغفران و المغفره من الله هو أن یصون العبد من أن یمسه العذاب قال:« غُفْرٰانَکَ رَبَّنٰا »و« مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ »« وَ مَنْ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّٰهُ »انتهی.

ففی قوله:«فاعفوا و اصفحوا و اغفروا»ندب إلی کمال الإغماض عن الأولاد و الأزواج.

إذا ظهر منهم شیء من آثار المعاداه المذکوره-مع الحذر من أن یفتتن بهم.

و فی قوله:« فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ »إن کان المراد خصوص مغفرته و رحمته للمخاطبین أن یعفوا و یصفحوا و یغفروا کان وعدا جمیلا لهم تجاه عملهم الصالح کما فی قوله تعالی:

«وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا أَ لاٰ تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اللّٰهُ لَکُمْ» :النور:۲۲.

و إن أرید مغفرته و رحمته العامتان من غیر تقیید بمورد الخطاب أفاد أن المغفره و الرحمه من صفات الله سبحانه فإن عفوا و صفحوا و غفروا فقد اتصفوا بصفات الله و تخلقوا بأخلاقه.

قوله تعالی:« إِنَّمٰا أَمْوٰالُکُمْ وَ أَوْلاٰدُکُمْ فِتْنَهٌ وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِیمٌ » الفتنه ما یبتلی و یمتحن

به،و کون الأموال و البنین فتنه إنما هو لکونهما زینه الحیاه تنجذب إلیهما النفس انجذابا فتفتتن و تلهو بهما عما یهمها من أمر آخرته و طاعه ربه،قال تعالی: «الْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا» :الکهف:۴۶.

و الجمله کنایه عن النهی عن التلهی بهما و التفریط فی جنب الله باللهی إلیهما و یؤکده قوله:

« وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِیمٌ ».

قوله تعالی:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »إلخ،أی مبلغ استطاعتکم-علی ما یفیده السیاق فإن السیاق سیاق الدعوه و الندب إلی السمع و الطاعه و الإنفاق و المجاهده فی الله- و الجمله تفریع علی قوله:« إِنَّمٰا أَمْوٰالُکُمْ »إلخ،فالمعنی:اتقوه مبلغ استطاعتکم و لا تدعوا من الاتقاء شیئا تسعه طاقتکم و جهدکم فتجری الآیه مجری قوله: «اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ» :آل عمران:۱۰۲،و لیست الآیه ناظره إلی نفی التکلیف بالاتقاء فیما وراء الاستطاعه و فوق الطاقه کما فی قوله: «وَ لاٰ تُحَمِّلْنٰا مٰا لاٰ طٰاقَهَ لَنٰا بِهِ» :البقره:۲۸۶.

و قد بان مما مر:

أولا:أن لا منافاه بین الآیتین أعنی قوله:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »و قوله:« اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ »و أن الاختلاف بینهما کالاختلاف بالکمیه و الکیفیه،فقوله:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »أمر باستیعاب جمیع الموارد التی تسعها الاستطاعه بالتقوی،و قوله:« اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ »أمر بالتلبس فی کل من موارد التقوی بحق التقوی دون شبحها و صورتها.

و ثانیا:فساد قول بعضهم:إن قوله:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »ناسخ لقوله:« اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ »و هو ظاهر.

و قوله:« وَ اسْمَعُوا وَ أَطِیعُوا وَ أَنْفِقُوا خَیْراً لِأَنْفُسِکُمْ »توضیح و تأکید لقوله:

« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »و السمع الاستجابه و القبول و هو فی مقام الالتزام القلبی،و الطاعه الانقیاد و هو فی مقام العمل،و الإنفاق المراد به بذل المال فی سبیل الله.

و« خَیْراً لِأَنْفُسِکُمْ »منصوب بمحذوف-علی ما فی الکشاف،-و التقدیر آمنوا خیرا لأنفسکم،و یحتمل أن یکون« أَنْفِقُوا »مضمنا معنی قدموا أو ما یقرب منه بقرینه المقام،و فی قوله:« لِأَنْفُسِکُمْ »دون أن یقال:خیرا لکم زیاده تطییب لنفوسهم أی إن الإنفاق خیر لکم لا ینتفع به إلا أنفسکم لما فیه من بسط أیدیکم و سعه قدرتکم علی رفع حوائج مجتمعکم.

و قوله:« وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »تقدم تفسيره فی تفسير سوره الحشر.

قوله تعالی:« إِنْ تُقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّٰهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ »المراد بإقراض الله الإنفاق فی سبيله سماه الله إقراضا لله و سمی المال المنفق قرضا حسنا حثا و ترغيبا لهم فيه.

و قوله:« يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ »إشاره إلی حسن جزائه فی الدنيا و الآخره.

و الشكور و الحليم و عالم الغيب و الشهاده و العزيز و الحكيم خمسه من أسماء الله الحسنی تقدم شرحها،و وجه مناسبتها لما أمر به فی الآيه من السمع و الطاعه و الإنفاق ظاهر.

بحث روائی

فی تفسير القمی،فی روايه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:« إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ وَ أَوْلاٰدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ »و ذلك أن الرجل إذا أراد الهجره-تعلق به ابنه و امرأته-و قالوا:ننشدك الله أن تذهب عنا فنضيع بعدك-فمنهم من يطيع أهله فيقيم- فحذرهم الله أبناءهم و نساءهم و نهاهم عن طاعتهم،و منهم من يمضی و يذرهم و يقول:

أما و الله لئن لم تهاجروا معی-ثم جمع الله بينی و بينكم فی دار الهجره-لا أنفعكم بشیء أبدا.

فلما جمع الله بينه و بينهم-أمر الله أن يتوق بحسن وصله-فقال:« وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »:.

أقول:و روی هذا المعنی فی الدر المنثور،عن عده من أصحاب الجوامع عن ابن عباس .

و فی الدر المنثور،:فی قوله تعالی:« إِنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ »:عن ابن مردويه عن عباده بن الصامت و عبد الله بن أبی أوفی عن النبی ص*: لكل أمه فتنه و فتنه أمتی المال:.

أقول:و روی مثله أيضا عنه عن كعب بن عياض عنه(ص) .

و فيه،أخرج ابن أبی شيبه و أحمد و أبو داود و الترمذی و النسائی و ابن ماجه و الحاكم و ابن مردويه عن بريده قال*: كان النبی ص يخطب فأقبل الحسن و الحسين-عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران-فنزل رسول الله ص من المنبر فحملهما-واحدا من ذا الشق

و واحدا من ذا الشق-ثم صعد المنبر فقال:صدق الله-قال:« إِنَّمَا أَمْوالُكَمْ وَ أَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ »،إنى لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان و يعثران-لم أصبر إن قطعت كلامى و نزلت إليهما.

أقول:و الروايه لا تخلو من شيء و أنى تنال الفتنه من النبى ص و هو سيد الأنبياء المخلصين معصوم مؤيد بروح القدس.

و أفظع لحنا من هذا الحديث

ما رواه عن ابن مردويه عن عبد الله بن عمر *أن رسول الله ص بينما هو يخطب الناس على المنبر-خرج الحسين بن على فوطأ فى ثوب كان عليه-فسقط فبكى فنزل رسول الله ص عن المنبر.

فلما رأى الناس أسرعوا إلى الحسين يتعاطونه-يعطيه بعضهم بعضا حتى وقع فى يد رسول الله ص-فقال:قاتل الله الشيطان إن الولد لفتنه،و الذى نفسى بيده ما دريت أنى نزلت عن منبرى.

و مثله ما عن ابن المنذر عن يحيى بن أبى كثير قال*: سمع النبى ص بكاء حسن أو حسين-فقال النبى ص الولد فتنه-لقد قمت إليه و ما أعقل.

فالوجه طرح الروايات إلا أن تؤول.

و فى تفسير البرهان،عن ابن شهرآشوب عن تفسير وكيع حدثنا سفيان بن مره الهمدانى عن عبد خير *سألت على بن أبى طالب عن قوله تعالى:« اِتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ »قال:و الله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله ص.نحن ذكرنا الله فلا ننساه و نحن شكرناه فلن نكفره،و نحن أطعناه فلم نعصه.

فلما نزلت هذه قالت الصحابه:لا نطيق ذلك-فأنزل الله:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ».

الحديث.

و فى تفسير القمى،حدثنى أبى عن الفضل بن أبى مره قال*: رأيت أبا عبد الله(ع) يطوف من أول الليل إلى الصباح-و هو يقول:اللهم و قنى شح نفسى-فقلت:جعلت فداك ما رأيتك تدعو بغير هذا الدعاء-فقال:و أى شيء أشد من شح النفس؟إن الله يقول:

« وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

(۶۵) سوره الطلاق مدنیه و هی اثنتا عشره آیه(۱۲)

[سوره الطلاق (۶۵): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ إِذٰا طَلَّقْتُمُ اَلنِّسٰاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا اَلْعِدَّةَ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ رَبَّكُمْ لاٰ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لاٰ يَخْرُجْنَ إِلاّٰ أَنْ يَأْتِينَ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ اَللّٰهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اَللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاٰ تَدْرِي لَعَلَّ اَللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً (۱) فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فٰارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا اَلشَّهٰادَةَ لِلّٰهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كٰانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اَللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲) وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اَللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اَللّٰهَ بٰالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اَللّٰهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (۳) وَ اَللاّٰئِي يَئِسْنَ مِنَ اَلْمَحِيضِ مِنْ نِسٰائِكُمْ إِنِ اِرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاٰثَةُ أَشْهُرٍ وَ اَللاّٰئِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولاٰتُ اَلْأَحْمٰالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اَللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (۴) ذٰلِكَ أَمْرُ اَللّٰهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اَللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (۵) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لاٰ تُضٰارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولاٰتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعٰاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ (۶) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّٰا آتٰاهُ اَللّٰهُ لاٰ يُكَلِّفُ اَللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ مٰا آتٰاهٰا سَيَجْعَلُ اَللّٰهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (۷)

بيان

تتضمن السوره بيان كليات من أحكام الطلاق تعقبه عظه و إنذار و تبشير،و السوره مدنيه بشهاده سياقها.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ »إلى آخر الآيه،بدئ الخطاب بنداء النبى ص لأنه الرسول إلى الأمه و إمامهم فيصلح لخطابه أن يشمله و أتباعه من أمته و هذا شائع فى الاستعمال يخص مقدم القوم و سيدهم بالنداء و يخاطب بما يعمه و قومه فلا موجب لقول بعضهم:إن التقدير يا أيها النبى قل لأمتك:إذا طلقتم النساء إلخ.

و قوله:« إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ »أى إذا أردتم أن تطلقوا النساء و أشرفتم على ذلك إذ لا معنى لتحقق الطلاق بعد وقوع الطلاق فهو كقوله: «إِذٰا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاٰةِ فَاغْسِلُوا» Xالآيه X:المائده:۶.

و العده قعود المرأه عن الزوج حتى تنقضى المده المرتبه شرعا،و المراد بتطليقهن لعدتهن تطليقهن لزمان عدتهن بحيث يأخذ زمان العده من يوم تحقق التطليقه و ذلك بأن تكون التطليقه فى طهر لا مواقعه فيه حتى تنقضى أقراؤها.

و قوله:« وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ »أى عدوا الأقراء التى تعتد بها،و هو الاحتفاظ عليها لأن للمرأه فيها حق النفقه و السكنى على زوجها و للزوج فيها حق الرجوع.

و قوله:« وَ اتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ لاٰ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ »ظاهر السياق كون« لاٰ تُخْرِجُوهُنَّ » إلخ،بدلا من« اِتَّقُوا اللّٰهَ رَبَّكُمْ »و يفيد ذلك تأكيد النهى فى« لاٰ تُخْرِجُوهُنَّ »و المراد

ببيوتهن البيوت التى كن يسكنه قبل الطلاق أضيفت إليهن بعنايه السكنى.

و قوله:« وَ لاٰ يَخْرُجْنَ »نهى عن خروجهن أنفسهن كما كان سابقه نهيا عن إخراجهن.

و قوله:« إِلاّٰ أَنْ يَأْتِينَ بِفٰاحِشَهٍ مُبَيِّنَهٍ »أى ظاهره كالزنا و البذاء و إيذاء أهلها كما فى الروايات المأثوره عن أئمه أهل البيت(ع).

و قوله:« وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ »أى الأحكام المذكوره للطلاق حدود الله حد بها أعمالكم و من يتعد و يتجاوز حدود الله بأن لم يراعها و خالفها فقد ظلم نفسه أى عصى ربه.

و قوله:« لاٰ تَدْرِي لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً »أى أمرا يقضى بتغير الحال و تبدل رأى الزوج فى طلاقها بأن يميل إلا الالتيام و يظهر فى قلبه محبه حب الرجوع إلى سابق الحال.

قوله تعالى:« فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فٰارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ -إلى قوله- وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ »المراد من بلوغهن أجلهن اقترابهن من آخر زمان العده و إشرافهن عليه،و المراد بإمساكهن الرجوع على سبيل الاستعاره،و بمفارقتهن تركهن ليخرجن من العده و يبن.

و المراد بكون الإمساك بمعروف حسن الصحبه و رعايه ما جعل الله لهن من الحقوق، و بكون فراقهن بمعروف أيضا استرام الحقوق الشرعيه فالتقدير بمعروف من الشرع.

و قوله:« وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ »أى أشهدوا على الطلاق رجلين منكم صاحبى عدل،و قد مر توضيح معنى العدل فى تفسير سوره البقره.

و قوله:« وَ أَقِيمُوا الشَّهٰادَهَ لِلّٰهِ »تقدم توضيحه فى تفسير سوره البقره.

و قوله:« ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كٰانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ »أى ما مر من الأمر بتقوى الله و إقامه الشهاده لله و النهى عن تعدى حدود الله أو مجموع ما مر من الأحكام و البعث إلى التقوى و الإخلاص فى الشهاده و الزجر عن تعدى حدود الله يوعظ به المؤمنون ليركنوا إلى الحق و ينقلعوا عن الباطل،و فيه إيهام أن فى الإعراض عن هذه الأحكام أو تغييرها خروجا من الإيمان.

قوله تعالى:« وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ -إلى قوله- قَدْراً »أى« وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ »و يتورع عن محارمه و لم يتعد حدوده و احترم

لشرائعه فعمل بها« يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً »من مضائق مشكلات الحياه فإن شريعته فطريه يهدى بها الله الإنسان إلى ما تستدعيه فطرته و تقضى به حاجته و تضمن سعادته فى الدنيا و الآخره« وَ يَرْزُقْهُ »من الزوج و المال و كل ما يفتقر إليه فى طيب عيشه و زكاه حياته « مِنْ حَيْثُ لاـ يَحْتَسِبُ »و لاـ يتوقع فلا يخف المؤمن أنه إن اتقى الله و احترم حدوده حرم طيب الحياه و ابتلى بضنك المعيشه فإن الرزق مضمون و الله على ما ضمنه قادر.

« وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ »باعتزاله عن نفسه فيما تهواه و تأمر به و إيثاره إراده الله سبحانه على إراده نفسه و العمل الذى يريده الله على العمل الذى تهواه و تريده نفسه و بعباره أخرى تدين بدين الله و عمل بأحكامه« فَهُوَ حَسْبُهُ »أى كافيه فيما يريده من طيب العيش و يتمناه من السعاده بفطرته لا بواهمته الكاذبه.

و ذلك أنه تعالى هو السبب الأعلى الذى تنتهى إليه الأسباب فإذا أراد شيئا فعله و بلغ ما أراده من غير أن تتغير إرادته فهو القائل: «مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ» :ق:٢٩،أو يحول بينه و بين ما أراده مانع فهو القائل: «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لاـ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ» :الرعد:٤١، و أما الأسباب الآخر التى يتشبث بها الإنسان فى رفع حوائجه فإنما تملك من السببيه ما ملكها الله سبحانه و هو المالك لما ملكها و القادر على ما عليه أقدرها و لها من الفعل مقدار ما أذن الله فيه.

فالله كاف لمن توكل عليه لا غيره« إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ »يبلغ حيث أراد،و هو القائل:

« إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »« قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً »فما من شىء إلا له قدر مقدور و حد محدود و الله سبحانه لا يحده حد و لا يحيط به شىء و هو المحيط بكل شىء.

هذا هو معنى الآيه بالنظر إلى وقوعها فى سياق آيات الطلاق و انطباقها على المورد.

و أما بالنظر إلى إطلاقها فى نفسها مع الغض عن السياق الذى وقعت فيه فقوله:« وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاـ يَحْتَسِبُ »مفاده أن من اتقى الله بحقيقه معنى تقواه و لاـ يتم ذلك إلاـ بمعرفته تعالى بأسمائه و صفاته ثم تورعه و اتقائه بالاجتناب عن المحرمات و تحرز ترك الواجبات خالصا لوجهه الكريم،و لازمه أن لا يريد إلا ما يريده الله من فعل أو ترك،و لازمه أن يستهلك إرادته فى إراده الله فلا يصدر عنه فعل إلا عن إراده من الله.

و لازم ذلک أن یری نفسه و ما یترتب علیها من سمه أو فعل ملکا طلقا لله سبحانه یتصرف فیها بما یشاء و هو ولایه الله یتولی أمر عبده فلا یبقی له من الملک بحقیقه معناه شیء إلا ما ملکه الله سبحانه و هو المالک لما ملکه و الملک لله عز اسمه.

و عند ذلک ینجیه الله من مضیق الوهم و سجن الشرک بالتعلق بالأسباب الظاهریه و« یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِبُ »أما الرزق المادی فإنه کان یری ذلک من عطایا سعیه و الأسباب الظاهریه التی کان یطمئن إلیها و ما کان یعلم من الأسباب إلاـ قلیلا من کثیر کقبس من نار یضیء للإنسان فی اللیله الظلماء موضع قدمه و هو غافل عما وراءه، لکن الله سبحانه محیط بالأسباب و هو الناظم لها ینظمها کیف یشاء و یأذن فی تأثیر ما لا علم له به من خبایاها.

و أما الرزق المعنوی الذی هو حقیقه الرزق الذی یعیش به النفس الإنسانیه و تبقی فهو مما لم یکن یحتسبه و لا یحتسب طریق وروده علیه.

و بالجمله هو سبحانه یتولی أمره و یخرجه من مهبط الهلاک و یرزقه من حیث لا یحتسب، و لا یفقد من کماله و النعم التی کان یرجو نیلها بسعیه شیئا لأنه توکل علی الله و فوض إلی ربه ما کان لنفسه« وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ »دون سائر الأسباب الظاهریه التی تخطئ تاره و تصیب أخری« إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ »لأن الأمور محدوده محاطه له تعالی و« قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِکُلِّ شَیْءٍ قَدْراً »فهو غیر خارج عن قدره الذی قدره به.

و هذا نصیب الصالحین من الأولیاء من هذه الآیه.

و أما من هو دونهم من المؤمنین المتوسطین من أهل التقوی النازله درجاتهم من حیث المعرفه و العمل فلهم من ولایه الله ما یلائم حالهم فی إخلاص الإیمان و العمل الصالح و قد قال تعالی و أطلق: «وَ اللّهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِینَ» :آل عمران:۶۸،و قال و أطلق: «وَ اللّهُ وَلِیُّ الْمُتَّقِینَ» :الجاثیه:۱۹.

و تدینهم بدین الحق و هی سنه الحیاه و ورودهم و صدورهم فی الأمور عن إرادته تعالی هو تقوی الله و التوکل علیه بوضع إرادته تعالی موضع إراده أنفسهم فینالون من سعاده الحیاه بحسبه و یجعل الله لهم مخرجا و یرزقهم من حیث لا یحتسبون،و حسبهم ربهم فهو بالغ أمره و قد جعل لکل شیء قدرا.

و علیهم من حرمان السعاده قدر ما دب من الشرک فی إیمانهم و عملهم و قد قال تعالی:

«وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» :يوسف:١٠۶،و قال و أطلق: «إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» :النساء:۴٨.

و قال: «وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً» :طه:٨٢،أی لمن تاب من الشرک و قال و أطلق: «وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» :المزمل:٢٠.

فلا يرقى المؤمن إلى درجه من درجات ولايه الله إلا بالتوبه من خفى الشرك الذى دونها.

و الآيه من غرر الآيات القرآنيه و للمفسرين فى جملها كلمات متشتته أضربنا عنها.

قوله تعالى:« وَ اللاّٰئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسٰائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاٰثَةُ أَشْهُرٍ » المراد بالارتياب الشک فى يأسهن من المحيض أ هو لكبر أم لعارض،فالمعنى:و اللائى يئسن من المحيض من نسائكم و شككتم فى أمر يأسهن أ هو لبلوغ سنهن سن اليأس أم لعارض فعدتهن ثلاثه أشهر.

و قوله:« وَ اللاّٰئِي لَمْ يَحِضْنَ »عطف على قوله:« وَ اللاّٰئِي يَئِسْنَ »إلخ،و المعنى:

و اللائى لم يحضن و هو فى سن من تحيض فعدتهن ثلاثه أشهر.

و قوله:« وَ أُولاٰتُ الْأَحْمٰالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ »أى منتهى زمان عدتهن وضع الحمل.

و قوله:« وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً »أى يسهل عليه ما يستقبله من الشدائد و المشاق،و قيل:المراد أنه يسهل عليه أمور الدنيا و الآخره إما بفرج عاجل أو عوض آجل.

قوله تعالى:« ذٰلِكَ أَمْرُ اللّٰهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ »أى ما بينه فى الآيات المتقدمه حكم الله أنزله إليكم،و فى قوله:« وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً »دلاله على أن اتباع الأوامر من التقوى كاجتناب المحرمات و لعله باعتبار أن امتثال الأمر يلازم اجتناب تركه.

و تكفير السيئات سترها بالمغفره،و المراد بالسيئات المعاصى الصغيره فيبقى للتقوى كبائر المعاصى،و يكون مجموع قوله:« وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئٰاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً » فى معنى قوله: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً

كَرِيماً» :النساء:۳۱،و من الآيتين يظهر أن المراد بالمحارم فى قوله(ع)فى تعريف التقوى:أنها الورع عن محارم الله المعاصى الكبيره.

و يظهر أيضا أن مخالفه ما أنزله الله من الأمر فى الطلاق و العده من الكبائر إذ التقوى المذكوره فى الآيه تشمل ما ذكر من أمر الطلاق و العده لا محاله فهو غير السيئات المكفره و إلا اختل معنى الآيه.

قوله تعالى:« أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ »إلى آخر الآيه،قال فى المفردات،:و قوله تعالى:« مِنْ وُجْدِكُمْ »أى تمكنكم و قدر غناكم،و يعبر عن الغنى بالوجدان و الجده،و قد حكى فيه الوجد و الوجد و الوجد-بالحركات الثلاث فى الواو-انتهى.

و ضمير« أَسْكِنُوهُنَّ »للمطلقات على ما يؤيده السياق، و المعنى:اسكنوا المطلقات من حيث سكنتم من المساكن على قدر تمكنكم و غناكم على الموسر قدره و على المعسر قدره.

و قوله:« وَ لاٰ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ »أى لا توجهوا إليهن ضررا يشق عليهن تحمله من حيث السكنى و الكسوه و النفقه لتوردوا الضيق و الحرج عليهن.

و قوله:« وَ إِنْ كُنَّ أُولاٰتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ »معناه ظاهر.

و قوله:« فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ »فلهن عليكم أجر الرضاعه و هو من نفقه الولد التى على الوالد.

و قوله:« وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ » الائتمار بشيء تشاور القوم فيه بحيث يأمر بعضهم فيه بعضا،و هو خطاب للرجل و المرأه أى تشاوروا فى أمر الولد و توافقوا فى معروف من العاده بحيث لا يتضرر الرجل بزياده الأجر الذى ينفقه و لا المرأه بنقيصته و لا الولد بنقص مده الرضاع إلى غير ذلك.

و قوله:« وَ إِنْ تَعٰاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرىٰ »أى و إن أراد كل منكم من الآخر ما فيه عسر و اختلفتم فسترضع الولد امرأه أخرى أجنبيه غير والدته أى فليسترضع الوالد غير والده الصبى.

قوله تعالى:« لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ »الإنفاق من سعه هو التوسعه فى الإنفاق و هو أمر لأهل السعه بأن يوسعوا على نسائهم المطلقات المرضعات أولادهم.

و قوله:« وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّٰا آتٰاهُ اللّٰهُ » قدر الرزق ضيقه،و الإيتاء

الإعطاء،و المعنی:و من ضاق علیه رزقه و کان فقیرا لا یتمکن من التوسع فی الإنفاق فلینفق علی قدر ما أعطاه الله من المال أی فلینفق علی قدر تمکنه.

و قوله:« لاٰ یُکَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ مٰا آتٰاهٰا »أی لا یکلف الله نفسا إلا بقدر ما أعطاها من القدره فالجمله تنفی الحرج من التکالیف الإلهیه و منها إنفاق المطلقه.

و قوله:« سَیَجْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ عُسْرٍ یُسْراً »فیه بشری و تسلیه.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن أبی سعید الخدری قال"*:نزلت سوره النساء القصری-بعد التی فی البقره بسبع سنین.

أقول:سوره النساء القصری هی سوره الطلاق.

و فیه،أخرج مالک و الشافعی و عبد الرزاق فی المصنف و أحمد و عبد بن حمید و البخاری و مسلم و أبو داود و الترمذی و النسائی و ابن ماجه و ابن جریر و ابن المنذر و أبو یعلی و ابن مردویه و البیهقی فی سننه عن ابن عمر *أنه طلق امرأته و هی حائض-فذکر ذلک لرسول الله ص-فتغیظ فیه رسول الله ص ثم قال:لیراجعها ثم یمسها حتی تطهر ثم تحیض فتطهر-فإن بدا له أن یطلقها-فلیطلقها طاهرا قبل أن یمسها-فتلک العده التی أمر الله أن یطلق لها النساء،و قرأ النبی ص:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ-فَطَلِّقُوهُنَّ فی قبل عدتهن».

أقول:قوله:«فی قبل عدتهن»قراءه ابن عمر و ما فی المصحف« لِعِدَّتِهِنَّ ».

و فیه،أخرج ابن المنذر عن ابن سیرین *فی قوله:« لَعَلَّ اللّٰهَ یُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِکَ أَمْراً » قال:فی حفصه بنت عمر طلقها النبی ص واحده-فنزلت« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ - -إلی قوله- یُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِکَ أَمْراً »قال:فراجعها.

و فی الکافی،بإسناده عن زراره عن أبی جعفر(ع)أنه قال*: کل طلاق لا یکون علی السنه أو علی العده فلیس بشیء.قال زراره فقلت لأبی جعفر(ع):فسر لی طلاق السنه و طلاق العده-فقال:أما طلاق السنه-فإذا أراد الرجل أن یطلق امرأته- فینتظر بها حتی تطمث و تطهر-فإذا خرجت من طمثها طلقها تطلیقه من غیر جماع-

و يشهد شاهدين على ذلك ثم يدعها حتى تطمث طمثين-فتنقضى عدتها بثلاث حيض و قد بانت منه-و يكون خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته-و إن شاءت لم تتزوجه،و عليه نفقتها و السكنى ما دامت فى مدتها،و هما يتوارثان حتى تنقضى العده.

قال:و أما طلاق العده الذى قال الله تعالى:« فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ » فإذا أراد الرجل منكم أن يطلق امرأته طلاق العده-فلينتظر بها حتى تحيض و تخرج من حيضتها-ثم يطلقها تطليقه من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين-و يراجعها من يومه ذلك إن أحب-أو بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض-و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه حتى تحيض-فإذا حاضت و خرجت من حيضها-طلقها تطليقه أخرى من غير جماع و يشهد على ذلك-ثم يراجعها أيضا متى شاء قبل أن تحيض-و يشهد على رجعتها و يواقعها-و تكون معه إلى أن تحيض الحيضه الثالثه-فإذا خرجت من حيضتها الثالثه-طلقها التطليقه الثالثه بغير جماع-و يشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه-و لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره.

قيل له:فإن كانت ممن لا تحيض؟قال:مثل هذه تطلق طلاق السنه.

و فى قرب الإسناد،بإسناده عن صفوان قال:سمعت يعنى أبا عبد الله: و جاء رجل فسأله فقال:إنى طلقت امرأتى ثلاثا فى مجلس-فقال:ليس بشىء.ثم قال:أ ما تقرأ كتاب الله تعالى« يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ-وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللّهَ رَبَّكُمْ-لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ-إِلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ».

ثم قال:أ لا تدرى« لَعَلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً »ثم قال:كلما خالف كتاب الله و السنه-فهو يرد إلى كتاب الله و السنه.

و فى تفسير القمى،":فى معنى قوله:« لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ-إِلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ »قال:لا يحل لرجل أن يخرج امرأته إذا طلقها-و كان له عليها رجعه- من بيته و هى لا تحل لها أن تخرج من بيته-إلا أن يأتين بفاحشه مبينه.

و معنى الفاحشه أن تزنى أو تسرق على الرجل،و من الفاحشه أيضا السلاطه على زوجها -فإن فعلت شيئا من ذلك حل له أن يخرجها.

و فى الكافى،بإسناده عن وهب بن حفص عن أحدهما(ع) *فى المطلقه تعتد فى بيتها،و تظهر له زينتها-لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

أقول:و فی هذه المعانی و معانی جمل الآیتین روایات أخری عن أئمه أهل البیت (ع).

و فیه،بإسناده عن معاویه بن وهب عن أبی عبد الله(ع)قال*: من أعطی ثلاثا لم یمنع ثلاثا:من أعطی الدعاء أعطی الإجابه،و من أعطی الشکر أعطی الزیاده،و من أعطی التوکل أعطی الکفایه.

قال:أ تلوت کتاب الله عز و جل؟« وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ »و قال:« لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ »و قال:« اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ ».

و فیه،بإسناده عن محمد بن مسلم قال*: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل:

« وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَحْتَسِبُ »قال:فی دنیاه.

و فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید و ابن جریر و ابن أبی حاتم عن سالم بن أبی الجعد قال*: نزلت هذه الآیه:« وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً »فی رجل من أشجع أصابه جهد و بلاء-و کان العدو أسروا ابنه فأتی النبی ص فقال:اتق الله و اصبر، فرجع ابن له کان أسیرا قد فکه الله-فأتاهم و قد أصاب أعنزا فجاء فذکر ذلک للنبی ص-فنزلت فقال النبی ص:هی لک.

و فیه،أخرج أبو یعلی و أبو نعیم و الدیلمی من طریق عطاء بن یسار عن ابن عباس قال*:

قال رسول الله ص: فی قوله:« وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً »قال:من شبهات الدنیا و من غمرات الموت-و من شدائد یوم القیامه.

و فیه،أخرج الحاکم و صححه و ابن مردویه و البیهقی عن أبی ذر قال*: جعل رسول الله یتلو هذه الآیه« وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَحْتَسِبُ »فجعل یرددها حتی نعست.ثم قال:یا أبا ذر لو أن الناس کلهم أخذوا بها لکفتهم.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم و الطبرانی و الخطیب عن عمران بن حصین قال:قال رسول الله ص*: من انقطع إلی الله کفاه الله کل مئونه-و رزقه من حیث لا یحتسب-و من انقطع إلی الدنیا وکله الله إلیها.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن ابن عباس رفع الحدیث إلی رسول الله ص قال*: من أحب أن یکون أقوی الناس فلیتوکل علی الله،و من أحب أن یکون أغنی الناس-فلیکن بما فی ید الله أوثق منه بما فی یده،و من أحب أن یکون أکرم الناس فلیتق الله.

أقول:و قد تقدم فی ذیل الکلام علی الآیات معنی هذه الروایات.

و فی الکافی،بإسناده عن الحلبی عن أبی عبد الله(ع)قال*: عده المرأه التی لا تحیض- و المستحاضه التی لا تطهر ثلاثه أشهر،و عده التی تحیض و یستقیم حیضها ثلاثه قروء، و سألته عن قول الله عز و جل:« إِنِ ارْتَبْتُمْ »ما الریبه؟فقال:ما زاد علی شهر فهو ریبه-فلتعتد ثلاثه أشهر و لیترک الحیض الحدیث.

و فیه،بإسناده عن محمد بن قیس عن أبی جعفر(ع)قال*: عده الحامل أن تضع حملها- و علیه نفقتها بالمعروف حتی تضع حملها.

و فیه،بإسناده عن أبی الصباح الکنانی عن أبی عبد الله(ع)قال*: إذا طلق الرجل المرأه و هی حبلی-أنفق علیها حتی تضع حملها-فإذا وضعته أعطاها أجرها و لا تضارها- إلا أن یجد من هی أرخص أجرا منها-فإن رضیت بذلک الأجر فهی أحق بابنها حتی تفطمه.

و فی الفقیه،بإسناده عن ربعی بن عبد الله و الفضیل بن یسار عن أبی عبد الله(ع) *فی قوله عز و جل:« وَ مَنْ قُدِرَ عَلَیْهِ رِزْقُهُ فَلْیُنْفِقْ مِمّٰا آتٰاهُ اللّٰهُ »قال:إن أنفق علیها ما یقیم ظهرها مع الکسوه-و إلا فرق بینهما:.

أقول:و رواه فی الکافی بإسناده عن أبی بصیر عنه(ع) .

و فی تفسیر القمی،":فی قوله:« وَ أُولاٰتُ الْأَحْمٰالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ »قال:المطلقه الحامل أجلها أن تضع ما فی بطنها-إن وضعت یوم طلقها زوجها-فلها أن تتزوج إذا طهرت، و أن تضع ما فی بطنها إلی تسعه أشهر لم تتزوج إلا أن تضع.

و فی الکافی،بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبی الحسن(ع)قال*: سألته عن الحبلی إذا طلقها زوجها فوضعت سقطا-تم أو لم یتم أو وضعته مضغه؟قال:کل شیء وضعته یستبین أنه حمل تم أو لم یتم-فقد انقضت عدتها.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر عن مغیره قال"*: قلت للشعبی:ما أصدق إن علی بن أبی طالب کان یقول:عده المتوفی عنها زوجها آخر الأجلین.

قال:بلی فصدق به کأشد ما صدقت بشیء-کان علی یقول:إنما قوله:« وَ أُولاٰتُ الْأَحْمٰالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ »فی المطلقه.

و فیه،أخرج عبد الرزاق عن عبید الله بن عبد الله بن عتبه" «أن أبا عمرو بن حفص بن المغیره-خرج مع علی إلی الیمن-فأرسل إلی امرأته فاطمه بنت قیس-بتطلیقه کانت بقیت من طلاقها،و أمر لها الحارث بن هشام و عباس بن أبی ربیعه بنفقه-فاستقلتها فقالا لها و الله ما لک نفقه-إلا أن تکونی حاملا-فأتت النبی ص فذکرت له أمرها-فقال لها النبی ص:لا نفقه لک-فاستأذنته فی الانتقال فأذن لها.

فأرسل إلیها مروان یسألها عن ذلک فحدثته-فقال مروان:لم أسمع بهذا الحدیث إلا من امرأه-سنأخذ بالعصمه التی وجدنا الناس علیها-فقالت فاطمه:بینی و بینکم کتاب الله- قال الله عز و جل:« وَ لاٰ یَخْرُجْنَ -إِلاّٰ أَنْ یَأْتِینَ بِفٰاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ »حتی بلغ« لاٰ تَدْرِی لَعَلَّ اللّٰهَ یُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِکَ أَمْراً »قالت:هذا لمن کانت له مراجعه-فأی أمر یحدث بعد الثلاث؟ فکیف تقولون:لا نفقه إذا لم تکن حاملا؟فعلام تحبسونها.؟ و لکن یترکها حتی إذا حاضت-و طهرت طلقها تطلیقه-فإن کانت تحیض فعدتها ثلاث حیض،و إن کانت لا تحیض فعدتها ثلاثه أشهر،و إن کانت حاملا فعدتها أن تضع حملها- و أن أراد مراجعتها قبل أن تنقضی عدتها-أشهد علی ذلک رجلین کما قال الله:« وَ أَشْهِدُوا ذَوَیْ عَدْلٍ مِنْکُمْ »عند الطلاق و عند المراجعه.

فإن راجعها فهی عنده علی طلقتین-و إن لم یراجعها فإذا انقضت عدتها-فقد بانت منه بواحده و هی أملک لنفسها-ثم تتزوج من شاءت هو أو غیره.

[سوره الطلاق (۶۵): الآیات ۸ الی ۱۲]

اشاره

وَ کَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهٰا وَ رُسُلِهِ فَحٰاسَبْنٰاهٰا حِسٰاباً شَدِیداً وَ عَذَّبْنٰاهٰا عَذٰاباً نُکْراً (۸) فَذٰاقَتْ وَبٰالَ أَمْرِهٰا وَ کٰانَ عٰاقِبَهُ أَمْرِهٰا خُسْراً (۹) أَعَدَّ اَللّٰهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِیداً فَاتَّقُوا اَللّٰهَ یٰا أُولِی اَلْأَلْبٰابِ اَلَّذِینَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اَللّٰهُ إِلَیْکُمْ ذِکْراً (۱۰) رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیٰاتِ اَللّٰهِ مُبَیِّنٰاتٍ لِیُخْرِجَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَی اَلنُّورِ وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ یَعْمَلْ صٰالِحاً یُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اَللّٰهُ لَهُ رِزْقاً (۱۱) اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ مِنَ اَلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ یَتَنَزَّلُ اَلْأَمْرُ بَیْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ وَ أَنَّ اَللّٰهَ قَدْ أَحٰاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً (۱۲)

بیان

موعظه و إنذار و تبشیر تؤکد التوصیه بالتمسک بما شرع الله لهم من الأحکام و من جملتها ما شرعه من أحکام الطلاق و العده و لم یوص القرآن الکریم و لا أکد فی التوصیه فی شیء من الأحکام المشرعه کما وصی و أکد فی أحکام النساء،و لیس إلا لأن لها نبأ.

قوله تعالی:« وَ کَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهٰا وَ رُسُلِهِ فَحٰاسَبْنٰاهٰا حِسٰاباً شَدِیداً وَ عَذَّبْنٰاهٰا عَذٰاباً نُکْراً »قال الراغب: العتو النبوء عن الطاعه انتهی.فهو قریب المعنی من الاستکبار،و قال: النکر الدهاء و الأمر الصعب الذی لا یعرف انتهی.و المراد بالنکر فی الآیه المعنی الثانی،و فی المجمع،النکر المنکر الفظیع الذی لم یر مثله انتهی.

و المراد بالقریه أهلها علی سبیل التجوز کقوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْیَهَ» :یوسف:۸۲،و فی قوله:« عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهٰا وَ رُسُلِهِ »إشاره إلی أنهم کفروا بالله سبحانه بالشرک و کفروا کفرا آخر برسله بتکذیبهم فی دعوتهم.علی أنهم کفروا بالله تعالی فی ترک شرائعه المشرعه و کفروا برسله فیما أمروا به بولایتهم لهم کما مر نظیره فی قوله: «وَ أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَإِنَّمٰا عَلیٰ رَسُولِنَا الْبَلاٰغُ الْمُبِینُ» :التغابن:۱۲.

و شده الحساب المناقشه فیه و الاستقصاء لتوفیه الأجر کما هو علیه،و المراد به حساب الدنیا غیر حساب الآخره و الدلیل علی کونه حساب الدنیا قوله تعالی: «وَ مٰا أَصٰابَکُمْ مِنْ مُصِیبَهٍ فَبِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ» :الشوری:۳۰،و قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُریٰ

آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» :الأعراف:۹۶.

فما يصيب الإنسان من مصيبه-و هى المصيبه فى نظر الدين-هو حاصل محاسبه أعماله و الله يعفو عن كثير منها بالمسامحه و المساهله فى المحاسبه غير أنه تعالى يحاسب العاتين المستكبرين عن أمره و رسله حسابا شديدا بالمناقشه و الاستقصاء و التثريب فيعذبهم عذابا نكرا.

و المعنى:و كم من أهل قريه عتوا و استكبروا عن أمر ربهم و رسله فلم يطيعوا الله و رسله فحاسبناها حسابا شديدا ناقشنا فيه و استقصيناه،و عذبناهم عذابا صعبا غير معهود و هو عذاب الاستئصال فى الدنيا.

و ما قيل:إن المراد به عذاب الآخره،و التعبير بالفعل الماضى للدلاله على تحقق الوقوع غير سديد.

و فى قوله:« فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَ عَذَّبْناها »التفات من الغيبه إلى التكلم مع الغير،و نكتته الدلاله على العظمه.

قوله تعالى:« فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَ كانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً »المراد بأمرها عتوها و استكبارها،و المعنى:فأصابتهم عقوبه عتوهم و كان عاقبه عتوهم خسارا كأنهم اشتروا العتو بالطاعه فانتهى إلى أن خسروا.

قوله تعالى:« أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً »هذا جزاؤهم فى الأخرى كما كان ما فى قوله:« فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها »جزاؤهم فى الدنيا.

و الفصل فى قوله:« أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ »إلخ،لكونه فى مقام دفع الدخل كأنه لما قيل:

« وَ كانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً »،قيل:ما المراد بخسرهم؟فقيل:« أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً ».

قوله تعالى:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً »استنتاج مما تقدم خوطب به المؤمنون ليأخذوا حذرهم و يقوا أنفسهم أن يعتوا عن أمر ربهم و يطغوا عن طاعته فيبتلوا بوبال عتوهم و خسران عاقبتهم كما ابتليت بذلك القرى الهالكه.

و قد وصف المؤمنين بأولى الألباب فقال:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا »

استمدادا من عقولهم على ما يريده منهم من التقوى فإنهم لما سمعوا أن قوما عتوا عن أمر ربهم فحوسبوا حسابا شديدا و عذبوا عذابا نكرا و كان عاقبه أمرهم خسرا ثم سمعوا أن ذلك تكرر مره بعد مره و أباد قوما بعد قوم، قضت عقولهم بأن العتو و الاستكبار عن أمر الله تعرض لشديد حساب الله و منكر عذابه فتنبههم و تبعثهم إلى التقوى و قد أنزل الله إليهم ذكرا يذكرهم به ما لهم و ما عليهم و يهديهم إلى الحق و إلى طريق مستقيم.

قوله تعالى:« رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللّهِ مُبَيِّنَاتٍ »إلخ،عطف بيان أو بدل من « ذِكْراً »فالمراد بالذكر الذى أنزله هو الرسول سمى به لأنه وسيله التذكره بالله و آياته و سبيل الدعوه إلى دين الحق،و المراد بالرسول محمد ص على ما يؤيده ظاهر قوله:

« يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللّهِ مُبَيِّنَاتٍ »إلخ.

و على هذا فالمراد بإنزال الرسول بعثه من عالم الغيب و إظهاره لهم رسولا من عنده بعد ما لم يكونوا يحتسبون كما فى قوله: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ» :الحديد:۲۵.

و قد دعى ظهور الإنزال فى كونه من السماء بعضهم كصاحب الكشاف إلى أن فسر « رَسُولاً »بجبريل و يكون حينئذ معنى تلاوته الآيات عليهم تلاوته على النبى ص بما أنه متبوع لقومه و وسيله الإبلاغ لهم لكن ظاهر قوله:« يَتْلُوا عَلَيْكُمْ »إلخ،خلاف ذلك.

و يحتمل أن يكون« رَسُولاً »منصوبا بفعل محذوف و التقدير أرسل رسولا يتلو عليكم آيات الله،و يكون المراد بالذكر المنزل إليهم القرآن أو ما بين فيه من الأحكام و المعارف.

و قوله:« لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »تقدم تفسيره فى نظائره.

و قوله:« وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً »وعد جميل و تبشير.

و قوله:« قَدْ أَحْسَنَ اللّهُ لَهُ رِزْقاً »وصف لإحسانه تعالى إليهم فيما رزقهم به من الرزق و المراد بالرزق ما رزقهم من الإيمان و العمل الصالح فى الدنيا و الجنه فى الآخره،و قيل المراد به الجنه.

قوله تعالى:« اَللّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ » إلخ،بيان يتأكد به ما تقدم فى الآيات من حديث ربوبيته تعالى و بعثه الرسول و إنزاله

الـذكر ليطيعوه فيه و أن فى تمرده و مخـالفته الحسـاب الشديـد و العـذاب الأليم و فى طاعته الجنه الخالـده كل ذلك لأنه قـدير عليم.

فقوله:« اَللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ »تقدم بعض الكلام فيه فى تفسير سوره حم السجده.

و قوله:« وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ »ظـاهره المثليه فى العـدد،و عليه فـالمعنى:و خلق من الأـرض سـبعا كما خلق من السـماء سـبعا فهل الأـرضون السـبع سـبع كرات من نوع الأـرض التى نحن عليها و التى نحن عليها إحـداها؟أو الأرض التى نحن عليها سبع طبقات محيطـه بعضـها ببعض و الطبقـه العليـا بسيطها الـذى نحـن عليه؟أو المراد الأقـاليم السـبعه الـتى قسـموا إليهـا المعمـور من سـطح الكره؟وجوه ذهب إلى كل منها جمع و ربما لاح بالرجوع إلى ما تقدم فى تفسير سوره حم السجده محتمل آخر غيرها.

و ربمـا قيـل:إن المراد بقوله:« وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ »أنه خلق من الأرض شـيئا هو مثل السـماوات السـبع و هو الإنسان المركـب من الماده الأرضيه و الروح السماويه التى فيها نماذج سماويه ملكوتيه.

و قوله:« يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ »الظاهر أن الضـمير للسـماوات و الأرض جميعا و الأمر هو الأمر الإلهى الذى فسره بقوله: «إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ» :يس:٨٣، و هو كلمه الإيجـاد،و تنزله هو أخـذه بالنزول من مصـدر الأمر إلى سـماء بعـد سـماء حتى ينتهى إلى العالم الأرضـى فيتكون ما قصـد بالأمر من عين أو أثر أو رزق أو موت أو حياه أو عزه أو ذله أو غير ذلك قال تعالى: «وَ أَوْحىٰ فِى كُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا» :حم السجده:١٢، و قال: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ» :الم السجده:٥.

و قيل:المراد بالأمر الأمر التشـريعى يتنزل ملائكه الوحى به من السماء إلى النبى و هو بالأرض.و هو تخصيص من غير مخصص و ذيل الآيه« لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ »إلخ، لا يلائمه.

و قوله:« أَنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحٰاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً »من الغايات المترتبه على خلقه السـماوات السـبع و من الأـرض مثلهن و تنزيله الأـمر بينهن،و فى ذلـك انتساب الخلق و الأمر إليه و اختصاصـهما به فإن المتفكر فى ذلك لا يرتاب فى قدرته على كل

شیء و علمه بکل شیء فلیتق مخالفه أمره أولوا الألباب من المؤمنین فإن سنه هذا القدیر العلیم تجری علی إثابه المطیعین لأوامره،و مجازاه العاتین المستکبرین و کذلک أخذ ربک إذا أخذ القری و هی ظالمه إن أخذه ألیم شدید.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ کَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ »قال:أهل القریه.

و فی تفسیر البرهان،عن ابن بابویه بإسناده عن الریان بن الصلت عن الرضا(ع)فی حدیث المأمون قال*: الذکر رسول الله ص و نحن أهله-و ذلک بین فی کتاب الله حیث یقول فی سوره الطلاق:« فَاتَّقُوا اللّٰهَ یٰا أُولِی الْأَلْبٰابِ الَّذِینَ آمَنُوا-قَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَیْکُمْ ذِکْراً- رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیٰاتِ اللّٰهِ مُبَیِّنٰاتٍ »قال:فالذکر رسول الله و نحن أهله.

و فی تفسیر القمی،حدثنی أبی عن الحسین بن خالد عن أبی الحسن الرضا(ع)قال*:

قلت له:أخبرنی عن قول الله عز و جل:« وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْحُبُکِ »فقال:هی محبوکه إلی الأرض و شبک بین أصابعه-فقلت:کیف تکون محبوکه إلی الأرض و الله یقول:

رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا ؟فقال:سبحان الله أ لیس الله یقول:بغیر عمد ترونها؟ قلت:بلی.قال:فثم عمد و لکن لا ترونها.

قلت:فکیف ذلک جعلنی الله فداک؟قال:فبسط کفه الیسری ثم وضع الیمنی علیها-فقال:هذه أرض الدنیا و السماء الدنیا فوقها قبه،و الأرض الثانیه فوق السماء الدنیا- و السماء الثانیه فوقها قبه،و الأرض الثالثه فوق السماء الثانیه-و السماء الثالثه فوقها قبه، و الأرض الرابعه فوق السماء الثالثه-و السماء الرابعه فوقها قبه،و الأرض الخامسه فوق السماء الرابعه-و السماء الخامسه فوقها قبه،و الأرض السادسه فوق السماء الخامسه-و السماء السادسه فوقها قبه،و الأرض السابعه فوق السماء السادسه-و السماء السابعه فوقها قبه-و عرش الرحمن تبارک و تعالی فوق السماء السابعه-و هو قول الله عز و جل: اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ-وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ یَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَیْنَهُنَّ .

فأما صاحب الأمر فهو رسول الله ص-و الوصی بعد رسول الله قائم علی وجه الأرض-فإنما یتنزل الأمر إلیه من فوق السماء-من بین السماوات و الأرضین.

قلت:فما تحتنا إلا أرض واحده؟فقال:ما تحتنا إلا أرض واحده-و إن الست لهن فوقنا:.

أقول:و عن الطبرسی عن العیاشی عن الحسین بن خالد عن الرضا(ع):مثله .

و الحدیث نادر فی بابه،و هو و خاصه ما فی ذیله من تنزل الأمر أقرب إلی الحمل علی المعنی منه إلی الحمل علی الصوره و الله أعلم.

(۶۶) سوره التحریم مدنیه و هی اثنتا عشره آیه(۱۲)

[سوره التحریم (۶۶): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

یٰا أَیُّهَا اَلنَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أَحَلَّ اَللّٰهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضٰاتَ أَزْوٰاجِکَ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱) قَدْ فَرَضَ اَللّٰهُ لَکُمْ تَحِلَّهَ أَیْمٰانِکُمْ وَ اَللّٰهُ
مَوْلاٰکُمْ وَ هُوَ اَلْعَلِیمُ اَلْحَکِیمُ (۲) وَ إِذْ أَسَرَّ اَلنَّبِیُّ إِلیٰ بَعْضِ أَزْوٰاجِهِ حَدِیثاً فَلَمّٰا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اَللّٰهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ
بَعْضٍ فَلَمّٰا نَبَّأَهٰا بِهِ قٰالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هٰذٰا قٰالَ نَبَّأَنِیَ اَلْعَلِیمُ اَلْخَبِیرُ (۳) إِنْ تَتُوبٰا إِلَی اَللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُمٰا وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا عَلَیْهِ فَإِنَّ اَللّٰهَ
هُوَ مَوْلاٰهُ وَ جِبْرِیلُ وَ صٰالِحُ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ اَلْمَلاٰئِکَهُ بَعْدَ ذٰلِکَ ظَهِیرٌ (۴) عَسیٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَکُنَّ أَنْ یُبْدِلَهُ أَزْوٰاجاً خَیْراً مِنْکُنَّ مُسْلِمٰاتٍ
مُؤْمِنٰاتٍ قٰانِتٰاتٍ تٰائِبٰاتٍ عٰابِدٰاتٍ سٰائِحٰاتٍ ثَیِّبٰاتٍ وَ أَبْکٰاراً (۵) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَکُمْ وَ أَهْلِیکُمْ نٰاراً وَقُودُهَا اَلنّٰاسُ وَ
اَلْحِجٰارَهُ عَلَیْهٰا مَلاٰئِکَهٌ غِلاٰظٌ شِدٰادٌ لاٰ یَعْصُونَ اَللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ یَفْعَلُونَ مٰا یُؤْمَرُونَ (۶) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ کَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا اَلْیَوْمَ إِنَّمٰا
تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۷) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اَللّٰهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسیٰ رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئٰاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ جَنّٰاتٍ
تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ یَوْمَ لاٰ یُخْزِی اَللّٰهُ اَلنَّبِیَّ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ یَسْعیٰ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمٰانِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا
وَ اغْفِرْ لَنٰا إِنَّکَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۸) یٰا أَیُّهَا اَلنَّبِیُّ جٰاهِدِ اَلْکُفّٰارَ وَ اَلْمُنٰافِقِینَ وَ اُغْلُظْ عَلَیْهِمْ وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِیرُ (۹)

بيان

تبدأ السوره بالإشاره إلى ما جرى بين النبى ص و بين بعض أزواجه من قصه التحريم فيعاتب النبى ص بتحريمه ما أحل الله له ابتغاء لمرضاه بعض أزواجه و مرجعه إلى عتاب تلك البعض و الانتصار له(ص)كما يدل عليه سياق الآيات.

ثم تخاطب المؤمنين أن يقوا أنفسهم من عذاب الله النار التى وقودها الناس و الحجاره و ليسوا يجزون إلا بأعمالهم و لا مخلص منها إلا للنبى و الذين آمنوا معه ثم تخاطب النبى بجهاد الكفار و المنافقين.

و تختتم السوره بضربه تعالى مثلا من النساء للكفار و مثلا منهن للمؤمنين.

و ظهور السياق فى كون السوره مدنيه لا ريب فيه.

قوله تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »خطاب مشوب بعتاب لتحريمه(ص)لنفسه بعض ما أحل الله له،و لم يصرح تعالى به و لم يبين أنه ما هو؟و ما ذا كان؟غير أن قوله:« تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ »يومئ

أنه كان عملا من الأعمال المحلله التى يقترفها النبى ص لا ترتضيه أزواجه فضيقن عليه و آذينه حتى أرضاهن بالحلف على أن يتركه و لا يأتى به بعد.

فقوله:« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ »علق الخطاب و النداء بوصف النبى دون الرسول لاختصاصه به فى نفسه دون غيره حتى يلائم وصف الرساله.

و قوله:« لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ »المراد بالتحريم التسبب إلى الحرمه بالحلف على ما تدل عليه الآيه التاليه فإن ظاهر قوله:« قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ »إلخ،إنه(ص) حلف على ذلک و من شأن اليمين أن يوجب عروض الوجوب إن كان الحلف على الفعل و الحرمه إن كان الحلف على الترک،و إذ كان(ص)حلف على ترک ما أحل الله له فقد حرم ما أحل الله له بالحلف.

و ليس المراد بالتحريم تشريعه(ص)على نفسه الحرمه فيما شرع الله له فيه الحليه فليس له ذلک.

و قوله:« تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِکَ »أى تطلب بالتحريم رضاهن بدل من تُحَرِّمُ إلخ،أو حال من فاعله،و الجمله قرينه على أن العتاب بالحقيقه متوجه إليهن،و يؤيده قوله خطابا لهما:« إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا »إلخ،مع قوله فيه:« وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

قوله تعالى:« قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ »قال الراغب:كل موضع ورد فرض الله عليه ففى الإيجاب الذى أدخله الله فيه،و ما ورد من فرض الله له فهو فى أن لا يحظره على نفسه نحو« مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ »و قوله:« قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ».انتهى.و التحله أصلها تحلله على وزن تذكره و تكرمه مصدر كالتحليل،قال الراغب:و قوله عز و جل:« قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ »أى بين ما تحل به عقده أيمانكم من الكفاره.

فالمعنى:قد قدر الله لكم-كأنه قدره نصيبا لهم حيث لم يمنعهم عن حل عقده اليمين-تحليل أيمانكم بالكفاره و الله وليكم الذى يتولى تدبير أموركم بالتشريع و الهدايه و هو العليم الحكيم.

و فى الآيه دلاله على أن النبى ص كان قد حلف على الترک،و أمر له بتحله يمينه.

قوله تعالى:« وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّٰا نَبَّأَهٰا بِهِ قٰالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذٰا قٰالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ

» السر هو الحديث الذى تكتمه فى نفسك و تخفيه،و الإسرار إفضاؤك الحديث إلى غيرك مع إيصائك بإخفائه،و ضمير« نَبَّأَتْ » لبعض أزواجه،و ضمير« بِهِ »للحديث الذى أسره النبى ص إليها،و ضمير« أَظْهَرَهُ » للنبى ص،و ضمير« عَلَيْهِ »لإنبائها به غيرها و إفشائها السر،و ضمير« عَرَّفَ »و أَعْرَضَ » للنبى ص،و ضمير« بَعْضَهُ »للحديث،و الإشاره بقوله:« هٰذٰا »لإنبائها غيره و إفشائها السر.

و محصل المعنى:و إذ أفضى النبى إلى بعض أزواجه-و هى حفصه بنت عمر بن الخطاب-حديثا و أوصاها بكتمانه فلما أخبرت به غيرها و أفشت السر خلافا لما أوصاها به،و أعلم الله النبى ص أنها نبأت به غيرها و أفشت السر عرف و أعلم بعضه و أعرض عن بعض آخر،فلما خبرها النبى ص بالحديث قالت للنبى ص:من أنبأك و أخبرك أنى نبأت به غيرى و أفشيت السر؟قال النبى ص:نبأنى و خبرنى العليم الخبير و هو الله العليم بالسر و العلانيه الخبير بالسرائر.

قوله تعالى:« إِنْ تَتُوبٰا إِلَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمٰا وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلاٰهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صٰالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ »أى إن تتوبا إلى الله فقد تحقق منكما ما يستوجب عليكما التوبه و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه،إلخ.

و قد اتفق النقل على أنهما عائشه و حفصه زوجا رسول الله ص.

و الصغو الميل و المراد به الميل إلى الباطل و الخروج عن الاستقامه و قد كان ما كان منهما من إيذائه و التظاهر عليه(ص)من الكبائر و قد قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً مُهِيناً» :الأحزاب:۵۷،و قال:

«وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ» :التوبه:۶۱.

و التعبير بقلوبكما و إراده معنى التثنيه من الجمع كثير النظير فى الاستعمال.

و قوله:« وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلاٰهُ »إلخ، التظاهر التعاون،و أصل « وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا »و إن تتظاهرا،و ضمير الفصل فى قوله:« فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلاٰهُ »للدلاله على أن لله سبحانه عنايه خاصه به(ص)ينصره و يتولى أمره من غير واسطه من خلقه،و المولى الولى الذى يتولى أمره و ينصره على من يريده بسوء.

و« جِبْرِيلُ »عطف على لفظ الجلاله،و« صٰالِحُ الْمُؤْمِنِينَ »عطف كجبريل،و المراد

بصالح المؤمنين على ما قيل الصلحاء من المؤمنين فصالح المؤمنين واحد أريد به الجمع كقولك:

لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد به الجنس كقولك لا يفعله من صلح منه و مثله قولك:

كنت فى السامر و الحاضر.

و فيه قياس المضاف إلى الجمع إلى مدخول اللام فظاهر صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ غير ظاهر «الصالح من المؤمنين».

و وردت الروايه من طرق أهل السنه عن النبى ص و من طرق الشيعه عن أئمه أهل البيت(ع)أن المراد بصالح المؤمنين على عليه أفضل السلام،و ستوافيك إن شاء الله.

و فى المراد منه أقوال أخر أغمضنا عنها لعدم دليل عليها.

و قوله:« وَ الْمَلاٰئِكَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ »إفراد الخبر للدلاله على أنهم متفقون فى نصره متحدون صفا واحدا،و فى جعلهم بعد ذلك أى بعد ولايه الله و جبريل و صالح المؤمنين تعظيم و تفخيم.

و لحن الآيات فى إظهار النبى ص على من يؤذيه و يريده بسوء و تشديد العتاب على من يتظاهر عليه عجيب،و قد خوطب فيها النبى ص أولا-و عوتب على تحريمه ما أحل الله له و أشير عليه بتحله يمينه و هو إظهار و تأييد و انتصار له و إن كان فى صوره العتاب.

ثم التفت من خطابه إلى خطاب المؤمنين فى قوله:« وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلىٰ بَعْضِ أَزْوٰاجِهِ » يشير إلى القصه و قد أبهمها إبهاما و قد كان أيد النبى و أظهره قبل الإشاره إلى القصه و إفشائها مختوما عليها،و فيه مزيد إظهاره.

ثم التفت من خطاب المؤمنين إلى خطابهما و قرر أن قلوبهما قد صغت بما فعلتا و لم يأمرهما أن تتوبا من ذنبهما بل بين لهما أنهما واقعتان بين أمرين إما أن تتوبا و إما أن تظاهرا على من الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكه بعد ذلك أجمع ثم أظهر الرجاء إن طلقهن أن يرزقه الله نساء خيرا منهن.ثم أمر النبى ص أن يجاهد الكفار و المنافقين و يغلظ عليهم.

و انتهى الكلام إلى ضربه تعالى مثلين مثلا للذين كفروا و مثلا للذين آمنوا.

و قد أدار تعالى الكلام فى السوره بعد التعرض لحالهما بقوله: إِنْ تَتُوبٰا إِلَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمٰا وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا عَلَيْهِ »إلخ،بين التعرض لحال المؤمنين و التعرض لحال الكفار

فقال:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ »إلخ،و«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا » إلخ،و قال:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا »إلخ،و«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ »إلخ،و قال:

« ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا »،« وَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ».

قوله تعالى:« عَسىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوٰاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ »إلى آخر الآيه استغناء إلهى فإنهن و إن كن مشرفات بشرف زوجيه النبى ص لكن الكرامه عند الله بالتقوى كما قال تعالى: «فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنٰاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً» :الأحزاب:

۲۹،انظر إلى مكان« مِنْكُنَّ »و قال: «يٰا نِسٰاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضٰاعَفْ لَهَا الْعَذٰابُ ضِعْفَيْنِ وَ كٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صٰالِحاً نُؤْتِهٰا أَجْرَهٰا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنٰا لَهٰا رِزْقاً كَرِيماً :الأحزاب:۳۱.

و لذا ساق الاستغناء بترجى إبداله إن طلقهن أزواجا خيرا منهن،و علق الخبر بما ذكر لأزواجه الجديده من صفات الكرامه و هى أن يكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات-أى صائمات-ثيبات و أبكارا.

فمن تزوج بها النبى ص و كانت متصفه بمجموع هذه الصفات كانت خيرا منهن و ليس إلا لأجل اختصاص منها بالقنوت و التوبه أو القنوت فقط مع مشاركتها لهن فى باقى الصفات،و القنوت هو لزوم الطاعه مع الخضوع.

و يتأيد هذا المعنى بما فى مثل مريم الآتى فى آخر السوره من ذكر القنوت« وَ كٰانَتْ مِنَ الْقٰانِتِينَ »فالقنوت هو الذى يفقدنه و هو لزومهن طاعه النبى ص التى فيها طاعه الله و اتقاؤهن أن يعصين النبى ص و يؤذينه.

و بما مر يظهر فساد قول من قال إن وجه خيريه أزواجه اللاحقه من أزواجه السابقه إن طلقهن،هو تزوج النبى ص بهن و انفصال الأزواج السابقه و زوجيته(ص)شرف لا يقدر قدره.

و ذلك أنه لو كان ملاك ما ذكر فى الآيه من الخير هو الزوجيه كان كل من تزوج(ص) من النساء أفضل و أشرف منهن إن طلقهن و إن لم تتلبس بشىء مما ذكر من صفات الكرامه فلم يكن مورد لعد ما عد من الصفات.

قال فى الكشاف،:فإن قلت:لم أخليت الصفات كلها عن العاطف و وسط بين الثيبات و الأبكار؟قلت:لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن فى سائر الصفات.انتهى.

قوله تعالی:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ » إلخ،« قُوا »أمر من الوقايه بمعنی حفظ الشیء مما یؤذیه و یضره،و الوقود بفتح الواو اسم لما توقد به النار من حطب و نحوه.و المراد بالنار نار جهنم و کون الناس المعذبین فیها وقودا لها معناه اشتعال الناس فیها بأنفسهم کما فی قوله تعالی: «ثُمَّ فِی النّارِ یُسْجَرُونَ» :المؤمن:۷۲.فیناسب تجسم الأعمال کما هو ظاهر الآیه التالیه« یا أَیُّهَا الَّذِینَ کَفَرُوا »إلخ، و فسرت الحجاره بالأصنام.

و قوله:« عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » أی و کل علیها لإجراء أنواع العذاب علی أهلها ملائکه غلاظ شداد.

و الغلاظ جمع غلیظ ضد الرقیق و الأنسب للمقام کون المراد بالغلظه خشونه العمل کما فی قوله الآتی:« جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ »الآیه ۹ من السوره،و الشداد جمع شدید بمعنی القوی فی عزمه و فعله.

و قوله:« لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »کالمفسر لقوله:« غِلاَظٌ شِدَادٌ أی هم ملتزمون بما أمرهم الله من أنواع العذاب لا یعصونه بالمخالفه و الرد و یفعلون ما یؤمرون به علی ما أمروا به من غیر أن یفوت منهم فائت أو ینقص منه شیء لضعف فیهم أو فتور فهم غلاظ شداد.

و بهذا یظهر أن قوله:« لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ »ناظر إلی التزامهم بالتکلیف، و قوله:« وَ يَفْعَلُونَ »إلخ،ناظر إلی العمل علی طبقه فلا تکرار کما قیل.

قال فی التفسیر الکبیر،فی ذیل الآیه:و فیه إشاره إلی أن الملائکه مکلفون فی الآخره بما أمرهم الله تعالی به و بما ینهاهم عنه،و العصیان منهم مخالفه للأمر و النهی.

و فیه أن الآیه و غیرها مما تصف الملائکه بمحض الطاعه من غیر معصیه مطلقه تشمل الدنیا و الآخره فلا وجه لتخصیص تکلیفهم بالآخره.

ثم إن تکلیفهم غیر سنخ التکلیف المعهود فی المجتمع الإنسانی بمعنی تعلیق المکلف -بالکسر-إرادته بفعل المکلف-بالفتح- تعلیقا اعتباریا یستتبع الثواب و العقاب فی ظرف الاختیار و إمکان الطاعه و المعصیه بل هم خلق من خلق الله لهم ذوات طاهره نوریه لا یریدون إلا ما أراد الله و لا یفعلون إلا ما یؤمرون،قال تعالی: «بَلْ عِبَادٌ مُکْرَمُونَ لاَ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» :الأنبیاء،۲۷ و لذلک لا جزاء لهم

على أعمالهم من ثواب أو عقاب فهم مكلفون بتكليف تكوينى غير تشريعى مختلف باختلاف درجاتهم،قال تعالى: «وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ» :الصافات:۱۶۴،و قال عنهم:

«وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مٰا بَيْنَ أَيْدِينٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا» :مريم:۶۴.

و الآيه الكريمه بعد الآيات السابقه كالتعميم بعد التخصيص فإنه تعالى لما أدب نساء النبى ص ببيان ما لإيذائهم النبى ص من الأثر السيئ عمم الخطاب فخاطب المؤمنين عامه أن يؤدبوا أنفسهم و أهليهم و يقوهم من النار التى وقودها نفس الداخلين فيها أى إن أعمالهم السيئه تلزمهم و تعود نارا تعذبهم و لا مخلص لهم منها و لا مناص عنها.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » خطاب عام للكفار بعد ما جوزوا بالنار فإنهم يعتذرون عن كفرهم و معاصيهم فيخاطبون أن لا تعتذروا اليوم-و هو يوم الجزاء إنما تجزون نفس ما كنتم تعملون أى إن العذاب الذى تعذبون بها هو عملكم السيئ الذى عملتموه و قد برز لكم اليوم حقيقته و إذ عملتموه فقد لزمكم أنكم عملتموه و الواقع لا يتغير و ما حق عليكم من كلمه العذاب لا يعود باطلا فهذا ظاهر الخطاب.

و قيل:المعنى:لا تعتذروا-اليوم-بعد دخول النار فإن الاعتذار توبه و التوبه غير مقبوله بعد دخول النار إنما تجزون ما لزم فى مقابل عملكم من الجزاء فى الحكمه.

و فى اتباع الآيات السابقه بما فى هذه الآيه من خطاب القهر تهديد ضمنى و إشعار بأن معصيه الله و رسوله ربما أدى إلى الكفر.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ »إلخ، النصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه،و يأتى بمعنى الإخلاص نحو نصحت له الود أى أخلصته-على ما ذكره الراغب-فالتوبه النصوح ما يصرف صاحبه عن العود إلى المعصيه أو ما يخلص العبد للرجوع عن الذنب فلا يرجع إلى ما تاب منه.

لما أمر المؤمنين بوقايه أنفسهم و أهليهم من النار أمرهم جميعا ثانيا بالتوبه و فرع عليه رجاء أن يستر الله سيئاتهم و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

و قوله:« يَوْمَ لاٰ يُخْزِي اللّٰهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ »قال الراغب:يقال: خزى الرجل يخزى من باب علم يعلم إذا لحقه انكسار إما من نفسه و إما من غيره فالذى يلحقه

من نفسه و هو الحياء المفرط مصدره الخزايه،و الذى يلحقه من غيره و يعد ضربا من الاستخفاف مصدره الخزى و الإخزاء من الخزايه و الخزى جميعا قال:و على نحو ما قلنا فى خزى ذل و هان فإن ذلك متى كان من الإنسان نفسه يقال له الهون-بفتح الهاء-و الذل و يكون محمودا،و متى كان من غيره يقال له: الهون -بضم الهاء-و الهوان و الذل و يكون مذموما.انتهى ملخصا.

«فقوله:« يَوْمَ »ظرف لما تقدمه،و المعنى:توبوا إلى الله عسى أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم الجنه فى يوم لا يخزى و لا يكسر الله النبى ص بجعلهم محرومين من الكرامه و خلفه ما وعدهم من الوعد الجميل.

و فى قوله:« اَلنَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ »اعتبار المعيه فى الإيمان فى الدنيا و لازمه ملازمتهم النبى ص و طاعتهم له من غير مخالفه و مشاقه.

و من المحتمل أن يكون قوله:« اَلَّذِينَ آمَنُوا »مبتدأ خبره« مَعَهُ »و قوله:« نُورُهُمْ يَسْعىٰ »إلخ،خبرا ثانيا،و قوله:« يَقُولُونَ »إلخ،خبرا ثالثا فيفيد أنهم لا يفارقون النبى و لا يفارقهم يوم القيامه،و هذا وجه جيد لازمه كون عدم الخزى خاصا بالنبى ص و سعى النور و سؤال إتمامه خاصا بالذين معه من المؤمنين و تؤيده آيه الحديد الآتيه.

و من الممكن أن يكون« مَعَهُ »متعلقا بقوله:« آمَنُوا »و قوله:« نُورُهُمْ يَسْعىٰ »إلخ، خبرا أولا و ثانيا للموصول.

و قوله:« يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ »تقدم بعض الكلام فى معناه فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ» :الحديد:١٢، و لا يبعد أن يكون ما بين أيديهم من النور نور الإيمان و ما بأيمانهم نور العمل.

و قوله:« يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا وَ اغْفِرْ لَنٰا إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »يفيد السياق أن المغفره المسئوله سبب لتمام النور أو هو ملازم لتمام النور فيفيد أن فى نورهم نقصا و النور نور الإيمان و العمل فلهم نقائص بحسب درجات الإيمان أو آثار السيئات التى خلت محالها فى صحائفهم من العبوديه فى العمل فيسألون ربهم أن يتم لهم نورهم و يغفر لهم،و إليه الإشاره بقوله تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ:» الحديد:١٩.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ جٰاهِدِ الْكُفّٰارَ وَ الْمُنٰافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ

وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ

«المراد بالجهاد بـذل الجهد فی إصـلاح الأمر من جهتهم و دفع شـرهم ففی الکفار ببیان الحق و تبلیغه فإن آمنوا و إلا فالحرب و فی المنافقین باستمالتهم و تألیف قلوبهم حتی تطمئن قلوبهم إلی الإیمان و إلا فلم یقاتل النبی ص منافقا قط.

و قیل:المراد اشدد علیهم فی إقامه الحدود لأن أکثر من یصیب الحد فی ذلک الزمان المنافقون.و هما کما تری.

بحث روائی

فی تفسیر القمی،بإسـناده عن ابن سـیار عن أبی عبـد الله(ع) *فی قوله:«يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَکَ-تَبْتَغِي مَرْضٰاتَ أَزْوٰاجِکَ »قـال:اطلعت عـائشه و حفصه علی النبی ص و هو مع مـاریه-فقـال النبی ص:و الله لا أقربهـا-فأمر الله أن یکفر بها عن یمینه.

و فی الکافی،بإسناده عن زراره عن أبی جعفر(ع)قال*: سألته عن رجل قال لامرأته:

أنت علی حرام-فقال:لو کان لی علیه سلطان لأوجعت رأسه-و قلت:الله أحلها لک فما حرمها علیک؟أنه لم یزد علی أن کذب-فزعم أن ما أحل الله له حرام-و لا یدخل علیه طلاق و لا کفاره.

فقلت:قول الله عز و جـل:«يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَکَ »فجعل فیه کفاره؟ فقال:إنما حرم علیه جاریته ماریه القبطیه-و حلف أن لا یقربها،و إنما جعل علی النبی ص الکفاره فی الحلف-و لم یجعل علیه فی التحریم.

و فی الـدر المنثور،أخرج ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الطبرانی و ابن مردویه بسـند صـحیح عن ابن عباس قال*: کان رسول الله ص یشـرب من شـراب-عند سوده من العسل-فدخل علی عائشه فقالت:إنی أجد منک ریحا،فدخل علی حفصه فقالت:إنی أجد منک ریحا- فقال:أراه من شراب شربته عند سوده-و الله لا أشربه،فأنزل الله:«يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَکَ »الآیه.

أقول:و الحدیث مروی بطرق متشتته و ألفاظ مختلفه،و فی انطباقها علی الآیات -و هی ذات سیاق واحد-خفاء.

و فیه،أخرج ابن سعد و ابن مردویه عن ابن عباس قال*: کانت عائشه و حفصه متحابتین- فذهبت حفصه إلی بیت أبیها تحدث عنده-فأرسل النبی ص إلی جاریته فظلت معه فی بیت حفصه-و کان الیوم الذی یأتی فیه عائشه فوجدتهما فی بیتها-فجعلت تنتظر خروجها و غارت غیره شدیده-فأخرج النبی ص جاریته و دخلت حفصه-فقالت:قد رأیت من کان عندک و الله لقد سوأتنی،فقال النبی ص:و الله لأرضینک و إنی مسر إلیک سرا فاحفظیه،قالت:ما هو؟قال:إنی أشهدک-أن سریتی هذه علی حرام رضا لک.

فانطلقت حفصه إلی عائشه-فأسرت إلیها أن أبشری-أن النبی ص قد حرم علیه فتاته-فلما أخبرت بسر النبی ص أظهر الله النبی ص علیه-فأنزل الله:«یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ ».

أقول:انطباق ما فی الحدیث علی الآیات و خاصه قوله:«عرف بعضه و أعرض عن بعض»فیه خفاء.

و فیه،أخرج الطبرانی و ابن مردویه عن ابن عباس *فی قوله:« وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلی بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِیثاً »قال:دخلت حفصه علی النبی ص فی بیتها و هو یطأ ماریه،فقال لها رسول الله ص:لا تخبری عائشه حتی أبشرک بشاره-فإن أباک یلی الأمر بعد أبی بکر إذا أنا مت.

فذهبت حفصه فأخبرت عائشه-فقالت عائشه للنبی ص:من أنبأک هذا؟قال:

نبأنی العلیم الخبیر،فقالت عائشه:لا أنظر إلیک حتی تحرم ماریه فحرمها-فأنزل الله «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ».

أقول:و الآثار فی هذا الباب کثیره علی اختلاف فیها،و فی أکثرها أنه(ص)حرم ماریه علی نفسه لقول حفصه لا لقول عائشه،و أن التی قالت للنبی ص:« مَنْ أَنْبَأَکَ هذا »هی حفصه ترید من أخبرک أنی أفشیت السر دون عائشه.

و هی مع ذلک لا تزیل إبهام قوله تعالی:« عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ».نعم فیما

رواه ابن مردویه عن علی قال: ما استقصی کریم قط لأن الله یقول:« عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ » ،و روی عن أبی حاتم عن مجاهد،و ابن مردویه عن ابن عباس"*:أن الذی عرف أمر ماریه-و الذی أعرض عنه قوله:إن أباک و أباها یلیان الناس بعدی مخافه أن یفشو.

و يتوجه عليه أنه ما وجه الكرم فى أن يعرف(ص)ما قاله من تحريم ماريه و يعرض عما أخبرها من ولايتهما مع أن العكس أولى و أقرب.

و قد روى بعده طرق عن عمر بن الخطاب سبب نزول الآيات و لم يذكر ذلك

ففى عده من جوامع الحديث منها البخارى و مسلم و الترمذى عن ابن عباس قال": لم أزل حريصا أن أسأل عمر-عن المرأتين من أزواج النبى اللتين قال الله:« إِنْ تَتُوبٰا إِلَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمٰا » حتى حج عمر و حججت معه-فلما كان ببعض الطريق عدل عمر و عدلت معه بالإداوه- فتبرز ثم أتى فصببت على يديه فتوضأ.

فقلت:يا أمير المؤمنين من المرأتان-من أزواج النبى ص اللتان قال الله:« إِنْ تَتُوبٰا إِلَى اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمٰا »فقال:وا عجبا لک يا ابن عباس-هما عائشه و حفصه ثم أنشأ يحدثنى.

فقال:كنا معشر قريش نغلب النساء-فلما قدمنا المدينه وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم- فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم-فغضبت على امرأتى يوما فإذا هى تراجعنى-فأنكرت أن تراجعنى فقالت:ما تنكر من ذلک؟فو الله إن أزواج النبى ص ليراجعنه-و تهجره إحداهن اليوم إلى الليل.قلت:قد خابت من فعلت ذلک منهن و خسرت.

قال:و كان منزلى بالعوالى-و كان لى جار من الأنصار-كنا نتناوب النزول إلى رسول الله ص-فينزل يوما فيأتينى بخبر الوحى و غيره-و أنزل يوما فآتيه بمثل ذلک.

قال:و كنا نحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا-فجاء يوما فضرب على الباب فخرجت إليه-فقال:حدث أمر عظيم.فقلت:أ جاءت غسان؟قال:أعظم من ذلک طلق رسول الله ص نساءه.قلت فى نفسى:قد خابت حفصه و خسرت-قد كنت أرى ذلک كائنا- فلما صلينا الصبح شددت على ثيابى-ثم انطلقت حتى دخلت على حفصه-فإذا هى تبكى فقلت:أ طلقكن رسول الله ص؟قالت:لا أدرى هو ذا معتزل فى المشربه-فانطلقت فأتيت غلاما أسود-فقلت:استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى-فقال:قد ذكرتک له فلم يقل شيئا-فانطلقت إلى المسجد-فإذا حول المسجد نفر يبكون فجلست إليهم.

ثم غلبنى ما أجد فانطلقت فأتيت الغلام-فقلت:استأذن لعمر فدخل ثم خرج-فقال:

قد ذكرتک له فلم يقل شيئا-فوليت منطلقا فإذا الغلام يدعونى-فقال:ادخل فقد أذن لک- فدخلت فإذا النبى ص متكئ على حصير-قد رأيت أثره فى جنبه-فقلت:يا رسول الله

أ طلقت نساءک؟قال:لا.قلت:الله أکبر لو رأیتنا یا رسول الله-و کنا معشر قریش نغلب النساء،فلما قدمنا المدینه وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم-فطفق نساؤنا یتعلمن من نسائهم-فغضبت یوما علی امرأتی-فإذا هی تراجعنی فأنکرت ذلک-فقالت:ما تنکر؟ فو الله إن أزواج النبی ص لیراجعنه-و تهجره إحداهن الیوم إلی اللیل -فقلت:قد خاب من فعل ذلک منهن،فدخلت علی حفصه-فقلت:أ تراجع إحداکن رسول الله-و تهجره الیوم إلی اللیل؟قالت:نعم.فقلت:قد خابت من فعلت ذلک منکن و خسرت-أ تأمن إحداکن أن یغضب الله علیها لغضب رسول الله ص-فإذا هی قد هلکت فتبسم رسول الله ص.

فقلت لحفصه:لا تراجعی رسول الله ص-و لا تسألیه شیئا و سلینی ما بدا لک-و لا یغرنک إن کانت جارتک أوسم منک-و أحب إلی رسول الله ص فتبسم أخری.

فقلت:یا رسول الله أستأنس قال:نعم.فرفعت رأسی فما رأیت فی البیت إلا أهبه ثلاثه-فقلت:یا رسول الله ادع الله أن یوسع علی أمتک-فقد وسع علی فارس و الروم و هم لا یعبدون الله-فاستوی جالسا و قال:أ و فی شک أنت یا ابن الخطاب؟أولئک قوم قد عجلت لهم طیباتهم فی الحیاه الدنیا،و کان قد أقسم أن لا یدخل علی أزواجه شهرا-فعاتبه الله فی ذلک و جعل له کفاره الیمین.

أقول:و هذا المعنی مروی عنه مفصلا و مختصرا بطرق مختلفه،و الروایه-کما تری- لا تذکر ما أسره النبی ص إلی بعض أزواجه؟و ما هو بعض النبإ الذی عرفه و ما هو الذی أعرض عنه و له شأن من الشأن.

و هی مع ذلک ظاهره فی أن المراد بالتحریم فی الآیه تحریم عامه أزواجه و ذلک لا ینطبق علیها و فیها قوله تعالی:« لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضٰاتَ أَزْوٰاجِکَ »مضافا إلی أنه لا تبین به وجه التخصیص فی قوله:« إِنْ تَتُوبٰا إِلَی اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُمٰا وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا عَلَیْهِ »إلخ.

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن أبی بصیر قال*:سمعت أبا جعفر(ع)یقول: « إِنْ تَتُوبٰا إِلَی اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُمٰا-وَ إِنْ تَظٰاهَرٰا عَلَیْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلاٰهُ-وَ جِبْرِیلُ وَ صٰالِحُ الْمُؤْمِنِینَ »قال:صالح المؤمنین علی(ع).

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن أسماء بنت عمیس*:سمعت رسول الله ص

يقول: « وَ صٰالِحُ الْمُؤْمِنِينَ »قال:على بن أبى طالب.

أقول:ذكر صاحب البرهان بعد إيراد روايه أبى بصير السابقه أن محمد بن العباس أورد فى هذا المعنى اثنين و خمسين حديثا من طرق الخاصه و العامه ثم أورد نبذه منها.

و فى الكافى،بإسناده عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبى عبد الله(ع)قال*: لما نزلت هذه الآيه« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نٰاراً »جلس رجل من المؤمنين يبكى و قال:أنا عجزت عن نفسى و كلفت أهلى.فقال رسول الله ص:حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك،و تنهاهم عما تنهى عنه نفسك.

و فيه،بإسناده عن سماعه عن أبى بصير *فى قوله:« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نٰاراً »قلت:

كيف أقيهم؟قال:تأمرهم بما أمر الله-و تنهاهم عما نهى الله فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم- و إن عصوك كنت قد قضيت ما عليك:.

أقول:و رواه بطريق آخر عن ذرعه عن أبى بصير عنه(ع) .

و فى الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و الفاريابى و سعيد بن منصور و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و البيهقى فى المدخل عن على بن أبى طالب: فى قوله:

« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نٰاراً »قال:علموا أنفسكم و أهليكم الخير و أدبوهم.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن زيد بن أسلم قال*: تلا رسول الله ص هذه الآيه« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نٰاراً »فقالوا:يا رسول الله كيف نقى أهلنا نارا؟قال:تأمرونهم بما يحبه الله و تنهونهم عما يكره الله.

و فى الكافى،بإسناده عن أبى الصباح الكنانى قال*: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحاً »قال:يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه.

قال محمد بن الفضيل:سألت عنها أبا الحسن(ع)-فقال:يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ،الحديث.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال*: قال معاذ بن جبل:يا رسول الله ما التوبه النصوح؟قال:أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب-فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه-كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

أقول:و الروايات فى هذا المعنى كثيره من الفريقين.

و فی الکافی،بإسناده عن صالح بن سهل الهمدانی قال*:قال أبو عبد الله(ع): فی قوله:

« یَسْعیٰ نُورُهُمْ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمٰانِهِمْ »أئمه المؤمنین یوم القیامه یسعی (۱)بین أیدی المؤمنین- و بأیمانهم حتی ینزلوهم منازل أهل الجنه.

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)*فی الآیه: من کان له نور یومئذ نجا،و کل مؤمن له نور.

[سوره التحریم (۶۶): الآیات ۱۰ الی ۱۲]

اشاره

ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِینَ کَفَرُوا اِمْرَأَتَ نُوحٍ وَ اِمْرَأَتَ لُوطٍ کٰانَتٰا تَحْتَ عَبْدَیْنِ مِنْ عِبٰادِنٰا صٰالِحَیْنِ فَخٰانَتٰاهُمٰا فَلَمْ یُغْنِیٰا عَنْهُمٰا مِنَ اَللّٰهِ شَیْئاً وَ قِیلَ اُدْخُلاَ اَلنّٰارَ مَعَ اَلدّٰاخِلِینَ (۱۰) وَ ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِینَ آمَنُوا اِمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قٰالَتْ رَبِّ اِبْنِ لِی عِنْدَکَ بَیْتاً فِی اَلْجَنَّهِ وَ نَجِّنِی مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِی مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِینَ (۱۱) وَ مَرْیَمَ اِبْنَتَ عِمْرٰانَ اَلَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِیهِ مِنْ رُوحِنٰا وَ صَدَّقَتْ بِکَلِمٰاتِ رَبِّهٰا وَ کُتُبِهِ وَ کٰانَتْ مِنَ اَلْقٰانِتِینَ (۱۲)

بیان

تتضمن الآیات الکریمه مثلین یمثل بهما الله سبحانه حال الکفار و المؤمنین فی أن شقاء الکفار و هلاکهم إنما کان بخیانتهم لله و رسوله و کفرهم و لم ینفعهم اتصال بسبب إلی الأنبیاء المکرمین،و أن سعاده المؤمنین و فلاحهم إنما کان بإخلاصهم الإیمان بالله و رسوله و القنوت و حسن الطاعه و لم یضرهم اتصال بأعداء الله بسبب فإنما ملاک الکرامه عند الله التقوی.

۱- ۱) یسعون،ظ.

يمثل الحال أولا:بحال امرأتين كانتا زوجين لنبيين كريمين عدهما الله سبحانه عبدين صالحين-و يا له من كرامه-فخانتاهما فأمرتا بدخول النار مع الداخلين فلم ينفعهما زوجيتهما للنبيين الكريمين شيئا فهلكتا فى ضمن الهالكين من غير أدنى تميز و كرامه.

و ثانيا:بحال امرأتين إحداهما امرأه فرعون الذى كانت منزلته فى الكفر بالله أن نادى فى الناس فقال:أنا ربكم الأعلى،فآمنت بالله و أخلصت الإيمان فأنجاها الله و أدخلها الجنه و لم يضرها زوجيه مثل فرعون شيئا،و ثانيتهما مريم ابنه عمران الصديقه القانته أكرمها الله بكرامته و نفخ فيها من روحه.

و فى التمثيل تعريض ظاهر شديد لزوجى النبى ص حيث خانتاه فى إفشاء سره و تظاهرتا عليه و آذتاه بذلك،و خاصه من حيث التعبير بلفظ الكفر و الخيانه و ذكر الأمر بدخول النار.

قوله تعالى:« ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما »إلخ،قال الراغب: الخيانه و النفاق واحد إلا أن الخيانه تقال اعتبارا بالعهد و الأمانه،و النفاق يقال اعتبارا بالدين ثم يتداخلان فالخيانه مخالفه الحق بنقض العهد فى السر و نقيض الخيانه الأمانه،يقال:خنت فلانا و خنت أمانه فلان.انتهى.

و قوله:« لِلَّذِينَ كَفَرُوا »إن كان متعلقا بالمثل كان المعنى:ضرب الله مثلا يمثل به حال الذين كفروا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالعباد الصالحين،و إن كان متعلقا بضرب كان المعنى:ضرب الله الامرأتين و ما انتهت إليه حالهما مثلا للذين كفروا ليعتبروا به و يعلموا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالصالحين من عباده و أنهم بخيانتهم النبى ص من أهل النار لا محاله.

و قوله:« اِمْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ »مفعول« ضَرَبَ »و المراد بكونهما تحتهما زوجيتهما لهما.

و قوله:« فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً »ضمير التثنيه الأولى للعبدين،و الثانيه للامرأتين، و المراد أنه لم ينفع المرأتين زوجيتهما للعبدين الصالحين.

و قوله:« وَ قِيلَ ادْخُلاَ النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ »أى مع الداخلين فيها من قوميهما كما يلوح من قوله فى امرأه نوح: «حَتّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ

اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» :هود:۴۰،و قوله فی امرأه لوط: «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ» :هود:۸۱ أو المعنی مع الداخلين فيها من الكفار.

و فی التعبير بقيل بالبناء للمفعول،و إطلاق الداخلين إشاره إلی هوان أمرهما و عدم كرامه لهما أصلا فلم يبال بهما أين هلكتا.

قوله تعالی:« وَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قٰالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَكَ بَيْتاً فِی الْجَنَّهِ »إلخ،الكلام فی قوله:« لِلَّذِينَ آمَنُوا »كالكلام فی قوله:« لِلَّذِينَ كَفَرُوا ».

و قوله:« إِذْ قٰالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَكَ بَيْتاً فِی الْجَنَّهِ »لخص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه فی حياتها و ترومه فی مسير عبوديتها فی مسأله سألت ربها و ذلك أن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر و الباطن و توافق القلب و اللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل و لا يفعل إلا ما يقول فيكون ما يرجوه أو يتمناه أو يسأله بلسانه هو الذی يريده كذلك بعمله.

و إذ حكی الله فيما يمثل به حالها و يشير إلی منزلتها الخاصه فی العبوديه دعاء دعت به دل ذلك علی أنه عنوان جامع لعبوديتها و علی ذلك كانت تسير مدی حياتها،و الذی تتضمنه مسألتها أن يبنی الله لها عنده بيتا فی الجنه و ينجيها من فرعون و عمله و ينجيها من القوم الظالمين فقد اختارت جوار ربه و القرب منه علی أن تكون أنيسه فرعون و عشيقته و هی ملكه مصر و آثرت بيتا يبنيه لها ربها علی بيت فرعون الذی فيه مما تشتهيه الأنفس و تتمناه القلوب ما تقف دونه الآمال فقد كانت عزفت نفسها ما هی فيه من زينه الحياه الدنيا و هی لها خاضعه و تعلقت بما عند ربه من الكرامه و الزلفی فآمنت بالغيب و استقامت علی إيمانها حتی قضت.

و هذه القدم هی التی قدمتها إلی أن جعلها الله مثلا للذين آمنوا و لخص حالها و ما كانت تبتغيه و تعمل له مدی حياتها فی مسير العبوديه فی مسأله حكی عنها و ما معناها إلاـ أنها انتزعت من كل ما يلهوها عن ربها و لاذت بربها تريد القرب منه تعالی و الإقامه فی دار كرامته.

فقوله:« اِمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ »اسمها علی ما فی الروايه آسيه،و قوله:« إِذْ قٰالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَكَ بَيْتاً فِی الْجَنَّهِ »الجمع بين كون البيت المبنی لها عند الله و فی الجنه لكون الجنه

دار القرب من الله و جوار رب العالمين كما قال تعالى: «بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» :آل عمران:۱۶۹.

على أن الحضور عنده تعالى و القرب منه كرامه معنويه و الاستقرار فى الجنه كرامه صوريه،و سؤال الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين.

و قوله:« وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ »تبر منها و سؤال أن ينجيها الله من شخص فرعون و من عمله الذى تدعو ضروره المصاحبه و المعاشره إلى الشركه فيه و التلبس به،و قيل:

المراد بالعمل الجماع.

و قوله:« وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ »و هم قوم فرعون و هو تبر آخر و سؤال أن ينجيها الله من المجتمع العام كما أن الجمله السابقه كانت سؤال أن ينجيها من المجتمع الخاص.

قوله تعالى:« وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرٰانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِيهِ مِنْ رُوحِنٰا »إلخ، عطف على امرأه فرعون و التقدير و ضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم إلخ.

ضربها الله مثلا باسمها و أثنى عليها و لم يذكر فى كلامه تعالى امرأه باسمها غيرها ذكر اسمها فى القرآن فى بضع و ثلاثين موضعا فى نيف و عشرين سوره.

و قوله:« اَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِيهِ مِنْ رُوحِنٰا »ثناء عليها على عفتها،و قد تكرر فى القرآن ذكر ذلك و لعل ذلك بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها كما قال تعالى: «وَ قَوْلِهِمْ عَلىٰ مَرْيَمَ بُهْتٰاناً عَظِيماً» :النساء:۱۵۶،و فى سوره الأنبياء فى مثل القصه: «وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِيهٰا» :الأنبياء:۹۱.

و قوله:« وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمٰاتِ رَبِّهٰا »أى بما تكلم به الله سبحانه من الوحى إلى أنبيائه كما قيل،و قيل:المراد بها وعده تعالى و وعيده و أمره و نهيه،و فيه أنه يستلزم كون ذكر الكتب مستدركا.

و قوله:« وَ كُتُبِهِ »و هى المشتمله على شرائع الله المنزله من السماء كالتوراه و الإنجيل كما هو مصطلح القرآن و لعل المراد من تصديقها كلمات ربها و كتبه كونها صديقه كما فى قوله تعالى: «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» :المائده:۷۵.

و قوله:« وَ كٰانَتْ مِنَ الْقٰانِتِينَ »أى من القوم المطيعين لله الخاضعين له الدائمين عليه غلب فيه المذكر على المؤنث.

و يؤيد هذا المعنى كون القنوت بهذا المعنى واقعا فيما حكى الله من نداء الملائكه لها «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ» :آل عمران:۴۳، و قيل:يجوز أن يراد بالقانتين رهطها و عشيرتها الذين كانت مريم منهم و كانوا أهل بيت صلاح و طاعه، و هو بعيد لما تقدم.

على أن المناسب لكون المثل تعريضا لزوجى النبى ص أن يراد بالقانتين مطلق أهل الطاعه و الخضوع لله تعالى.

بحث روائى

فى تفسير البرهان،عن شرف الدين النجفى رفعه عن أبى عبد الله(ع)أنه قال *قوله تعالى:« ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا-اِمْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ »الآيه-مثل ضربه الله لعائشه و حفصه-أن تظاهرتا على رسول الله ص و أفشتا سره.

و فى المجمع،:عن أبى موسى عن النبى ص قال*: كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا أربع:آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون،و مريم بنت عمران،و خديجه بنت خويلد،و فاطمه بنت محمد ص.

و فى الدر المنثور،أخرج أحمد و الطبرانى و الحاكم و صححه عن ابن عباس قال*:قال رسول الله: أفضل نساء أهل الجنه خديجه بنت خويلد-و فاطمه بنت محمد ص و مريم بنت عمران-و آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون-مع ما قص الله علينا من خبرهما فى القرآن- « قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّهِ ».

و فيه،أخرج الطبرانى عن سعد بن جناده قال*:قال رسول الله ص: إن الله زوجنى فى الجنه مريم بنت عمران-و امرأه فرعون و أخت موسى.

أقول:و امرأه فرعون على ما وردت به الروايات مقتوله قتلها زوجها فرعون لما اطلع أنها آمنت بالله وحده،و قد اختلفت الروايات فى كيفيه قتلها.

ففى بعضها أنه لما اطلع على إيمانها كلفها الرجوع إلى الكفر فأبت إلا الإيمان فأمر بها أن ترمى عليها بصخره عظيمه حتى ترضح تحتها ففعل بها ذلك.

و فى بعضها لما أحضرت للعذاب دعت بما حكى الله عنها فى كلامه من قولها:« رَبِّ

ابْنِ لِی عِنْدَکَ بَیْتاً فِی الْجَنَّهِ

»إلخ،فاستجاب الله لها و رأت بیتها فی الجنه و انتزعت منها الروح و ألقیت الصخره علی جسد لیس فیه روح.

و فی بعضها أن فرعون وتد لها أربعه أوتاد و أضجعها علی صدرها و جعل علی صدرها رحی و استقبل بها عین الشمس.و الله أعلم.

(۶۷) سوره الملک مکیه و هی ثلاثون آیه(۳۰)

[سوره الملک (۶۷): الآیات ۱ الی ۱۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ

تَبارَکَ اَلَّذِی بِیَدِهِ اَلْمُلْکُ وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱) اَلَّذِی خَلَقَ اَلْمَوْتَ وَ اَلْحَیاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْغَفُورُ (۲) اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَری فِی خَلْقِ اَلرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ اَلْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ (۳) ثُمَّ اِرْجِعِ اَلْبَصَرَ کَرَّتَیْنِ یَنْقَلِبْ إِلَیْکَ اَلْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِیرٌ (۴) وَ لَقَدْ زَیَّنَّا اَلسَّماءَ اَلدُّنْیا بِمَصابِیحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّیاطِینِ وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ اَلسَّعِیرِ (۵) وَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ اَلْمَصِیرُ (۶) إِذا أُلْقُوا فِیها سَمِعُوا لَها شَهِیقاً وَ هِیَ تَفُورُ (۷) تَکادُ تَمَیَّزُ مِنَ اَلْغَیْظِ کُلَّما أُلْقِیَ فِیها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ یَأْتِکُمْ نَذِیرٌ (۸) قالُوا بَلی قَدْ جاءَنا نَذِیرٌ فَکَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اَللّهُ مِنْ شَیْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ فِی ضَلالٍ کَبِیرٍ (۹) وَ قالُوا لَوْ کُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما کُنّا فِی أَصْحابِ اَلسَّعِیرِ (۱۰) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ اَلسَّعِیرِ (۱۱) إِنَّ اَلَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَیْبِ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ أَجْرٌ کَبِیرٌ (۱۲) وَ أَسِرُّوا قَوْلَکُمْ أَوِ اِجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذاتِ اَلصُّدُورِ (۱۳) أَ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اَللَّطِیفُ اَلْخَبِیرُ (۱۴)

بیان

غرض السوره بیان عموم ربوبیته تعالی للعالمین تجاه قول الوثنیه إن لکل شطر من العالم ربا من الملائکه و غیرهم و إنه تعالی رب الأرباب فقط.

و لذا یعد سبحانه کثیرا من نعمه فی الخلق و التدبیر-و هو فی معنی الاحتجاج علی ربوبیته-و یفتتح الکلام بتبارکه و هو کثره صدور البرکات عنه،و یکرر توصیفه بالرحمن و هو مبالغه فی الرحمه التی هی العطیه قبال الاستدعاء فقرا و فیها إنذار ینتهی إلی ذکر الحشر و البعث.

و تتلخص مضامین آیاتها فی الدعوه إلی توحید الربوبیه و القول بالمعاد.

و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« تَبٰارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ » تبارک الشیء کثره صدور الخیرات و البرکات عنه.

و قوله:« اَلَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ »یشمل بإطلاقه کل ملک،و جعل الملک فی یده استعاره بالکنایه عن کمال تسلطه علیه و کونه متصرفا فیه کیف یشاء کما یتصرف ذو الید فیما بیده و یقلبه کیف یشاء فهو تعالی یملک بنفسه کل شیء من جمیع جهاته،و یملک ما یملکه کل شیء.

فتوصیفه تعالی بالذی بیده الملک أوسع من توصیفه بالملیک فی قوله: «عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ» :القمر:۵۵،و أصرح و آکد من توصیفه فی قوله: «لَهُ الْمُلْکُ» :التغابن:۱.

و قوله:« وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »إشاره إلی کون قدرته غیر محدوده بحد و لا منتهیه

إلی نهایه و هو لازم إطلاق الملک بحسب السیاق،و إن کان إطلاق الملک و هو من صفات الفعل من لوازم إطلاق القدره و هی من صفات الذات.

و فی الآیه مع ذلک إیماء إلی الحجه علی إمکان ما سیأتی من أمر المعاد.

قوله تعالی:« اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیٰاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفُورُ » الحیاه کون الشیء بحیث یشعر و یرید،و الموت عدم ذلک لکن الموت علی ما یظهر من تعلیم القرآن انتقال من نشأه من نشآت الحیاه إلی نشأه أخری کما تقدم استفاده ذلک من قوله تعالی: «نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ X-إلی قوله-X فِی مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ» :الواقعه:۶۱،فلا مانع من تعلق الخلق بالموت کالحیاه.

علی أنه لو أخذ عدمیا کما عند العرف فهو عدم ملکه الحیاه و له حظ من الوجود یصحح تعلق الخلق به کالعمی من البصر و الظلمه من النور.

و قوله:« لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً »غایه خلقه تعالی الموت و الحیاه،و البلاء الامتحان و المراد أن خلقکم هذا النوع من الخلق و هو أنکم تحیون ثم تموتون خلق مقدمی امتحانی یمتاز به منکم من هو أحسن عملا من غیره و من المعلوم أن الامتحان و التمییز لا یکون إلا لأمر ما یستقبلکم بعد ذلک و هو جزاء کل بحسب عمله.

و فی الکلام مع ذلک إشاره إلی أن المقصود بالذات من الخلقه هو إیصال الخیر من الجزاء حیث ذکر حسن العمل و امتیاز من جاء بأحسنه فالمحسنون عملا هم المقصودون بالخلقه و غیرهم مقصودون لأجلهم.

و قد ذیل الکلام بقوله:« وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفُورُ »فهو العزیز لأن الملک و القدره المطلقین له وحده فلا یغلبه غالب و ما أقدر أحدا علی مخالفته إلا بلاء و امتحانا و سینتقم منهم و هو الغفور لأنه یعفو عن کثیر من سیئاتهم فی الدنیا و سیغفر کثیرا منها فی الآخره کما وعد.

و فی التذییل بالاسمین مع ذلک تخویف و تطمیع علی ما یدعو إلی ذلک سیاق الدعوه.

و اعلم أن مضمون الآیه لیس مجرد دعوی خالیه عن الحجه یراد به التلقین کما ربما یتوهم بل هی مقدمه قریبه من الضروره-أو هی ضروریه-تستدعی الحکم بضروره البعث للجزاء فإن الإنسان المتلبس بهذه الحیاه الدنیویه الملحوقه للموت لا یخلو من أن یحصل له وصف حسن العمل أو خلافه و هو مجهز بحسب الفطره بما لو لا عروض عارض السوء لساقه

إلى حسن العمل،و قلما يخلو إنسان من حصول أحد الوصفين كالأطفال و من فی حکمهم.

و الوصف الحاصل المترتب على وجود الشیء الساری فی أغلب أفراده غایه فی وجوده مقصوده فی إيجاده فكما أن الحیاه النباتیه لشجره كذا إذ كانت تؤدی فی الغالب إلى أثمارها ثمره كذا يعد ذلك غايه لوجودها مقصوده منها كذلك حسن العمل و الصلاح غایه لخلق الإنسان،و من المعلوم أيضا أن الصلاح و حسن العمل لو كان مطلوبا لكان مطلوبا لغيره لا ـ لنفسه، و المطلوب بالذات الحیاه الطیبه التی لا ـ يشوبها نقص و لا يعرضها لغو و لا تأثيم فالآيه فی معنى قوله: «كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً» :الأنبياء:۳۵.

قوله تعالى:« اَلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً »إلخ،أی مطابقه بعضها فوق بعض أو بعضها يشبه البعض-على ما احتمل-و قد مر فی تفسير حم السجده بعض ما يمكننا من القول فيها.

و قوله:« مٰا تَرىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ »قال الراغب: الفوت بعد الشیء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه،قال تعالى:« وَ إِنْ فٰاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ إِلَى الْكُفّٰارِ ».

قال:و التفاوت الاختلاف فی الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر أو وصف كل واحد منهما الآخر،قال تعالى:« مٰا تَرىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ »أی ليس فيها ما يخرج عن مقتضى الحكمه.انتهى.

فالمراد بنفی التفاوت اتصال التدبير و ارتباط الأشياء بعضها ببعض من حيث الغايات و المنافع المترتبه على تفاعل بعضها فی بعض،فاصطكاك الأسباب المختلفه فی الخلقه و تنازعها كتشاجر كفتی الميزان و تصارعهما بالثقل و الخفه و الارتفاع و الانخفاض فإنهما فی عين أنهما تختلفان تنفقان فی إعانه من بيده الميزان فيما يريده من تشخيص وزن السلعه الموزونه.

فقد رتب الله أجزاء الخلقه بحيث تؤدی إلى مقاصدها من غير أن يفوت بعضها غرض بعض أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغايه المطلوبه.

و الخطاب فی« مٰا تَرىٰ »خطاب عام لكل من يمكنه الرؤيه و فی إضافه الخلق إلى الرحمن إشاره إلى أن الغايه منه هی الرحمه العامه،و تنكير« تَفٰاوُتٍ »و هو فی سياق النفی و إدخال« اَلرَّحْمٰنِ »عليه لإفاده العموم.

و قوله:« فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ » الفطور الاختلال و الوهی،و المراد بإرجاع البصر النظر ثانيا و هو كنايه عن المداقه فی النظر و الإمعان فيه.

قوله تعالی:« ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خٰاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ » الخاسئ من خسأ البصر إذا انقبض عن مهانه كما قال الراغب،و قال أيضا: الخاسر المعيا لانكشاف قواه،و يقال للمعيا:حاسر و محسور:أما الحاسر فتصور أنه بنفسه قد حسر قوته، و أما المحسور فتصور أن التعب قد حسره،و قوله عز و جل:« يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خٰاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ »يصح أن يكون بمعنى حاسر و أن يكون بمعنى محسور.انتهی.

و قوله:« كَرَّتَيْنِ » الكره الرجعه و المراد بالتثنيه التكثير و التكرير،و المعنی:ثم ارجع البصر رجعه بعد رجعه أی رجعات كثيره ينقلب إليك البصر منقبضه مهينه و الحال أنه كليل معيا لم يجد فطورا.

فقد أشير فی الآيتين إلی أن النظام الجاری فی الكون نظام واحد متصل الأجزاء مرتبط الأبعاض.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا بِمَصٰابِيحَ »إلی آخر الآيه، المصابيح جمع مصباح و هو السراج سمی الكواكب مصابيح لإنارتها و إضاءتها و قد تقدم كلام فی ذلك فی تفسير سوره حم السجده.

و قوله:« وَ جَعَلْنٰاهٰا رُجُوماً لِلشَّيٰاطِينِ »أی و جعلنا الكواكب التی زينا بها السماء رجوما يرجم بها من استرق السمع من الشياطين كما قال تعالی: «إِلاّٰ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ مُبِينٌ» :الحجر:١٨،و قال: «إِلاّٰ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ ثٰاقِبٌ» :الصافات:١٠.

قيل:إن الجمله دليل أن المراد بالكواكب المزينه بها السماء مجموع الكواكب الأصليه و الشهب السماويه فإن الكواكب الأصليه لا تزول عن مستقرها و الكواكب و النجم يطلقان علی الشهب كما يطلقان علی الأجرام الأصليه.

و قيل:تنفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين أما الكواكب أنفسها فليست تزول إلا أن يريد الله إفناءها.

و هذا الوجه أوفق للأنظار العلميه الحاضره،و قد تقدم بعض الكلام فی معنی رمی الشياطين بالشهب.

و قوله:« وَ أَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰابَ السَّعِيرِ »أی و هيأنا للشياطين و هم أشرار الجن عذاب النار المسعره المشتعله.

قوله تعالی:« وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ »لما أورد بعض آیات ربوبیته تعالی عقبها بالوعید علی من کفر بربوبیته علی ما هو شأن هذه السوره من تداخل الحجج و الوعید و الإنذار.

و المراد بالذین کفروا بربوبیته أعم من الوثنیین النافین لربوبیته لغیر أربابهم القائلین بأنه تعالی رب الأرباب فقط،و النافین لها مطلقا و المثبتین لربوبیته مع التفریق بینه و بین رسله کالیهود و النصاری حیث آمنوا ببعض رسله و کفروا ببعض.

و الآیه مع ذلک متصله بقوله:« اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفُورُ »لما فیها من الإشاره إلی البعث و الجزاء متصله بما قبلها کالتعمیم بعد التخصیص.

قوله تعالی:« إِذا أُلْقُوا فِیها سَمِعُوا لَها شَهِیقاً وَ هِیَ تَفُورُ تَکادُ تَمَیَّزُ مِنَ الْغَیْظِ »قال الراغب: الشهیق طول الزفیر و هو رد النفس و الزفیر مده انتهی،و الفوران کما فی المجمع، ارتفاع الغلیان،و التمیز :التقطع و التفرق،و الغیظ :شده الغضب،و المعنی:إذا طرح الکفار فی جهنم سمعوا لها شهیقا-أی تجذبهم إلی داخلها کما یجذب الهواء بالشهیق إلی داخل الصدر-و هی تغلی بهم فترفعهم و تخفضهم تکاد تتلاشی من شده الغضب.

قوله تعالی:« کُلَّما أُلْقِیَ فِیها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ یَأْتِکُمْ نَذِیرٌ » الفوج -کما قاله الراغب-الجماعه الماره المسرعه،و فی قوله:« کُلَّما أُلْقِیَ فِیها فَوْجٌ »إشاره إلی أن الکفار یلقون فی النار جماعه جماعه کما یشیر إلیه قوله: «وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلی جَهَنَّمَ زُمَراً» :الزمر:۷۱،و إنما یلقون کذلک بلحوق التابعین لمتبوعیهم فی الضلال کما قال تعالی: «وَ یَجْعَلَ الْخَبِیثَ بَعْضَهُ عَلی بَعْضٍ فَیَرْکُمَهُ جَمِیعاً فَیَجْعَلَهُ فِی جَهَنَّمَ» :الأنفال:۳۷، و قد تقدم بعض توضیحه فی ذیل الآیه من سوره الأنفال.

و الخزنه جمع خازن و هو الحافظ علی الشیء المدخر و المراد بهم الملائکه الموکلون علی النار المدبرون لأنواع عذابها قال تعالی: «عَلَیْها مَلائِکَهٌ غِلاظٌ شِدادٌ» :التحریم:۶، و قال: «وَ ما أَدْراکَ ما سَقَرُ X-إلی أن قال-X عَلَیْها تِسْعَهَ عَشَرَ وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِکَهً» :المدثر:۳۱.

و المعنی:کلما طرح فی جهنم جماعه من جماعات الکفار المسوقین إلیها سألهم الملائکه الموکلون علی النار الحافظون لها- توبیخا-أ لم یأتکم نذیر؟و هو النبی المنذر.

قوله تعالى:« قَالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا »إلى آخر الآيه حكايه جوابهم لسؤال الخزنه،و فيه تصديق أنهم قد جاءهم نذير فنسبوه إلى الكذب و اعتراف.

و قوله:« ما نَزَّلَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ »بيان لتكذيبهم،و كذا قوله:« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ »و قيل:قوله:« إِنْ أَنْتُمْ »إلخ،كلام الملائكه يخاطبون به الكفار بعد جوابهم عن سؤالهم بما أجابوا،و هو بعيد من السياق،و كذا احتمال كونه من كلام الرسل الذين كذبوهم تحكيه الملائكه لأولئك الكفار.

قوله تعالى:« وَ قالُوا لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ »يطلق السمع و يراد به إدراك الصوت و القول بالجارحه و ربما يراد به ما هو الغايه منه عند العقلاء و هو الالتزام بمقتضاه من الفعل و الترک،و يطلق العقل على تمييز الخير من الشر و النافع من الضار،و ربما يراد به ما هو الغايه منه و هو الالتزام بمقتضاه من طلب الخير و النفع و اجتناب الشر و الضر،قال تعالى: «لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِکَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ» :الأعراف:۱۷۹.

و أكثر ما ينتفع بالسمع عامه الناس لقصورهم عن تعقل دقائق الأمور و إدراک حقيقتها و الاهتداء إلى مصالحها و مفاسدها و إنما ينتفع بالعقل الخاصه.

فقوله:« لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ »أريد بالسمع استجابه دعوه الرسل و الالتزام بمقتضى قولهم و هم النصحاء الأمناء،و بالعقل الالتزام بمقتضى ما يدعون إليه من الحق بتعقله و الاهتداء العقلي إلى أنه حق و من الواجب أن يخضع الإنسان للحق.

و إنما قدم السمع على العقل لأن استعماله من شأن عامه الناس و هم الأكثرون و العقل شأن الخاصه و هم آحاد قليلون.

و المعنى:لو كنا في الدنيا نطيع الرسل في نصائحهم و مواعظهم أو عقلنا حجه الحق ما كنا اليوم في أصحاب السعير و هم مصاحبو النار المخلدون فيها.

و قيل:إنما جمع بين السمع و العقل لأن مدار التكليف على أدله السمع و العقل.

قوله تعالى:« فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ »كانوا إنما قالوا:« لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ »ندامه على ما فرطوا في جنب الله و فوتوا على

أنفسهم من الخير فاعترفوا بأن ما أتوا به كان تبعته دخول النار و كان عليهم أن لا يأتوا به،و هذا هو الذنب فقد اعترفوا بذنبهم.

و إنما أفرد الذنب بناء على إراده معنى المصدر منه و هو فى الأصل مصدر.

و قوله:« فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ » السحق تفتيت الشىء كما ذكره الراغب و هو دعاء عليهم.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ »لما ذكر حال الكفار و ما يجازون به على كفرهم قابله بحال المؤمنين بالغيب لتمام التقسيم و ذكر من وصفهم الخشيه لأن المقام مقام الإنذار و الوعيد.

و عد خشيتهم خشيه بالغيب لكون ما آمنوا به محجوبا عنهم تحت حجب الغيب.

قوله تعالى:« وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ »رفع شبهه يمكن أن تختلج فى قلوبهم مبنيه على الاستبعاد و ذلك أنه تعالى ساق الكلام فى بيان ربوبيته لكل شىء المستتبعه للبعث و الجزاء و ذكر ملكه و قدرته المطلقين و خلقه و تدبيره و لم يذكر علمه المحيط بهم و بأحوالهم و أعمالهم و هو مما لا يتم البعث و الجزاء بدونه.

و كان من الممكن أن يتوهموا أن الأعمال على كثرتها الخارجه عن الإحصاء لا يتأتى ضبطها و خاصه ما تكنه الصدور منها فإن الإنسان يقيس الأشياء بنفسه و يزنها بزنه نفسه و هو غير قادر على إحصاء جزئيات الأعمال التى هى حركات مختلفه متقضيه و خاصه أعمال القلوب المستكنه فى زواياها.

فدفعه بأن إظهار القول و إخفاءه سواء بالنسبه إليه تعالى فإنه عليم بذات الصدور، و السياق يشهد أن المراد استواء خفايا الأعمال و جلاياها بالنسبه إليه،و إنما ذكر أسرار القول و جهره من حيث ظهور معنى الخفاء و الظهور فيه بالجهر و الإسرار.

قوله تعالى:« أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »استفهام إنكارى مأخوذ حجه على علمه تعالى بأعمال الخلق ظاهرها و باطنها و سرها و جهرها و ذلك أن أعمال الخلق -و من جملتها أعمال الإنسان الاختياريه-و إن نسبت إلى فواعلها لكن الله سبحانه هو الذى يريدها و يوجدها من طريق اختيار الإنسان و اقتضاء سائر الأسباب فهو الخالق لأعيان الأشياء و المقدر لها آثارها كيفما كانت و الرابط بينها و بين آثارها الموصل لها إلى آثارها،قال تعالى: «اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» :الزمر:۶۲،و قال:

«الَّذِی خَلَقَ فَسَوّٰی وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ» :الأعلی:۳،فهو سبحانه محیط بعین من خلقه و أثره و من أثره أعماله الظاهره و الباطنه و ما أسره و ما جهر به و کیف یحیط به و لا یعلمه.

و فی الآیه إشاره إلی أن أحوال الأشیاء و أعمالها غیر خارجه عن خلقها لأنه تعالی استدل بعلمه بمن خلق علی علمه بخصوصیات أحواله و أعماله و لو لا کون الأحوال و الأعمال غیر خارجه عن وجود موضوعاتها لم یتم الاستدلال.

علی أن الأحوال و الأعمال من مقتضیات موضوعاتها و الذی ینتسب إلیه وجود الشیء ینتسب إلیه آثار وجوده.

و قوله:« وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ »أی النافذ فی بواطن الأشیاء المطلع علی جزئیات وجودها و آثارها،و الجمله حالیه تعلل ما قبلها و الاسمان الکریمان من الأسماء الحسنی ذیلت بهما الآیه لتأکید مضمونها.

بحث روائی

فی الکافی،بإسناده عن سفیان بن عیینه عن أبی عبد الله(ع) *فی قول الله عز و جل:

« لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً »قال:لیس یعنی أکثرکم عملا و لکن أصوبکم عملا و إنما الإصابه خشیه الله و النیه الصادقه و الخشیه.

ثم قال:الإبقاء علی العمل حتی یخلص أشد من العمل.

ألا و العمل الخالص-الذی لا ترید أن یحمدک علیه أحد إلا الله،و النیه أفضل من العمل ألا و إن النیه هی العمل.ثم تلا قوله:« قُلْ کُلٌّ یَعْمَلُ عَلیٰ شٰاکِلَتِهِ »یعنی علی نیته.

و فی المجمع،قال أبو قتاده: سألت النبی ص عن قوله تعالی:« أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً »ما عنی به؟فقال: یقول:أیکم أحسن عقلا.ثم قال:أتمکم عقلا و أشدکم لله خوفا،و أحسنکم فیما أمر الله به و نهی عنه نظرا-و إن کان أقلکم تطوعا.

و فیه،عن ابن عمر عن النبی ص *أنه تلا قوله تعالی:« تَبٰارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ -إلی قوله- أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً »ثم قال:أیکم أحسن عقلا،و أورع عن محارم الله و أسرع فی طاعه الله.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً »قال:بعضها طبق لبعض.

و فیه،":فی قوله تعالی:« مِنْ تَفٰاوُتٍ »قال:من فساد.

و فیه،":فی قوله تعالی:« ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ »قال:انظر فی ملکوت السماوات و الأرض.

و فیه،":فی قوله تعالی:« بِمَصٰابِیحَ »قال:بالنجوم.

و فیه،":فی قوله تعالی:« سَمِعُوا لَهٰا شَهِیقاً »قال:وقعا.

و فیه،":فی قوله تعالی:« تَکٰادُ تَمَیَّزُ مِنَ الْغَیْظِ »قال:علی أعداء الله.

و فیه،": فی قوله تعالی:« وَ قٰالُوا لَوْ کُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا کُنّٰا فِی أَصْحٰابِ السَّعِیرِ »قال:

قد سمعوا و عقلوا و لکنهم لم یطیعوا و لم یقبلوا،و الدلیل علی أنهم قد سمعوا و عقلوا و لم یقبلوا،قوله:« فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحٰابِ السَّعِیرِ ».

أقول:یعنی(ع)أنه یدل علی أن المراد من عدم السمع و العقل عدم الإطاعه و القبول بعد السمع و العقل أنه تعالی سمی قولهم ذلک اعترافا بالذنب،و لا یعد فعل ذنبا من فاعله إلا بعد العلم بجهه مساءته بسمع أو عقل.

[سوره الملک (۶۷): الآیات ۱۵ الی ۲۲]

اشاره

هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَلْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِی مَنٰاکِبِهٰا وَ کُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَیْهِ اَلنُّشُورُ (۱۵) أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی اَلسَّمٰاءِ أَنْ یَخْسِفَ بِکُمُ اَلْأَرْضَ فَإِذٰا هِیَ تَمُورُ (۱۶) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی اَلسَّمٰاءِ أَنْ یُرْسِلَ عَلَیْکُمْ حٰاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ کَیْفَ نَذِیرِ (۱۷) وَ لَقَدْ کَذَّبَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَکَیْفَ کٰانَ نَکِیرِ (۱۸) أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی اَلطَّیْرِ فَوْقَهُمْ صٰافّٰاتٍ وَ یَقْبِضْنَ مٰا یُمْسِکُهُنَّ إِلاَّ اَلرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ بَصِیرٌ (۱۹) أَمَّنْ هٰذَا اَلَّذِی هُوَ جُنْدٌ لَکُمْ یَنْصُرُکُمْ مِنْ دُونِ اَلرَّحْمٰنِ إِنِ اَلْکٰافِرُونَ إِلاّٰ فِی غُرُورٍ (۲۰) أَمَّنْ هٰذَا اَلَّذِی یَرْزُقُکُمْ إِنْ أَمْسَکَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (۲۱) أَ فَمَنْ یَمْشِی مُکِبًّا عَلیٰ وَجْهِهِ أَهْدیٰ أَمَّنْ یَمْشِی سَوِیًّا عَلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۲۲)

بیان

فی الآیات کره بعد کره بآیات التدبیر الداله علی ربوبیته تعالی مقرونه بالإنذار و التخویف أعنی قوله:« هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً »الآیه،و قوله:« أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الطَّیْرِ »الآیه بعد قوله:« اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیٰاهَ »الآیه،و قوله:« اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ »الآیه،و قوله:« وَ لَقَدْ زَیَّنَّا »الآیه.

قوله تعالی:« هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِی مَنٰاکِبِهٰا وَ کُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَیْهِ النُّشُورُ » الذلول من المراکب ما یسهل رکوبه من غیر أن یضطرب و یجمح و المناکب جمع منکب و هو مجتمع ما بین العضد و الکتف و أستعیر لسطح الأرض،قال الراغب:

و استعارته للأرض کاستعاره الظهر لها فی قوله:« مٰا تَرَکَ عَلیٰ ظَهْرِهٰا مِنْ دَابَّهٍ »و تسمیه الأرض ذلولا و جعل ظهورها مناکب لها یستقر علیها و یمشی فیها باعتبار انقیادها لأنواع التصرفات الإنسانیه من غیر امتناع،و قد وجه کونها ذلولا ذا مناکب بوجوه مختلفه تؤول جمیعها إلی ما ذکرنا.

و الأمر فی قوله:« وَ کُلُوا مِنْ رِزْقِهِ »للإباحه و النشور و النشر إحیاء المیت بعد موته و أصله من نشر الصحیفه و الثوب إذا بسطهما بعد طیهما.

و المعنی:هو الذی جعل الأرض مطاوعه منقاده لکم یمکنکم أن تستقروا علی ظهورها و تمشوا فیها تأکلون من رزقه الذی قدره لکم بأنواع الطلب و التصرف فیها.

و قوله:« وَ إِلَیْهِ النُّشُورُ »أی و یرجع إلیه نشر الأموات بإخراجهم من الأرض و إحیائهم للحساب و الجزاء،و اختصاص رجوع النشر به کنایه عن اختصاص الحکم بالنشور به و الإحیاء یوم القیامه فهو ربکم المدبر لأمر حیاتکم الدنیا بالإقرار علی الأرض و الهدایه إلی مآرب الحیاه،و له الحکم بالنشور للحساب و الجزاء.

و فی عد الأرض ذلولا و البشر علی مناکبها تلویح ظاهر إلی ما أدت إلیه الأبحاث العلمیه

أخيرا من كون الأرض كره سياره.

قوله تعالى:« أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمٰاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذٰا هِيَ تَمُورُ »إنذار و تخويف بعد إقامه الحجه و توبيخ على مساهلتهم فى أمر الربوبيه و إهمالهم أمر الشكر على نعم ربهم بالخضوع لربوبيته و رفض ما اختلقوه من الأنداد.

و المراد بمن فى السماء الملائكه المقيمون فيها الموكلون على حوادث الكون و إرجاع ضمير الإفراد إلى« مَنْ »باعتبار لفظه و خسف الأرض بقوم كذا شقها و تغييبهم فى بطنها و المور على ما فى المجمع التردد فى الذهاب و المجىء مثل الموج.

و المعنى:ء أمنتم فى كفركم بربوبيته تعالى الملائكه المقيمين فى السماء الموكلين بأمور العالم أن يشقوا الأرض و يغيبوكم فيها بأمر الله فإذا الأرض تضطرب ذهابا و مجيئا بزلزالها.

و قيل:المراد بمن فى السماء هو الله سبحانه و المراد بكونه فى السماء كون سلطانه و تدبيره و أمره فيها لاستحاله أن يكون تعالى فى مكان أو جهه أو محاطا بعالم من العوالم، و هذا المعنى و إن كان لا بأس به لكنه خلاف الظاهر.

قوله تعالى:« أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمٰاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حٰاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ » الحاصب الريح التى تأتى بالحصاه و الحجاره،و المعنى:أ أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم ريحا ذات حصاه و حجاره كما أرسلها على قوم لوط قال تعالى: «إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ حٰاصِباً إِلاّٰ آلَ لُوطٍ» :القمر:٣۴.

و قوله:« فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ » النذير مصدر بمعنى الإنذار و الجمله متفرعه على ما يفهم من سابق الكلام من كفرهم بربوبيته تعالى و أمنهم من عذابه و المعنى ظاهر.

و قيل:النذير صفه بمعنى المنذر و المراد به النبى ص و هو سخيف.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ »المراد بالنكير العقوبه و تغيير النعمه أو الإنكار،و الآيه كالشاهد يستشهد به على صدق ما فى قوله:« فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ »من الوعيد و التهديد.

و المعنى:و لقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الهالكه رسلى و جحدوا بربوبيتى فكيف كان عقوبتى و تغييرى النعمه عليهم أو كيف كان إنكارى ذلك عليهم حيث أهلكتهم و استأصلتهم.

و فى الآيه التفات من الخطاب إلى الغيبه فى قوله:« مِنْ قَبْلِهِمْ »إشعارا بسقوطهم

-لجهالتهم و إهمالهم فی التدبر فی آیات الربوبیه و عدم مخافتهم من سخط ربهم-عن تشریف الخطاب فأعرض عن مخاطبتهم فیما یلقی إلیهم من المعارف إلی خطاب النبی ص.

قوله تعالی:« أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الطَّیْرِ فَوْقَهُمْ صٰافّٰاتٍ وَ یَقْبِضْنَ مٰا یُمْسِکُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ بَصِیرٌ »المراد بکون الطیر فوقهم طیرانه فی الهواء،و صفیف الطیر بسطه جناحه حال الطیران و قبضه قبض جناحه حاله،و الجمع فی« صٰافّٰاتٍ وَ یَقْبِضْنَ »لکون المراد بالطیر استغراق الجنس.

و قوله:« مٰا یُمْسِکُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمٰنُ »کالجواب لسؤال مقدر کان سائلا یسأل فیقول:

ما هو المراد بإلفات نظرهم إلی صفیف الطیر و قبضه فوقهم؟فأجیب بقوله:« مٰا یُمْسِکُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمٰنُ ».

و قرار الطیر حال الطیران فی الهواء من غیر سقوط و إن کان مستندا إلی أسباب طبیعیه کقرار الإنسان علی بسیط الأرض و السمک فی الماء و سائر الأمور الطبیعیه المستنده إلی علل طبیعیه تنتهی إلیه تعالی لکن لما کان بعض الحوادث غیر ظاهر السبب للإنسان فی بادی النظر سهل له إذا نظر إلیه أن ینتقل إلی أن الله سبحانه هو السبب الأعلی الذی ینتهی إلیه حدوثه و وجوده،و لذا نبههم الله سبحانه فی کلامه بإرجاع نظرهم إلیها و دلالتهم علی وحدانیته فی الربوبیه.

و قد ورد فی کلامه تعالی شیء کثیر من هذا القبیل کإمساک السماوات بغیر عمد و إمساک الأرض و حفظ السفن علی الماء و اختلاف الأثمار و الألوان و الألسنه و غیرها مما کان سببه الطبیعی القریب خفیا فی الجمله یسهل للذهن الساذج الانتقال إلی استناده إلیه تعالی ثم إذا تنبه لوجود أسبابه القریبه بنوع من المجاهده الفکریه وجد الحاجه بعینها فی أسبابه حتی تنتهی إلیه تعالی و أن إلی ربک المنتهی.

قال فی الکشاف،:فإن قلت:لم قیل:و یقبضن و لم یقل:و قابضات؟قلت:لأن الأصل فی الطیران هو صف الأجنحه لأن الطیران فی الهواء کالسباحه فی الماء و الأصل فی السباحه هو مد الأطراف و بسطها و أما القبض فطارئ علی البسط للاستظهار به علی التحرک فجیء بما هو طار غیر أصل بلفظ الفعل علی معنی أنهن صافات و یکون منهن القبض تاره کما یکون من السابح.انتهی.

و هو مبنی علی أن تکون الآیه هی مجموع قوله:« صٰافّٰاتٍ وَ یَقْبِضْنَ »و هو الطیران،

و يمكن أن يستفاد أن الآيه عدم سقوطهن و هن صافات، و آيه أخرى أنهن ربما يقبضن و لا يسقطن حينما يقبضن.

و لا يخفى ما فى ذكر طيران الطير فى الهواء بعد ذكر جعل الأرض ذلولا و الإنسان على مناكبها من اللطف.

قوله تعالى:« أَمَّنْ هٰذَا الَّذِی هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِی غُرُورٍ »توبيخ و تقريع لهم فى اتخاذهم آلهه من دون الله لينصروهم و لذا التفت عن الغيبه إلى الخطاب فخاطبهم ليشتد عليهم التقريع.

و قوله:« أَمَّنْ هٰذَا الَّذِی »إلخ،معناه بل من الذى يشار إليه فيقال:هذا جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن أرادكم بسوء أو عذاب؟فليس دون الله من ينصركم عليه، و فيه إشاره إلى خطئهم فى اتخاذ بعض خلق الله آلهه لينصروهم فى النوائب و هم مملوكون لله لا يملكون لأنفسهم نفعا و ضرا و لا لغيرهم.

و إذ لم يكن لهم جواب أجاب تعالى بقوله:« إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِی غُرُورٍ »أى أحاط بهم الغرور و غشيهم فخيل إليهم ما يدعون من ألوهيه آلهتهم.

قوله تعالى:« أَمَّنْ هٰذَا الَّذِی يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ » أى بل من الذى يشار إليه بأن هذا هو الذى يرزقكم إن أمسك الله رزقه فينوب مقامه فيرزقكم؟ثم أجاب سبحانه بقوله:« بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ »أى إن الحق قد تبين لهم لكنهم لا يخضعون للحق بتصديقه ثم اتباعه بل تمادوا فى ابتعادهم من الحق و نفورهم منه،و لجوا فى ذلك.

قوله تعالى:« أَ فَمَنْ يَمْشِی مُكِبًّا عَلىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ أَمَّنْ يَمْشِی سَوِيًّا عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ » إكباب الشىء على وجهه إسقاطه عليه،و قال فى الكشاف،:معنى أكب دخل فى الكب و صار ذا كب.

استفهام إنكارى عن استواء الحالين تعريضا لهم بعد ضرب حجاب الغيبه عليهم و تحريمهم من تشريف الحضور و الخطاب بعد استقرار اللجاج فيهم،و المراد أنهم بلجاجهم فى عتو عجيب و نفور من الحق كمن يسلك سبيلا و هو مكب على وجه لا يرى ما فى الطريق من ارتفاع و انخفاض و مزالق و معاثر فليس هذا السائر كمن يمشى سويا على صراط مستقيم فيرى موضع قدمه و ما يواجهه من الطريق على استقامه،و ما يقصده من الغايه

و هؤلاء الكفار سائرون سبيل الحياه و هم يعاندون الحق على علم به فيغمضون عن معرفه ما عليهم أن يعرفوه و العمل بما عليهم أن يعملوا به و لا يخضعون للحق حتى يكونوا على بصيره من الأمر و يسلكوا سبيل الحياه و هم مستوون على صراط مستقيم فيأمنوا الهلاك.

و قد ظهر أن ما فى الآيه مثل عام يمثل حال الكافر الجاهل اللجوج المتمادى على جهله و المؤمن المستبصر الباحث عن الحق.

بحث روائى

فى الكافى،بإسناده عن سعد عن أبى جعفر(ع)قال*: القلب أربعه:قلب فيه نفاق و إيمان،و قلب منكوس،و قلب مطبوع،و قلب أزهر.فقلت:ما الأزهر،قال:

فيه كهيئه السراج.

فأما المطبوع فقلب المنافق،و أما الأزهر فقلب المؤمن-إن أعطاه شكر و إن ابتلاه صبر،و أما المنكوس فقلب المشرك ثم قرأ هذه الآيه« أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ-أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ »،فأما القلب الذى فيه إيمان و نفاق فقوم كانوا بالطائف-فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك-و إن أدركه على إيمانه نجى.

أقول:و رواه فى تفسير البرهان،عن ابن بابويه بإسناده عن الفضيل عن سعد الخفاف عن أبى جعفر(ع)قال*: إن القلوب أربعه،و ساق الحديث إلى آخره إلا أن فيه:

و قلب أزهر أنور.

و قوله:«فهم قوم كانوا بالطائف»المراد به الطائف الشيطانى الذى ربما يمس الإنسان قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ الشَّيْطٰانِ تَذَكَّرُوا فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ» :الأعراف:۲۰۱،فالمعنى أنهم يعيشون مع طائف شيطانى يمسهم حينا بعد حين فإن أدركهم الأجل و الطائف معهم هلكوا و إن أدركهم و هم فى حال الإيمان نجوا.

و اعلم أن هناك روايات تطبق قوله:« أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلىٰ وَجْهِهِ »الآيه على من حاد عن ولايه على(ع)و من يتبعه و يواليه،و هى من الجرى و الله أعلم.

[سوره الملک (۶۷): الآيات ۲۳ الی ۳۰]

اشاره

قُلْ هُوَ اَلَّذِی أَنْشَأَکُمْ وَ جَعَلَ لَکُمُ اَلسَّمْعَ وَ اَلْأَبْصٰارَ وَ اَلْأَفْئِدَهَ قَلِيلاً مٰا تَشْکُرُونَ (۲۳) قُلْ هُوَ اَلَّذِی ذَرَأَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۴) وَ يَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا اَلْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۲۵) قُلْ إِنَّمَا اَلْعِلْمُ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲۶) فَلَمّٰا رَأَوْهُ زُلْفَهً سِيئَتْ وُجُوهُ اَلَّذِينَ کَفَرُوا وَ قِيلَ هٰذَا اَلَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (۲۷) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَکَنِیَ اَللّٰهُ وَ مَنْ مَعِیَ أَوْ رَحِمَنٰا فَمَنْ يُجِيرُ اَلْکٰافِرِينَ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ (۲۸) قُلْ هُوَ اَلرَّحْمٰنُ آمَنّٰا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَکَّلْنٰا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۲۹) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مٰاؤُکُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيکُمْ بِمٰاءٍ مَعِينٍ (۳۰)

بيان

آيات أخر يذکرهم الله تعالی بها داله علی وحدانيته تعالی فی الخلق و التدبير مقرونه بالإنذار و التخويف،جاريه علی غرض السوره و هو التذکره بالوحدانيه مع الإنذار غير أنه تعالی لما أشار إلی لجاجهم و عنادهم للحق فی قوله السابق:« بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ » غير السياق بالإعراض عن خطابهم و الالتفات إلی خطاب النبی ص بأمره أن يتصدی خطابهم و يقرع أسماعهم آياته فی الخلق و التدبير الداله علی توحده فی الربوبيه و إنذارهم بعذاب الله،و ذلک قوله:« قُلْ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ »إلخ،« قُلْ هُوَ الَّذِی ذَرَأَکُمْ »إلخ، « قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ »إلخ،« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَکَنِیَ اللّٰهُ »إلخ،« قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ »إلخ،« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مٰاؤُکُمْ غَوْراً »إلخ.

قوله تعالی:« قُلْ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصٰارَ وَ الْأَفْئِدَهَ قَلِیلاً مٰا تَشْکُرُونَ » الإنشاء إحداث الشیء ابتداء و تربیته.

ما فی ذیل الآیه من لحن العتاب فی قوله:« قَلِیلاً مٰا تَشْکُرُونَ »و قد تکرر نظیره فی غیر موضع من کلامه کما فی سوره المؤمنون (۱)و الم السجده (۲)یدل علی أن إنشاءه تعالی الإنسان و تجهیزه بجهاز الحس و الفکر من أعظم نعمه تعالی التی لا یقدر قدرها.

و لیس المراد بإنشائه مجرد خلقه کیفما کان بل خلقه و إحداثه من دون سابقه فی مادته کما أشار إلیه فی قوله یصف خلقه طورا بعد طور: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ طِینٍ ثُمَّ جَعَلْنٰاهُ نُطْفَهً فِی قَرٰارٍ مَکِینٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً X-إلی أن قالX- ثُمَّ أَنْشَأْنٰاهُ خَلْقاً آخَرَ» :المؤمنون:۱۴،فصیروره المضغه إنسانا سمیعا بصیرا متفکرا بترکیب النفس الإنسانیه علیها خلق آخر لا یسانخ أنواع الخلقه المادیه الوارده علی ماده الإنسان من أخذها من الأرض ثم جعلها نطفه ثم علقه ثم مضغه فإنما هی أطوار مادیه متعاقبه بخلاف صیرورتها إنسانا ذا شعور فلا سابقه لها تماثلها أو تشابهها فهو الإنشاء.

و مثله قوله: «وَ مِنْ آیٰاتِهِ أَنْ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ إِذٰا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ» :الروم:۲۰ (انظر إلی موضع إذا الفجائیه).

فقوله:« هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ »إشاره إلی خلق الإنسان.

و قوله:« وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصٰارَ وَ الْأَفْئِدَهَ »إشاره إلی تجهیزه بجهاز الحس و الفکر،و الجعل إنشائی کجعل نفس الإنسان کما یشیر إلیه قوله: «وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصٰارَ وَ الْأَفْئِدَهَ قَلِیلاً مٰا تَشْکُرُونَ» :المؤمنون:۷۸.

فالإنسان بخصوصیه إنشائه و کونه بحیث یسمع و یبصر یمتاز من الجماد و النبات- و الاقتصار بالسمع و البصر من سائر الحواس کاللمس و الذوق و الشم لکونهما العمده و لا یبعد أن یکون المراد بالسمع و البصر مطلق الحواس الظاهره من باب إطلاق الجزء و إراده الکل-و بالفؤاد و هو النفس المتفکره یمتاز من سائر الحیوان.

۱- ۱) الآیه ۷۸.

۲- ۲) الآیه ۹

و قوله:« قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ »أی تشكرون قليلا علی هذه النعمه-أو النعم- العظمی فما زائده و قليلا مفعول مطلق تقديره تشكرون شكرا قليلا،و قيل:ما مصدريه و المعنی:قليلا شكركم.

قوله تعالی:« قُلْ هُوَ الَّذِی ذَرَأَكُمْ فِی الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » الذرء الخلق و المراد بذرئهم فی الأرض خلقهم متعلقين بالأرض فلا يتم لهم كمالهم إلا بأعمال متعلقه بالماده الأرضيه بما زينها الله تعالی بما تنجذب إليه النفس الإنسانيه فی حياتها المعجله ليمتاز به الصالح من الطالح قال تعالی: «إِنّا جَعَلْنا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ إِنّا لَجاعِلُونَ مَا عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً» :الكهف:٨.

و قوله:« وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ »إشاره إلی البعث و الجزاء و وعد جازم.

قوله تعالی:« وَ يَقُولُونَ مَتی هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ »المراد بهذا الوعد الحشر الموعود،و هو استعجال منهم استهزاء.

قوله تعالی:« قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ »جواب عن قولهم:« مَتی هٰذَا الْوَعْدُ »إلخ، و محصله أن العلم به عند الله لا يعلم به إلا هو كما قال: «لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاّ هُوَ» :الأعراف:١٨٧،و ليس لی إلا أنی نذير مبين أمرت أن أخبركم أنكم إليه تحشرون و أما أنه متی هو فليس لی بذلك علم.

هذا علی ما يفيده وقوع الآيه فی سياق الجواب عن السؤال عن وقت الحشر،و علی هذا تكون اللام فی العلم للعهد،و المراد العلم بوقت الحشر،و أما لو كانت للجنس علی ما تفيده جمله« إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّهِ »فی نفسها فالمعنی:إنما حقيقه العلم عند الله و لا يحاط بشیء منه إلا بإذنه كما قال: «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شاءَ» :البقره:٢٥٥،و لم يشأ أن أعلم من ذلك إلا أنه سيقع و أنذركم به و أما أنه متی يقع فلا علم لی به.

قوله تعالی:« فَلَمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا »إلخ، الزلفه القرب و المراد به القريب أو هو من باب زيد عدل،و ضمير« رَأَوْهُ »للوعد و قيل للعذاب و المعنی:

فلما رأوا الوعد المذكور قريبا قد أشرف عليهم ساء ذلك وجوه الذين كفروا به فظهر فی سيماهم أثر الخيبه و الخسران.

و قوله:« وَ قِيلَ هٰذَا الَّذِی كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ »قيل تدعون و تدعون بمعنی واحد

کتدخرون و تدخرون و المعنی:و قیل لهم:هذا هو الوعد الذی کنتم تسألونه و تستعجلون به بقولکم:متی هذا الوعد،و ظاهر السیاق أن القائل هم الملائکه بأمر من الله،و قیل القائل من الکفار یقوله بعضهم لبعض.

قوله تعالی:« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنا فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ »« إِنْ »شرطیه شرطها قوله:« أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ »و جزاؤها قوله:« فَمَنْ يُجِيرُ » إلخ،و المعنی:قل لهم أخبرونی إن أهلکنی الله و من معی من المؤمنین أو رحمنا فلم یهلکنا فمن الذی یجیر و یعید الکافرین-و هم أنتم کفرتم بالله فاستحققتم ألیم العذاب-من عذاب ألیم یهددهم تهدیدا قاطعا أی إن هلاکی و من معی و بقاؤنا برحمه ربی لا ینفعکم شیئا فی العذاب الذی سیصیبکم قطعا بکفرکم بالله.

قیل:إن کفار مکه کانوا یدعون علی رسول الله ص و علی المؤمنین بالهلاک فأمر (ص)أن یقول لهم إن أهلکنا الله تعالی أو أبقانا فأمرنا إلی الله و نرجو الخیر من رحمته و أما أنتم فما تصنعون؟من یجیرکم من ألیم العذاب علی کفرکم بالله.؟ قوله تعالی:« قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ » الضمیر للذی یدعو إلی توحیده و هم یدعونه علیه،و المعنی:قل الذی أدعوکم إلی توحیده و تدعونه علی و علی من معی هو الرحمن الذی عمت نعمته کل شیء آمنا به و علیه توکلنا من غیر أن نمیل و نعتمد علی شیء دونه فستعلمون أیها الکفار من هو فی ضلال مبین؟ نحن أم أنتم.؟ قال فی الکشاف،:فإن قیل:لم أخر مفعول« آمَنَّا »و قدم مفعول« تَوَكَّلْنا »؟ قلت:لوقوع آمنا تعریضا بالکافرین حین ورد عقیب ذکرهم کأنه قیل:آمنا و لم نکفر کما کفرتم،ثم قال:و علیه توکلنا خصوصا لم نتکل علی ما أنتم متکلون علیه من رجالکم و أموالکم.

قوله تعالی:« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ » الغور ذهاب الماء و نضوبه فی الأرض و المراد به الغائر،و المعین الظاهر الجاری من الماء،و المعنی:أخبرونی إن صار ماؤکم غائرا ناضبا فی الأرض فمن یأتیکم بماء ظاهر جار.

و هناک روایات تطبق الآیات علی ولایه علی(ع)و محادته،و هی من الجری و لیست بمفسره.

(۶۸) سوره القلم مکیه و هی اثنتان و خمسون آیه(۵۲)

[سوره القلم (۶۸): الآیات ۱ الی ۳۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

ن وَ اَلْقَلَمِ وَ مٰا یَسْطُرُونَ (۱) مٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ (۲) وَ إِنَّ لَکَ لَأَجْراً غَیْرَ مَمْنُونٍ (۳) وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ (۴) فَسَتُبْصِرُ وَ یُبْصِرُونَ (۵) بِأَیِّکُمُ اَلْمَفْتُونُ (۶) إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ (۷) فَلاٰ تُطِعِ اَلْمُکَذِّبِینَ (۸) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَیُدْهِنُونَ (۹) وَ لاٰ تُطِعْ کُلَّ حَلاّٰفٍ مَهِینٍ (۱۰) هَمّٰازٍ مَشّٰاءٍ بِنَمِیمٍ (۱۱) مَنّٰاعٍ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ (۱۲) عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ (۱۳) أَنْ کٰانَ ذٰا مٰالٍ وَ بَنِینَ (۱۴) إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِ آیٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ (۱۵) سَنَسِمُهُ عَلَی اَلْخُرْطُومِ (۱۶) إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ کَمٰا بَلَوْنٰا أَصْحٰابَ اَلْجَنَّهِ إِذْ أَقْسَمُوا لَیَصْرِمُنَّهٰا مُصْبِحِینَ (۱۷) وَ لاٰ یَسْتَثْنُونَ (۱۸) فَطٰافَ عَلَیْهٰا طٰائِفٌ مِنْ رَبِّکَ وَ هُمْ نٰائِمُونَ (۱۹) فَأَصْبَحَتْ کَالصَّرِیمِ (۲۰) فَتَنٰادَوْا مُصْبِحِینَ (۲۱) أَنِ اُغْدُوا عَلیٰ حَرْثِکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صٰارِمِینَ (۲۲) فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ یَتَخٰافَتُونَ (۲۳) أَنْ لاٰ یَدْخُلَنَّهَا اَلْیَوْمَ عَلَیْکُمْ مِسْکِینٌ (۲۴) وَ غَدَوْا عَلیٰ حَرْدٍ قٰادِرِینَ (۲۵) فَلَمّٰا رَأَوْهٰا قٰالُوا إِنّٰا لَضَالُّونَ (۲۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۲۷) قٰالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ لَوْ لاٰ تُسَبِّحُونَ (۲۸) قٰالُوا سُبْحٰانَ رَبِّنٰا إِنّٰا کُنّٰا ظٰالِمِینَ (۲۹) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَلاٰوَمُونَ (۳۰) قٰالُوا یٰا وَیْلَنٰا إِنّٰا کُنّٰا طٰاغِینَ (۳۱) عَسیٰ رَبُّنٰا أَنْ یُبْدِلَنٰا خَیْراً مِنْهٰا إِنّٰا إِلیٰ رَبِّنٰا رٰاغِبُونَ (۳۲ کَذٰلِکَ اَلْعَذٰابُ وَ لَعَذٰابُ اَلْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کٰانُوا یَعْلَمُونَ (۳۳)

بیان

السوره تعزى النبى ص إثر ما رماه المشركون بالجنون و تطيب نفسه بالوعد الجميل و الشكر على خلقه العظيم و تنهاه نهيا بالغا عن طاعتهم و مداهنتهم،و تأمره أمرا أكيدا بالصبر لحكم ربه.

و سياق آياتها على الجمله سياق مكى،و نقل عن ابن عباس و قتاده أن صدرها إلى قوله:

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ

-ست عشره آيه-مكى،و ما بعده إلى قوله:« لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ -سبع عشره آيه-مدنى،و ما بعده إلى قوله:« يَكْتُبُونَ -خمس عشره آيه-مكى، و ما بعده إلى آخر السوره-أربع آيات مدنى.

و لا يخلو من وجه بالنسبه إلى الآيات السبع عشره« إِنّا بَلَوْناهُمْ -إلى قوله- لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ »فإنها أشبه بالمدنيه منها بالمكيه.

قوله تعالى:« ن »تقدم الكلام فى الحروف المقطعه التى فى أوائل السور فى تفسير سوره الشورى.

قوله تعالى:« وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ »القلم معروف،و السطر بالفتح فالسكون و ربما يستعمل بفتحتين-كما فى المفردات-الصف من الكتابه،و من الشجر المغروس و من القوم الوقوف و سطر فلان كذا كتب سطرا سطرا.

أقسم سبحانه بالقلم و ما يسطرون به و ظاهر السياق أن المراد بذلك مطلق القلم

و مطلق مـا يسـطرون به و هو المكتوب فـإن القلم و مـا يسـطر به من الكتابه من أعظم النعم الإلهيه التى اهتـدى إليها الإنسان يتلو الكلام فى ضبط الحوادث الغائبه عن الأنظار و المعانى المستكنه فى الضمائر،و به يتيسر للإنسان أن يستحضر كل ما ضرب مرور الزمان أو بعد المكان دونه حجابا.

و قـد امتن الله سـبحانه على الإنسان بهـدايته إليهما و تعليمهما له فقال فى الكلام «خَلَقَ الْإِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ» :الرحمن:۴ و قال فى القلم: «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ :العلق:۵.

فإقسـامه تعـالى بـالقلم و مـا يسـطرون إقسام بالنعمه،و قـد أقسم تعالى فى كلامه بكثير من خلقه بما أنه رحمه و نعمه كالسـماء و الأرض و الشمس و القمر و الليل و النهار إلى غير ذلك حتى التين و الزيتون.

و قيل:« مٰا »فى قوله:« وَ مٰا يَسْطُرُونَ »مصدريه و المراد به الكتابه.

و قيـل:المراد بـالقلم القلم الأـعلى الـذى فى الحـديث أنه أول مـا خلق الله و بما يسـطرون ما يسـطره الحفظه و الكرام الكاتبون و احتمـل أيضـا أن يكون الجمع فى« يَسْـطُرُونَ » للتعظيم لاـ للتكثير و هو كما ترى،و احتمل أن يكون المراد ما يسـطرون فيه و هو اللوح المحفوظ و احتمل أن يكون المراد بالقلم و ما يسطرون أصحاب القلم و مسطوراتهم و هى احتمالات واهيه.

قوله تعـالى:« مٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ »مقسم عليه و الخطـاب للنبى ص، و البـاء فى« بِنِعْمَهِ »للسـببيه أو المصاحبه أى ما أنت بمجنون بسبب النعمه-أو مع النعمه-التى أنعمها عليك ربك.

و السـياق يؤيـد أن المراد بهذه النعمه النبوه فإن دليل النبوه يدفع عن النبى كل اختلال عقلى حتى تسـتقيم الهدايه الإلهيه اللازمه فى نظام الحياه الإنسانيه،و الآيه ترد ما رموه به من الجنون كما يحكى عنهم فى آخر السوره« وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ».

و قيـل:المراد بـالنعمه فصـاحته(ص)و عقله الكامـل و سـيرته المرضـيه و براءته من كـل عيب و اتصـافه بكل مكرمه فظهور هـذه الصـفات فيه(ص)ينـافى حصول الجنون فيه و مـا قـدمناه أقطع حجه و الآـيه و ما يتلوها كما ترى تعزيه للنبى ص و تطييب لنفسـه الشريفه و تأييد له كما أن فيها تكذيبا لقولهم.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ لَکَ لَأَجْراً غَیْرَ مَمْنُونٍ » الممنون من المن بمعنی القطع یقال:منه لسیر منا إذا قطعه و أضعفه لا من المنه بمعنی تثقیل النعمه قولا.

و المراد بالأجر أجر الرساله عند الله سبحانه،و فیه تطییب لنفس النبی ص و أن له علی تحمل رساله الله أجرا غیر مقطوع و لیس یذهب سدی.

و ربما أخذ المن بمعنی ذکر المنعم إنعامه علی المنعم علیه بحیث یثقل علیه و یکدر عیشه بتقریب أن ما یعطیه الله أجر فی مقابل عمله فهو یستحقه علیه تعالی فلا منه علیه و هو غیر سدید فإن کل عامل مملوک لله سبحانه بحقیقه معنی الملک بذاته و صفاته و أعماله فما یعطیه العبد من ذلک فهو موهبه و عطیه و ما یملکه العبد من ذلک فإنما یملکه بتملیک الله و هو المالک لما ملکه من قبل و من بعد فهو تفضل منه تعالی و لئن سمی ما یعطیه بإزاء العمل أجرا و سمی ما بینه و بین عبده من مبادله العمل و الأجر معامله فذلک تفضل آخر فلله سبحانه المنه علی جمیع خلقه و الرسول و من دونه فیه سواء.

قوله تعالی:« وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ » الخلق هو الملکه النفسانیه التی تصدر عنها الأفعال بسهوله و ینقسم إلی الفضیله و هی الممدوحه کالعفه و الشجاعه،و الرذیله و هی المذمومه کالشره و الجبن لکنه إذا أطلق فهم منه الخلق الحسن.

قال الراغب:و الخلق -بفتح الخاء-و الخلق -بضم الخاء-فی الأصل واحد کالشرب و الشرب و الصرم و الصرم لکن خص الخلق-بالفتح-بالهیئات و الأشکال و الصور المدرکه بالبصر،و خص الخلق-بالضم-بالقوی و السجایا المدرکه بالبصیره قال تعالی:« وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ »انتهی.

و الآیه و إن کانت فی نفسها تمدح حسن خلقه(ص)و تعظمه غیر أنها بالنظر إلی خصوص السیاق ناظره إلی أخلاقه الجمیله الاجتماعیه المتعلقه بالمعاشره کالثبات علی الحق و الصبر علی أذی الناس و جفاء أجلافهم و العفو و الإغماض و سعه البذل و الرفق و المداراه و التواضع و غیر ذلک،و قد أوردنا فی آخر الجزء السادس من الکتاب ما روی فی جوامع أخلاقه(ص).

و مما تقدم یظهر أن ما قیل:إن المراد بالخلق الدین و هو الإسلام غیر مستقیم إلا بالرجوع إلی ما تقدم.

قوله تعالى:« فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ »تفريع على محصل ما تقدم أى فإذا لم تكن مجنونا بل متلبسا بالنبوه و متخلقا بالخلق و لك عظيم الأجر من ربك فسيظهر أمر دعوتك و ينكشف على الأبصار و البصائر من المفتون بالجنون أنت أو المكذبون الرامون لك بالجنون.

و قيل:المراد ظهور عاقبه أمر الدعوه له و لهم فى الدنيا أو فى الآخره؟الآيه تقبل الحمل على كل منها.و لكل قائل،و لا مانع من الجمع فإن الله تعالى أظهر نبيه عليهم و دينه على دينهم،و رفع ذكره(ص)و محا أثرهم فى الدنيا و سيذوقون وبال أمرهم غدا و يعلمون (۱)أن الله هو الحق المبين يوم هم (۲)على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون.

و قوله:« بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ »الباء زائده للصله،و المفتون اسم مفعول من الفتنه بمعنى الابتلاء يريد به المبتلى بالجنون و فقدان العقل،و المعنى:فستبصر و يبصرون أيكم المفتون المبتلى بالجنون؟أنت أم هم.؟ و قيل:المفتون مصدر على زنه مفعول كمعقول و ميسور و معسور فى قولهم:ليس له معقول، و خذ ميسوره،و دع معسوره،و الباء فى« بِأَيِّكُمُ »بمعنى فى و المعنى:فستبصر و يبصرون فى أى الفريقين الفتنه.

قوله تعالى:« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »لما أفيد بما تقدم من القول إن هناك ضلالا و اهتداء،و أشير إلى أن الرامين للنبى ص بالجنون هم المفتونون الضالون و سيظهر أمرهم و أن النبى ص مهتد و كان ذلك ببيان من الله سبحانه أكد ذلك بأن الله أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين لأن السبيل سبيله و هو أعلم بمن هو فى سبيله و من ليس فيه و إليه أمر الهدايه.

قوله تعالى:« فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ »تفريع على المحصل من معنى الآيات السابقه و فى المكذبين معنى العهد و المراد بالطاعه مطلق الموافقه عملا أو قولا،و المعنى:فإذا كان هؤلاء المكذبون لك مفتونين ضالين فلا تطعهم.

۱- ۱) النور:۳۵.

۲- ۲) الذاريات:۱۴

قوله تعالى:« وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ » الإدهان من الدهن يراد به التليين أى ود و أحب هؤلاء المكذبون أن تلينهم بالاقتراب منهم فى دينك فيلينوك بالاقتراب منك فى دينهم،و محصله أنهم ودوا أن تصالحهم و يصالحوك على أن يتسامح كل منكم بعض المسامحه فى دين الآخر كما قيل:إنهم عرضوا عليه أن يكف عن ذكر آلهتهم فيكفوا عنه و عن ربه.

و بما تقدم ظهر أن متعلق مودتهم مجموع« لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ »و أن الفاء فى« فَيُدْهِنُونَ » للتفريع لا للسببيه.

قوله تعالى:« وَ لاٰ تُطِعْ كُلَّ حَلاّٰفٍ مَهِينٍ -إلى قوله- زَنِيمٍ » الحلاف كثير الحلف، و لازم كثره الحلف و الإقسام فى كل يسير و خطير و حق و باطل أن لا يحترم الحالف شيئا مما يقسم به،و إذا كان حلفه بالله فهو لا يستشعر عظمه الله عز اسمه و كفى به رذيله.

و المهين من المهانه بمعنى الحقاره و المراد به حقاره الرأى،و قيل:هو المكثار فى الشر، و قيل:هو الكذاب.

و الهماز مبالغه من الهمز و المراد به العياب و الطعان،و قيل:الطعان بالعين و الإشاره و قيل:كثير الاغتياب.

و المشاء بنميم النميم: السعايه و الإفساد،و المشاء به هو نقال الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد بينهم.

و المناع للخير كثير المنع لفعل الخير أو للخير الذى ينال أهله.

و المعتدى من الاعتداء و هو المجاوزه للحد ظلما.

و الأثيم هو الذى كثر إثمه حتى استقر فيه من غير زوال و الإثم هو العمل السيئ الذى يبطئ الخير.

و العتل بضمتين هو الفظ الغليظ الطبع،و فسر بالفاحش السيئ الخلق،و بالجافى الشديد الخصومه بالباطل،و بالأكول المنوع للغير،و بالذى يعتل الناس و يجرهم إلى حبس أو عذاب.

و الزنيم هو الذى لا أصل له،و قيل:هو الدعى الملحق بقوم و ليس منهم،و قيل:

هو المعروف باللؤم،و قيل:هو الذى له علامه فى الشر يعرف بها و إذا ذكر الشر سبق هو إلى الذهن،و المعانى متقاربه.

فهذه صفات تسع رذيله وصف الله بها بعض أعداء الدين ممن كان يدعو النبى ص إلى الطاعه و المداهنه،و هى جماع الرذائل.

و قوله:« عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ »معناه أنه بعد ما ذكر من مثالبه و رذائله عتل زنيم قيل:و فيه دلاله على أن هاتين الرذيلتين أشد معايبه.

و الظاهر أن فيه إشاره إلى أن له خبائث من الصفات لا ينبغى معها أن يطاع فى أمر الحق و لو أغمض عن تلك الصفات فإنه فظ خشن الطبع لا أصل له لا ينبغى أن يعبأ بمثله فى مجتمع بشرى فليطرد و لا يطع فى قول و لا يتبع فى فعل.

قوله تعالى:« أَنْ كٰانَ ذٰا مٰالٍ وَ بَنِينَ »الظاهر أنه بتقدير لام التعليل و هو متعلق بفعل محصل من مجموع الصفات الرذيله المذكوره أى هو يفعل كذا و كذا لأن كان ذا مال و بنين فبطر بذلك و كفر بنعمه الله و تلبس بكل رذيله خبيثه بدل أن يشكر الله على نعمته و يصلح نفسه،فالآيه فى إفاده الذم و التهكم تجرى مجرى قوله:« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرٰاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتٰاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ ».

و قيل:إنه متعلق بقوله السابق« لاٰ تُطِعْ »،و المعنى:لا تطعه لكونه ذا مال و بنين أى لا يحملك كونه ذا مال و بنين على طاعته،و المعنى المتقدم أقرب و أوسع.

قيل:و لا يجوز تعلقه بقوله:« قٰالَ »فى الشرطيه التاليه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله عند النحاه.

قوله تعالى:« إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » الأساطير جمع أسطوره و هى القصه الخرافيه،و الآيه تجرى مجرى التعليل لقوله السابق:« لاٰ تُطِعْ ».

قوله تعالى:« سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ » الوسم و السمه وضع العلامه،و الخرطوم الأنف، و قيل:إن فى إطلاق الخرطوم على أنفه و إنما يطلق فى الفيل و الخنزير تهكما،و فى الآيه وعيد على عداوته الشديده لله و رسوله و ما نزله على رسوله.

و الظاهر أن الوسم على الأنف أريد به نهايه إذلاله بذله ظاهره يعرفه بها كل من رآه فإن الأنف مما يظهر فيه العزه و الذله كما يقال:شمخ فلان بأنفه و حمى فلان أنفه و أرغمت أنفه و جدع أنفه.

و الظاهر أن الوسم على الخرطوم مما سيقع يوم القيامه لا فى الدنيا و إن تكلف بعضهم فى توجيه حمله على فضاحته فى الدنيا.

قوله تعالی:« إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ كَمٰا بَلَوْنٰا أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ -إلی قوله- كَالصَّرِيمِ البلاء الاختبار و إصابه المصيبه،و الصرم قطع الثمار من الأشجار،و الاستثناء عزل البعض من حكم الكل و أيضا الاستثناء قول إن شاء الله عند القطع بقول و ذلك أن الأصل فيه الاستثناء فالأصل فی قولك:أخرج غدا إن شاء الله هو أخرج غدا إلا أن يشاء الله أن لا أخرج،و الطائف العذاب الذی يأتی بالليل،و الصريم الشجر المقطوع ثمره،و قيل:الليل الأسود،و قيل:الرمل المقطوع من سائر الرمل و هو لا ينبت شيئا و لا يفيد فائده.

الآيات أعنی قوله:« إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ كَمٰا بَلَوْنٰا أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ »إلی تمام سبع عشره آيه وعيد لمكذبی النبی ص الرامين له بالجنون،و فی التشبيه و التنظير دلاله علی أن هؤلاء المكذبين معذبون لا محاله و العذاب الواقع عليهم قائم علی ساقه،غير أنهم غافلون و سيعلمون،فهم مولعون اليوم بجمع المال و تكثير البنين مستكبرون بها معتمدون عليها و علی سائر الأسباب الظاهريه التی توافقهم و تشايع أهواءهم من غير أن يشكروا ربهم علی هذه النعم و يسلكوا سبيل الحق و يعبدوا ربهم حتی يأتيهم الأجل و يفاجئهم عذاب الآخره أو عذاب دنيوی من عنده كما فاجأهم يوم بدر فيروا انقطاع الأسباب عنهم و أن المال و البنين سدی لا ينفعهم شيئا كما شاهد نظير ذلك أصحاب الجنه من جنتهم و سيندمون علی صنيعهم و يرغبون إلی ربهم و لا يرد ذلك عذاب الله كما ندم أصحاب الجنه و تلاوموا و رغبوا إلی ربهم فلم ينفعهم ذلك شيئا كذلك العذاب و لعذاب الآخره أكبر لو كانوا يعلمون،هذا علی تقدير اتصال الآيات بما قبلها و نزولها معها.

و أما علی ما رووا أن الآيات نزلت فی القحط و السنه الذی أصاب أهل مكه و قريشا إثر دعاء النبی ص عليهم بقوله:اللهم اشدد وطأتك علی مضر و اجعلها عليهم سنين كسنی يوسف،فالمراد بالبلاء إصابتهم بالقحط و تناظر قصتهم قصه أصحاب الجنه غير أن فی انطباق ما فی آخر قصتهم من قوله:« فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ »إلخ،علی قصه أهل مكه خفاء.

و كيف كان فالمعنی:« إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ »أصبناهم بالبليه« كَمٰا بَلَوْنٰا »و أصبنا بالبليه « أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ »و كانوا قوما من اليمن و جنتهم فيها و سيأتی إن شاء الله قصتهم فی البحث الروائی الآتی« إِذْ »ظرف لبلونا« أَقْسَمُوا »و حلفوا« لَيَصْرِمُنَّهٰا »أی ليقطعن و يقطفن ثمار جنتهم« مُصْبِحِينَ »داخلين فی الصباح و كأنهم ائتمروا و تشاوروا ليلا فعزموا علی

الصرم صبيحه ليلتهم« وَ لاٰ يَسْتَثْنُونَ »لم يقولوا إلا أن يشاء الله اعتمادا على أنفسهم و اتكاء على ظاهر الأسباب.أو المعنى:قالوا و هم لا يعزلون نصيبا من ثمارهم للفقراء و المساكين.

« فَطٰافَ عَلَيْهٰا »على الجنه« طٰائِفٌ »أى بلاء يطوف عليها و يحيط بها ليلا« مِنْ » ناحيه« رَبِّكَ ، فَأَصْبَحَتْ »و صارت الجنه« كَالصَّرِيمِ »و هو الشجر المقطوع ثمره أو المعنى:

فصارت الجنه كالليل الأسود لما اسودت بإحراق النار التى أرسلها الله إليها أو المعنى:

فصارت الجنه كالقطعه من الرمل لا نبات بها و لا فائده.

قوله تعالى:« فَتَنٰادَوْا مُصْبِحِينَ -إلى قوله- قٰادِرِينَ » التنادى نداء بعض القوم بعضا، و الإصباح الدخول فى الصباح،و صارمين من الصرم بمعنى قطع الثمار من الشجره، و المراد به فى الآيه القاصدون لقطع الثمار،و الحرث الزرع و الشجر،و الخفت الإخفاء و الكتمان،و الحرد المنع و قادرين من القدر بمعنى التقدير.

و المعنى:« فَتَنٰادَوْا »أى فنادى بعض القوم بعضا« مُصْبِحِينَ »أى و الحال أنهم داخلون فى الصباح« أَنِ اغْدُوا عَلىٰ حَرْثِكُمْ »تفسير للتنادى أى بكروا مقبلين على جنتكم -فاغدوا أمر بمعنى بكروا مضمن معنى أقبلوا و لذا عدى بعلى و لو كان غير مضمن عدى بإلى كما فى الكشاف-« إِنْ كُنْتُمْ صٰارِمِينَ »أى قاصدين عازمين على الصرم و القطع.

«فانطلقوا»و ذهبوا إلى جنتهم« وَ هُمْ يَتَخٰافَتُونَ »أى و الحال أنهم يأتمرون فيما بينهم بطريق المخافته و المكاتمه« أَنْ لاٰ يَدْخُلَنَّهَا »أى الجنه« اَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ »أى أخفوا ورودكم الجنه للصرم من المساكين حتى لا يدخلوا عليكم فيحملكم ذلك على عزل نصيب من الثمر المصروم لهم« وَ غَدَوْا »و بكروا إلى الجنه« عَلىٰ حَرْدٍ »أى على منع للمساكين « قٰادِرِينَ »مقدرين فى أنفسهم أنهم سيصرمونها و لا يساهمون المساكين بشىء منها.

قوله تعالى:« فَلَمّٰا رَأَوْهٰا قٰالُوا إِنّٰا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ »أى فلما رأوا الجنه و شاهدوها و قد أصبحت كالصريم بطواف طائف من عند الله قالوا:إنا لضالون عن الصواب فى غدونا إليها بقصد الصرم و منع المساكين.

و قيل:المراد إنا لضالون طريق جنتنا و ما هى بها.

و قوله:« بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ »إضراب عن سابقه أى ليس مجرد الضلال عن الصواب بل حرمنا الزرع.

قوله تعالى:« قٰالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لاٰ تُسَبِّحُونَ -إلى قوله- رٰاغِبُونَ »أى

« قَالَ أَوْسَطُهُمْ »أی أعدلهم طریقا و ذلک أنه ذکرهم بالحق و إن تبعهم فی العمل و قیل:

المراد أوسطهم سنا و لیس بشیء« أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ »و قد کان قال لهم ذلک و إنما لم یذکر قبل فی القصه إیجازا بالتعویل علی ذکره هاهنا.

« لَوْ لاٰ تُسَبِّحُونَ »المراد بتسبیحهم له تعالی تنزیههم له من الشرکاء حیث اعتمدوا علی أنفسهم و علی سائر الأسباب الظاهریه فأقسموا لیصرمنها مصبحین و لم یستثنوا لله مشیه فعزلوه تعالی عن السببیه و التأثیر و نسبوا التأثیر إلی أنفسهم و سائر الأسباب الظاهریه، و هو إثبات للشریک،و لو قالوا:لنصرمنها مصبحین إلا أن یشاء الله کان معنی ذلک نفی الشرکاء و أنهم إن لم یصرموا کان لمشیه من الله و إن صرموا کان ذلک بإذن من الله فلله الأمر وحده لا شریک له.

و قیل:المراد بتسبیحهم لله ذکر الله تعالی و توبتهم إلیه حیث نووا أن یصرموها و یحرموا المساکین منها،و له وجه علی تقدیر أن یراد بالاستثناء عزل نصیب من الثمار للمساکین.

قوله تعالی:« قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا کُنَّا ظَالِمِینَ »تسبیح منهم لله سبحانه إثر توبیخ أوسطهم لهم،أی ننزه الله تنزیها من الشرکاء الذین أثبتناهم فیما حلفنا علیه فهو ربنا الذی یدبر بمشیته أمورنا لأنا کنا ظالمین فی إثباتنا الشرکاء فهو تسبیح و اعتراف بظلمهم علی أنفسهم فی إثبات الشرکاء.

و علی القول الآخر توبه و اعتراف بظلمهم علی أنفسهم و علی المساکین.

قوله تعالی:« فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَلاَوَمُونَ »أی یلوم بعضهم بعضا علی ما ارتکبوه من الظلم.

قوله تعالی:« قَالُوا یَا وَیْلَنَا -إلی قوله- رَاغِبُونَ » الطغیان تجاوز الحد و ضمیر « مِنْهَا »للجنه باعتبار ثمارها و المعنی:قالوا یا ویلنا إنا کنا متجاوزین حد العبودیه إذ أثبتنا شرکاء لربنا و لم نوحده،و نرجو من ربنا أن یبدلنا خیرا من هذه الجنه التی طاف علیها طائف منه لأنا راغبون إلیه معرضون عن غیره.

قوله تعالی:« کَذٰلِکَ الْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کَانُوا یَعْلَمُونَ »العذاب مبتدأ مؤخر،و کذلک خبر مقدم أی إنما یکون العذاب علی ما وصفناه فی قصه أصحاب الجنه و هو أن الإنسان یمتحن بالمال و البنین فیطغی مغترا بذلک فیستغنی بنفسه و ینسی ربه و یشرک بالأسباب الظاهریه و بنفسه و یجترئ علی المعصیه و هو غافل عما یحیط به من وبال

عمله و يهيئ له من العذاب كذلك حتى إذا فاجأه العذاب و برز له بأهول وجوهه و أمرها انتبه من نومه الغفله و تذكر ما جاءه من النصح قبلا و ندم على ما فرط بالطغيان و الظلم و سأل الله أن يعيد عليه النعمه فيشكر كما انتهى إليه أمر أصحاب الجنه،ففى ذلك إعطاء الضابط بالمثال.

و قوله:« وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ »لأنه ناش عن قهر إلهى لا يقوم له شيء لا رجاء للتخلص منه و لو بالموت و الفناء كما فى شدائد الدنيا،محيط بالإنسان من جميع أقطار وجوده لا كعذاب الدنيا دائم لا انتهاء لأمده كما فى الابتلاءات الدنيويه.

بحث روائى

فى المعانى،بإسناده عن سفيان بن سعيد الثورى عن الصادق(ع) *فى تفسير الحروف المقطعه فى القرآن قال:و أما ن فهو نهر فى الجنه-قال الله عز و جل:اجمد فجمد فصار مدادا-ثم قال للقلم:اكتب فسطر القلم فى اللوح المحفوظ-ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامه- فالمداد مداد من نور-و القلم قلم من نور و اللوح لوح من نور.

قال سفيان:فقلت له:يا بن رسول الله-بين أمر اللوح و القلم و المداد فضل بيان-و علمنى مما علمك الله-فقال:يا ابن سعيد لو لا أنك أهل للجواب ما أجبتك-فنون ملك يؤدى إلى القلم و هو ملك،و القلم يؤدى إلى اللوح و هو ملك،و اللوح يؤدى إلى إسرافيل-و إسرافيل يؤدى إلى ميكائيل-و ميكائيل يؤدى إلى جبرائيل-و جبرائيل يؤدى إلى الأنبياء و الرسل.

قال:ثم قال:قم يا سفيان فلا آمن عليك.

و فيه،بإسناده عن إبراهيم الكرخى قال*: سألت جعفر بن محمد(ع)عن اللوح و القلم قال:هما ملكان.

و فيه،بإسناده عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين(ع)*: « ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ » القلم قلم من نور-و كتاب من نور فى لوح محفوظ-يشهده المقربون و كفى بالله شهيدا.

أقول:و فى المعانى المتقدمه روايات أخرى عن أئمه أهل البيت(ع)،و قد تقدم فى ذيل قوله تعالى: «هٰذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» :الجاثيه:۲۹،

حديث القمى عن عبد الرحيم القصير عن الصادق(ع) *فى اللوح و القلم و فيه:ثم ختم على فم القلم-فلم ينطق بعد ذلك و لا ينطق أبدا-و هو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلها.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن جریر عن معاویه بن قره عن أبیه قال*:قال رسول الله ص: « ن وَ الْقَلَمِ وَ مٰا یَسْطُرُونَ »قال:لوح من نور و قلم من نور-یجری بما هو کائن إلی یوم القیامه.

أقول:و فی معناه روایات أخر،و قوله:یجری بما هو کائن إلخ،أی منطبق علی متن الکائنات من دون أن یتخلف شیء منها عما کتب هناک و نظیره ما فی روایه أبی هریره:ثم ختم علی فی القلم فلم ینطق و لا ینطق إلی یوم القیامه.

و فی المعانی،بإسناده عن أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) * فی قول الله عز و جل:

« وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ »قال:هو الإسلام.

و فی تفسیر القمی،عن أبی الجارود عن أبی جعفر(ع) *فی قوله:« وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ »قال:علی دین عظیم.

أقول:یرید اشتمال الدین و الإسلام علی کمال الخلق و استنانه(ص)به،

و فی الروایه المعروفه عنه(ص): بعثت لأتمم مکارم الأخلاق.

و فی المجمع،بإسناده عن الحاکم بإسناده عن الضحاک قال*: لما رأت قریش تقدیم النبی ص علیا و إعظامه له-نالوا من علی و قالوا:قد افتتن به محمد-فأنزل الله تعالی:« ن وَ الْقَلَمِ وَ مٰا یَسْطُرُونَ »قسم أقسم الله به« مٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ- وَ إِنَّ لَکَ لَأَجْراً غَیْرَ مَمْنُونٍ- وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ -یعنی القرآن-إلی قوله- بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ »وهم النفر الذین قالوا ما قالوا« وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ »یعنی علی بن أبی طالب.

أقول:و رواه فی تفسیر البرهان،عن محمد بن العباس بإسناده إلی الضحاک*و ساق نحوا مما مر و فی آخره:و سبیله علی بن أبی طالب .

و فیه،"فی قوله تعالی:« وَ لاٰ تُطِعْ کُلَّ حَلاّٰفٍ »إلخ،قیل:یعنی الولید بن المغیره-عرض علی النبی ص المال لیرجع عن دینه،و قیل:یعنی الأخنس بن شریق عن عطاء،و قیل:

یعنی الأسود بن عبد یغوث":عن مجاهد.

أقول:و فی ذلک روایات فی الدر المنثور و غیره ترکنا إیرادها من أرادها فلیراجع جوامع الروایات.

و فیه،عن شداد بن أوس قال*:قال رسول الله ص: لا یدخل الجنه جواظ و لا جعظری و لا عتل زنیم.قلت:فما الجواظ؟قال:کل جماع مناع.قلت:فما الجعظری؟

قال:الفظ الغليظ.قلت:فما العتل الزنيم؟قال:كل رحيب الجوف-سيء الخلق أكول شروب غشوم ظلوم زنيم.

و فيه،فی معنی الزنيم:قيل":هو الذی لا أصل له.

و فيه،فی تفسير القمی،":فی قوله:« عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ »قال:العتل العظيم الكفر الزنيم الدعی.

و فيه،فی روايه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله:« إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ كَمٰا بَلَوْنٰا أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ »إن أهل مكه ابتلوا بالجوع كما ابتلی أصحاب الجنه-و هی كانت فی الدنيا و كانت باليمن-يقال له الرضوان علی تسعه أميال من صنعاء.

و فيه،بإسناده إلی ابن عباس":أنه قيل له إن قوما من هذه الأمه-يزعمون أن العبد يذنب فيحرم به الرزق،فقال ابن عباس:فو الله الذی لا إله إلا هو-هذا أنور فی كتاب الله من الشمس الضاحيه-ذكره الله فی سوره ن و القلم.

إنه كان شيخ و كان له جنه-و كان لا يدخل إلی بيته ثمره منها-و لا إلی منزله حتی يعطی كل ذی حق حقه-فلما قبض الشيخ ورثه بنوه-و كان له خمس من البنين-فحملت جنتهم فی تلك السنه التی هلك فيها أبوهم حملا-لم يكن حملته قبل ذلك-فراحوا الفتيه إلی جنتهم بعد صلاه العصر-فأشرفوا علی ثمره و رزق فاضل-لم يعاينوا مثله فی حياه أبيهم.

فلما نظروا إلی الفضل طغوا و بغوا-و قال بعضهم لبعض:إن أبانا كان شيخا كبيرا-قد ذهب عقله و خرف-فهلموا نتعاقد فيما بيننا أن لا نعطی أحدا-من فقراء المسلمين فی عامنا شيئا-حتی نستغنی و يكثر أموالنا-ثم نستأنف الصنيعه فيما استقبل من السنين المقبله-فرضی بذلك منهم أربعه و سخط الخامس-و هو الذی قال الله:« قٰالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لاٰ تُسَبِّحُونَ ».

فقال الرجل:يا ابن عباس كان أوسطهم فی السن؟فقال:لا بل كان أصغرهم سنا و أكبرهم عقلا-و أوسط القوم خير القوم،و الدليل عليه فی القرآن قوله:إنكم يا أمه محمد أصغر الأمم و خير الأمم-قوله عز و جل:« وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ».

قال لهم أوسطهم:اتقوا و كونوا علی منهاج أبيكم-تسلموا و تغنموا فبطشوا به و ضربوه ضربا مبرحا-فلما أيقن الأخ منهم أنهم يريدون قتله-دخل معهم فی مشورتهم كارها لأمرهم غير طائع.

فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله-ليصرمن إذا أصبحوا و لم يقولوا إن شاء الله-فابتلاهم الله بذلك الذنب و حال بينهم-و بين ذلك الرزق الذى كانوا أشرفوا عليه-فأخبر عنهم فى الكتاب فقال:« إِنّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ-إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ وَ لا يَسْتَثْنُونَ- فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نائِمُونَ- فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ »قال:كالمحترق.

فقال الرجل:يا ابن عباس ما الصريم؟قال:الليل المظلم،ثم قال:لا ضوء له و لا نور.

فلما أصبح القوم« فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ- أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ »قال:

« فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ »قال الرجل:و ما التخافت يا ابن عباس؟قال:يتشاورون فيشاور بعضهم بعضا-لكيلا يسمع أحد غيرهم-فقالوا:« لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ- وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ »فى أنفسهم أن يصرموها-و لا يعلمون ما قد حل بهم من سطوات الله و نقمته.

« فَلَمّا رَأَوْها »و ما قد حل بهم« قالُوا إِنّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ »فحرمهم الله ذلك الرزق بذنب كان منهم-و لم يظلمهم شيئا.

« قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ- قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ- فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ »قال:يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه« قالُوا يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا طاغِينَ عَسى رَبُّنا-أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها إِنّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ »فقال الله:« كَذلِكَ الْعَذابُ وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ-لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ».

أقول:و قد ورد ما يقرب من مضمون هذا الحديث و الذى قبله فى روايات أخر و فى بعض الروايات أن الجنه كانت لرجل من بنى إسرائيل ثم مات و ورثه بنوه فكان من أمرهم ما كان.

[سوره القلم (۶۸): الآيات ۳۴ الى ۵۲]

اشاره

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ اَلنَّعِيمِ (۳۴) أَ فَنَجْعَلُ اَلْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (۳۵) ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳۶) أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (۳۷) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ (۳۸) أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ اَلْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ (۳۹) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ (۴۰) أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ (۴۱) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى اَلسُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (۴۲) خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى اَلسُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ (۴۳) فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا اَلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (۴۴) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (۴۵) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (۴۶) أَمْ عِنْدَهُمُ اَلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (۴۷) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ اَلْحُوتِ إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ (۴۸) لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (۴۹) فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ اَلصّالِحِينَ (۵۰) وَ إِنْ يَكادُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمّا سَمِعُوا اَلذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (۵۱) وَ ما هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (۵۲)

بیان

فيها تـذييل لما تقدم من الوعيد لمكذبى النبى ص و تسـجيل العذاب عليهم فى الآخره إذ المتقون فى جنات النعيم،و تثبيت أنهم و المتقون لا يستوون بحجه قاطعه فليس لهم أن

ص :٣٨٠

يرجوا كرامه من الله و هم مجرمون فما يجدونه من نعم الدنيا استدراج و إملاء.

و فيها تأكيد أمر النبى ص بالصبر لحكم ربه.

قوله تعالى:« إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ »بشرى و بيان لحال المتقين فى الآخره قبال ما بين من حال المكذبين فيها.

و فى قوله:« عِنْدَ رَبِّهِمْ »دون أن يقال:عند الله إشاره إلى رابطه التدبير و الرحمه بينهم و بينه سبحانه و أن لهم ذلك قبال قصرهم الربوبيه فيه تعالى و إخلاصهم العبوديه له.

و إضافه الجنات إلى النعيم و هو النعمه للإشاره إلى أن ما فيها من شىء نعمه لا تشوبها نقمه و لذه لا يخالطها ألم،و سيجىء إن شاء الله فى تفسير قوله تعالى: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» :التكاثر:۸،أن المراد بالنعيم الولايه.

قوله تعالى:« أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ »تحتمل الآيه فى بادئ النظر أن تكون مسوقه حجه على المعاد كقوله تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ» :-ص:۲۸،و قد تقدم تفسيره.

و أن تكون ردا على قول من قال منهم للمؤمنين:لو كان هناك بعث و إعاده لكنا منعمين كما فى الدنيا و قد حكى سبحانه ذلك عن قائلهم: «وَ ما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى» :حم السجده:۵۰.

ظاهر سياق الآيات التاليه التى ترد عليهم الحكم بالتساوى هو الاحتمال الثانى،و هو الذى رووه أن المشركين لما سمعوا حديث البعث و المعاد قالوا:إن صح ما يقوله محمد و الذين آمنوا معه لم تكن حالنا إلا أفضل من حالهم كما فى الدنيا و لا أقل من أن تتساوى حالنا و حالهم.

غير أنه يرد عليه أن الآيه لو سيقت لرد قولهم،سنساويهم فى الآخره أو نزيد عليهم كما فى الدنيا،كان مقتضى التطابق بين الرد و المردود أن يقال:أ فنجعل المجرمين كالمسلمين و قد عكس.

و التدبر فى السياق يعطى أن الآيه مسوقه لرد دعواهم التساوى لكن لا من جهه نفى مساواتهم على إجرامهم للمسلمين بل تزيد على ذلك بالإشاره إلى أن كرامه المسلمين تأبى أن يساويهم المجرمون كأنه قيل:إن قولكم:سنتساوى نحن و المسلمون باطل فإن الله لا يرضى أن يجعل المسلمين بما لهم من الكرامه عنده كالمجرمين و أنتم مجرمون.

فالآیه تقیم الحجه علی عدم تساوی الفریقین من جهه منافاته لکرامه المسلمین علیه تعالی لا من جهه منافاه مساواه المجرمین للمسلمین عدله تعالی.

و المراد بالإسلام تسلیم الأمر لله فلا یتبع إلا ما أراده سبحانه من فعل أو ترک یقابله الاجرام و هو اکتساب السیئه و عدم التسلیم.

و الآیه و ما بعدها إلی قوله:« أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ »فی مقام الرد لحکمهم بتساوی المجرمین و المسلمین حالا یوم القیامه تورد محتملات هذا الحکم من حیث منشئه فی صور استفهامات إنکاریه و تردها.

و تقریر الحجه:أن کون المجرمین کالمسلمین یوم القیامه علی ما حکموا به إما أن یکون من الله تعالی موهبه و رحمه و إما أن لا یکون منه.

و الأول إما أن یدل علیه دلیل العقل و لا دلیل علیه کذلک و ذلک قوله:« مٰا لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ ».

و إما أن یدل علیه النقل و لیس کذلک و هو قوله:« أَمْ لَکُمْ کِتٰابٌ »إلخ،و إما أن یکون لا لدلاله عقل أو نقل بل عن مشافهه بینهم و بین الله سبحانه عاهدوه و واثقوه علی أن یسوی بینهما و لیس کذلک فهذه ثلاثه احتمالات.

و إما أن لا یکون من الله فإما أن یکون حکمهم بالتساوی حکما جدیا أو لا یکون فإن کان جدیا فإما أن یکون التساوی الذی یحکمون به مستندا إلی أنفسهم بأن یکون لهم قدره علی أن یصیروا یوم القیامه کالمسلمین حالا و إن لم یشأ الله ذلک و لیس کذلک و هو قوله:« سَلْهُمْ أَیُّهُمْ بِذٰلِکَ زَعِیمٌ »أو یکون القائم بهذا الأمر المتصدی له شرکاؤهم و لا شرکاء و هو قوله:« أَمْ لَهُمْ شُرَکٰاءُ فَلْیَأْتُوا بِشُرَکٰائِهِمْ »إلخ.

و إما أن یکون ذلک لأن الغیب عندهم و الأمور التی ستستقبل الناس قدرها و قضاؤها منوطان بمشیتهم تکون و تقع کیف یکتبون فکتبوا لأنفسهم المساواه مع المسلمین، و لیس کذلک و لا سبیل لهم إلی الغیب و ذلک قوله:« أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ » و هذه ثلاثه احتمالات.

و إن لم یکن حکمهم بالمساواه حکما جدیا بل إنما تفوهوا بهذا القول تخلصا و فرارا من اتباعک علی دعوتک لأنک تسألهم أجرا علی رسالتک و هدایتک لهم إلی الحق فهم مثقلون من غرامته،و لیس کذلک،و هو قوله:« أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ »

و هذا سابع الاحتمالات.

هـذا ما يعطيه التـدبر فی الآيات فی وجه ضـبط ما فيها من الترديـد و قـد ذكروا فی وجه الضـبط غير ذلك من أراد الوقوف عليه فليراجع المطولات.

فقوله:« مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »مسوق للتعجب من حكمهم بكون المجرمين يوم القيامه كالمسـلمين،و هو إشاره إلی تأبی العقل عن تجـويز التسـاوی،و محصله نفی حكم العقـل بـذلك إذ معنـاه:أی شـیء حصـل لكم من اختلاـل الفكر و فسـاد الرأی حـتی حكمتـم بـذلك.؟ قـوله تعـالی:« أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ »إشـاره إلی انتفـاء الحجه علی حكمهم بالتساوی من جهه السمع كما أن الآيه السابقه كانت إشاره إلی انتفائها من جهه العقل.

و المراد بالكتاب الكتاب السماوی النازل من عند الله و هو حجه،و درس الكتاب قراءته،و التخير الاختيار،و قوله:« إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ »فی مقام المفعول لتدرسون و الاستفهام إنكاری.

و المعنی:بل أ لكم كتاب سماوی تقرءون فيه أن لكم فی الآخره-أو مطلقا-لما تختارونه فاخترتم السعاده و الجنه.

قوله تعـالی:« أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ »إشاره إلی انتفاء أن يملكوا الحكم بعهـد و يمين شفاهی لهم علی الله سبحانه.

و الأيمـان جمع يمين و هو القسم،و البلوغ هو الانتهـاء فی الكمـال فالأيمـان البالغه هی المؤكـده نهايه التوكيـد،و قوله:« إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »علی هذا ظرف مستقر متعلق بمقدر و التقدير:

أم لكم علينا أيمان كائنه إلی يوم القيامه مؤكده نهايه التوكيد،إلخ.

و يمكن أن يكون« إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »متعلقا ببالغه و المراد ببلوغ الأيمان انطباقها علی امتداد الزمان حتی ينتهی إلی يوم القيامه.

و قـد فسـروا الإيمـان بـالعهود و المواثيق فيكون من بـاب إطلاق اللازم و إراده الملزوم كنايه،و احتمل أن يكون من باب إطلاق الجزء و إراده الكل.

و قوله:« إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ »جواب القسم و هو المعاهد عليه،و الاستفهام للإنكار.

و المعنی:بل أ لكم علينا عهود أقسمنا فيها أقساما مؤكدا إلی يوم القيامه إنا سلمنا

لکم أن لکم لما تحکمون به.

قوله تعالی:« سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ »إعراض عن خطابهم و التفات إلی النبی ص بتوجیه الخطاب لسقوطهم عن درجه استحقاق الخطاب و لذلک أورد بقیه السؤالات و هی مسائل أربع فی سیاق الغیبه أولها قوله:« سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ »و الزعیم القائم بالأمر المتصدی له،و الاستفهام إنکاری.

و المعنی:سل المشرکین أیهم قائم بأمر التسویه الذی یدعونه أی إذا ثبت أن الله لا یسوی بین الفریقین لعدم دلیل یدل علیه فهل الذی یقوم بهذا الأمر و یتصداه هو منهم؟ فأیهم هو؟و من الواضح بطلانه لا یتفوه به إلا مصاب فی عقله.

قوله تعالی:« أَمْ لَهُمْ شُرَكٰاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكٰائِهِمْ إِنْ كٰانُوا صٰادِقِينَ »رد لهم علی تقدیر أن یکون حکمهم بالتساوی مبنیا علی دعواهم أن لهم آلهه یشارکون الله سبحانه فی الربوبیه سیشفعون لهم عند الله فیجعلهم کالمسلمین و الاستفهام إنکاری یفید نفی الشرکاء.

و قوله:« فَلْيَأْتُوا بِشُرَكٰائِهِمْ »إلخ،کنایه عن انتفاء الشرکاء یفید تأکید ما فی قوله:

« أَمْ لَهُمْ شُرَكٰاءُ »من النفی.

و قیل:المراد بالشرکاء شرکاؤهم فی هذا القول،و المعنی:أم لهم شرکاء یشارکونهم فی هذا القول و یذهبون مذهبهم فلیأتوا بهم إن کانوا صادقین.

و أنت خبیر بأن هذا المعنی لا یقطع الخصام.

و قیل:المراد بالشرکاء الشهداء و المعنی:أم لهم شهداء علی هذا القول فلیأتوا بهم إن کانوا صادقین.

و هو تفسیر بما لا دلیل علیه من جهه اللفظ.علی أنه مستدرک لأن هؤلاء الشهداء شهداء علی کتاب من عند الله أو وعد بعهد و یمین و قد رد کلا الاحتمالین فیما تقدم.

و قیل:المراد بالشرکاء شرکاء الألوهیه علی ما یزعمون لکن المعنی من إتیانهم بهم إتیانهم بهم یوم القیامه لیشهدوا لهم أو لیشفعوا لهم عند الله سبحانه.

و أنت خبیر بأن هذا المعنی أیضا لا یقطع الخصام.

قوله تعالی:« يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سٰاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ -إلی قوله- وَ هُمْ سٰالِمُونَ »یوم ظرف متعلق بمحذوف کاذکر و نحوه،و الکشف عن الساق تمثیل فی اشتداد الأمر اشتدادا بالغا لما أنهم کانوا یشمرون عن سوقهم إذا اشتد الأمر

للعمل أو للفرار قال فی الکشاف:فمعنی« یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ ساقٍ »فی معنی یوم یشتد الأمر و یتفاقم،و لا کشف ثم و لا ساق کما تقول للأقطع الشحیح:یده مغلوله و لا ید ثم و لا غل و إنما هو مثل فی البخل انتهی.

و الآیه و ما بعدها إلی تمام خمس آیات اعتراض وقع فی البین بمناسبه ذکر شرکائهم الذین یزعمون أنهم سیسعدونهم لو کان هناک بعث و حساب فذکر سبحانه أن لا شرکاء لله و لا شفاعه و إنما یحرز الإنسان سعاده الآخره بالسجود أی الخضوع لله سبحانه بتوحید الربوبیه فی الدنیا حتی یحمل معه صفه الخضوع فیسعد بها یوم القیامه.

و هؤلاء المکذبون المجرمون لم یسجدوا لله فی الدنیا فلا یستطیعون السجود فی الآخره فلا یسعدون و لا تتساوی حالهم و حال المسلمین فیها البته بل الله سبحانه یعاملهم فی الدنیا لاستکبارهم عن سجوده معامله الاستدراج و الإملاء حتی یتم لهم شقاؤهم فیردوا العذاب الألیم فی الآخره.

فقوله:« یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ یُدْعَوْنَ إِلَی السُّجُودِ فَلا یَسْتَطِیعُونَ »معناه اذکر یوم یشتد علیهم الأمر و یدعون إلی السجود لله خضوعا فلا یستطیعون لاستقرار ملکه الاستکبار فی سرائرهم و الیوم تبلی السرائر (۱).

و قوله:« خاشِعَهً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ »حالان من نائب فاعل یدعون أی حال کون أبصارهم خاشعه و حال کونهم یغشاهم الذله بقهر،و نسبه الخشوع إلی الأبصار لظهور أثره فیها.

و قوله:« وَ قَدْ کانُوا یُدْعَوْنَ إِلَی السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ »المراد بالسلامه سلامتهم من الآفات و العاهات التی لحقت نفوسهم بسبب الاستکبار عن الحق فسلبتها التمکن من إجابه الحق أو المراد مطلق استطاعتهم منه فی الدنیا.

و المعنی:و قد کانوا فی الدنیا یدعون إلی السجود لله و هم سالمون متمکنون منه أقوی تمکن فلا یجیبون إلیه.

و قیل:المراد بالسجود الصلاه و هو کما تری.

۱- ۱) الطارق الآیه ۹.

قوله تعالى:« فَذَرْنِى وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ »المراد بهذا الحديث القرآن الكريم و قوله:« فَذَرْنِى وَ مَنْ يُكَذِّبُ »إلخ،كنايه عن أنه يكفيهم وحده و هو غير تاركهم و فيه نوع تسليه للنبى ص و تهديد للمشركين.

قوله تعالى:« سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ »استئناف فيه بيان كيفيه أخذه تعالى لهم و تعذيبه إياهم المفهوم من قوله:« فَذَرْنِى »إلخ.

و الاستدراج هو استنزالهم درجه فدرجه حتى يتم لهم الشقاء فيقعوا فى ورطه الهلاك و ذلك بأن يؤتيهم الله نعمه بعد نعمه و كلما أوتوا نعمه اشتغلوا بها و فرطوا فى شكرها و زادوا نسيانا له و ابتعدوا عن ذكره.

فالاستدراج إيتاؤهم النعمه بعد النعمه الموجب لنزولهم درجه بعد درجه و اقترابهم من ورطه الهلاك،و كونه من حيث لا يعلمون إنما هو لكونه من طريق النعمه التى يحسبونها خيرا و سعاده لا شر فيها و لا شقاء.

قوله تعالى:« وَ أُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ » الإملاء الإمهال،و الكيد ضرب من الاحتيال،و المتين القوى.

و المعنى:و أمهلهم حتى يتوسعوا فى نعمنا بالمعاصى كما يشاءون إن كيدى قوى.

و النكته فى الالتفات الذى فى« سَنَسْتَدْرِجُهُمْ »عن التكلم وحده إلى التكلم مع الغير الداله على العظمه و أن هناك موكلين على هذه النعم التى تصب عليهم صبا،و الالتفات فى قوله:« وَ أُمْلِى لَهُمْ »عن التكلم مع الغير إلى التكلم وحده لأن الإملاء تأخير فى الأجل و لم ينسب أمر الأجل فى القرآن إلى غير الله سبحانه قال تعالى: «ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» :الأنعام:٢.

قوله تعالى:« أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ » المغرم الغرامه،و الإثقال تحميل الثقل،و الجمله معطوفه على قوله:« أَمْ لَهُمْ شُرَكٰاءُ »إلخ.

و المعنى:أم تسأل هؤلاء المجرمين-الذين يحكمون بتساوى المجرمين و المسلمين يوم القيامه-أجرا على دعوتك فهم من غرامه تحملها عليهم مثقلون فيواجهونك بمثل هذا القول تخلصا من الغرامه دون أن يكون ذلك منهم قولا جديا.

قوله تعالى:« أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ »ظاهر السياق أن يكون المراد بالغيب

غيب الأشياء الذى منه تنزل الأمور بقدر محدود فتستقر فى منصه الظهور،و المراد بالكتابه على هذا هو التقدير و القضاء،و المراد بكون الغيب عندهم تسلطهم عليه و ملكهم له.

فالمعنى:أم بيدهم أمر القدر و القضاء فهم يقضون كما شاءوا فيقضون لأنفسهم أن يساووا المسلمين يوم القيامه.

و قيل:المراد بكون الغيب عندهم علمهم بصحه ما حكموا به و الكتابه على ظاهر معناه و المعنى:أم عندهم علم بصحه ما يدعونه اختصوا به و لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه و يتوارثونه و ينبغى أن يبرزوه.

و هو بعيد بل مستدرک و الاحتمالات الأخر المذكوره مغنيه عنه.

و إنما أخر ذكر هذا الاحتمال عن غيره حتى عن قوله:« أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً »مع أن مقتضى الظاهر أن يتقدم عليه،لكونه أضعف الاحتمالات و أبعدها.

قوله تعالى:« فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لاٰ تَكُنْ كَصٰاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ » صاحب الحوت يونس النبى(ع)و المكظوم من كظم الغيظ إذا تجرعه و لذا فسر بالمختنق بالغم حيث لا يجد لغيظه شفاء،و نهيه(ص)عن أن يكون كيونس(ع)و هو فى زمن النداء مملوء بالغم نهى عن السبب المؤدى إلى نظير هذا الابتلاء و هو ضيق الصدر و الاستعجال بالعذاب.

و المعنى:فاصبر لقاء ربک أن يستدرجهم و يملئ لهم و لا تستعجل لهم العذاب لكفرهم و لا تكن كيونس فتكون مثله و هو مملوء غما أو غيظا ينادى بالتسبيح و الاعتراف بالظلم أى فاصبر و احذر أن تبتلى بما يشبه ابتلاءه،و نداؤه قوله فى بطن الحوت:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنْتَ سُبْحٰانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّٰالِمِينَ »كما فى سوره الأنبياء.

و قيل:اللام فى« لِحُكْمِ رَبِّكَ »بمعنى إلى و فيه تهديد لقومه و وعيد لهم أن سيحكم الله بينه و بينهم،و الوجه المتقدم أنسب لسياق الآيات السابقه.

قوله تعالى:« لَوْ لاٰ أَنْ تَدٰارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرٰاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ »فى مقام التعليل للنهى السابق:« لاٰ تَكُنْ كَصٰاحِبِ الْحُوتِ »و التدارک الإدراک و اللحوق،و فسرت النعمه بقبول التوبه،و النبذ الطرح،و العراء الأرض غير المستوره بسقف أو نبات، و الذم مقابل المدح.

و المعنی:لو لا أن أدرکته و لحقت به نعمه من ربه و هو أن الله قبل توبته لطرح بالأرض العراء و هو مذموم بما فعل.

لا یقال:إن الآیه تنافی قوله تعالی: «فَلَوْ لاٰ أَنَّهُ کٰانَ مِنَ الْمُسَبِّحِینَ لَلَبِثَ فِی بَطْنِهِ إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ» :الصافات:۱۴۴،فإن مدلوله أن مقتضی عمله أن یلبث فی بطنه إلی یوم القیامه و مقتضی هذه الآیه أن مقتضاه أن یطرح فی الأرض العراء مذموما و هما تبعتان متنافیتان لا تجتمعان.

فإنه یقال:الآیتان تحکیان عن مقتضیین مختلفین لکل منهما أثر علی حده فآیه الصافات تذکر أنه(ع)کان مداوما للتسبیح مستمرا علیه طول حیاته قبل ابتلائه -و هو قوله:کان من المسبحین-و لو لا ذلک للبث فی بطنه إلی یوم القیامه،و الآیه التی نحن فیها تدل علی أن النعمه و هو قبول توبته فی بطن الحوت شملته فلم ینبذ بالعراء مذموما.

فمجموع الآیتین یدل علی أن ذهابه مغاضبا کان یقتضی أن یلبث فی بطنه إلی یوم القیامه فمنع عنه دوام تسبیحه قبل التقامه و بعده،و قدر أن ینبذ بالعراء و کان مقتضی عمله أن ینبذ مذموما فمنع من ذلک تدارک نعمه ربه له فنبذ غیر مذموم بل اجتباه الله و جعله من الصالحین فلا منافاه بین الآیتین.

و قد تکرر فی مباحثنا السابقه أن حقیقه النعمه الولایه و علی ذلک یتعین لقوله:« لَوْ لاٰ أَنْ تَدٰارَکَهُ نِعْمَهٌ مِنْ رَبِّهِ »معنی آخر.

قوله تعالی:« فَاجْتَبٰاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّٰالِحِینَ »تقدم توضیح معنی الاجتباء و الصلاح فی مباحثنا المتقدمه.

قوله تعالی:« وَ إِنْ یَکٰادُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَیُزْلِقُونَکَ بِأَبْصٰارِهِمْ لَمّٰا سَمِعُوا الذِّکْرَ »إن مخففه من الثقیله،و الزلق هو الزلل،و الإزلاق الإزلال و هو الصرع کنایه عن القتل و الإهلاک.

و المعنی:أنه قارب الذین کفروا أن یصرعوک بأبصارهم لما سمعوا الذکر.

و المراد بإزلاقه بالأبصار و صرعه بها-علی ما علیه عامه المفسرین-الإصابه بالأعین، و هو نوع من التأثیر النفسانی لا دلیل علی نفیه عقلا و ربما شوهد من الموارد ما یقبل الانطباق علیه،و قد وردت فی الروایات فلا موجب لإنکاره.

و قیل:المعنی أنهم ینظرون إلیک إذا سمعوا منک الذکر الذی هو القرآن نظرا ملیئا بالعداوه و البغضاء یکادون یقتلونک بحدید نظرهم.

قوله تعالی:« وَ یَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَ مٰا هُوَ إِلاّٰ ذِکْرٌ لِلْعٰالَمِینَ »رمیهم له بالجنون عند ما سمعوا الذکر دلیل علی أن مرادهم به رمی القرآن بأنه من إلقاء الشیاطین،و لذا رد قولهم بأن القرآن لیس إلا ذکرا للعالمین.

و قد رد قولهم:« إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ »فی أول السوره بقوله:« مٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ » و به ینطبق خاتمه السوره علی فاتحتها.

بحث روائی

فی المعانی،بإسناده عن الحسین بن سعید عن أبی الحسن(ع) *فی قوله عز و جل:« یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سٰاقٍ وَ یُدْعَوْنَ إِلَی السُّجُودِ »قال:حجاب من نور یکشف فیقع المؤمنون سجدا- و تدمج أصلاب المنافقین فلا یستطیعون السجود.

و فیه،بإسناده عن عبید بن زراره عن أبی عبد الله(ع)قال*: سألته عن قول الله عز و جل:« یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سٰاقٍ »قال:کشف إزاره عن ساقه فقال:سبحان ربی الأعلی.

أقول:قال الصدوق بعد نقل الحدیث:قوله:سبحان ربی الأعلی تنزیه الله سبحانه أن یکون له ساق.انتهی.و فی هذا المعنی روایه أخری عن الحلبی عن أبی عبد الله(ع).

و فیه،بإسناده عن معلی بن خنیس قال*: قلت لأبی عبد الله(ع):ما یعنی بقوله:

« وَ قَدْ کٰانُوا یُدْعَوْنَ إِلَی السُّجُودِ وَ هُمْ سٰالِمُونَ »قال:و هم مستطیعون.

و فی الدر المنثور،أخرج البخاری و ابن المنذر و ابن مردویه عن أبی سعید*:سمعت النبی ص یقول: یکشف ربنا عن ساقه فیسجد له کل مؤمن و مؤمنه،و یبقی من کان یسجد فی الدنیا ریاء و سمعه-فیذهب لیسجد فیعود ظهره طبقا واحدا.

و فیه،أخرج ابن منده فی الرد علی الجهمیه عن أبی هریره قال*:قال رسول الله ص:

« یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سٰاقٍ »قال:یکشف الله عن ساقه.

و فیه،أخرج إسحاق بن راهویه فی مسنده و عبد بن حمید و ابن أبی الدنیا و الطبرانی و الآجری فی الشریعه و الدارقطنی فی الرؤیه و الحاکم و صححه و ابن مردویه و البیهقی فی البعث عن عبد الله بن مسعود عن النبی ص قال*: یجمع الله الناس یوم القیامه-و ینزل الله فی ظلل من الغمام فینادی منادیا-أیها الناس أ لم ترضوا من ربکم[الذی]خلقکم و صورکم

و رزقكم-أن يولى كل إنسان منكم ما كان يعبد فى الدنيا و يتولى؟أ ليس ذلك من ربكم عدلا؟قالوا:بلى.

قال:فينطلق كل إنسان منكم-إلى ما كان يعبد فى الدنيا-و يتمثل لهم ما كانوا يعبدون فى الدنيا-فيتمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى،و يتمثل لمن كان يعبد عزيزا شيطان عزيز-حتى يمثل لهم الشجره و العود و الحجر.

و يبقى أهل الإسلام جثوما-فيتمثل لهم الرب عز و جل فيقول لهم:ما لكم لم تنطلقوا كما انطلق الناس؟فيقولون:إن لنا ربا ما رأيناه بعد فيقول:فبم تعرفون ربكم إن رأيتموه؟قالوا:بيننا و بينه علامه إن رأيناه عرفناه؟قال:و ما هى؟قالوا:يكشف عن ساق.

فيكشف عند ذلك عن ساق-فيخر كل من كان يسجد طائعا ساجدا-و يبقى قوم ظهورهم كصياصى البقر-يريدون السجود فلا يستطيعون. الحديث.

أقول:و الروايات الثلاث مبنيه على التشبيه المخالف للبراهين العقليه و نص الكتاب العزيز فهى مطروحه أو مؤوله.

و فى الكافى،بإسناده عن سفيان بن السمط قال*:قال أبو عبد الله(ع): إن الله إذا أراد بعبد خيرا فأذنب ذنبا أتبعه بنقمه-و ذكره الاستغفار،فإذا أراد بعبد شرا فأذنب ذنبا أتبعه بنعمه-لينسيه الاستغفار و يتمادى بها،و هو قول الله عز و جل:« سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ »بالنعم و المعاصى.

أقول:و قد تقدم بعض روايات الاستدراج فى ذيل قوله تعالى: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ» :الآيه ۱۸۲ من سوره الأعراف.

و فى تفسير القمى،: فى قوله تعالى:« إِذْ نٰادىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ »: فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع):يقول: مغموم.

و فيه،:فى قوله تعالى:« لَوْ لاٰ أَنْ تَدٰارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ »قال:النعمه الرحمه.

و فيه،":فى قوله تعالى:« لَنُبِذَ بِالْعَرٰاءِ »قال:الموضع الذى لا سقف له.

و فى الدر المنثور،:فى قوله تعالى:« وَ إِنْ يَكٰادُ الَّذِينَ كَفَرُوا »:

أخرج البخارى عن ابن عباس أن رسول الله ص قال*: العين حق.

و فیه،أخرج أبو نعیم فی الحلیه عن جابر أن النبی ص قال*: العین تدخل الرجل القبر و الجمل القدر.

أقول:و هناک روایات تطبق الآیات السابقه علی الولایه و هی من الجری دون التفسیر و لذلک لم نوردها.

(۶۹) سوره الحاقه مکیه و هی اثنتان و خمسون آیه(۵۲)

[سوره الحاقه (۶۹): الآیات ۱ الی ۱۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

اَلْحَاقَّهُ (۱) مَا اَلْحَاقَّهُ (۲) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلْحَاقَّهُ (۳) کَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عٰادٌ بِالْقٰارِعَهِ (۴) فَأَمّٰا ثَمُودُ فَأُهْلِکُوا بِالطّٰاغِیَهِ (۵) وَ أَمّٰا عٰادٌ فَأُهْلِکُوا بِرِیحٍ صَرْصَرٍ عٰاتِیَهٍ (۶) سَخَّرَهٰا عَلَیْهِمْ سَبْعَ لَیٰالٍ وَ ثَمٰانِیَهَ أَیّٰامٍ حُسُوماً فَتَرَی اَلْقَوْمَ فِیهٰا صَرْعیٰ کَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ خٰاوِیَهٍ (۷) فَهَلْ تَریٰ لَهُمْ مِنْ بٰاقِیَهٍ (۸) وَ جٰاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ اَلْمُؤْتَفِکٰاتُ بِالْخٰاطِئَهِ (۹) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَهً رٰابِیَهً (۱۰) إِنّٰا لَمّٰا طَغَی اَلْمٰاءُ حَمَلْنٰاکُمْ فِی اَلْجٰارِیَهِ (۱۱) لِنَجْعَلَهٰا لَکُمْ تَذْکِرَهً وَ تَعِیَهٰا أُذُنٌ وٰاعِیَهٌ (۱۲)

بیان

السوره تذکر الحاقه و هی القیامه و قد سمتها أیضا بالقارعه و الواقعه.

و قد ساقت الکلام فیها فی فصول ثلاثه:فصل تذکر فیه إجمالا الأمم الذین کذبوا بها

فأخـذهم الله أخذه رابيه،و فصل تصف فيه الحاقه و انقسام الناس فيها إلى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال و اختلاف حالهم بالسعاده و الشقاء،و فصل تؤكد فيه صدق القرآن فى إنبائه بها و أنه حق اليقين،و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعـالى:« اَلْحَ اقَّةُ مَ ا الْحَ اقَّةُ وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَ ا الْحَاقَّةُ »المراد بالحاقه القيامه الكبرى سميت بها لثبوتها ثبوتا لا مرد له و لا ريب فيه،من حق الشيء بمعنى ثبت و تقرر تقررا واقعيا.

و« مَ ا »فى« مَ ا الْحَ اقَّةُ »استفهاميه تفيد تفخيم أمرها،و لـذلك بعينه وضع الظاهر موضع الضمير و لم يقل:ما هى،و الجمله الاستفهاميه خبر الحاقه.

فقوله:« اَلْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ »مسوق لتفخيم أمر القيامه يفيد تفخيم أمرها و إعظام حقيقتها إفاده بعد إفاده.

و قوله:« وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَ ا الْحَ اقَّةُ »خطاب بنفى العلم بحقيقه اليوم و هذا التعبير كنايه عن كمال أهميه الشىء و بلوغه الغايه فى الفخامه و لعل هذا هو المراد مما نقل عن ابن عباس:

أن ما فى القرآن من قوله تعالى:« مٰا أَدْرٰاکَ »فقد أدراه و ما فيه من قوله:« مٰا يُدْرِيکَ » فقد طوى عنه،يعنى أن« مٰا أَدْرٰاکَ »كنايه و« مٰا يُدْرِيکَ »تصريح.

قوله تعالى:« كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عٰادٌ بِالْقٰارِعَةِ »المراد بالقارعه القيامه و سميت بها لأنها تقرع و تدك السماوات و الأرض بتبديلها و الجبال بتسييرها و الشمس بتكويرها و القمر بخسفها و الكواكب بنثرها و الأشياء كلها بقهرها على ما نطقت به الآيات،و كان مقتضى الظاهر أن يقال:كذبت ثمود و عاد بها فوضع القارعه موضع الضمير لتأكيد تفخيم أمرها.

و هذه الآيه و ما يتلوها إلى تمام تسع آيات و إن كانت مسوقه للإشاره إلى إجمال قصص قوم نوح و عاد و ثمود و فرعون و من قبله و المؤتفكات و إهلاكهم لكنها فى الحقيقه بيان للحاقه ببعض أوصافها و هو أن الله أهلك أمما كثيره بالتكذيب بها فهى فى الحقيقه جواب للسؤال بما الاستفهاميه كما أن قوله:« فَإِذٰا نُفِخَ فِي الصُّورِ »إلخ،جواب آخر.

و محصل المعنى:هى القارعه التى كذبت بها ثمود و عاد و فرعون و من قبله و المؤتفكات و قوم نوح فأخذهم الله أخذه رابيه و أهلكهم بعذاب الاستئصال.

قوله تعالى:« فَأَمّٰا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطّٰاغِيَةِ »بيان تفصيلى لأثر تكذيبهم بالقارعه،

و المراد بالطاغيه الصيحه أو الرجفه أو الصاعقه على اختلاف ظاهر تعبير القرآن فى سبب هلاكهم فى قصتهم قال تعالى: «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» :هود:۶۷، و قال أيضا:

« فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» :الأعراف:۸۷و قال أيضا: «فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ» :حم السجده:۱۷.

و قيل: الطاغيه مصدر كالطغيان و الطغوى و المعنى:فأما ثمود فأهلكوا بسبب طغيانهم،و يؤيده قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا» :الشمس:۱۱.

و أول الوجهين أنسب لسياق الآيات التاليه حيث سيقت لبيان كيفيه إهلاكهم من الإهلاك بالريح أو الأخذ الرابى أو طغيان الماء فليكن هلاك ثمود بالطاغيه ناظرا إلى كيفيه إهلاكهم.

قوله تعالى:« وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ » الصرصر الريح البارده الشديده الهبوب،و عاتيه من العتو بمعنى الطغيان و الابتعاد من الطاعه و الملاءمه.

قوله تعالى:« سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ »تسخيرها عليهم تسليطها عليهم،و الحسوم جمع حاسم كشهود جمع شاهد من الحسم بمعنى تكرار الكى مرات متتاليه،و هى صفه لسبع أى سبع ليال و ثمانيه أيام متتاليه متتابعه و صرعى جمع صريع و أعجاز جمع عجز بالفتح فالضم آخر الشىء، و خاويه الخاليه الجوف الملقاه و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ »أى من نفس باقيه،و الجمله كنايه عن استيعاب الهلاك لهم جميعا،و قيل: الباقيه مصدر بمعنى البقاء و قد أريد به البقيه و ما قدمناه من المعنى أقرب.

قوله تعالى:« وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ »المراد بفرعون فرعون موسى،و بمن قبله الأمم المتقدمه عليه زمانا من المكذبين،و بالمؤتفكات قرى قوم لوط و الجماعه القاطنه بها،و« خاطئه »مصدر بمعنى الخطاء و المراد بالمجىء بالخاطئه إخطاء طريق العبوديه،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً »ضمير« فَعَصَوْا »لفرعون

و من قبله و المؤتفكات،و المراد بالرسول جنسه،و الرابيه الزائده من ربا يربو ربوه إذا زاد،و المراد بالأخذه الرابيه العقوبه الشديده و قيل:العقوبه الزائده على سائر العقوبات و قيل:الخارقه للعاده.

قوله تعالى:« إِنّا لَمّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَهِ »إشاره إلى طوفان نوح و الجاريه السفينه،و عد المخاطبين محمولين فی سفينه نوح و المحمول فی الحقيقه أسلافهم لكون الجميع نوعا واحدا ينسب حال البعض منه إلى الكل و الباقی ظاهر.

قوله تعالى:« لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَهً وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَهٌ »تعليل لحملهم فی السفينه فضمير« لِنَجْعَلَها »للحمل باعتبار أنه فعله أی فعلنا بكم تلك الفعله لنجعلها لكم أمرا تتذكرون به و عبره تعتبرون بها و موعظه تتعظون بها.

و قوله:« وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَهٌ » الوعی جعل الشیء فی الوعاء،و المراد بوعی الأذن لها تقريرها فی النفس و حفظها فيها لترتب عليها فائدتها و هی التذكر و الاتعاظ.

و فی الآيه بجملتيها إشاره إلى الهدايه الربوبيه بكلا قسميها أعنی الهدايه بمعنى إراءه الطريق و الهدايه بمعنى الإيصال إلى المطلوب.

توضيح ذلك أن من السنه الربوبيه العامه الجاريه فی الكون هدايه كل نوع من أنواع الخليقه إلى كماله اللائق به بحسب وجوده الخاص بتجهيزه بما يسوقه نحو غايته كما يدل عليه قوله تعالى: «الَّذِی أَعْطى كُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى» :طه:۵۰،و قوله: «الَّذِی خَلَقَ فَسَوّى وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدى» :الأعلى:۳،و قد تقدم توضيح ذلك فی تفسير سورتی طه و الأعلى و غيرهما.

و الإنسان يشارك سائر الأنواع الماديه فی أن له استكمالا تكوينيا و سلوكا وجوديا نحو كماله الوجودی بالهدايه الربوبيه التی تسوقه نحو غايته المطلوبه و يختص من بينها بالاستكمال التشريعی فإن للنفس الإنسانيه استكمالا من طريق أفعالها الاختياريه بما يلحقها من الأوصاف و النعوت و تتلبس به من الملكات و الأحوال فی الحياه الدنيا و هی غايه وجود الإنسان التی تعيش بها عيشه سعيده مؤبده.

و هذا هو السبب الداعی إلى تشريع السنه الدينيه بإرسال الرسل و إنزال الكتب و الهدايه إليها «لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» :النساء:۱۶۵،و قد تقدم تفصيله فی أبحاث النبوه فی الجزء الثانی من الكتاب و غيره،و هذه هدايه بمعنى إراءه

الطریق و إعلام الصراط المستقیم الذی لا یسع الإنسان إلا أن یسلکه،قال تعالی: «إِنّٰا هَدَیْنٰاهُ السَّبِیلَ إِمّٰا شٰاکِراً وَ إِمّٰا کَفُوراً» :الدهر:۳،فإن لزم الصراط و سلکه حی بحیاه طیبه سعیده و إن ترکه و أعرض عنه هلک بشقاء دائم و تمت علیه الحجه علی أی حال، قال تعالی: «لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَهٍ وَ یَحْییٰ مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَهٍ» :الأنفال:۴۲.

إذا تقرر هذا تبین أن من سنه الربوبیه هدایه الناس إلی سعاده حیاتهم بإراءه الطریق الموصل إلیها،و إلیها الإشاره بقوله:« لِنَجْعَلَهٰا لَکُمْ تَذْکِرَهً »فإن التذکره لا تستوجب التذکر ممن ذکر بها بل ربما أثرت و ربما تخلفت.

و من سنه الربوبیه هدایه الأشیاء إلی کمالاتها بمعنی إنهائها و إیصالها إلیها بتحریکها و سوقها نحوه،و إلیها الإشاره بقوله:« وَ تَعِیَهٰا أُذُنٌ وٰاعِیَهٌ »فإن الوعی المذکور من مصادیق الاهتداء بالهدایه الربوبیه و إنما لم ینسب تعالی الوعی إلی نفسه کما نسب التذکره إلی نفسه لأن المطلوب بالتذکره إتمام الحجه و هو من الله و أما الوعی فإنه و إن کان منسوبا إلیه کما أنه منسوب إلی الإنسان لکن السیاق سیاق الدعوه و بیان الأجر و المثوبه علی إجابه الدعوه و الأجر و المثوبه من آثار الوعی بما أنه فعل للإنسان منسوب إلیه لا بما أنه منسوب إلی الله تعالی.

و یظهر من الآیه الکریمه أن للحوادث الخارجیه تأثیرا فی أعمال الإنسان کما یظهر من مثل قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُریٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بَرَکٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ» :الأعراف:۹۶ أن لأعمال الإنسان تأثیرا فی الحوادث الخارجیه و قد تقدم بعض الکلام فیه.

بحث روائی

فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر عن ابن جریج "*فی قوله:« لِنَجْعَلَهٰا لَکُمْ تَذْکِرَهً »قال:

لأمه محمد ص،و کم من سفینه قد هلکت و أثر قد ذهب-یعنی ما بقی من السفینه حتی أدرکته أمه محمد ص-فرأوه کانت ألواحها تری علی الجودی.

أقول:و تقدم ما یؤید ذلک فی قصه نوح فی تفسیر سوره هود.

و فیه،أخرج سعید بن منصور و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن مکحول قال*: لما نزلت« وَ تَعِیَهٰا أُذُنٌ وٰاعِیَهٌ »قال رسول الله ص:سألت ربی أن یجعلها

أذن على.قال مكحول:فكان على يقول:ما سمعت عن رسول الله شيئا فنسيته.

و فيه،أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و الواحدى و ابن مردويه و ابن عساكر و ابن النجارى عن برده قال*:قال رسول الله ص لعلى: إن الله أمرنى أن أدنيك-و لا أقصيك و أن أعلمك و أن تعى و حق لك أن تعى -فنزلت هذه الآيه« وَ تَعِيَهٰا أُذُنٌ وٰاعِيَةٌ ».

و فيه،أخرج أبو نعيم فى الحليه عن على قال*:قال رسول الله ص: يا على إن الله أمرنى أن أدنيك و أعلمك لتعى-فأنزلت هذه الآيه« وَ تَعِيَهٰا أُذُنٌ وٰاعِيَةٌ »فأنت أذن واعيه لعلمى:.

أقول:و روى هذا المعنى فى تفسير البرهان،عن سعد بن عبد الله بإسناده عن أبى عبد الله(ع)،و عن الكلينى بإسناده عنه(ع)،و عن ابن بابويه بإسناده عن جابر عن أبى جعفر(ع).

و رواه أيضا عن ابن شهرآشوب عن حليه الأولياء عن عمر بن على،و عن الواحدى فى أسباب النزول عن بريده،و عن أبى القاسم بن حبيب فى تفسيره عن زر بن حبيش عن على(ع).

و قد روى فى غايه المرام،من طرق الفريقين سته عشر حديثا فى ذلك و قال فى البرهان إن محمد بن العباس روى فيه ثلاثين حديثا من طرق العامه و الخاصه .

[سوره الحاقه (۶۹): الآيات ۱۳ الى ۳۷]

اشاره

فَإِذٰا نُفِخَ فِي اَلصُّورِ نَفْخَةٌ وٰاحِدَةٌ (۱۳) وَ حُمِلَتِ اَلْأَرْضُ وَ اَلْجِبٰالُ فَدُكَّتٰا دَكَّةً وٰاحِدَةً (۱۴) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ اَلْوٰاقِعَةُ (۱۵) وَ اِنْشَقَّتِ اَلسَّمٰاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وٰاهِيَةٌ (۱۶) وَ اَلْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجٰائِهٰا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمٰانِيَةٌ (۱۷) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاٰ تَخْفىٰ مِنْكُمْ خٰافِيَةٌ (۱۸) فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هٰاؤُمُ اِقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ (۱۹) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاٰقٍ حِسٰابِيَهْ (۲۰) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ (۲۱) فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ (۲۲) قُطُوفُهٰا دٰانِيَةٌ (۲۳) كُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا أَسْلَفْتُمْ فِي اَلْأَيّٰامِ اَلْخٰالِيَةِ (۲۴) وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ فَيَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتٰابِيَهْ (۲۵) وَ لَمْ أَدْرِ مٰا حِسٰابِيَهْ (۲۶) يٰا لَيْتَهٰا كٰانَتِ اَلْقٰاضِيَةَ (۲۷) مٰا أَغْنىٰ عَنِّي مٰالِيَهْ (۲۸) هَلَكَ عَنِّي سُلْطٰانِيَهْ (۲۹) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (۳۰) ثُمَّ اَلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (۳۱) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً فَاسْلُكُوهُ (۳۲) إِنَّهُ كٰانَ لاٰ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ اَلْعَظِيمِ (۳۳) وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ اَلْمِسْكِينِ (۳۴) فَلَيْسَ لَهُ اَلْيَوْمَ هٰاهُنٰا حَمِيمٌ (۳۵) وَ لاٰ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ غِسْلِينٍ (۳۶) لاٰ يَأْكُلُهُ إِلاَّ اَلْخٰاطِؤُنَ (۳۷)

بیان

هذا هو الفصل الثانی من الآیات یعرف الحاقه ببعض أشراطها و نبذه مما یقع فیها.

قوله تعالی:« فَإِذا نُفِخَ فِی الصُّورِ نَفْخَهٌ واحِدَهٌ »قد تقدم أن النفخ فی الصور کنایه عن البعث و الإحضار لفصل القضاء،و فی توصیف النفخه بالواحده إشاره إلی مضی الأمر و نفوذ القدره فلا وهن فیه حتی یحتاج إلی تکرار النفخه،و الذی یسبق إلی الفهم من سیاق الآیات أنها النفخه الثانیه التی تحیی الموتی.

قوله تعالی:« وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُکَّتا دَکَّهً واحِدَهً » الدک أشد الدق و هو کسر الشیء و تبدیله إلی أجزاء صغار،و حمل الأرض و الجبال إحاطه القدره بها،و توصیف الدکه بالواحده للإشاره إلی سرعه تفتتهما بحیث لا یفتقر إلی دکه ثانیه.

قوله تعالی:« فَیَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَهُ »أی قامت القیامه.

ص :۳۹۷

قوله تعالی:« وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِیَ یَوْمَئِذٍ واهِیَةٌ » انشقاق الشیء انفصال شطر منه من شطر آخر،و واهیه من الوهی بمعنی الضعف،و قیل:من الوهی بمعنی شق الأدیم و الثوب و نحوهما.

و یمکن أن تکون الآیه أعنی قوله:« وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِیَ یَوْمَئِذٍ واهِیَةٌ وَ الْمَلَکُ عَلیٰ أَرْجائِها »فی معنی قوله: «وَ یَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِکَةُ تَنْزِیلاً» :الفرقان:۲۵.

قوله تعالی:« وَ الْمَلَکُ عَلیٰ أَرْجائِها وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَةٌ »قال الراغب: رجا البئر و السماء و غیرهما جانبها و الجمع أرجاء قال تعالی:« وَ الْمَلَکُ عَلیٰ أَرْجائِها » انتهی،و الملک-کما قیل-یطلق علی الواحد و الجمع و المراد به فی الآیه الجمع.

و قوله:« وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَةٌ »ضمیر« فَوْقَهُمْ »علی ظاهر ما یقتضیه السیاق للملائکه،و قیل:الضمیر للخلائق.

و ظاهر کلامه أن للعرش الیوم حمله من الملائکه قال تعالی: «الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا» :المؤمن:۷ و قد وردت الروایات أنهم أربعه،و ظاهر الآیه أعنی قوله:« وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَةٌ »أن الحمله یوم القیامه ثمانیه و هل هم من الملائکه أو من غیرهم؟الآیه ساکته عن ذلک و إن کان لا یخلو السیاق من إشعار ما بأنهم من الملائکه.

و من الممکن-کما تقدمت الإشاره إلیه-أن یکون الغرض من ذکر انشقاق السماء و کون الملائکه علی أرجائها و کون حمله العرش یومئذ ثمانیه بیان ظهور الملائکه و السماء و العرش للإنسان یومئذ،قال تعالی: «وَ تَرَی الْمَلائِکَةَ حَافِّینَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» :الزمر:۷۵.

قوله تعالی:« یَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاٰ تَخْفیٰ مِنْکُمْ خٰافِیَةٌ »الظاهر أن المراد به العرض علی الله کما قال تعالی: «وَ عُرِضُوا عَلیٰ رَبِّکَ صَفًّا» :الکهف:۴۸،و العرض إراءه البائع سلعته للمشتری ببسطها بین یدیه،فالعرض یومئذ علی الله و هو یوم القضاء إبراز ما عند الإنسان من اعتقاد و عمل إبرازا لا یخفی معه عقیده خافیه و لا فعله خافیه و ذلک بتبدل الغیب شهاده و السر علنا قال: «یَوْمَ تُبْلَی السَّرائِرُ» :الطارق:۹،و قال: «یَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ لاٰ یَخْفیٰ عَلَی اللّٰهِ مِنْهُمْ شَیْءٌ» :المؤمن:۱۶.

و قد تقدم فی أبحاثنا السابقه أن ما عد فی کلامه تعالی من خصائص یوم القیامه

كاختصاص الملك بالله،و كون الأمر له،و أن لا عاصم منه،و بروز الخلق له و عدم خفاء شيء منهم عليه و غير ذلك،كل ذلك دائميه الثبوت له تعالى،و إنما المراد ظهور هذه الحقائق يومئذ ظهورا لا ستر عليه و لا مريه فيه.

فالمعنى:يومئذ يظهر أنكم فى معرض على علم الله و يظهر كل فعله خافيه من أفعالكم.

قوله تعالى:« فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هٰاؤُمُ اقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ »قال فى المجمع، هاؤم أمر للجماعه بمنزله هاكم،تقول للواحد:هاء يا رجل،و للاثنين:هاؤما يا رجلان، و للجماعه:هاؤم يا رجال،و للمرأه:هاء يا امرأه بكسر الهمزه و ليس بعدها ياء،و للمرأتين:

هاؤما،و للنساء:هاؤن.هذه لغه أهل الحجاز.

و تميم و قيس يقولون:هاء يا رجل مثل قول أهل الحجاز،و للاثنين:هاءا،و للجماعه:

هاؤا،و للمرأه:هائى،و للنساء هاؤن.

و بعض العرب يجعل مكان الهمزه كافا فيقول:هاك هاكما هاكم هاك هاكما هاكن، و معناه:خذ و تناول،و يؤمر بها و لا ينهى.انتهى.

و الآيه و ما بعدها إلى قوله:« اَلْخٰاطِؤُنَ »بيان تفصيلى لاختلاف حال الناس يومئذ من حيث السعاده و الشقاء،و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: «فَمَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ» :إسراء:۷۱ كلام فى معنى إعطاء الكتاب باليمين،و الظاهر أن قوله:« هٰاؤُمُ اقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ »خطاب للملائكه،و الهاء فى« كِتٰابِيَهْ »و كذا فى أواخر الآيات التاليه للوقف و تسمى هاء الاستراحه.

و المعنى:فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول للملائكه:خذوا و اقرءوا كتابيه أى إنها كتاب يقضى بسعادتى.

قوله تعالى:« إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاٰقٍ حِسٰابِيَهْ » الظن بمعنى اليقين،و الآيه تعليل لما يتحصل من الآيه السابقه و محصل التعليل إنما كان كتابى كتاب اليمين و قاضيا بسعادتى لأنى أيقنت فى الدنيا أنى سألاقى حسابى فآمنت بربى و أصلحت عملى.

قوله تعالى:« فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ »أى يعيش عيشه يرضاها فنسبه الرضا إلى العيشه من المجاز العقلى.

قوله تعالى:« فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ -إلى قوله- اَلْخٰالِيَةِ »أى هو فى جنه عاليه قدرا فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و قوله:« قُطُوفُهٰا دٰانِيَةٌ » القطوف جمع قطف بالكسر فالسكون و هو ما يجتنى من الثمر و المعنى:أثمارها قريبه منه يتناوله كيف يشاء.

و قوله:« كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّٰامِ الْخٰالِيَةِ »أى يقال لهم:كلوا و اشربوا من جميع ما يؤكل فيها و ما يشرب حال كونه هنيئا لكم بما قدمتم من الإيمان و العمل الصالح فى الدنيا التى تقضت أيامها.

قوله تعالى:« وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ فَيَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتٰابِيَهْ وَ لَمْ أَدْرِ مٰا حِسٰابِيَهْ »و هؤلاء هم الطائفه الثانيه و هم الأشقياء المجرمون يؤتون صحيفه أعمالهم بشمالهم و قد مر الكلام فى معناه فى سوره الإسراء،و هؤلاء يتمنون أن لو لم يكونوا يؤتون كتابهم و يدرون ما حسابهم يتمنون ذلك لما يشاهدون من أليم العذاب المعد لهم.

قوله تعالى:« يٰا لَيْتَهٰا كٰانَتِ الْقٰاضِيَةَ »ذكروا أن ضمير« لَيْتَهٰا »للموته الأولى التى ذاقها الإنسان فى الدنيا.

و المعنى:يا ليت الموته الأولى التى ذقتها كانت قاضيه على تقضى بعدمى فكنت انعدمت و لم أبعث حيا فأقع فى ورطه العذاب الخالد و أشاهد ما أشاهد.

قوله تعالى:« مٰا أَغْنىٰ عَنِّي مٰالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطٰانِيَهْ »كلمتا تحسر يقولهما حيث يرى خيبه سعيه فى الدنيا فإنه كان يحسب أن مفتاح سعادته فى الحياه هو المال و السلطان يدفعان عنه كل مكروه و يسلطانه على كل ما يحب و يرضى فبذل كل جهده فى تحصيلهما و أعرض عن ربه و عن كل حق يدعى إليه و كذب داعيه فلما شاهد تقطع الأسباب و أنه فى يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون ذكر عدم نفع ماله و بطلان سلطانه تحسرا و توجعا و ما ذا ينفع التحسر.؟ قوله تعالى:« خُذُوهُ فَغُلُّوهُ -إلى قوله- فَاسْلُكُوهُ »حكايه أمره تعالى الملائكه بأخذه و إدخاله النار،و التقدير يقال للملائكه خذوه إلخ،و« فَغُلُّوهُ »أمر من الغل بالفتح و هو الشد بالغل الذى يجمع بين اليد و الرجل و العنق.

و قوله:« ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ »أى أدخلوه النار العظيمه و ألزموه إياها.

و قوله:« ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً فَاسْلُكُوهُ » السلسله القيد،و الذرع الطول، و الذراع بعد ما بين المرفق و رأس الأصابع و هو واحد الطول و سلوكه فيه جعله فيه، و المحصل ثم اجعلوه فى قيد طوله سبعون ذراعا.

قوله تعالى:« إِنَّهُ كٰانَ لاٰ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ » الحض التحريض و الترغيب،و الآيتان فى مقام التعليل للأمر بالأخذ و الإدخال فى النار أى إن الأخذ ثم التصليه فى الجحيم و السلوك فى السلسله لأجل أنه كان لا يؤمن بالله العظيم و لا يحض على طعام المسكين أى يساهل فى أمر المساكين و لا يبالى بما يقاسونه.

قوله تعالى:« فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰاهُنٰا حَمِيمٌ -إلى قوله- اَلْخٰاطِؤُنَ » الحميم الصديق و الآيه تفريع على قوله:« إِنَّهُ كٰانَ لاٰ يُؤْمِنُ »إلخ،و المحصل:أنه لما كان لا يؤمن بالله العظيم فليس له اليوم هاهنا صديق ينفعه أى شفيع يشفع له إذ لا مغفره لكافر فلا شفاعه.

و قوله:« وَ لاٰ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ غِسْلِينٍ » الغسلين الغساله و كان المراد به ما يسيل من أبدان أهل النار من قيح و نحوه و الآيه عطف على قوله فى الآيه السابقه:« حَمِيمٌ »و متفرع على قوله:« وَ لاٰ يَحُضُّ »إلخ،و المحصل:أنه لما كان لا يحرض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا طعام إلا من غسلين أهل النار.

و قوله:« لاٰ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخٰاطِؤُنَ »وصف لغسلين و الخاطئون المتلبسون بالخطيئه و الإثم.

بحث روائى

فى الدر المنثور،فى قوله تعالى:« وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمٰانِيَةٌ »

أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال:قال رسول الله ص: يحمله اليوم أربعه و يوم القيامه ثمانيه.

أقول:و فى تقييد الحاملين فى الآيه بقوله:« يَوْمَئِذٍ » إشعار بل ظهور فى اختصاص العدد بالقيامه.

و فى تفسير القمى،و فى حديث آخر قال:حمله ثمانيه أربعه من الأولين و أربعه من الآخرين-فأما الأربعه من الأولين فنوح و إبراهيم و موسى و عيسى،و أما الأربعه من الآخرين فمحمد و على-و الحسن و الحسين(ع).

أقول:و فى غير واحد من الروايات أن الثمانيه مخصوصه بيوم القيامه،و فى بعضها أن حمله العرش-و العرش العلم-أربعه منا و أربعه ممن شاء الله.

و فى تفسير العياشى،عن أبى بصير عن أبى عبد الله(ع)قال*: إنه إذا كان يوم القيامه يدعى كل أناس بإمامه-الذى مات فى عصره-فإن أثبته أعطى كتابه بيمينه لقوله:« يَوْمَ نَدْعُوا

كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ »فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم،و اليمين إثبات الإمام لأنه كتابه يقرؤه-إلى أن قال-و من أنكر كان من أصحاب الشمال-الذين قال الله:

« وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ- فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ »إلخ.

أقول:و فى عده من الروايات تطبيق قوله:« فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ »إلخ،على على(ع)،و فى بعضها عليه و على شيعته،و كذا تطبيق قوله:« وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ »إلخ،على أعدائه،و هى من الجرى دون التفسير.

و فى الدر المنثور،أخرج الحاكم و صححه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال*:

لو أن دلوا من غسلين يهراق فى الدنيا لأنتن بأهل الدنيا.

و فيه،أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن صعصعه بن صوحان قال*: جاء أعرابى إلى على بن أبى طالب فقال:كيف هذا الحرف:لا يأكله إلا الخاطون كل و الله يخطو.

فتبسم على و قال:يا أعرابى« لاٰ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخٰاطِؤُنَ »قال:صدقت و الله يا أمير المؤمنين- ما كان الله ليسلم عبده.

ثم التفت على إلى أبى الأسود فقال:إن الأعاجم قد دخلت فى الدين كافه-فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم-فرسم لهم الرفع و النصب و الخفض.

و فى تفسير البرهان،عن ابن بابويه فى الدروع الواقيه فى حديث عن النبى ص*: و لو أن ذراعا من السلسله التى ذكرها الله فى كتابه-وضع على جميع جبال الدنيا لذابت عن حرها.

[سوره الحاقه (۶۹): الآيات ۳۸ الى ۵۲]

اشاره

فَلاٰ أُقْسِمُ بِمٰا تُبْصِرُونَ (۳۸) وَ مٰا لاٰ تُبْصِرُونَ (۳۹) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۴۰) وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شٰاعِرٍ قَلِيلاً مٰا تُؤْمِنُونَ (۴۱) وَ لاٰ بِقَوْلِ كٰاهِنٍ قَلِيلاً مٰا تَذَكَّرُونَ (۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۴۳) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنٰا بَعْضَ اَلْأَقٰاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنٰا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنٰا مِنْهُ اَلْوَتِينَ (۴۶) فَمٰا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حٰاجِزِينَ (۴۷) وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (۴۸) وَ إِنّٰا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (۴۹) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ (۵۰) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ اَلْيَقِينِ (۵۱) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلْعَظِيمِ (۵۲)

بیان

هـذا هو الفصل الثالث من آیات السوره یؤکـد ما تقـدم من أمر الحاقه بلسان تصدیق القرآن الکریم لیثبت بذلک حقیه ما أنبأ به من أمر القیامه.

قوله تعـالی:« فَلاـ أُقْسِمُ بِمـا تُبْصِـرُونَ وَ ما لاـ تُبْصِـرُونَ »ظـاهر الآـیه أنه إقسام بما هو مشـهود لهم و ما لا یشاهـدون أی الغیب و الشـهاده فهو إقسام بمجموع الخلیقه و لا یشـمل ذاته المتعالیه فإن من البعید من أدب القرآن أن یجمع الخالق و الخلق فی صـف واحد و یعظمه تعالی و ما صنع تعظیما مشترکا فی عرض واحد.

و فی الإقسـام نوع تعظیم و تجلیل للمقسم به و خلقه تعالی بما أنه خلقه جلیل جمیل لأنه تعالی جمیل لا یصـدر منه إلا الجمیل و قد استحسن تعالی فعل نفسه و أثنی علی نفسه بخلقه فی قوله: «الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ» :الم السجده:۷،و قوله: «فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ» :المؤمنون:۱۴ فلیس للموجودات منه تعـالی إلا الحسن و ما دون ذلک من مساءه فمن أنفسـها و بقیاس بعضـها إلی بعض.

و فی اختیـار مـا یبصـرون و مـا لاـ یبصـرون للأقسـام به علی حقیه القرآن ما لا یخفی من المناسـبه فإن النظام الواحـد المتشابک أجزاؤه الجـاری فی مجموع العـالم یقضـی بتوحـده تعـالی و مصـیر الکـل إلیه و مـا یترتب علیه من بعث الرسل و إنزال الکتب و القرآن خیر کتاب سماوی یهدی إلی الحق فی جمیع ذلک و إلی طریق مستقیم.

و مما تقدم یظهر عدم اسـتقامه ما قیل:إن المراد بما تبصـرون و ما لا تبصرون الخلق و الخالق فإن السیاق لا یساعد علیه،و کذا ما قیل:إن المراد النعم الظاهره و الباطنه، و ما قیل:إن المراد الجن و الإنس و الملائکه أو الأجسام و الأرواح أو الـدنیا و الآخره أو ما یشاهد من آثار القدره و ما لا یشاهد من أسرارها فاللفظ أعم مدلولا من جمیع ذلک.

ص: ۴۰۳

قوله تعالى:« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ »الضـمير للقرآن،و المستفاد من السياق أن المراد برسول كريم النبى ص و هو تصديق لرسالته قبال ما كانوا يقولون إنه شاعر أو كاهن.

و لا ضـير فى نسـبه القرآن إلى قوله فإنه إنما ينسب إليه بما أنه رسول و الرسول بما أنه رسول لا يأتى إلا بقول مرسـله،و قـد بين ذلك فضل بيان بقوله بعد:« تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ».

و قيل:المراد برسول كريم جبريل،و السياق لا يؤيده إذ لو كان هو المراد لكان الأنسب نفى كونه مما نزلت به الشياطين كما فعل فى سوره الشعراء.

على أن قوله بعد:« وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ »و ما يتلوه إنما يناسب كونه (ص)هو المراد برسول كريم.

قوله تعـالى:« وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ »نفى أن يكون القرآن نظمـا ألفه شـاعر و لم يقـل النبى ص شـعرا و لم يكن شاعرا.

و قوله:« قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ »توبيخ لمجتمعهم حيث إن الأكثرين منهم لم يؤمنوا و ما آمن به إلا قليل منهم.

قوله تعالى:« وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ »نفى أن يكون القرآن كهانه و النبى ص كاهنا يأخذ القرآن من الجن و هم يلقونه إليه.

و قوله:« قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ »توبيخ أيضا لمجتمعهم.

قوله تعالى:« تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ »أى منزل من رب العالمين و ليس من صنع الرسول نسبه إلى الله كما تقدمت الإشاره إليه.

قوله تعـالى:« وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيـلِ -إلى قوله- حاجِزِينَ »يقال: تقول على فلان أى اختلق قولا من نفسه و نسـبه إليه،و الوتين -على ما ذكره الراغب-عرق يسقى الكبد و إذا انقطع مات صاحبه،و قيل:هو رباط القلب.

و المعنى:« وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا »هذا الرسول الكريم الذى حملناه رسالتنا و أرسلناه إليكم بقرآن نزلناه عليه و اختلق« بَعْضَ الْأَقاوِيلِ »و نسـبه إلينـا« لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ »كما يقبض على المجرم فيؤخـذ بيـده أو المراد قطعنا منه يـده اليمنى أو المراد لانتقمنا منه بالقوه كما فى روايه القمى« ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ »و قتلناه لتقوله علينا« فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ

حاجِزِينَ

»تحجبونه عنا و تنجونه من عقوبتنا و إهلاكنا.

و هذا تهديد للنبى ص على تقدير أن يفترى على الله كذبا و ينسب إليه شيئا لم يقله و هو رسول من عنده أكرمه بنبوته و اختاره لرسالته.

فالآيات فى معنى قوله: «لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَأَذَقْنٰاكَ ضِعْفَ الْحَيٰاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمٰاتِ ثُمَّ لاٰ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنٰا نَصِيراً» :إسراء:۷۵،و كذا قوله فى الأنبياء بعد ذكر نعمه العظمى عليهم: «وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ» :الأنعام:۸۸.

فلا يرد أن مقتضى الآيات أن كل من ادعى النبوه و افترى على الله الكذب أهلكه الله و عاقبه فى الدنيا أشد العقاب و هو منقوض ببعض مدعى النبوه من الكذابين.

و ذلك أن التهديد فى الآيه متوجهه إلى الرسول الصادق فى رسالته لو تقول على الله و نسب إليه بعض ما ليس منه لا مطلق مدعى النبوه المفترى على الله فى دعواه النبوه و إخباره عن الله تعالى.

قوله تعالى:« وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ »يذكرهم كرامه تقواهم و معارف المبدأ و المعاد بحقائقها،و يعرفهم درجاتهم عند الله و مقاماتهم فى الآخره و الجنه و ما هذا شأنه لا يكون تقولا و افتراء فالآيه مسوقه حجه على كون القرآن منزها عن التقول و الفريه.

قوله تعالى:« وَ إِنّٰا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكٰافِرِينَ »ستظهر لهم يوم الحسره.

قوله تعالى:« وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ »قد تقدم كلام فى نظيرتى الآيتين فى آخر سوره الواقعه،و السورتان متحدتان فى الغرض و هو وصف يوم القيامه و متحدتان فى سياق خاتمتهما و هى الإقسام على حقيقه القرآن المنبئ عن يوم القيامه،و قد ختمت السورتان بكون القرآن و ما أنبأ به عن وقوع الواقعه حق اليقين ثم الأمر بتسبيح اسم الرب العظيم المنزه عن خلق العالم باطلا لا معاد فيه و عن أن يبطل المعارف الحقه التى يعطيها القرآن فى أمر المبدأ و المعاد.

تم و الحمد لله.

ص :۴۰۵

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیۀ للدراسات الکمبیوتریۀ فی أصفهان بإشراف آیۀ الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیۀ والثقافیۀ والعلمیۀ معتمداً علی النشاطات الخالصۀ والدؤوبۀ لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیۀ.

إجراءات المؤسسۀ:

نظراً لقلۀ المراکز القائمۀ بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیۀ وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبۀ الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسۀ القائمیۀ للدراسات الکمبیوتریۀ فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیۀ وتقدم المؤسسۀ مجاناً مجموعۀ الکترونیۀ من الکتب والمقالات العلمیۀ والدراسات المفیدۀ وهی منظمۀ فی برامج إلکترونیۀ وجاهزۀ فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسۀ تقدیم الخدمۀ معتمدۀ علی النظرۀ العلمیۀ البحتۀ البعیدۀ من التعصبات الشخصیۀ والاجتماعیۀ والسیاسیۀ والقومیۀ وعلی أساس خطۀ تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرۀ من جمیع مراکز الشیعۀ.

الأهداف:

نشر الثقافۀ الإسلامیۀ وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسۀ أدقّ فی المسائل الدینیۀ

تنزیل البرامج المفیدۀ فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمۀ للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیۀ والجامعات

توسیع عام لفکرۀ المطالعۀ

تهمید الأرضیۀ لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیۀ

السیاسات:

مراعاۀ القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیۀ

إنشاء العلاقات المترابطۀ مع المراکز المرتبطۀ

الاجتنباب عن الروتینیۀ وتکرار المحاولات السابقۀ

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها علی ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب علی موقع القائمية ويمكن تحميلها علی الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩